



«قدرات نيسبو الروائية لا تُضاهى. انتقام رواية جنائية رائعة قراءتها متعة كبيرة»
- صحيفة «يو أس إيه توداي»

انتقام

رواية



جو نيسبو

JO NESBØ

مؤلف رواية «تصفية الخونة» والذي فاقت مبيعات كتبه الثمانية ملايين ونصف المليون نسخة في مختلف أنحاء العالم

التقام

Nemesis

رواية

جو نيسبو
JO NESBØ

ترجمة

مروان سعد الدين

مراجعة وتحريير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

5-542-421-614-978 ISBN

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الإنكليزي لرواية

NEMESIS

عن الأصل النرويجي: Sorgenfri الصادر عن دار: i.Co & Aschehoug
حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون،
ش.م.ل.

of support financial with published been has Translation This

i .NORLA

Sorgenfri as Norway in Published Originally

2002 Nesbø Jo by © Copyright

i Norway ,Co & Aschehoug with agreement by Published

reserved rights All

.Inc ,Publishers Scientific Arab by 2011 © Copyright Arabic

S.A.L

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة ، شارع المفتي توفيق خالد ، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 1 00961

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 1 00961 - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية

أو الكترونية
أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو
أقراص مقروءة
أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من
دون إذن خطي من الناشر.

الخطّة

سأموت، وهذا لا يبدو منطقياً. لم تكن تلك هي الخطّة، وليست خطّتي على كل حال. ربما كنت أمضي في هذه الطريق طوال الوقت من دون أن أدري. لم تكن تلك خطّتي؛ كانت خطّتي أفضل، وتبدو منطقية. أحدّق إلى فوهة البندقية؛ حان وقت ضحكة أخيرة. إذا كان بمقدورك رؤية ضوء في آخر النفق، فقد تكون قبساً من شعلة. يمكننا تحويل هذه الحياة إلى شيء صالح، أنا وأنت، لو أننا التزمنا بالخطّة. فكرة واحدة أخيرة: يسأل الجميع عن معنى الحياة، لكن لا أحد يسأل عن معنى الموت.

رائد الفضاء

ذكَرَ الرجل العجوز هاري براند فضاء: الخطوات القصيرة المضحكة، والحركات المتيّسة، والعينان السوداوان الجامدتان، والنعلان الثقيلان على الأرضية الخشبية؛ كأنه كان خائفاً من فقدان الاتصال بالأرض والطفو مبتعداً في الفضاء.

نظر هاري إلى الساعة المعلّقة على الجدار الأبيض فوق المخرج وكانت تشير إلى 15:16. خارج النافذة في بوغستادفين، تحرّكت حشود الجمعة بسرعة، وانعكست شمس تشرين الأول المنخفضة عن المرآة الجانبية لسيارة تمضي مبتعدة في ساعة الازدحام.

رَكَزَ هاري على الرجل العجوز: قبعة إضافة إلى معطف رمادي أنيق بحاجة ماسّة إلى تنظيف، وتحتة سترة صوفية، وربطة عنق، وسروال رمادي رثٌ بتجعيدات حادّة كالإبرة، وحذاء ملمّع. إنه أحد أولئك المتقاعدین التي تبدو ماجورستون مملوءة بهم. لم يكن ذلك تخميناً؛ لأن هاري يعرف أن أوغست شولز في الحادية والثمانين من عمره، وأنه تاجر ملابس سابق كان قد عاش كل حياته في ماجورستون، باستثناء مدة قصيرة أمضاها معتقلاً في أثناء الحرب. كانت الركبتان متيّبستين نتيجة سقوطه عن جسر رينغفين للمشاة الذي كان يسلكه في زيارته اليومية لابنته. تعرّز انطباع الدمية الميكانيكية بحقيقة أن ذراعيه كانتا ملتويتين بشكل عمودي من المرفقين وتبرزان إلى الأمام. كانت عصا مشي بنية موضوعة على ساعده الأيمن، ويده اليسرى تمسك صكاً مصرفياً كان يقدّمه إلى شاب قصير الشعر عند النضد رقم 2. لم يستطع هاري رؤية وجه أمين الصندوق، لكنه عرف أنه كان يحدّق إلى الرجل العجوز بمزيج من التعاطف والانزعاج.

كانت الساعة 15:17 آنذاك، وقد حان أخيراً دور أوغست شولز. كانت شتاين غريت تجلس خلف النضد رقم 1، وتعدُّ 730 كرونًا نرويجياً لفتى يعتمر قبعة صوفية زرقاء كان قد أعطاهَا آنذاك حوالة بريدية. تلالأت الماسة في الإصبع الذي يحمل الخاتم في يدها اليسرى حين كانت تضع كل حوالة على النضد.

لم يرَ هاري، لكنه عرف أن هناك امرأة مع عربة أطفال أمام النضد 3، تهزّها لتسلي نفسها على الأرجح؛ لأن الطفل كان نائماً. كانت المرأة تنتظر دورها عند السيدة بريني، التي كانت تشرح بصوت عالٍ لرجل عبر الهاتف أنه لا يستطيع اقتطاع مبلغ من حساب شخص آخر إن لم يكن

مالك الحساب قد وقّع عقداً بذلك. أبلغته أيضاً أنها تعمل في المصرف، في حين هو لا يعمل فيه، وأن عليهما بالتالي إنهاء ذلك النقاش.

فُتح الباب في تلك اللحظة، ودخل رجلان بخطوات واسعة إلى داخل المصرف، أحدهما طويل القامة والآخر قصير، يلبسان رداءين سرواليين متماثلين، فنظرت شتاين غريت إلى الأعلى. تحقّق هاري من ساعته وبدأ يعدّ. تقدم الرجلان إلى النضد الذي تجلس شتاين خلفه، ثمّ تحرّك الرجل الطويل كأنه يخوض في بركة ضحلة، في حين كان القصير يمشي مثل شخص اكتسب قوة عضلية ليس بمقدوره التلاؤم معها. استدار الفتى الذي يعتمر قبعة زرقاء ببطء، وبدأ يمشي نحو المخرج مشغولاً جداً بعدّ نقوده حتى إنه لم يرَ الرجلين.

قال الرجل الطويل لشتاين وهو يرمي علبةً سوداء على النضد: "مرحباً". دفع الرجل القصير نظارته الواقية من أشعة الشمس في مكانها، ثم مشى إلى الأمام، ووضع علبة مماثلة بجانب السابقة، وقال بصوت حادّ ورفيع: "المال! افتحي الباب!".

* * *

كان الأمر شبيهاً بالضغط على زر الإيقاف المؤقت؛ حيث تجمّدت كل حركة في المصرف. كانت الدلالة الوحيدة على أن الوقت لم يتوقف هي حركة السير خارج النافذة، وعقرب الثواني في الساعة، الذي كان يشير آنذاك إلى انقضاء عشر ثوانٍ. ضغطت شتاين زراً تحت مكتبها. كان هناك طنين إلكتروني، فدفع الرجل القصير باب النضد إلى الجدار بركبته.

سأل: "من لديه المفتاح؟ بسرعة، ليس لدينا اليوم بطوله!".

صرخت شتاين من فوق كتفها: "هيلج!".

"ماذا؟". جاء الصوت من داخل الباب المفتوح للمكتب الوحيد في

المصرف.

"لدينا زوّار يا هيلج!".

ظهر رجل يضع ربطة عنق فراشية الشكل ونظارة قراءة.

قالت شتاين: "هذان السيدان يريدان منك أن تفتح جهاز الصراف

الآلي يا هيلج".

حدّق هيلج كليمنتسن ببلاهة إلى الرجلين برداءيهما السرواليين، اللذين كانا آنذاك إلى جانبه من النضد. نظر الطويل بعصبية إلى الباب الأمامي في حين كانت عينا القصير ثابتتين على مدير الفرع.

شهق هيلج: "آه! نعم، بالطبع!؛ كأنه قد تذكر آنذاك موعداً نسيه،

وأطلق ضحكة مسعورة مجلجلة.

لم يحرك هاري ساكناً، وترك عينيه تسجلان ببساطة كل تفصيل من حركاتهما وإيماءاتهما. خمس وعشرون ثانية. استمر ينظر إلى الساعة المعلقة على الجدار، لكنه استطاع أن يرى من طرف عينه مدير الفرع يفتح جهاز الصراف الآلي من الداخل، ويُخرج علبتين معدنيتين مستطيلتي الشكل ويسلمهما إلى الرجلين. حدث كل شيء بسرعة كبيرة وبصمت؛ في غضون خمسين ثانية.

"هاتان لك!". كان الرجل القصير قد أخرج حقيبتين معدنيتين من علبته ودفع بهما إلى هيلج. ابتلع مدير الفرع ريقه، وأوماً برأسه، ثم أمسك بهما ووضعهما في جهاز الصراف الآلي.

قال الرجل القصير وهو يشدّ ظهره ويمسك العلبة: "أتمنى لك عطلة نهاية أسبوع جيدة!". مرّت دقيقة ونصف.

قال هيلج: "ليس بهذه السرعة".

تسمّر الرجل القصير في مكانه.

مصّ هاري باطن وجنتيه وحاول التركيز.

قال هيلج: "الإيصال...".

حدّق الرجلان لحظة طويلة إلى مدير الفرع صغير الحجم، وأشيب الشعر، ثم بدأ القصير يضحك. كانت ضحكة عالية حادّة بصوت ثاقب هستيري، وبالطريقة التي يضحك بها أشخاص على عجلة من أمرهم. "أنت لا تظن أننا سنغادر المكان من دون توقيع، أليس كذلك؟ تسليم مليونين من دون إيصال!".

قال هيلج: "حسنًا، كاد أحدكما أن ينسى ذلك الأسبوعَ الماضي".

قال الرجل القصير: "هناك كثير من الأشخاص الجدد الآن"، ووقع

وهيلج، وتبادلا نموذجين أصفر وزهري اللون.

انتظر هاري إغلاق الباب الأمامي مجدداً قبل أن ينظر إلى الساعة

مرة أخرى. دقيقتان وعشر ثوانٍ.

استطاع عبر زجاج الباب رؤية شاحنة نوردي الأمنية تنطلق مبتعدة.

استؤنفت الأحاديث بين الناس في المصرف، ولم يكن هاري بحاجة إلى

العدّ، لكنه تابع ذلك في ذلك الوقت. ثلاثة خلف النضد وأربعة أمامه،

وبينهم الطفل والرجل بالرداء السروالي الذي كان قد دخل آنذاك ويقف

بجانب الطاولة وسطّ الغرفة، يكتب رقم حسابه على قصاصة دفع. عرف

هاري أن ذلك من أجل سنشايين تورز.

قال أوغست شولز: "أتمنى لكم يوماً طيباً"، وبدأ يمشي باتجاه الباب الأمامي.

كان الساعة تشير إلى 15:21:10 بالتحديد، وبدأ كل شيء في تلك اللحظة تحديداً.

عندما فُتح الباب، رأى هاري رأس شتاين غريت يبرز من بين أوراقها ويتوارى خلفها، ثم رفعت رأسها مجدداً، ببطء هذه المرة. تحوّل انتباه هاري إلى الباب الأمامي، إذ كان الرجل الذي دخل قد شدّ زمام ثوب العمل إلى الأسفل وأخرج بسرعة أيه. جي. 3 - بندقية نرويجية - سوداء وخضراء زيتية. كان قناع صوفي أزرق داكن يغطّي وجهه بالكامل، باستثناء عينيه. وهنا، بدأ هاري العدّ من الصفر. بدأ القناع يتحرّك حيث الفم، مثل دميمة: "هذه سرقة بقوة السلاح. فليبق الجميع في أماكنهم!".

لم يكن قد رفع صوته، لكن في المصرف الصغير بدا كأن مدفعاً يطلق قذائفه. أمعن هاري النظر إلى شتاين، واستطاع بالرغم من صوت حركة السير البعيدة سماع طقطقة خافتة لمعدن مزيت حين لقّم الرجل البندقية. انخفض كتفها الأيسر، على نحو لإرادي تقريباً. فكّر هاري في أنها فتاة شجاعة، أو ربما فقدت صوابها من الخوف. كان أون، أستاذ علم النفس في كلية شرطة أوصلو، قد أخبرهم أنه عندما يخاف الناس كثيراً يتوقفون عن التفكير ويتصرفون بالطريقة التي تدرّبوا عليها. يضغط معظم موظفي المصارف زر إنذار السرقة الصامت نتيجة الصدمة، كما يقول أون، الذي استشهد بتقارير عدّة عن سرقات، حيث لم يستطع كثيرون أن يتذكروا إن كانوا قد أطلقوا الإنذار أم لا. كانوا مثل طيارين آليين، وبالطريقة نفسها تقريباً التي يكون فيها سارق مصرف قد درّب نفسه على إطلاق النار على أي شخص يحاول إيقافه، كما قال أون. كلما ازداد خوف سارق مصرف، كلما اضمحلت فرصة أي شخص في جعله يغير رأيه. كان هاري متجهماً وهو يحاول أن يركّز على عيني السارق؛ إنهما زرقاوان.

أخرج السارق حقيبة قماشية سوداء ورماها على النضد، فتقدم الرجل الذي يرتدي ملابس سوداء ست خطوات إلى باب النضد، ثم جثم على الحافة العليا، ودفع قدميه إلى الأعلى ليقف مباشرة خلف شتاين، التي كانت تجلس ساكنة ووجهها يخلو من أي تعبير. جيّد، كما فكّر هاري. كانت تعرف التعليمات التي تقضي ألا تثير أي ردّ فعل بالتحديق إلى

السارق.

وجّه الرجل ماسورة البندقية إلى عنق شتاين، ثم انحنى إلى الأمام، وهمس في أذنها.

لم تكن قد فزعت بعد، لكن هاري استطاع رؤية صدر شتاين يرتفع وينخفض، وبدا أن قفصها الصدري الصغير تحت الكنزة البيضاء المشدودة كثيراً آنذاك يكافح من أجل الحصول على هواء. خمس عشرة ثانية. تنحنحت، مرة، اثنتين. أخيراً، نبض حبلاها الصوتيان بالحياة: "هيلج. مفاتيح جهاز الصراف الآلي!". كان الصوت خافتاً وأجشّ، ومختلفاً تماماً عن ذلك الذي نطق الكلمات نفسها قبل ثلاث دقائق.

لم يستطع هاري رؤيته، لكنه عرف أن هيلج قد سمع ما قاله السارق وأنه يقف آنذاك عند باب المكتب.

"أسرع، وإلا...". كان صوتها مسموعاً بصعوبة، وفي لحظة التوقف الآتية كان كل ما يمكن سماعه في المصرف هو وقع نعلي حذاء أوغست شولز على الأرضية الخشبية، مثل فرشيتين يصدر عنهما حفيف على جلد طبل ببطء شديد.

"...سيطلق النار عليّ".

نظر هاري إلى خارج النافذة. كانت هناك سيارة في الخارج، وسمع محركاً يعمل، لكنه لم يستطع رؤيتها. مجرد ضوءاء سيارات وأشخاص يمرّون هناك.

"هيلج...". كان صوتها يتوسل إليه.

حسّ هاري هيلج على الإسراع، فقد عرف القليل عن مدير المصرف العجوز أيضاً. عرف هاري أن لديه كلبى بودل وزوجة وابنة حاملاً انفصلت عن زوجها أخيراً، والجميع بانتظاره في المنزل، وقد حُزِمَت الأمتعة استعداداً للانتقال بالسيارة إلى الكوخ الجبلي حينما يعود هيلج. في تلك اللحظة بالذات شعر هيلج أنه غارق في ماء، في نوع من الحلم تتباطأ فيه كل حركاتك مهما حاولت أن تسرع. ثم ظهر في مجال رؤية هاري. كان سارق المصرف قد أدار كرسي شتاين وأضحى خلفها، لكنه أصبح يواجه هيلج آنذاك. ومثل طفل خائف عليه أن يُطعم حصاناً، تراجع هيلج إلى الخلف، وقدم مجموعة مفاتيح، وذراعه ممدودة إلى أقصاها. همس الرجل المقنّع في أذن شتاين حين وجّه الرشاش نحو هيلج، الذي تراجع خطوات غير متزنة إلى الخلف.

تنحنحت شتاين: "يطلب أن تفتح جهاز الصراف الآلي وتضع المال في

الحقيبة القماشية السوداء".
حدّق هيلج ذاهلاً إلى البندقية الموجهة إليه.
"لديك خمس وعشرون ثانية قبل أن يطلق النار. ليس عليك وإنما عليّ".

فتح هيلج فمه وأغلقه؛ كأنه يريد أن يقول شيئاً.
قالت شتاين: "الآن يا هيلج".
كانت ثلاثون ثانية قد انقضت منذ بدأت السرقة تحت العنف، وكاد أوغست شولز أن يصل إلى الباب الأمامي. جثا مدير الفرع على ركبتيه أمام جهاز الصراف الآلي، ونظر إلى مجموعة المفاتيح التي يبلغ عددها أربعة.

دوّى صوت شتاين: "بقيت عشرون ثانية".
مخفر شرطة ماجورستون، كما فكّر هاري. سيارات الدورية في طريقها إليهم، على بعد ثمانية مبانٍ سكنية، في ساعة الازدحام يوم الجمعة.
بأصابع مرتعشة، أمسك هيلج مفتاحاً وأدخله في القفل. توقف في منتصف المسافة، لكنه ضغط بقوة أكبر.
"سبع عشرة".

شرع يقول: "لكن...".
"خمس عشرة".
سحب هيلج المفتاح وجربّ آخر. دخل في القفل، لكنه لم يفتحه.
"يا الله...!".
"ثلاث عشرة. استخدم المفتاح الذي عليه قطعة من شريط أخضر يا هيلج".

حدّق هيلج إلى مجموعة المفاتيح كأنه يراها أول مرة.
"إحدى عشرة".
دخل المفتاح الثالث، ودار في القفل. فتح الباب، واستدار نحو شتاين والرجل.

"هناك قفل آخر يجب فتحه...".
صرخت شتاين: "تسع ثوانٍ!".
نشج هيلج وهو يمرّر أصابعه على الحواف المثلمة للمفاتيح، غير قادرٍ على رؤيتها، مستخدماً الحواف كلغة بريل - لغة خاصة بالملكوفين -
ليعرف المطلوب منها.
"سبع".

أرهف هاري السمع جيداً؛ لا صفارات شرطة بعد. أمسك أوغست شولز قبضة الباب الأمامي.

كانت هناك قطعة معدنية حين ارتطمت مجموعة المفاتيح بالأرض. همست شتاين: "خمس".

فُتح الباب، واندفعت الأصوات من الشارع إلى داخل المصرف. ظنَّ هاري أن بمقدوره سماع الصوت الخافت المألوف من بعيد. ارتفع الصوت مجدداً. صفارات الشرطة، ثم أُغلق الباب. "اثنتان يا هيلج!".

أغلق هاري عينيه، وعدَّ الثابنتين. صرخ هيلج: "ها نحن ذا!". كان قد استطاع فتح القفل الثاني، ويقف منحنيّاً آنذاك، يسحب العلبتين المعدنيتين. "دعني أُخرج النقود فحسب! أنا..."، لكنَّ صرخة حادّة قاطعته عن عمله.

نظر هاري نحو الطرف الآخر من المصرف حيث وقفت امرأة تحدّق برعب إلى سارق المصرف المتسمّر في مكانه وهو يضغط فوهة البندقية على عنق شتاين. طرفت عيناها مرتين، وأومأت برأسها بصمت في اتجاه عربة الطفل حين ازداد صراخ الطفل حدّة.

كاد هيلج يقع إلى الخلف حين خرجت العلبة المعدنية الأولى. سحب إليه الحقيبة القماشية السوداء، وبعد ست ثوانٍ كانت كل الأموال فيها. شدَّ هيلج كليمنتسن زمام الحقيبة القماشية كما طُلب منه، ووقف بجانب النضد. كان كل شيء يجري عبر شتاين، وبدا صوتها ثابتاً وهادئاً على نحو مفاجئ آنذاك.

دقيقة وثلاث ثوانٍ، واكتملت السرقة. كان المال في الحقيبة القماشية. ستصل أول سيارة شرطة بعد لحظات، وستغلق سيارات شرطة أخرى طرقات الهروب المباشرة حول المصرف بعد أربع دقائق. لا بدّ من أن كل خلية في جسد السارق كانت تصرخ أن الوقت قد حان للفرار. ثم حدث شيء لم يفهمه هاري، لم يكن منطقياً ببساطة. بدلاً من الهرب، أدار السارق كرسي شتاين حتى أصبحت تواجهه، ثمّ انحنى إلى الأمام وهمس شيئاً في أذنها. ركّز هاري بصره؛ كان يجب أن يذهب ويفحص عينيه في أحد الأيام، لكنه رأى ما رآه. كانت تركّز على عذابها الذي لا يظهر للعيان، وتعرّض وجهها لعملية تحوّل تدريجية وبطيئة حين استوعبت أهمية الكلمات التي همس بها إليها. شكّل حاجباها الرفيعان والمشدّبان حرفي أس. فوق عينين بدا أنهما تبرزان آنذاك من رأسها، والتوّت شفتها العليا نحو الأعلى وشكّل طرفا

فمها ابتسامة غريبة. توقف الطفل عن البكاء فجأة مثلما كان قد بدأ. تنفس هاري بقوة؛ لأنه كان يعرف. كان ذلك مشهداً مألوفاً، وصورة متقنة. شخصان يتواجهان معاً جزءاً من الثانية حين يخبر أحدهما الآخر بحكم الإعدام، والوجه المقتنع على بعد شبرين من نظيره البائس؛ القاتل وضحيته. البندقية مصوّبة إلى حنجرتها وقلب ذهبي صغير يتدلى من سلسلة رفيعة. لم يستطع هاري أن يرى، لكن بالرغم من ذلك شعر بنبضها يخفق بقوة تحت الجلد الناعم.

صوت بعيد: أرهف هاري السمع جيداً؛ لم تكن صفارات الشرطة، بل رنين هاتف في الغرفة المجاورة.

استدار الرجل المقتنع، ونظر إلى آلة تصوير المراقبة التي تتدلى من السقف خلف النضد. رفع يده وأظهر خمسة أصابع يكسوها قفاز أسود، ثم أغلق يده ومدّ سبابته. ستة أصابع. ست ثوانٍ طويلة جداً. استدار نحو شتاين مجدداً، وأمسك البندقية بكلتا يديه، ووضعها على مستوى الورك ورفع الفوهة نحو رأسها، ووقف مباعداً بين قدميه قليلاً ليتحمّل الارتداد. ظلّ الهاتف يرن. دقيقة واحدة واثنتا عشرة ثانية. تلاً لأ الخاتم الماسي حين رفعت شتاين يدها قليلاً؛ كأنها تلوّح مودّعة شخصاً ما.

كان الوقت 15:22:22 تماماً حين ضغط على الزناد. الدويّ حاد وثاقب. تراجع كرسي شتاين إلى الورا في حين تراقص رأسها على عنقها مثل دمىة قماشية مشوّهة، ثم انقلب الكرسي إلى الخلف. صدر صوت مكتوم حين ارتطم رأسها بحافة طاولة، ولم يعد هاري يراها، أو يرى الملتصق الذي يعلن عن جدول رواتب التقاعد الجديد لشركة نوردي المثبّت على الطرف الخارجي للحاجز الزجاجي فوق النضد، والذي أصبحت خلفيته حمراء آنذاك. كل ما استطاع سماعه هو رنين الهاتف المتواصل والمزعج. رفع السارق المقتنع الحقيبة القماشية، وكان على هاري أن يحسم أمره. في حين قفز السارق من فوق النضد، كان هاري قد اتخذ قراره: نهض عن كرسيه بحركة واحدة سريعة. ست خطوات واسعة. وصل إلى هناك، ورفع السماعة: "تكلم!"

استطاع في التوقف الذي تبع ذلك سماع صوت صفارة الشرطة من التلفاز في غرفة الجلوس، وأغنية شعبية باكستانية من عند الجيران، وخطوات ثقيلة تصعد السلم وتبدو مثل وقع أقدام السيدة مادسن، ثم سمع ضحكة لطيفة على الطرف الآخر من الخط؛ ضحكة من لقاء بعيد. ليس الوقت مناسباً، لكنها من مكان بعيد، وتؤلف نحو سبعين بالمئة من

ماضي هاري، الذي يعود إليه بين الفينة والأخرى على شكل إشاعات
مبهمة، أو محض تلفيقات. لكن تلك كانت قصة يستطيع تأكيدها.
"هل ما زلت تستخدم حقاً ذلك الخط يا هاري؟".
"آنا؟".

"يا للهول! أحسنت يا هاري".

شعر هاري بدفء عذب يسري في معدته، كما يحدث عندما يتناول
الشراب الاسكتلندي تقريباً. شاهد على صفحة المرأة صورةً كان قد ثبَّتْها
على الجدار المقابل، له ولشقيقته في إحدى عطلات الصيف قبل وقت
طويل في هفيتستن حين كانا يافعين. كانا يبتسمان بالطريقة التي يبتسم بها
الأطفال ويظنان أنهما لن يُصابا بأيِّ مكروه.
"وماذا تفعل مساء الأحد يا هاري؟".

"حسنًا". سمع هاري صوته يقلدها تلقائياً: عميق جداً، وبطيء جداً. لم
يقصد أن يفعل ذلك، ليس آنذاك. سعل وقال بنبرة أكثر حيادية: "ما
يفعله الناس عادة".
"وهو؟".

"مشاهدة أفلام فيديو".

دار الأم

"تشاهد أفلام فيديو؟"

أصدر الكرسي المكتبي البالي احتجاجاً حين انحنى ضابط الشرطة هالفورسن إلى الخلف، ونظر إلى زميله الذي يكبره بتسع سنوات، المفتش هاري هول، وتعبير عدم تصديق يظهر على وجهه اليافع البريء. قال هاري، وهو يمرر إبهامه وسبابته على جانبي جسر أنفه ليدل على الانتفاخين تحت عينيه المحتقتين: "بالتأكيد".

"طوال عطلة الأسبوع؟"

"من صباح السبت إلى مساء الأحد".

قال هالفورسن: "حسناً، على الأقل حظيت بوقت طيب مساء الجمعة".

"نعم"، أخرج هاري مغلفاً أزرق من جيب معطفه ووضعه على

الطاولة التي تواجه مكتب هالفورسن وقال: "قرأت نسخ المقابلات".

أخرج هاري من الجيب الآخر علبة رمادية من قهوة فرنش كولونيات.

كان وهالفورسن يتشاركان في مكتب، في أقصى طرف الرواق تقريباً من المنطقة الحمراء في الطابق السادس لمقر قيادة الشرطة في غرونلاند. كانا قد اشتريا قبل شهرين آلة رانسيليو سيلفيا لإعداد قهوة إسبرسو، التي جثمت على خزانة الملفات تحت صورة مؤطرة لفتاة تجلس على طاولة وترفع قدميها إلى الأعلى. بدا وجهها المنمّش مبتسماً، لكن ضحكتها كانت في الواقع بائسة. كانت الخلفية جدار المكتب نفسه الذي علّقت عليه الصورة. قال هاري وهو يعلّق معطفه على المشجب: "هل تعرف أن ثلاثة من كل أربعة رجال شرطة لا يستطيعون تهجئة عبارة غير مثير للاهتمام على نحو صحيح؟".

"مثير للاهتمام".

"ماذا فعلت في عطلة الأسبوع؟"

"يوم الجمعة، وبفضل مكاملة هاتفية من أحق مجهول حدّرتنا فيها من سيارة مفخخة، جلست في سيارة خارج مقر السفير الأميركي. إنذار غير صحيح، بالطبع، لكن الأمور حسّاسة جداً الآن؛ ولهذا كان علينا الجلوس هناك طوال المساء. يوم السبت، قمت بمحاولة أخرى للعثور على امرأة حياتي. يوم الأحد، استنتجت أنها ليست متواجدة. ماذا عرفت عن السارق من المقابلات؟". وضع هالفورسن كمية من القهوة في مرشح يتسع كوبين. قال هاري وهو يخلع سترته: "لا شيء". كان يرتدي تحتها قميصاً

رمادياً داكناً؛ لونه الأصلي أسود ويحمل الآن كلمتين باهتتين نساء عنيفات (اسم فرقة موسيقية). جلس على كرسي مكتبه متأوهاً وقال: "لم يكن أحد قد أبلغ عن رؤية الرجل المطلوب قرب المصرف قبل السرقة. خرج شخص ما من سفن إيليفن - اسم سلسلة متاجر تسوّق - على الطرف الآخر من بوغستادفين ورأى الرجل يجري نحو إندوستريغاتا. القلنسوة الصوفية - القناع - هي التي أثارت انتباهه. أظهرت آلة تصوير المراقبة خارج المصرف كليهما حين كان السارق يتجاوز الشاهد خارج سفن إيليفن. الشيء الوحيد المهم الذي استطاع إخبارنا به ولم يكن في الفيلم هو أن السارق عبر الشارع مرتين في إندوستريغاتا".

"شخص لا يستطيع أن يقرّر أي رصيف يمشي عليه. لا يبدو ذلك مثيراً للاهتمام لي". وضع هالفورسن مرشح الكوبين في قبضة آلة صنع القهوة.

"لا تعرف الكثير عن سارقي المصارف، أليس كذلك يا هالفورسن؟".
"لماذا يجب أن أفعل؟ يُفترض أن نُلقى القبض على القتلة. يستطيع الرجال في هدمارك تويّ أمر السارقين".
"هدمارك؟".

"ألم تلاحظ وأنت تمشي في الجوار وحدة السرقات؟ اللهجة الريفية وسترات الصوف المحبوك. لكن ما الذي تقصده؟".
"بيت القصيد هو فيكتور".
"مدرب الكلاب؟".

"كقاعدة، تكون الكلاب أول من يصل إلى مسرح جريمة، وسارق مصارف خبير يعرف ذلك. يستطيع كلب جيد أن يتبع سارقاً ماشياً على قدميه، لكن إذا عبر الشارع ومرّت سيارات هناك، يفقد الكلب الرائحة".
"إذا؟". ضغط هالفورسن القهوة بالمكبس، وأنهى العملية بتسوية السطح بحركة من يده، كان يقول باستمرار إنها ما يميّز المحترفين على الهواة.
"يعرّز ذلك الشك في أننا نتعامل مع سارق مصارف خبير. وتلك الحقيقة وحدها تعني أن بمقدورنا التركيز على عدد صغير جداً من الأشخاص، وهو شيء لم يكن ممكناً بخلاف ذلك. أخبرني رئيس وحدة السرقات...".

"إيفارسون؟ ظننت أنكما لا تكلمان بعضكما؟".

"لا نفعل. كان يتكلم إلى كل أفراد فريق التحقيق. قال إن هناك نحو مئة سارق مصرف في أوصلو: خمسون منهم أغبياء جداً، يعملون تحت

تأثير الممنوعات أو يعانون مرضاً ذهنياً، وإنما ننال منهم في كل مرة تقريباً. نصف هؤلاء في السجن؛ لهذا يمكننا تجاهلهم. وأربعون منهم سارقون ماهرون يستطيعون الهرب؛ لأن شخصاً ما يساعدهم على التخطيط. وهناك عشرة محترفون، وهم الذين يهاجمون شاحنات الأموال ومراكز حفظ النقود. يتطلب القبض عليهم حظاً طيباً، إننا نحاول مراقبتهم طوال الوقت. يُطلب منهم تقديم حجج غيابهم الآن". ألقى هاري نظرة على سيلفيا (آلة القهوة)، التي كانت تقرر على خزانة الملفات. "وتحدثت إلى ويبر من الطبابة الشرعية السبت".

"ظننت أن ويبر سيتقاعد هذا الشهر".

"أخطأ أحدهم، ولن يتوقف عن العمل حتى الصيف".

ضحك هالفورسن بصوتٍ خافت. "لا بدّ من أنه أكثر نكدًا من

المعتاد".

قال هاري: "إنه كذلك، لكن ليس لهذا السبب. لم يعثر على أي

شيء".

"لا شيء؟".

"ولا بصمة واحدة، أو خصلة شعر، أو حتى خيط ملابس. ويمكنك

بالطبع أن ترى من أثر القدمين أنه كان ينتعل حذاءً جديداً".

"لا يستطيعون تثبُّت نماذج البلى مع أحذية أخرى؟". قال هاري:

"صحيبيح" وهو يمدّ حرف الياء.

قال هالفورسن، وهو يحمل أحد فنجاني القهوة إلى طاولة هاري:

"وسلاح سارق المصرف؟". عندما نظر إلى الأعلى، لاحظ أن حاجب هاري

الأيسر يصل تقريباً إلى شعره الأشقر المجعد. "آسف. سلاح الجريمة".

"شكراً. لم يُعثر عليه".

جلس هالفورسن يرتشف قهوته وقال: "إذاً، باختصار، رجل يدخل إلى

مصرف مكتظ في وضح النهار، يأخذ مليوني كرون، يقتل امرأة، يخرج إلى

شارع خالٍ نسبياً من المارة لكنه مزدحم بحركة سير خانقة في وسط

عاصمة النرويج، على بعد بضعة مئات الأمتار من مخفر شرطة، ونحن

المحترفون الذين نأخذ رواتبنا من الشرطة ليس لدينا أي شيء نعمل عليه؟".

أوماً هاري ببطء وقال: "لا شيء تقريباً. لدينا فيلم الفيديو".

"الذي تحفظ كل ثانية فيه عن ظهر قلب، فأنا أعرفك".

"لا، سأقول كل جزء من الثانية".

"ويمكنك أن تقتبس إفاذات الشهود حرفياً؟".

"إفادة أوغست شولز فقط. أخبرني كثيراً من الأشياء المثيرة للاهتمام عن الحرب. سرد أسماء المنافسين في صناعة الملابس، أو النرويجيين الصالحين المزعومين الذين كانوا قد أُيدوا مصادرة عقار أسرته في أثناء الحرب. كان يعرف بدقة ما يفعله هؤلاء الأشخاص هذه الأيام، لكنه لم يدرك أن سرقة مصرفية تقع آنذاك".

شربا قهوتهما بصمت، بينما هطل المطر على النافذة.
قال هالفورسن فجأة: "أنت تحب هذه الحياة. الجلوس وحيداً طوال عطلة نهاية الأسبوع تطارد أشباحاً".
ابتسم هاري، لكنه لم يرد.
"كنت أظن أن لديك الآن التزامات أسرية، وأنت ستتخلى عن نمط الحياة الانعزالي".

كشّر هاري نحو زميله الشاب معاتباً، ثمّ قال ببطء: "لا تعرف إن كنت أرى الأمر على هذا النحو. نحن لا نعيش معاً، كما تعلم".
"لا، لكن راكيل لديها فتى صغير؛ وذلك يجعل الأشياء مختلفة، أليس كذلك؟".

قال هاري وهو يتحرك نحو خزانة الملفات: "أوليغ. سافرا جواً إلى موسكو نهار الجمعة".
"أوه؟".

"القضية نفسها. الأب يريد الحضنة".
"آه! ذلك صحيح. كيف يبدو؟".
"همم"، صحّح هاري وضع الصورة الملتوية فوق آلة القهوة ثمّ قال:
"إنه أستاذ التقت راكيل به وتزوَّجته حين كانت تعمل هناك. يتحدّر من أسرة تقليدية ثرية تتمتع بنفوذٍ سياسي كبير، كما تقول راكيل".
"إذاً، يعرفون بعض القضاة، أليس كذلك؟".

"نوعاً ما، لكننا نظن أن الأمر سيكون على ما يرام. الأب غريب الأطوار، والجميع يعرفون ذلك؛ مدمن على الشراب ولا يستطيع السيطرة على نفسه. أنت تعرف ذلك النوع".
"أظن أنني أعرف".

نظر هاري إلى الأعلى بسرعة، في الوقت المناسب تماماً، ليرى هالفورسن يخفي ابتسامته.

كان معروفاً تماماً في مقر قيادة الشرطة أن هاري يعاني مشكلات مع الشراب. في هذه الأيام، لم يعد الإدمان على الشراب بحدّ ذاته سبباً

لتسريح موظف حكومي، لكن الثمالة في أوقات العمل تؤدي إلى ذلك. آخر مرة عانى فيها هاري انتكاسةً، حاول أشخاص في مراكز عليا في المبنى طرده من سلك الشرطة، لكن رئيس شعبة الجريمة بيارني مولر كان قد تولّى هاري بحمايته ملتمساً له ظروفًا مخففة. كانت الظروف هي المرأة في الصورة فوق آلة الإسبرسو - إيلين غيلتن، شريكة هاري وصديقه المقربة - التي ضربت حتى الموت بمضرب كرة قاعدة على درب بجانب نهر أكرسلفا. كان هاري قد كافح للوقوف على قدميه مجدداً، لكن الجرح لا يزال مفتوحاً، خاصة أن القضية، برأي هاري، لم يجر التحقيق فيها على نحو مرضٍ قط. عندما عثر هاري وهالفورسن على دليل شرعي يجرّم النازي الجديد سفير أولسن، لم يضع المفتش توم والر الوقت سدى، فذهب إلى منزل أولسن لاعتقاله. كان واضحاً أن سفير أولسن قد أطلق رصاصة على والر، الذي ردّ على النار دفاعاً عن النفس وقتله. ذلك ما هو مذكور في تقرير والر، على كل حال. لم تُشر التحقيقات في مسرح إطلاق النار، ولا الاستجواب من قبل شعبة التحقيق الداخلي في الشرطة إلى أي شيء يخالف ذلك. من ناحية أخرى، لم يتضح قط دافع سفير أولسن لقتل إيلين، باستثناء دلالات تشير إلى تورطه في تهريب أسلحة غير شرعية كانت قد أغرقت أولسو بالبندق في السنوات الأخيرة، وأن إيلين اقتفت أثره مصادفة. كان سفير أولسن مجرد ساعٍ، لكن الشرطة لم تضع يدها على أي أدلة عن أولئك الذين كانوا خلف عملية القتل.

بعد أن عمل مدة وجيزة مع الاستخبارات السرية في الطابق الأعلى، كان هاري قد طلب العودة إلى شعبة الجريمة للعمل على قضية إيلين غيلتن. كانوا جميعاً سعداء جداً بالتخلص منه، وشعر مولر بالحبور لعودته إلى الطابق السادس.

تمتم هاري وهو يلوّح بشرائط الفيديو: "سأصعد إلى الطابق الأعلى لأعطي إيفارسون هذه. يريد إلقاء نظرة مع عبقرية جديدة تعمل معهم فوق".

"أوه؟ من هي؟"

"امرأة تخرّجت من كلية الشرطة هذا الصيف، وقد حلّت على ما يبدو ثلاث قضايا سرقة بدراسة أشربة الفيديو فقط".

"واو! جميلة المحيّا؟"

تنهد هاري وقال: "أنتم الشبان مكشوفون على نحو ممل. أمل أن تكون كفوءة، ولا أهتم بالباقي".

"واثق أنها امرأة؟".

"ربما أطلق السيد والسيدة لون اسم بتي على ابنتهما على سبيل
الدعابة، كما أظن".

"لدي حدس أنها جميلة المحيّا".

قال هاري: "آمل ألا تكون كذلك"، وانحنى بحكم العادة ليسمح لطوله
البالغ 192 سنتيمتراً بالمرور من تحت إطار الباب.
"أوه؟".

جاء الجواب بصوت عالٍ من الرواق: "رجال الشرطة الجيدون قبيحون".
لم يكن مظهر بتي لون، للوهلة الأولى، يوحي بأي شيء. لم تكن
قبيحة، وسيقول بعضهم إنها تشبه الدمية. لكن ذلك يمكن أن يُعزى على
الأغلب إلى أنها صغيرة الحجم: وجهها، أنفها، أذناها وجسدها. كانت الميزة
الأشد وضوحاً هي شحوبها. كان لون بشرتها وشعرها باهتاً جداً حتى إنها
ذُكرت هاري بجثةٍ كان وإيلين قد أخرجها مرة من بونفورد. على النقيض
من جسد المرأة، على كل حال، انتاب هاري شعور أنه إذا استدار ثانيةً
واحدةً سينسى مظهر بتي لون. بدا أنها لا تمنع ذلك حين تمتد اسمها
وسمحت لهاري أن يصفح يدها الصغيرة الرطبة قبل أن تسحبها بسرعة.
قال رون إيفارسون، رئيس وحدة السرقات، واقفاً يدير ظهره لهما،
ويعبث بمجموعة مفاتيح: "المفتش هول أسطورة تقريباً في هذا المبنى، كما
تعرفين". كان مكتوباً على يافطة فوق الباب الحديدي الرمادي أمامهم،
وبحروف قوطية دار الأم، وأسفل منها قاعة الاجتماعات 508. "أليس ذلك
صحيحاً يا هول؟".

لم يرد هاري. لم يكن لديه شك إطلاقاً عن نوع الحالة الأسطورية
التي يمتلكها إيفارسون في ذهنه، فهو لم يبذل أي جهد قط لإخفاء رأيه
أن هاري وصمة عارٍ على جبين الشرطة كان يجب إزالتها منذ سنوات
طويلة.

أخيراً، فتح إيفارسون الباب ودخلا. كانت دار الأم غرفة ملحقة بوحدة
السرقات مخصصة لدراسة تسجيلات الفيديو وتعديلها ونسخها. كانت هناك
طاولة في الوسط عليها ثلاثة أجهزة، من دون نوافذ. كانت الجدران مغطاة
برفوف عليها أشرطة فيديو، ودزينة ملصقات عن سارقين مطلوبين، وشاشة
كبيرة على أحد الجدران، وخريطة أوسلو، وتذكارات متنوعة من عمليات
اعتقال ناجحة: بجانب الباب مثلاً، يتدلى من الجدار رندان صوفيان
مقطوعان مع ثقوب للعينين والفم. بخلاف ذلك، كانت الغرفة تحتوي

حواسيب رمادية، وشاشات تلفاز سوداء، وأجهزة فيديو، وودي في دي، إضافة إلى عدد من الآلات الأخرى التي لم يعرفها هاري.

سأل إيفارسون، وهو يرمي بنفسه على أحد الكراسي: "ما الذي عرفته شعبة الجريبيمة من الفيديو؟". تشدق بحرف المدد على نحو مبالغ فيه. قال هاري، وهو يمشي باتجاه رفٍّ من أشرطة الفيديو: "شيئاً ما".
"شيئاً ما؟".
"ليس كثيراً".

"من المؤسف أنك لم تأتِ إلى المحاضرة التي ألقيتها في المطعم الداخلي أيلول الماضي. كان هناك ممثلون من كل الأقسام باستثناء شعبتكم، إذا لم أكن مخطئاً تماماً".

كان إيفارسون ضخماً، وطويل الأطراف، مع كتلة شعر أشقر مجعد فوق عينين زرقاوين. كان لوجهه تلك الخصائص العضلية التي يتّصف بها عارضو العلامات التجارية الألمانية مثل بوس، ولا يزال أسمر اللون بعد تمضية فترات عديدة في ملعب كرة المضرب، وربما جلسة تسمير غريبة في مركز رشاقة. باختصار، كان رون إيفارسون ما سيعده معظم الناس رجلاً بهي الطلعة، ومن ثمّ يعزّز نظرية هاري عن العلاقة بين المظهر والكفاءة في عمل الشرطة. على كل حال، كان رون إيفارسون يعوّض ما يفتقر إليه من قدرات تحقيق بموهبته في السياسة وقدرته على إنشاء تحالفات ضمن التسلسل الهرمي لقيادة الشرطة. بالإضافة إلى ذلك، كان إيفارسون يتمتع بثقة طبيعية بالنفس يظن كثيرون خطأً أنها قدرة قيادية. في حالته، كانت هذه الثقة ترتكز فقط على تمتّعه بنعمة الحجب الكامل لعيوبه، وهي ميزة ستنقله بالتأكيد إلى القمة وتجعله يوماً ما - بطريقة أو بأخرى - مدير هاري. في البداية، لم يرَ هاري سبباً للتذمّر من ارتقاء أشخاص قدراتهم محدودة السلم الوظيفي، بعيداً عن التحقيقات، لكن الخطر مع أشخاص مثل إيفارسون يتمثل بأنه قد يخطر بسهولة على بالهم أن عليهم التدخل وإملاء ما يجب القيام به على أولئك الذين يفهمون حقاً عمل التحري.

سأل هاري، وهو يمرّ إصبغاً على طول لصاقات صغيرة على أشرطة الفيديو تحمل كتابات بخط اليد: "هل أغفلنا شيئاً؟".
قال إيفارسون: "ربما لا. إلا إذا كنت مهتماً بتلك التفاصيل الدقيقة التي تحل قضايا الجرائم".

قاوم هاري بنجاح الرغبة في القول إنه لم يذهب إلى المحاضرة؛ لأن

آخرين، كانوا قد حضروا نقاشات سابقة، أخبروه أن الهدف الوحيد من ذلك الاجتماع كان الإعلان للجميع أنه، بعد توليه منصب رئيس وحدة السرقات، ارتفع معدل الكشف عن سرقات المصارف من خمس وثلاثين إلى خمسين بالمئة. لم ينطق كلمة عن حقيقة أن تعيينه ترافق مع مضاعفة عديد وحدته، وتوسيع سلطاتها بالتزامن مع رحيل أسوأ محققها؛ رون إيفارسون. قال هاري: "أعد نفسي مهتماً على نحو معقول. إذًا، أخبرني كيف حللت هذه القضية". أخرج أحد الشرائط وقرأ بصوت عالٍ ما كان مكتوباً على اللصاقة: "20/11/94. مصرف التوفير نور، مانغلوود".

ضحك إيفارسون قائلاً: "بكل سرور. قبضنا عليهم بالطريقة القديمة. بدلوا سيارة الهروب عند مكب قمامة في ألنابرو، وأشعلوا النار في المركبة التي هجروها، لكنها لم تحترق عن بكرة أبيها. عثرنا على قفازي أحد السارقين وآثار من الحمض النووي الريبي. قارناها بأحماض سارقين معروفين كان محققونا قد حدّدوا أنهم مشتبه فيهم محتملون بعد رؤيتهم شريط الفيديو، ووجدنا تطابقاً. كان الأحمق قد أطلق رصاصة على سقف وحكم عليه بالسجن أربع سنوات. هل هناك شيء آخر كنت تتساءل عنه يا هول؟".

"همم"، عبث هاري بالشريط ثم قال: "ماذا كان نوع الحمض النووي الريبي؟".

"أخبرتكَ، كان حمضاً نووياً مطابقاً". بدأ طرف عين إيفارسون اليسرى يرتعش.

"صحيح، لكن ماذا كان نوعه؟ هل كان جلدًا؟ ظفرًا؟ دمًا؟".
"هل ذلك مهم؟". كان صوت إيفارسون قد أصبح حاداً وينم عن نفاذ صبر.

قال هاري في قرارة نفسه إن عليه إبقاء فمه مغلقاً. يجب أن يتخلى عن حركات دون كيخوته - رواية ميغيل دي سرفانتس - تلك. أشخاص مثل إيفارسون لن يتعلموا أبداً، على كل حال. سمع هاري نفسه يقول: "ربما لا، إلا إن كنت مهتماً بتلك التفاصيل الدقيقة التي تحل قضايا جرائم".

رمى إيفارسون هاري بنظرة ملؤها البغض والعداوة، وأطبق الصمت في الغرفة المعزولة تماماً مثل ضغط فيزيائي على أذني الجميع. فتح إيفارسون فمه ليتكلم.

"شعر مفصل".

استدار كلا الرجلين في الغرفة إلى بتي لون. كان هاري قد نسي تقريباً أنها هناك. نقلت نظرها من أحدهما إلى الآخر وكرّرت بصوتٍ خافتٍ جداً: "شعر مفصل. الشعر على أصابعك... أليس ذلك اسمه...؟".

تتنح إيفارسون: "أنتِ محقة، فقد كان شعراً. لكنني أظن أنه كان - بالرغم من أننا لسنا مضطرين إلى التعمق في هذا - شعراً من ظاهر اليد. أليس ذلك صحيحاً يا بتي؟". من دون أن ينتظر جواباً ربت على زجاج ساعة معصمه الكبيرة وأضاف: "يجب أن أذهب. استمتع بشريط الفيديو".

عندما أغلق الباب بعنف خلف إيفارسون، أخذت بتي الشريط من يد هاري، وفي لحظةٍ ابتلعه جهاز فيديو مُصدراً طنيناً. قالت: "شعرتان، في قفاز اليد اليسرى، من المفصل. ومكبّ القمامة كان في كاريهوغن وليس في ألنابرو. لكن المعلومة عن أربع سنوات صحيحة". نظر هاري إليها مشدوهاً وقال: "ألم يكن ذلك قبل أن تبدأي العمل؟".

هزّت كتفيها وضغطت زر التشغيل على جهاز التحكم عن بعد وقالت: "إنها فقط مسألة قراءة تقارير".

قال هاري: "همم"، وحدّق إلى وجهها، ثم جلس على الكرسي قائلاً: "لنر إن كان هذا الشخص قد ترك خلفه بعضاً من شعر مفاصله". أن جهاز الفيديو، وأطفأت بتي الضوء. في اللحظات التي تلت ذلك، وبينما كانت مقدمة الفيلم الزرقاء تضيئهما، ظهر فيلم آخر في ذهن هاري. كان قصيراً، واستمر بطريقة ما بضع ثوانٍ، وتجلّى في مشهدٍ يغمره ضوء أزرق متقطع من الواجهة المائية، في نادٍ مهجورٍ منذ أمدٍ بعيدٍ في أكر بريج. لم يعرف اسمها، المرأة ذات العينين البنيتين البشوشتين التي كانت تحاول أن تقول شيئاً له بصوتٍ يعلو على صوت الموسيقى. كانا يرقصان على أنغام أغنية روك، كاو - بونك للفرقة الموسيقية جيسون وسكورشر، وتحت أضواء خضراء وحمراء، سكب جيم بيم في الكولا ولم يُعر اهتماماً قط لاسمها. عرف ذلك في الليلة التالية، عندما كانا في السرير المزخرف على شكل مقدّمة سفينة، وحصان من دون رأس، الذي كان قد رفع المرسة وانطلق في رحلتها الأولى. شعر هاري بدفء في معدته من الأمسية السابقة حين كان قد سمع صوتها عبر الهاتف.

ثم استولى الفيلم الآخر على اهتمامه الكامل.

كان الرجل العجوز قد بدأ يسير نحو النضد، ويصوّر بألة تصوير

مختلفة كل خمس ثوانٍ.

قالت بتي لون: "ثوركيلدسن على القناة 2".

قال هاري: "لا، إنه أوغست شولز".

قالت: "أعني التحرير. يبدو مثل عمل يدوي لثوركيلدسن على القناة

2. هناك بضع أجزاء من الثانية مفقودة هنا وهناك...".

"مفقودة؟ كيف يمكنك رؤية...؟".

"عدد من الأشياء. راقب الخلفية. كانت المازدا الزرقاء التي يمكنك

رؤيتها في الشارع في الخارج وسط الصورة على آلي تصوير حين تبدل

المشهد. لا يمكن أن يكون شيء في مكانين في الوقت نفسه".

"هل تقصدين أن أحداً عبث بالتسجيلات؟".

"لا. كل شيء تلتقطه آلات التصوير الست في الداخل والآلة في الخارج

يُسجَل على الشريط نفسه. في الشريط الأصلي تقفز الصورة بسرعة من آلة

تصوير إلى أخرى وكل ما تراه هو ومضة. لهذا يجب تحرير الفيلم

للحصول على سلسلة صور واضحة طويلة. نستدعي أحياناً أشخاصاً من

محطات تلفازية حين لا تكون لدينا القدرة على فعل ذلك. يعمل محررو

التلفاز مثل ثوركيلدسن على الإطار الزمني لتحسين جودة التسجيل. عُصاب

مهني، كما أظن".

كرّر هاري: "عُصاب مهني؟". خطر له أن قول شابة لشيء غريب من

العصور الوسطى أمر غريب، أو ربما لم تكن يافعة كما ظنّ في البداية؟

كان شيء قد حدث لها حين أُطفئت المصابيح. كانت لغة الجسد المظلل

أكثر استرخاءً، وصوتها أكثر ثباتاً.

دخل السارق المصرف وصرخ بالإنكليزية. بدا صوته بعيداً ومكتوماً؛

كأنه مغطى بلحاف.

سأل هاري: "ما رأيك بهذا؟".

"نرويجي. يتكلم الإنكليزية حتى لا نتعرّف لهجته، أو نبرته، أو أي

كلمات مميزة قد نستطيع ربطها بسارقين سابقين. يرتدي ملابس ناعمة لا

تترك أي ألياف يمكن أن نقتفي أثرها في سيارات الهروب، أو أماكن اختبائه

أو منزله".

"أي شيء آخر؟".

"أغلق كل الفتحات في ملابسه بشرائط لاصقة حتى لا يترك أي آثار

حمض نووي ربيبي، مثل شعر أو عرق. يمكن أن ترى أن ساقبي سرواله

مربوطين بشريط لاصق حول حذائه، والرُدينين حول قفّازيه. أخمّن أنه وضع

مندبلاً حول رأسه وشمعاً على حاجبيه".

"إذاً، هو محترف؟".

هزّت كنفبها ثمّ قالت: "يُخطط ثمانون بالمئة من سرقات المصارف قبل أقل من أسبوع على وقوعها، وبنقذها أشخاص تحت تأثير الشراب أو الممنوعات. أمعن هذا الشخص التفكير في الأمر، ولا يبدو أنه واقع تحت تأثير شيء ما".

"كيف تعرفين ذلك؟".

"لو كانت لدينا إضاءة وآلات تصوير أفضل، لكننا استطعنا تكبير الصور ورؤية بؤبؤي عينيه. لكن ذلك غير متوافر؛ لهذا أراقب لغة جسده. حركات هادئة مدروسة، ألا ترى ذلك؟ إذا كان تحت تأثير شيء ما، فإنه ليس ممنوعات أو أي نوعٍ من الفيتامينات. روهينول - عقار مخدّر - ربما. ذلك هو الشائع".

"لماذا؟".

"سرقة مصرف تجربة قاسية. لا يتطلب الأمر عجلة، وإنما على العكس، يتطلب تأنيلاً. دخل شخص السنة الماضية مصرف دن نورسك في سولي بلاس يحمل سلاحاً آلياً، أطلق النار بكثافة على السقف والجدران وهرب إلى الخارج من دون أي مال. أخبر القاضي أنه قد تناول كثيراً من الفيتامينات، وكان عليه فقط تخليص جسمه منها. أنا أفضل المجرمين الذين يتناولون روهينول، إذا كان يصح أن أقول ذلك".

أشار هاري برأسه نحو الشاشة قائلاً: "انظري إلى كتف شتاين غريت عند النضد رقم 1؛ إنها تضغط زر الإنذار، والصوت في التسجيل أصبح فجأة أفضل كثيراً. لماذا؟".

"جهاز الإنذار مرتبط بآلة التسجيل، وعندما يُفعل يبدأ الفيلم بالتصوير بسرعة أكبر. يمنحنا ذلك صوراً وصوتاً أفضل. هذا كافٍ لنا كي نحلل صوت السارق، ومن ثمّ لن ينفعه التكلم بالإنكليزية".

"هل هو موثوق حقاً كما يقولون؟".

"صوت حبالنا الصوتية مثل بصمة الإصبع. إذا استطعنا منح محلل الصوت في جامعة تروندهايم عشر كلمات على شريط، يمكنه مقارنة صوتين بدقة تصل إلى خمسٍ وتسعين بالمئة".

"همم... لكن ليس مع جودة الصوت التي كانت لدينا قبل إطلاق الإنذار، كما أفهم؟".

"ذلك أقل دقة".

"لهذا صرخ بالإنكليزية أولاً، وعندما عرف أن الإنذار فُعل، استخدم شتاين غريت لتتكلم عنه".
"بالتحديد".

شاهدا بصمتِ الرجل المتشح بالسواد يدفع نفسه فوق النضد، ويضع فوهة البندقية على عنق شتاين غريت ويهمس في أذنها.
سأل هاري: "ما رأيك بردّ فعلها؟".
"ماذا تعني؟".

"تعبير وجهها. تبدو هادئة نسبياً، ألا تظنين ذلك؟".
"لا أظن أي شيء. عادة، لا يمكنك الحصول على معلومات كثيرة من تعبير الوجه. أظن أن نبضها اقترب من 180".

شاهدا هيلج كليمنتسن يتعثّر على الأرض أمام علبة النقود المعدنية.
قالت بتي بلطف شديد، وهي تهزّ رأسها: "آمل أن يحظى بعلاج مناسب للصدمة. لقد رأيت أشخاصاً يصبحون مرضى نفسيين بعد مواجهتهم سارقين مثل هذا".

لم يقل هاري شيئاً، لكنه ظنّ أنها قد اقتبست تلك العبارة بالتأكيد من زميل أكبر سناً.
استدار السارق وأظهر ست أصابع.

تمتت بتي: "مثير للاهتمام"، ومن دون أن تنظر إلى الأسفل سجّلت ملحوظة على ورقة أمامها. راقب هاري الشرطة الشابة بطرف عينه ورآها تفزع حين أُطلقت الرصاصة. عندما رفع السارق الحقيبة القماشية، وقفز من فوق النضد، وهرب إلى الخارج عبر الباب، ارتفع ذقن بتي وسقط قلمها من يدها.

قال هاري: "لم نعرض الجزء الأخير على الشبكة، أو نمرّره إلى أي من محطات التلفزة. انظري، إنه الآن على آلة التصوير خارج المصرف".
شاهدا السارق يسير على ممر المشاة - الإشارة خضراء - في بوغستادين قبل أن يشق طريقه إلى إندوستريغاتا، ثم أصبح خارج نطاق التصوير.

سألت بتي: "والشرطة؟".
"أقرب مخفر شرطة في سوركدالسفين بعد مركز الحاجز الطرقي، على بعد ثمانمئة متر فقط عن المصرف. بالرغم من ذلك، استغرق الأمر أكثر من ثلاث دقائق منذ إطلاق الإنذار حتى وصولهم. لهذا كان لدى السارق أقل من دقيقتين للهرب".

نظرت بتي إلى الشاشة بإمعان، إلى الأشخاص والسيارات المارة كأن شيئاً لم يحدث.

"كان الهروب مخططاً بعناية مثل السرقة. كانت سيارة الفرار متوقفة على الأرجح عند الزاوية حتى لا تلتقطها آلات التصوير خارج المصرف. لقد كان محظوظاً".

قال هاري: "ربما. من ناحية أخرى، لا يبدو شخصاً يعتمد على حسن الطالع، أليس كذلك؟".

هزت بتي كتفيها وقالت: "يبدو معظم سارقو المصارف بارعين في التخطيط إذا نجحوا في عملهم".

"لا بأس، لكنه كان يراهن هنا على أن الشرطة ستتأخر. في مثل هذا الوقت من نهار الجمعة كانت كل سيارات الدورية في المنطقة مشغولة في مكان آخر، في...".

صرخت بتي، وهي تضرب جبينها: "... مقر إقامة السفير الأميركي! المكاملة الهاتفية المجهولة عن السيارة المفخخة. كنت في إجازة نهار الجمعة، لكنني رأيت ذلك في نشرة الأخبار. وإذا فكرت في مدى هستيرية الناس هذه الأيام، يكون واضحاً سبب وجود الجميع هناك".

"لم تكن هناك قبلة".
"بالطبع لا. إنها الخدعة التقليدية لإبقاء الشرطة مشغولة في مكان آخر قبل تنفيذ سطو مسلح".

جلسا يشاهدان الجزء الأخير من التسجيل صامتين ومستغرقين في التفكير. انتظر أوغست شولز واقفاً عند ممر المشاة. اللون الأخضر يتغير إلى الأحمر ثم إلى الأخضر مجدداً من دون أن يتحرك. تساءل هاري: ما الذي ينتظره؟ مخالفة القانون؟ سلسلة طويلة جداً من اللون الأخضر؟ نوعاً من موجة خضراء تستمر مئة سنة؟ حسناً. يجب أن تحل قريباً. سمع من بعيد صفارات الشرطة.

"هناك شيء خطأ".

أجابت بتي لون بتنهيدة متعبة لرجل عجوز: "هناك دائماً شيء خطأ".
ثم انتهى الفيلم، واكتسحت العاصفة الثلجية الشاشة.

الصدى

"ثلج؟".

صرخ هاري عبر هاتفه الخلوي حين حثَّ الخطى على الرصيف.
قالت راكيل عبر خط سيئ من موسكو: "نعم، حقاً". تبع ذلك صدى
خافت: "... قاً".
"مرحباً؟".

"الجو صقيع هنا... نا. في الداخل والخارج... رج".

"وفي المحكمة؟".

"حسناً، تحت الصفر هناك أيضاً. عندما عشنا هنا، قالت والدته إنني
يجب أن آخذ أوليغ بعيداً. تجلس الآن مع الآخرين وترمقني بنظرات
عابسة ملؤها الكراهية... هية".

"كيف تجري القضية؟".

"كيف ينبغي أن أعرف؟".

"حسناً. أولاً، أنت درست الحقوق. ثانياً، تتكلمين الروسية".

"هاري. مثل 150 مليون روسي لا أفهم شيئاً عن النظام القانوني هنا،
مفهوم؟... هوم؟".

"مفهوم. كيف يتقبَّل أوليغ الأمر؟".

كرَّر هاري السؤال من دون أن يحصل على إجابة، نظر إلى شاشة
الهاتف ليرى إن كان قد فقد الاتصال، لكن الثواني على المؤقت كانت
تنقضي. وضع الهاتف على أذنه مجدداً.
"مرحباً؟".

"مرحباً هاري، يمكنني سماعك... عك. اشتقت إليك كثيراً... رأ. ماذا عن
الأمر الأخرى؟... رى؟".

"هناك صدى في الخط. كثيرٌ من إي وأو وآ".

كان هاري قد وصل إلى الباب الرئيس، أخرج المفتاح وفتح قفل
مدخل الردهة.

"هل تظن أنني مندفعة جداً يا هاري؟".

"بالطبع لا".

أوماً هاري إلى علي، الذي كان يخرج من باب القبو. "أحبك. هل
تسمعين؟ أحبك! مرحباً؟".

أبعد هاري نظره عن الهاتف الصامت محتاراً ولاحظ ابتسامة جاره

الباكستاني العريضة.

تمتم وهو يطلب رقم راكيل مجدداً: "نعم، نعم؛ أنت أيضاً يا علي".
قال علي: "سجل المكالمات".
"ماذا؟".

"لا شيء. أخبرني إذا أردت ترك غرفتك في القبو. أنت لا تستخدمها كثيراً، صحيح؟".

"هل لدي مستودع في القبو؟".
حرك علي عينيه وقال: "منذ متى تعيش هنا يا هاري؟".
"قلت... أحبك".

نظر علي إلى هاري متفحّصاً. لوّح هاري مودّعاً علي، وأشار إلى أنه قد اتصل. قفز على السلام والمفتاح أمامه مثل دليل.
قال هاري، وهو يجتاز المدخل إلى شقته المؤلفة من غرفتين، وليس فيها أثاث كثير لكنها مرتبة، والتي اشتراها بثمن زهيد في وقت ما من التسعينيات حين كانت سوق العقارات في الحضيض: "ها نحن ذا، يمكننا أن نتكلم الآن". كان يفكر أحياناً في أن الشقة قد استنفدت نصيبه من الحظ باقي حياته.

"أتمنى لو كنت معنا هنا يا هاري. أوليغ يشناق إليك أيضاً".
"هل قال ذلك؟".

"ليس مضطراً إلى قول ذلك. أنتما متشابهان كثيراً في هذا المجال".
"أنت! لقد أخبرتك للتو أنني أحبك. ثلاث مرات، وجاري يستمع. هل تعرفين ما يفعله ذلك الأمر برجل؟".

ضحكت راكيل وأحب هاري ضحكتها، وقد فعل ذلك من أول لحظة سمعها فيها. فطرياً، عرف أنه سيفعل أي شيء ليسمعها أكثر؛ كل يوم إلى الأبد.

خلع حذاءه، وابتسم حين رأى المصباح الآلي في الممر يومض ليُعلمه أن هناك رسالة. لم يكن الأمر يتطلب ذكاءً كبيراً ليعرف أنها من راكيل في وقت سابق من اليوم. لم يكن أحد غيرها يتصل بهاري هول في منزله.
قالت راكيل بدلال: "إذاً، كيف تعرف أنك تحبني؟". لم يعد هناك صدى.

"أشعر بحرارة في... ماذا يدعونه؟".
"القلب؟".

"لا، إنه في الخلف قليلاً وتحت القلب. في الكليتين؟ الكبد؟ الطحال؟

نعم، ذلك هو. أشعر أن طحالي يسخن".
لم يكن هاري واثقاً إن كان ما يسمعه على الطرف الآخر نشيجاً أم
ضحكاً. ضغط زر التشغيل على المجيب الآلي.
قالت راكيل عبر الهاتف الخلوي: "أمل أن أعود إلى المنزل بعد
أسبوعين"، قبل أن يطغى المجيب الآلي على صوتها: "مرحباً، هذه أنا
مجدداً...".

شعر هاري بقلبه يتوقف، وتصرف قبل أن يفكر، وضغط زرّ الإيقاف.
لكن بدا أن صدى الكلمات التي قيلت بصوت المرأة المبحوح قليلاً استمر
في الانتقال ذهاباً وجيئةً بين الجدران.
سألت راكيل: "ماذا كان ذلك؟".
أخذ هاري نفساً عميقاً، وقد كافحت فكرة للوصول إليه قبل أن يرد،
لكنها وصلت متأخرة جداً: "المذيع". تنحنح قائلاً: "عندما تتوثقين من ذلك،
أعلميني بالرحلة التي ستكونين على متنها وسأكون بانتظارك".
قالت والدهشة بادية في صوتها: "بالطبع سأفعل".
كان هناك صمت متكلف.
قالت راكيل: "يجب أن أنهي المكالمة الآن. هل نتكلم عند الثامنة
الليلة؟".

"نعم، أعني، لا. سأكون مشغولاً عندها".
"أوه؟ أمل أنه شيء لطيف على سبيل التغيير".
قال هاري بصوتٍ حاد: "حسناً، سأخرج مع امرأة على كل حال".
"من هي سعيدة الحظ؟".
"بتي لون. شرطية جديدة في وحدة السرقات".
"وما المناسبة؟".
"حديث مع زوج شتاين غريت. لقيت حتفها في أثناء سرقة مصرف
بوغستادفين التي أخبرتك عنها. ومع مدير الفرع".
"استمتع. سنتكلم غداً. يريد أوليغ أن يقول عمت مساءً أولاً".
سمع هاري خطوات صغيرة تجري ثم أنفاساً متلهّفة عبر الهاتف.
بعد أن أنهيا كلامهما، وقف هاري في الردهة يحدّق إلى المرأة فوق
طاولة الهاتف. إذا كانت نظريته صحيحة، فإنه ينظر إلى شرطي كفو؛ عينان
محتقنتان، واحدة على كلا جانبي أنف كبير مع شبكة من عروق زرقاء
رفيعة في وجه نحيل شاحب ومسامات عميقة. بدت تجاعيده مثل ضربات
سكين عشوائية على لوح خشبي. كيف حدث ذلك؟ في المرأة، شاهد خلفه

الجدار وعليه صورة وجه الفتى المبتسم الذي لفحته الشمس مع شقيقته. لكن ذهن هاري لم يكن مشغولاً بالمظهر الجيد أو الشباب المفقودين؛ لأن الفكرة كانت قد وصلت إليه أخيراً. كان يبحث في قسماته عن الخداع والمراوغة والندالة التي جعلته يخرق أحد الوعود القليلة التي كان قد قطعها على نفسه: أنه لن يكذب على راكل قط، مهما حدث. لن يكون الكذب إحدى تلك الجزر الصخرية في البحر التي يمكن أن تغرق عندها علاقتهما، والتي يتواجد كثير منها. إذًا، لماذا كذب عليها؟ كان صحيحاً أنه وبتي سيذهبان للقاء زوج شتاين غريت، لكن لماذا لم يخبرها أنه سيلتقي أنا بعد ذلك؟ حبيبة قديمة، لكن ماذا في ذلك؟ كانت علاقة عاصفة قصيرة تركت ندوباً، لكن ليست جروحاً دائمة. كانا سيتبادلان أطراف الحديث فقط وهما يتناولان فنجاناً من القهوة، ويخبران بعضهما قصص ما فعلاه بعد ذلك؛ ثم يذهب كل منهما في حال سبيله.

ضغط هاري زرّ التشغيل على المجيب الآلي لسماع باقي الرسالة. ملاً صوت أنا الردهة: "... أتطلع قدماً إلى رؤيتك في مشرب أم هذا المساء. شيئاً فقط: هل يمكنك الذهاب إلى صانع الأففال عند بوابة فيبوز في طريقك وإحضار المفاتيح التي طلبتها؟ إنهم يفتحون حتى السابعة، وقد طلبت منهم وضعها باسمك. وهل تمنع ارتداء الجينز الذي تعرف أنني أحبه كثيراً؟".

وصدرت عنها ضحكة عميقة مبسوطة. بدا أن الغرفة تهتز على الإيقاع نفسه. لا شك في أنها لم تكن قد تغيّرت.

الانتقام

كان المطر ينهمر غزيراً من سماء تشرين الأول المعتممة قبل الأوان، ويظهر على شكل خيوط في الضوء من المصباح الخارجي. قرأ هاري على لافتة خزفية في الأسفل أن إسبن وشتاين وتروند يعيشان هنا، وهنا منزل أصفر في ديزنغرندا. ضغط على الجرس ونظر حوله. كانت ديسنغرندا تتألف من أربعة صفوف طويلة من منازل سطوحها مائلة في وسط ساحة كبيرة تحيط بها مباني سكنية، ذكّرت هاري برواد على النجد يتخذون موقفاً دفاعياً ضد هجمات الهنود. ربما كانت تلك حقيقة الأمر. بُنيت المساكن مائلة السقوف في الستينيات لأبناء الطبقة الوسطى الوليدة، وربما لعدد متضائل من السكان المحليين من العمّال في ديسنغرين وترافرين الذين كانوا يعرفون آنذاك أن هؤلاء هم الفاتحون الجدد، وأن اليد العليا ستكون لهم بحلول القرن الجديد.

قال هاري، وهو يضغط على الجرس مرة أخرى: "لا يبدو أنه في المنزل. هل أنتِ واثقة أنه فهم أننا قادمان هذا الأصيل؟".
"لا".

"لا؟". استدار هاري، ونظر إلى بتي لون التي ترتجف تحت المظلة. كانت ترتدي تنورة وتنتعل حذاءً ذا كعب عالٍ، وعندما أقلته خارج شرودر كان قد خطر في باله أنها تبدو ذاهبة إلى اجتماع خيري صباحي. قالت: "أكّد تروند غريت الاجتماع مرتين حين اتصلت، لكنه بدا شارداً الذهن... تماماً".

انحنى هاري فوق العتبة، وضغط أنفه على نافذة المطبخ. كان الداخل معتماً، وكل ما استطاع رؤيته هو تقويم أبيض لمصرف نوردي على الجدار. قال: "لنعد أدراجنا".
فُتحت نافذة مطبخ الجيران في تلك اللحظة بعنف. "هل تبحثان عن تروند؟".

نُطقت الكلمات بلغة نرويجية فصحة، بوكمال، لكن بلهجة بيرغن. استدار هاري، وحدّق إلى وجه امرأة بني متغصن يحاول أن يتسم ويبدو حزيناً في الوقت نفسه.

أكّد هاري: "نعم".

"هل أنتما قريبان له؟".

"كلا، نحن من الشرطة".

قالت المرأة، بعد أن زال عن وجهها التعبير الكئيب: "حسناً، ظننت أنكما جئتما للتعبير عن تعاطفكما معي. إنه في ملعب كرة المضرب، ذلك الإنسان المسكين".

"ملعب كرة المضرب؟".

أشارت. "على الجانب الآخر من الساحة. إنه هناك منذ الساعة الرابعة".

قالت بتي: "لكن الظلام خيم، والمطر يهطل".

حرّكت المرأة كتفيها وقالت: "لا بدّ من أنه الحزن، كما أظن". وقد شدّدت عن حرف النون، حتى إن هاري بدأ يفكر في الوقت الذي ترعرع فيه في أوبسال وقطع الكرتون التي كانوا يضعونها في عجلتي الدراجة الهوائية كي تخفق على الشعاع.

قال هاري، وهو يمشي مع بتي نحو المكان الذي أشارت المرأة إليه: "ترعرعت في شرق أوسلو أيضاً، كما سمعت. أم أنني مخطئ؟".

قالت بتي، من دون إسهاب: "لا".

كان ملعب كرة المضرب في منتصف الطريق بين الأبنية والمنازل ذات السطوح المائلة. استطاعا سماع صوت مكتوم لأسلاك مضرب على كرة رطبة. شاهدا شخصاً واقفاً داخل سياج الشبك المعدني يضرب الكرة في دجنة الخريف التي تزداد حلكة بسرعة.

صرخ هاري حين وصلا إلى السياج: "مرحباً!، لكن الرجل لم يرد. شاهدا أنذاك فقط أنه يرتدي سترة، وقميصاً، ويضع ربطة عنق. "تروند غريت؟".

ارتطمت الكرة بحفرة سوداء ضحلة من المياه، فارتدّت عنها، وضربت السياج، ورشّت عليهما رذاذاً خفيفاً من ماء المطر، التي اتقته بتي بمظلتها. شدّت بتي البوابة، وهمست: "لقد أغلق على نفسه من الداخل".

صرخ هاري: "شرطة! هول ولون! كان يُفترض أن نلتقي. هل يمكننا... يا الله!". لم يكن هاري قد رأى الكرة حتى ارتطمت بسياج الشبك المعدني بقوة على بعد سنتيمترات قليلة عن وجهه. مسح الماء عن عينيه، ونظر إلى الأسفل: كان ملطخاً بماءٍ متسخٍ بني ضارب إلى الحمرة. أدار هاري تلقائياً ظهره حين رأى الرجل يقذف الكرة الآتية.

"تروند غريت!". تردد صدى صرخة هاري بين الأبنية. شاهدا كرة

مضرب تنطلق في مسارٍ قوسي نحو الأضواء في الأبنية السكنية، قبل أن يتلعتها الظلام، وتحطّ في مكان ما من الساحة. واجه هاري ملعب كرة

المضرب مجدداً، لسمع فقط صرخة حادة ويرى شخصاً يندفع نحوه من الظلام. طقطع السياج المعدني حين أوقف لاعب كرة المضرب المندفع، الذي سقط على الطين على يديه وقدميه، رفع نفسه، ونهض وهاجم السياج مجدداً. وقع، ثم نهض وهاجم.

تمتم هاري: "يا الله، لقد أُصيب بالجنون". تراجع على نحو فطريّ خطوة إلى الخلف حين ظهر وجه أبيض مع عينين بارزتين أمامه. كانت بتي قد استطاعت تشغيل كاشف ضوئيّ، ووجهت الضوء إلى غريت، الذي كان يتعلّق على السياج. بدا بشعره الأسود الرطب الملتصق بجبينه الأبيض أنه يبحث عن شيء يركّز عليه حين انزلق عن السياج مثل مطر متجمد ينزل على نافذة سيارة، حتى استلقى هامداً على العشب. تنفّست بتي: "ماذا سنفعل الآن؟".

شعر هاري بأسنانه تطحن شيئاً وبصق في يده، فرأى في ضوء الكاشف رملاً أحمر.

قال: "اتصلي بالإسعاف وسأجلب قاطعة الأسلاك من السيارة". سألت أنا: "حُقن بعقارٍ مسكّنٍ آنذاك، أليس كذلك؟". أوماً هاري وارتشف الكولا.

جثم زبائن الطرف الغربي اليافعون على كراسي المشرب حولهما يتناولون الشراب الفرنسي، ومشروبات أخرى والكولا خفيفة السعرات. كان أم مثل معظم المقاهي في أوصلو، إنه حضريّ بطريقة ريفية وبسيط لكن ممتع، مما جعل هاري يفكّر في كباب، الفتى اللامع حسن السلوك في صفّه المدرسي الذي اكتشفوا أنه يحتفظ بكتاب عن كل التعبيرات العامية التي يستخدمها الصغار هناك.

"أخذوا الرجل المسكين إلى مستشفى. ثم تحدّثنا إلى الجارة مجدداً وأخبرتنا أنه كان يخرج إلى هناك ويضرب كرات التنس كل مساء منذ أن قُتلت زوجته".

"يا الله، لماذا؟".

دفع هاري كتفيه إلى الأمام، ثم قال: "ليس غريباً جداً أن يُصاب أشخاص بذهان حين يفقدون فرداً في تلك الظروف. يكتب بعضهم الأمر ويتصرفون كأن الفقيد لا يزال حياً. قالت الجارة إن شتاين وتروند غريت كانا لاعبي زوجي رائعين، ويتدربان في الملعب كل أصيل تقريباً في الصيف".

"إذاً، كان يتوقع أن تردّ زوجته الإرسال؟".

"ربما".

"يا الله! هل تطلب لي شراب شعير في حين أذهب إلى المرحاض؟".
أبعدت أنا ساقها عن الكرسي، وسلكت طريقاً متعرجاً عبر الغرفة.
حاول هاري ألا يتبع حركاتها. لم يكن بحاجة إلى ذلك، فقد رأى كل ما
أراده. كانت هناك بعض التجاعيد حول عينيها، وخصلتان رماديتان في
شعرها الأسود الفاحم، لكن بخلاف ذلك كانت الشخص نفسه تماماً. العينان
السوداوان نفسهما، والتعبير المستفسر قليلاً تحت الحاجبين الرفيعين، والأنف
الدقيق المرتفع نفسه فوق شفيتين بارزتين، والوجنتان الغائرتان اللتان تمنحانها
مظهر شخص جائع. ربما لم تكن مؤهلة لتستحق صفة الجمال - لأن
قسمات وجهها كانت قاسية وصارخة - لكن قوام جسدها النحيل كان
كافياً لجعل رجلين على الأقل يجلسان إلى طاولتين في منطقة تناول الطعام
يديران رأسيهما في أثناء مرورها بهما كما لاحظ هاري.

أشعل هاري لفافة تبغ أخرى. بعد زيارة غريت، كانا قد زارا هيلج
كليمنتسن مدير الفرع، لكن ذلك لم يمنحهما شيئاً يعملان عليه أيضاً. كان
لا يزال في حالة صدمة، يجلس على كرسي في منزله ذي الطابقين في
كجلساسفين ويحدّق بالتناوب إلى كلب البودل كثيف الشعر الذي يتحرك
بين قدميه، وزوجته التي تتحرك بين المطبخ وغرفة المعيشة تحمل قهوة
وأقصى كعك تذوّقه هاري على الإطلاق. كانت الملابس التي اختارتها بتي
ملائمة لمنزل أسرة كليمنتسن البرجوازي أكثر من سروال هاري الليفايز
وحذاءه من ماركة دوك مارتنز. بالرغم من ذلك، كان هاري من تولى
الحديث إلى السيدة كليمنتسن العصبية المتلعثمة حول الحالة الجوية ذلك
الخريف وفن تحضير الكعك، وتوقف عن الكلام لدى سماعه خطواتٍ ثقيلةً
ونشيجاً عالياً. شرحت السيدة كليمنتسن أن ابنتها آينا، الإنسانة البائسة،
حامل منذ سبعة شهور من رجل كان قد تخلى عنها آنذاك. حسناً، في
الواقع، كان بحاراً وقد سافر إلى البحر المتوسط. كاد هاري ينثر الكعك من
فمه عبر الطاولة. تولّت بتي آنذاك زمام الأمور وسألت هيلج، الذي كان
قد تخلى عن ملاحقة الكلب بعينه بعد أن خرج من باب غرفة المعيشة:
"كم كان طول السارق برأيك؟".

كان هيلج قد نظر إليها، ثم أمسك فنجان القهوة ورفعها إلى فمه،
فكان على ذلك بالضرورة أن ينتظر لأنه لا يستطيع أن يشرب ويتكلم في
الوقت نفسه. "طوله؟ ربما، نحو المترين. كانت دقيقة جداً دائماً، أعني
شتاين".

"لم يكن بذلك الطول يا سيد كليمنتسن".

"حسناً، طوله متر وتسعون. ومخيف جداً".

"ماذا كان يرتدي؟".

"شيئاً أسود، مثل مطاط. أمضت إجازة ملامة هذا الصيف أول مرة، في اليونان".

أخذت السيدة كليمنتسن نفساً عميقاً.

سألت بتي: "مثل مطاط؟".

"نعم، ويعتمر قلنسوة صوفية".

"ما لونها يا سيد كليمنتسن؟".

"حمراء".

عند ذلك كانت بتي قد توقفت عن تسجيل الملاحظات، وسرعان ما

أصبحت في السيارة في طريق عودتهما إلى البلدة.

كانت بتي قد قالت: "إذا عرف القضاة وهيئة المحلفين أن قليلاً فقط

مما يقوله الشهود عن سارقي المصارف صحيح، فسيفضون السماح لنا

باستخدامه بوصفه دليلاً. ما تعيد عقول الناس ابتكاره مغلوطة تماماً؛ كأن

الخوف يضع لهم نظارات تجعل كل السارقين أكبر حجماً وأشدّ سواداً،

والأسلحة أكثر والثواني أطول. استغرقت السرقة أكثر بقليل من دقيقة واحدة،

لكن السيدة بريني، أمينة الصندوق الأقرب إلى المدخل، قالت إنه بقي

هناك نحو خمس دقائق. وطوله لا يبلغ المترين، وإنما 1.79. هذا إن لم

يكن يضع ضبانين (نعلين داخليين)، وهو شيء ليس غريباً على محترفين".

"كيف يمكنك أن تتوثقي تماماً من طوله؟".

"الفيديو. يُقاس طول القامة نسبةً إلى إطار الباب الذي دخل السارق

منه. كنت في المصرف هذا الصباح أدون ملحوظات، وألتقط صوراً جديدة

وأسجل مقاييس".

"مم! في شعبة الجريمة نترك عمل القياس هذا لوحدة مسرح الجريمة".

"قياس طول من فيلم فيديو أكثر تعقيداً مما يبدو عليه. كانت

قياسات وحدة مسرح الجريمة أطول بثلاثة سنتيمترات، مثلاً، في قضية سارق

مصرف دن نورسك في كالدباكن عام 1989. لهذا أفضل أخذ القياس

بنفسي".

كان هاري قد رمقها بنظرة سريعة وتساءل إن كان يجب أن يسألها

عمّا جعلها تنضم إلى الشرطة. بدلاً من ذلك، كان قد سألها إن كان

بمقدورها إيصاله إلى متجر صانع الأقفال عند بوابة فييز. قبل أن يخرج

من السيارة، كان قد سألها أيضاً إن كانت قد لاحظت أن هيلج لم يكن

يرتشف القهوة من الفنجان المزخرف الذي كان يحمله في أثناء استجوابهما إياه. ولكنها لم تكن قد انتبهت إلى ذلك.
سألت أنا، وهي تجلس مجدداً على كرسيها: "هل تحب هذا المكان؟".
"حسناً...". جال هاري ببصره في الأنحاء ثم قال: "ليس هذا ذوقي".
قالت أنا، وهي تمسك حقيبتها وتقف: "ولا ذوقي أيضاً. فلنذهب إلى شقتي".

"لقد اشتريت لك شراب شعير للتو". أوماً هاري نحو الكأس المكلّلة برغوة.
قالت وهي تتجهم: "مملٌ جداً أن يشرب المرء وحده. استرخِ يا هاري. هيا بنا".

كان قد توقف هطول المطر في الخارج والهواء البارد النقي يبدو منعشاً.
سألت أنا، وهي تمسك ذراعه بيدها ويبدأ أن المشي: "هل تتذكر اليوم الخريفي الذي ذهبنا فيه بالسيارة إلى ماريدالن؟".
قال هاري: "لا".

"بالطبع تتذكره! في سيارتك الفورد إسكورت المتهالكة، بمقاعد لا يمكن تعديلها".

ابتسم هاري ساخراً.
قالت بمرح: "أنت تتورّد خجلاً. حسناً، أنا واثقة أنك تتذكر أيضاً أننا أوقفنا السيارة ورحنا ننتزه في الغابة. مع كل تلك الأوراق الصفراء كانت مثل...". ضغطت على ذراعه. "... مثل سرير، سرير ضخيم من الذهب".
ضحكت ووخزته بإصبعها وتابعت قائلة: "وبعد ذلك كان عليّ أن أساعدك على دفع تلك السيارة الخردة لتشغيلها. أمل أن تكون قد تخلصت منها الآن؟".

قال هاري: "حسناً. إنها في المرأب. سنرى بشأن ذلك".
"يا الله! تجعلها تبدو الآن مثل صديق قديم نُقل إلى المستشفى مصاباً بورمٍ خبيثٍ أو شيء من هذا القبيل". وأضافت برقة: "يجب ألا تكون على عجلة من أمرك لتتركها يا هاري".
لكن هاري لم يردّ عليها فتابعت قائلة: "هذا هو الأمر. ليس بمقدورك نسيان ذلك بأي حال، صحيح؟". كانا قد توقفا خارج باب أزرق في سورجنفريغاتا.

انفصل هاري عنها بلطف، وشرع يقول محاولاً تجاهل نظرتها

التحذيرية: "اسمعي يا أنا، لدي اجتماع مع محققي شعبة الجريمة عند بزوغ فجر الغد".

قالت وهي تفتح الباب: "لم أنبس بينت شفة".

تذكر هاري فجأة شيئاً، فوضع يده داخل معطفه وأعطاهما مغلفاً أصفر. "من صانع الأقفال".

"آه! المفتاح. هل جرى الأمر على ما يرام؟".

"تفحص الشخص خلف النضد هويتي عن كثب، وكان علي أن أوقع.

شخص غريب". نظر هاري إلى ساعته وتثاءب.

قالت أنا بسرعة: "إنهم صارمون بشأن تسليم المفاتيح. إنه يفتح المبنى

كله: المدخل الرئيس، والقبو، والشقة، وكل شيء". أطلقت ضحكة عصبية

فاترة ثم قالت: "كان عليهم الحصول على طلب مكتوب من رئيس لجنة

البناء لصنع هذا المفتاح الإضافي".

قال هاري وهو يهزّ عقبيه: "أفهم ذلك". أخذ نفساً ليودّعها.

سبقتة بالكلام وكان صوتها يلتمس تقريباً: "فنجان قهوة فقط يا

هاري".

كانت الثريا نفسها تتدلى من السقف فوق الطاولة والكراسي ذاتها في

غرفة المعيشة الكبيرة. ظنّ هاري أن الجدران كانت أفتح لوناً - بيضاء أو

ربما صفراء - لكنه لم يكن واثقاً. كانت آنذاك زرقاء وبدت الغرفة أصغر.

ربما أرادت أنا تصغير المساحة. ليس سهلاً على شخص يعيش بمفرده أن

يملاً شقة تتألف من ثلاث غرف استقبال، وغرفتي نوم كبيرتين، وارتفاع

سقفها ثلاثة أمتار ونصف. تذكر هاري أن أنا قد أخبرته أن جدّتها عاشت

أيضاً في الشقة وحدها، لكنها لم تمضِ وقتاً طويلاً هنا؛ لأنها كانت مغنية

سوبرانو مشهورة وتسافر في أرجاء العالم ما دام بمقدورها الغناء.

اختفت أنا في المطبخ ونظر هاري حوله في أرجاء غرفة المعيشة.

كانت خاوية باستثناء حصان قفزٍ بحجم فرس أيسلندية، يقف في الوسط

على أربعة قوائم خشبية مائلة، وهناك حلقتان تبرزان من طرفيه. ذهب

هاري إليه وربت على الجلد البني الناعم.

صرخ هاري: "هل تتدربين على الجمباز؟".

صرخت أنا من المطبخ: "هل تقصد الحصان؟".

"إنه للرجال، أليس كذلك؟".

"نعم. هل أنت واثق أنك لا تريد شرباً يا هاري؟".

صرخ: "واثق تماماً. جدّياً، لماذا تضعينه هنا؟".

قفز هاري حين سمع صوتها خلفه: "لأنني أحب فعل الأشياء التي يفعلها الرجال".

استدار هاري. كانت قد خلعت سترتها وتقف عند المدخل. إحدى يديها على وركها، والأخرى على إطار الباب. قاوم هاري في اللحظة الأخيرة النظر إليها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها. "أحضرتة من نادي جمباز أوصلو. إنه تحفة فنية. تركيب، مثل كونتاكت، الذي أثق تماماً أنك لم تنسه".

"تقصدين الصندوق على الطاولة المزود بستارة ويمكنك إدخال يدك فيه؟ وهناك كثير من الأيدي الاصطناعية التي يمكنك مصافحتها داخله؟". "أو ضربها، أو مداعبتها، أو رفضها. كان مزوداً بتكليف للحفاظ على حرارة الجسد وقد حقق نجاحاً كبيراً، أليس كذلك؟ ظن الناس أن هناك شخصاً يختبئ تحت الطاولة. تعال معي وسأريك شيئاً آخر". تبعها إلى الغرفة الأبعد، حيث فتحت باباً منزلقاً. أمسكت يده بعد ذلك وسحبته في الظلام معها. عند إضاءة الأنوار، وقف هاري في البداية يحدّق إلى المصباح. كان مصباحاً عادياً مطلياً بالذهب على شكل امرأة تحمل ميزاناً في إحدى يديها وسيفاً في الأخرى. كانت هناك ثلاث بصيلات كهربائية على الحد الخارجي للسيف والميزان ورأس المرأة؛ وعندما استدار هاري، رأى أن كلاً منها تضيء لوحة زيتية. كانت اثنتان منها معلقتين على الجدار، في حين أن الثالثة التي كان واضحاً أنها لم تنته بعد موضوعة على مسندٍ مع فرشاة ملطخة باللونين الأصفر والبني مثبتة إلى الزاوية اليسرى. سأل هاري: "أي نوع من اللوحات هذه؟".

"إنها وجوه أشخاص. ألا ترى ذلك؟".

أشار هاري: "صحيح. تلك هي العيون؟ وذلك فم؟".

أمالت آناً رأسها. "إذا أردت. إنها وجوه ثلاثة رجال".

"هل من أحدٍ أعرفه؟".

حدّقت آناً إلى هاري بكأبة وقتاً طويلاً قبل أن ترد. "لا، لا أظن أنك تعرف أيّاً منهم يا هاري، لكن يمكنك أن تتعرفهم إذا أردت حقاً".

أمعن هاري النظر في اللوحات عن كثب.

"أخبرني عمّا تراه".

"أرى جاري مع زلاجة. أرى رجلاً يخرج من غرفة خلفية في متجر صانع الأقفال حين أغادر. وأرى النادل في مشرب أم، وذلك الشخص المشهور بير شتال لونينغ".

ضحكت ثم قالت: "هل كنت تعرف أن شبكة العين تعكس أي شيء وأن دماغك يتلقى صورة مرآة أولاً؟ إذا أردت رؤية أشياء على حقيقتها، يجب أن تشاهدها على صفحة مرآة؛ عندها، سترى أشخاصاً مختلفين تماماً في اللوحات". كانت عيناها تتألقان ولم يستطع هاري الاعتراض بالقول إن الشبكية لا تعكس الصور، وإنما تقلبها رأساً على عقب. تابعت كلامها قائلة: "ستكون هذه تحفتي الفنية الأخيرة يا هاري. هذا ما سيتذكرني الناس لأجله".

"تلك الصور؟"

"لا، إنها مجرد جزء من عمل فني متكامل. لم ينته بعد. انتظر فحسب".

"مم! هل له اسم؟"

قالت بصوتٍ منخفض: "الانتقام".

حدّق إليها مستفسراً والتقت عيونهما.

غطى الظل أحد جانبي وجهها، وأشاح هاري ببصره بعيداً؛ كان قد رأى ما يكفي. تقوّس ظهرها الذي يرجو شريك رقص، وقدم أمام الأخرى كأنها غير واثقة إن كان يجب أن تتقدم أم تتراجع، وصدرها الذي يتحرك بقوة والعنق النحيل مع العروق التي تخيل أن بمقدوره رؤيتها تنبض. شعر بإثارة ودوار بسيط. ماذا قالت؟ "يجب ألا تكون على عجلة من أمرك لتتركها". هل كان ليفعل ذلك؟ "هاري...".

قال: "يجب أن أذهب".

سحبت ثوبها فوق رأسها، واستلقت على ظهرها على الملاءة البيضاء وهي تضحك. كانت أنا قد أخبرته أن السرير لجذّتها، وأنه موجود هناك منذ نحو ثمانين سنة.

كان السرير قد وصل إلى أوصلو على متن أس. أس. إينورا. محض المصادفة، كان القبطان الداهمركي زيد - بالرغم من أنه لم يكن الأول على الإطلاق - على هذا السرير. كان واضحاً أن جاسبر رجل انفعالي، ووفقاً للجدّة كان ذلك هو سبب فقدان الحصان الذي يزيّن السرير رأسه. قطعته القبطان جاسبر في حالة نشوة.

ضحكت أنا وابتسم هاري. انتهت لفافة التبغ وأقاما علاقة على صرير خشب المانيلا الإسباني وطقطقته، التي جعلت هاري يظن أنه في مركب لا أحد يتولى إدارة دقّته، لكن ذلك لم يكن مهماً.

كان ذلك قبل وقت طويل وكانت تلك أول وآخر مرة ينام فيها على سرير جدّة أنا.

تقلّب هاري على السرير الحديدي الضيق. أضاءت شاشة ساعة منبه المذياع على الطاولة بجانب السرير مشيرة إلى الساعة 3:21. تأقّف، ثم أغمض عينيه وعادت أفكاره ببطء إلى أنا والصيف على الملاءات البيضاء لسرير جدّتها. كان ثملاً أكثر الأوقات، لكنه يستطيع تذكّر الليالي، والانفعال، والشعور الرائع مثل بطاقات بريدية مثيرة. كانت العبارة الأخيرة التي قالها حين انتهى الصيف مبتذلة، لكن الفكرة بدت نمطية تماماً: "تستحقين شخصاً أفضل مني".

في تلك المرحلة كان يشرب كثيراً وكل شيء يشير في اتجاه واحد فقط. في إحدى لحظاته الأكثر صفاءً كان قد قرّر أنه لن يجرّها إلى الأسفل معه. كانت قد شتمته بلغتها الأجنبية وأقسمت إنها يوماً ما ستفعل الشيء نفسه معه: تأخذ أكثر شيء يحبه منه.

كان ذلك قبل سبع سنوات، ولم تدم العلاقة إلا ستّة أسابيع. التقى بها بعد ذلك مرتين فقط. مرة في مشرب حين كانت قد جاءت إليه والدموع تملأ عينيها وطلبت منه الذهاب إلى مكان آخر، وهذا ما فعله. وأخرى في معرض كان هاري قد اصطحب شقيقته الأصغر سناً إليه. كان قد وعد أن يتصل بها، لكنه لم يفعل قط.

استدار هاري لينظر إلى الساعة مجدداً؛ إنها تشير إلى 3:22. كان قد قبّلها، في نهاية الأمسية. عندما أصبح بأمان خارج باب شقتها، كان قد انحنى إلى الأمام ليعانقها مودّعاً وأتبع ذلك بقبلة. سهل ورائع. سهل في كل حال. 3:33. يا للهول، متى كان قد أصبح حساساً جداً حتى يشعر بوخزات ذنب لمجرد تقبيل حبيبة قديمة مودّعاً؟ حاول هاري أخذ أنفاس عميقة ومنتظمة لتركيز ذهنه على طرائق هروب محتملة من بوغستادفين عبر إندوستريغاتا. دخل، ثم خرج، ودخل مجدداً، إذ إن صورتها لن تخب بعد من ذهنه.

فلفل حار

كانت أولى أشعة ضوء اليوم قد بزغت للتو فوق حافة سلسلة إكبرغ، تظهر تحت ستارة النافذة نصف المغلقة في قاعة اجتماعات شعبة الجريمة، وتسقط على تغضّات الجلد حول عيني هاري المتعبتين. وقف رون إيفارسون عند نهاية الطاولة الطويلة، مباعداً بين قدميه، محرّكاً كعبيه صعوداً وهبوطاً، واضعاً يديه خلف ظهره. كانت هناك لوحة كبيرة مكتوب عليها أهلاً بحروف حمراء كبيرة وراءه. افترض هاري أنها كانت شيئاً قد أخذه إيفارسون من حلقة دراسية قدّم فيها محاضرة وحاول بفتور أن يخفي تثاؤبه حين بدأ رئيس وحدة السرقات الكلام.

"صباح الخير جميعاً. نكوّن نحن الثمانية الذين نجلس حول الطاولة الفريق المكلف بالتحقيق في سرقة المصرف التي وقعت في بوغستادين يوم الجمعة".

تمتم هاري: "جريمة".
"عفواً؟".

شد هاري قامته على كرسيه، إذ كانت الشمس تبهره أينما استدار، وقال: "أفترض أنه سيكون صحيحاً البدء بالتحقيق من حقيقة أنها كانت جريمة".

ابتسم إيفارسون ساخراً؛ ليس لهاري، وإنما للآخرين الجالسين حول الطاولة الذين رمقهم بنظرة واحدة عابرة، ثم قال: "أظن أنه يجب عليّ أن أبدأ بتعريفكم إلى بعضكم بعضاً، لكن صديقنا من شعبة الجريمة قد حدّد تلك البداية. كان المفتش هاري هول قد انتدّب من قبل مديره، بيارني مولر؛ لأنه متخصص بالجريمة".

قال هاري: "الجريمة الخطرة".

"الجريمة الخطرة. إلى يسار هاري، لدينا تورليف ويبر من الطب الشرعي الذي قاد التحقيق في مسرح الجريمة. كما يعرف عدد منكم، ويبر محققنا الشرعي الأكثر خبرة، ويشتهر بقدراته التحليلية وحدسه الصائب. قال رئيس المشرفين يوماً إنه سيحب اصطحاب ويبر معه ككلب اقتفاء أثر في فرق المطاردة التي ينظّمها".

صدرت ضحكات حول الطاولة، ولم يكن هاري بحاجة إلى النظر إلى ويبر ليعرف أنه لم يكن بيتسم. ويبر لا بيتسم قط تقريباً، وعلى الأقل ليس لأشخاص لا يحبهم، وهو لم يكن يحب أحداً تقريباً؛ خاصة بين طبقة

المديرين الشبان التي كانت تضم، برأي ويير، موظفين غير أكفاء ولا يكفون أي مشاعر للمهنة أو السلك، لكن لديهم مواهب أقوى للسلطة الإدارية والنفوذ اللذين يمكن الحصول عليهما بعد مدة وجيزة من العمل في قيادة الشرطة.

ابتسم إيفارسون وتمايل يميناً ويساراً مثل قبطان سفينة تمخر عباب البحر وهو ينتظر تلاشي الضحكات.

"بتي لون جديدة تماماً في هذا المجال ومتخصصة بتسجيلات الفيديو".
أضحى وجه بتي أحمر مثل الشمندر.

"بتي ابنة يورغن لون الذي خدم أكثر من عشرين سنة في ما كان يعرف حينها بوحدة السرقات والجرائم الخطرة. يبدو أنها تسير حتى الآن على خطى والدها الأسطورية. كانت قد قدّمت أدلة حاسمة ساعدت على حلّ عددٍ من القضايا. لا أعرف إن كنت قد ذكرت ذلك من قبل، لكننا في السنة الماضية حققنا في وحدة السرقات معدل إدانةٍ يقترب من خمسين بالمئة، وهذا يعدُّ بالمعايير الدولية...".

"لقد ذكرت ذلك من قبل يا إيفارسون".
"شكراً لك".

"نظر إيفارسون هذه المرة إلى هاري مباشرة حين ابتسم. كانت ابتسامة متكلفة وقاسية كشفت عن أسنانه إلى ما خلف عظم الفك على كلا الجانبين. واستمر يرسم تلك الابتسامة على وجهه في ما تبقى من تعرّفهم إلى بعضهم. عرف هاري اثنين منهم: ماغنوس راين، وهو محقق شاب من تومرفيورد الذي بقي في شعبة الجريمة ستة شهور وترك انطباعاً جيداً. والآخر ديدريك غدموندسن المحقق الأكثر خبرة حول الطاولة ونائب مدير وحدة السرقات؛ وهو شرطي هادئ ومنهجي لم يكن هاري قد واجه أي مشكلات معه قط. كانا آخر اثنين من وحدة السرقات أيضاً، وقد لُقّب كلاهما بلقب لي، لكن هاري عرف مباشرة أنهما ليسا توأمًا متماثلًا. توريل لي امرأة شقراء طويلة، فمها صغير، ووجهها نحيل؛ في حين أن أولا لي هو رجل مربع القامة أحمر الشعر، ووجهه بيضاوي وعيناه بشوشتان. كان هاري قد رآهما في الرواق مرات تكفي أي شخص آخر ليظن أنه من الطبيعي أن يلقي التحية عليهما، لكن ذلك لم يخطر على باله قط.

اختتم إيفارسون التعريف بالقول: "أما في ما يخصني، فأظن أنكم تعرفونني من لقاءات أخرى. لكن فقط من أجل الشكليات، أنا مدير وحدة السرقات وقد عُيّن لقيادة هذا التحقيق. وبالعودة إلى ما قلته في البداية

يا هول، هذه ليست المرة الأولى التي نحقق فيها في سرقة تنتهي بمقتل ضحية بريئة".

حاول هاري ألا يقع في الفخ، وقد فعل ذلك جاهداً، لكن تكشيرة التماسح جعلت الأمر مستحيلاً.

"حتى مع معدل إدانة أقل قليلاً من خمسين بالمئة؟"
ضحك شخص واحد فقط إلى الطاولة، لكن ضحكته كانت عالية؛ إنه ويبر.

قال إيفارسون من دون أن يبتسم: "أعتذر، واضح أنني نسيت ذكر شيء عن هول. يقال إنه يتمتع بموهبة كوميدية؛ حس دعابة حقيقي، كما سمعتهم يقولون".

كانت هناك لحظة إحراج ثانية، ثم أطلق إيفارسون ضحكة قصيرة تشبه صوت الإوزة، وسمعت ضحكات خافتة حول الطاولة.
"حسناً، لنبدأ بخلاصة". قلب إيفارسون الصفحة الأولى، وكانت الآتية تحمل عنوان دليل شرعي. نزع الغطاء عن قلم تخطيط وجهز نفسه وقال:
"الكلام لك الآن يا ويبر".

وقف كارل تورليف ويبر. كان رجلاً قصيراً ملتحياناً ذا عُفرة (شعر رقبة) أسد من شعر أشيب، وصوته ينم عن تردّد، لكنه واضح بالرغم من ذلك.
"سأوجز".

قال إيفارسون، وهو يضع القلم على الورق: "قدر استطاعتك، لكن خذ كل الوقت الذي تحتاج إليه يا كارل".
تذمّر ويبر: "سأوجز؛ لأنني لا أحتاج إلى وقت طويل. لم نحصل على شيء".

قال إيفارسون: "حسناً، لم تحصل على شيء. ما الذي تعنيه تحديداً بذلك؟".

"لدينا أثر حذاء نايكي جديد تماماً، قياس 45. كل ما يتعلق بهذه السرقة يبدو احترافياً، والمعلومة الوحيدة التي يمكنني استنتاجها أنه على الأرجح ليس القياس الذي ينتعله عادة. حلل خبراء المقذوفات الرصاصية، إنها ذخيرة نموذجية عيار 7.62 ملليمترًا لبندقية آيه. جي. 3، وهو الرصاص الأكثر شيوعاً في النزوح؛ لأنه متواجد في كل ثكنة عسكرية، ومتجر أسلحة، ومنزل ضابط احتياط أو متطوع في كل أنحاء البلاد. بعبارة أخرى، يستحيل تعقبها. باستثناء ذلك، ستظنون أنه لم يكن داخل المصرف قط، أو خارجه. لقد بحثنا عن أدلة هناك أيضاً". وهنا أنهى كلامه وجلس.

"شكراً يا ويبر، كان ذلك... مفيداً". قلب إيفارسون الصفحة اللاحقة.
الشهود.

"هول؟".

استرخى هاري أكثر في كرسيه وقال: "استجوبنا كل من كان في المصرف بعد الحادثة مباشرة، ولم يستطع أحد إخبارنا أي شيء لا يمكننا رؤيته في فيلم الفيديو. بمعنى آخر، يتذكرون أشياء قليلة نعرف أنها غير صحيحة. رأى أحد الشهود السارق يتجه نحو إندوستريغاتا. ولم يتقدم أحد آخر للشهادة".

قال إيفارسون: "مما نقلنا إلى النقطة الآتية: سيارات الهروب يا ترويل؟".

تقدمت ترويل لي إلى الأمام، شغلت المسلاط (جهاز عرض الصور)، حيث كانت هناك شريحة عرض تحمل خلاصةً عن المركبات الخاصة المسروقة في الشهور الثلاثة الماضية. شرحت بلهجة سوهورسك القوية أيّ السيارات الأربع التي تظن على الأرجح أن إحداها قد استُخدمت في الهروب، مستنتجة ذلك من حقيقة أنها من أنواعٍ وطرازاتٍ شائعة، وعادية، وألوانها فاتحة وجديدة كفاية ليشعر السارق بالثقة بأنها لن تخذله. كانت سيارة على وجه الخصوص، وهي فولكسفاغن جي. تي. أي متوقفة في ماريدالسين، مثيرة للاهتمام؛ لأنها سُرقَت في الليلة التي سبقت سرقة المصرف.

أوضحت ترويل لي: "يحاول سارقو المصارف سرقة سيارات قبل عملياتهم بوقت قصير جداً، حتى لا تظهر في لوائح الدوريات". أوقفت عمل المسلاط وأخذت شريحة العرض في طريق عودتها إلى كرسيها.
أوماً إيفارسون وقال: "شكراً".

همس هاري لويبر: "على لا شيء".

كان العنوان الظاهر على الصفحة اللاحقة هو تحليل الفيديو. كان إيفارسون قد أعاد غطاء قلم التخطيط إلى مكانه. ابتلعت بتي ريقها، وتنحنت، ثم شربت رشفة ماء من الكأس أمامها، وسعلت مجدداً قبل أن تبدأ، وبقيت عيناها ثابتتين على الطاولة. "لقد حسبت طول...".
"ارفعي صوتك قليلاً إذا سمحتِ يا بتي". ابتسامة الزاحف. تنحنت بتي مرات عدّة.

"لقد حسبت طول قامة السارق من خلال ما رأيته في الفيديو. إنه 1.79. توثقت من ذلك مع ويبر، الذي يوافقني الرأي".

أوماً ويير.

صرخ إيفارسون بحماسة متكلفة في صوته: "رائع!". انتزع غطاء قلم التخطيط وكتب: الطول 1.79.

ظلت بتي تتكلم وهي تنظر إلى الطاولة: "لقد تحدّثت إلى أسلاكسن من الجامعة، وهو محلل الصوت الذي يعمل معنا. كان قد ألقى نظرة على الكلمات الخمس التي قالها السارق بالإنكليزية. هو...". نظرت بتي بعصبية إلى إيفارسون، الذي كان يقف وظهره إليها، مستعداً لتسجيل ملحوظات. "... قال إن نوع التسجيل سيئ جداً ولا ينفع في شيء. كما لا يمكن الاستفادة منه".

أنزل إيفارسون ذراعه في الوقت نفسه الذي اختفت فيه الشمس المنخفضة خلف غيمة وتلاشى مستطيل كبير من الضوء على الجدار خلفه. أطبق صمّت غريب في الغرفة، وأخذ إيفارسون نفساً عميقاً وتقدم إلى الأمام على أطراف قدميه.

"لحسن الحظ، لقد احتفظنا بورقتنا الرابعة حتى النهاية".

أمسك رئيس وحدة السرقات الورقة الأخيرة. المراقبة.

"بالنسبة إلى أولئك الذين لم يعملوا في وحدة السرقات ربما يجب أن نشرح أننا نقدّم دائماً قسم المراقبة أولاًّ حين يكون لدينا تسجيل فيديو عن سرقة مصرف. في سبعٍ من عشر حالات، يكشف تسجيل الفيديو هوية السارق، إذا كان أحد أصدقائنا القدامى".

سأل ويير: "حتى إذا كان مقنّعاً؟".

أوماً إيفارسون إيجاباً وتابع: "سيعرف محقق سريّ جيد مجرماً قديماً من بنيته، ولغة جسده، والطريقة التي يتكلم بها في أثناء السرقة، وكل التفاصيل الصغيرة التي لا يمكن إخفاؤها خلف قناع".

تدخّل ديدريك غدموندسن، نائب إيفارسون، قائلاً: "لكن ليس كافياً معرفة من هو. يجب أن...".

قاطعته إيفارسون: "ذلك صحيح. يجب أن يكون لدينا دليل. يمكن أن ينطق السارق باسمه أمام آلة تصوير، لكن إذا بقي مقنّعاً ولم يترك دليلاً ملموساً، فإننا لا نملك شيئاً بنظر القانون".

سأل ويير: "إذاً، كم شخصاً من السبعة الذين تعرّفتم إليهم أدينوا؟".

قال غدموندسن: "قلّة. يبقى من الأفضل معرفة من اقترف سرقة، حتى إذا أُطلق سراحه. نعرف عندها شيئاً عن أسلوبهم وطرائقهم، وننال منهم في المرة التالية".

سأل هاري: "وإذا لم تكن هناك مرة تالية؟". لاحظ كيف أن العروق العريضة فوق أذني إيفارسون توسّعت حين ضحك.

قال إيفارسون، وهو لا يزال في مزاجه الهزلي: "عزيزي خبير الجريمة. إذا نظرت حولك، فسترى أن معظم الناس يتسمون استخفافاً بما سألت عنه؛ ذلك لأن أي سارق مصرف ينفذ عملية ناجحة سيضرب دائماً - دائماً - من جديد؛ ذلك قانون الجاذبية لسارقي المصارف". نظر إيفارسون إلى خارج النافذة وسمح لنفسه أن يضحك مجدداً بصوت خافت قبل أن يستدير على عقبه. "إذا كانت تلك نهاية تعليم الراشدين اليوم، فرمها يمكننا أن نتوثق من وجود أي مشتبه فيهم".

نظر أولاً لي إلى إيفارسون، غير واثق إن كان يجب أن ينهض أم لا، لكنه قرّر في النهاية البقاء جالساً وبدأ كلامه: "حسناً، كنت مناوباً في عطلة نهاية الأسبوع الماضية. كان لدينا فيلم فيديو محرّر جاهز بحلول الثامنة من مساء الجمعة، واستُدعيت فرق المراقبة لمشاهدته في دار الأمل. استُدعي أولئك الذين لم يكونوا مناوبين آنذاك لرؤيته نهار الأحد. بالمحصلة، حضر ثلاثة عشر شرطياً إلى هنا، أولهم عند الساعة الثامنة من يوم الجمعة والأخير...".

قال إيفارسون: "لا بأس بذلك يا أولاً. أخبرنا فقط بما اكتشفته". ضحك أولاً بعصبية، وبدأت ضحكته مثل صرخة نورس مترددة. "حسناً؟".

قال أولاً: "إبسن فالاند غائب في إجازة مرضية. إنه يعرف سارقي المصارف جيداً. سأحاول إحضاره إلى هنا صباح الغد". "ما تحاول قوله هو...؟".

جال أولاً بناظره بسرعة حول الطاولة. قال بهدوء: "ليس الكثير". قال إيفارسون: "لا يزال أولاً جديداً نسبياً هنا"، ولاحظ هاري كيف أن عضلات فكيه بدأت تتوتر. "يحتاج أولاً إلى أن يكون واثقاً مئة بالمئة حين يحدد شخصاً، وذلك جدير بالثناء، لكن لا يمكن توقّع ذلك حين يكون السارق...". "القاتل".

"... مغطى من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، متوسط الطول، يبقى فمه مغلقاً، يتحرك بطريقة غريبة وينتعل حذاءً كبيراً جداً على قدميه"، رفع إيفارسون صوته وتابع: "لهذا اعرض لنا اللائحة كلها يا أولاً. من لديك؟".

"لا أحد".

"لا بد من وجود بعض الأسماء!".

قال أولاً وهو يبتلع ريقه: "لا".

"هل تحاول إخبارنا أن لا أحد لديه أي اقتراحات؛ أن كل الوشاة المتطوعين في الأحياء الفقيرة، والمخبرين السريين المتحمسين، الذين يفخرون بتعاملهم يومياً مع أسوأ حثالة في أوصلو، والذين يسمعون في تسع من أصل عشر قضايا إشاعات عن سائق سيارة الهروب، والرجل حامل الغنيمة، والمراقب، أصبحوا فجأة غير قادرين على المجازفة بتخمين واحد؟".

قال أولاً: "لقد خمنوا من دون ريب، وذكروا ستة أسماء".

"إذاً، انطقها يا رجل".

"لقد توثقت من كل الأسماء: ثلاثة أشخاص منهم في السجن، وشوهد أحدهم في ساحة سوق بلاتا وقت وقوع السرقة، وأحدهم في باتايا في تايلاند، وقد توثقت من ذلك. وكان هناك شخص ذكره كل المخبرين السريين؛ لأنه يتمتع ببنية جسدية مشابهة والسرقة احترافية جداً، وذلك هو بيورن يوهانسن من عصابة تفيتا".

"نعم؟".

بدا أن أولاً يريد أن ينزلق عن كرسيه ويختفي تحت الطاولة. "إنه في مستشفى أولفال، وكان يخضع الجمعة الماضية لعملية أورس

ألائي.

"أورس ألائي؟".

تأوه هاري، وهو يمسح قطرة عرق عن حاجبه: "أذنان بارزتان. كاد إيفارسون ينفجر. كم دورة أنجزت؟".

"لقد تجاوزت للتو الدورة الحادية والعشرين". دوى صوت هالفورسن بين الجدران. كان الوقت بداية الأصيل والنادي الرياضي في قبو مقر الشرطة كان خالياً تقريباً إلا منهما.

"هل قصت شعرك أم ماذا؟". صك هاري أسنانه واستطاع زيادة السرعة قليلاً. كانت هناك آنذاك بركة عرق حول دراجة التدريب، في حين كان جبين هالفورسن رطباً قليلاً.

سأل هالفورسن، وهو يتنفس بانتظام وهدوء: "إذاً، عدت صفر

اليدين؟".

"إن لم يكن هناك شيء في ما قالته بتي لون في النهاية، فإننا لم

نتوصل إلى شيء، لا".

"وماذا قالت؟".

"إنها تعمل على برنامج يمكنه تقديم صورة ثلاثية الأبعاد لرأس السارق ووجهه من شريط الفيديو".

"بالرغم من وجود القناع؟".

"يستخدم البرنامج المعلومات التي يحصل عليها من الصور: الضوء، والظل، والتجويف والبروز. كلما كان القناع مشدوداً، كلما أصبح الحصول على صورة تشبه الشخص أسهل. بالرغم من ذلك، إنه مجرد رسم تخطيطي، لكن بتي تقول إن بمقدورها استخدامه لمقارنتها بصور مشتبه فيهم".

"إنه برنامج مطابقة مكتب التحقيقات الاتحادي؟". استدار هالفورسن إلى هاري وتثبّت بافتنان أن بقعة العرق التي كانت قد بدأت على شعار وكالة المواعدة على صدر هاري قد توسّعت آنذاك لتغطي السترة كلّها. قال هاري: "لا، لديها برنامج أفضل. كم حتى الآن؟".

"اثنان وعشرون. أي برنامج؟".

"تلايف دماغية".

"مايكروسوفت؟ آبل ماك؟".

ربت هاري بإصبعه على جبين أحمر متقد وقال: "برنامج شائع مع كل الأجهزة. موجود في الفص الصدغي في الدماغ ووظيفته الوحيدة تعرّف الناس. ذلك كل ما تفعله. إنه الجزء الذي يجعلنا نُميّز بين مئات وآلاف الوجوه البشرية، لكن ليس دزينة من الكركدن".

"كركدن؟".

ضغط هاري عينيه وحاول إبعاد العرق الذي يخزها بجفنيه وقال: "كان ذلك مثلاً يا هالفورسن، لكن ليس هناك شك في أن بتي لون تمثّل حالة خاصة. يمكن لتلايفها القيام بدورات عدّة إضافية، إذا جاز القول، مما يسمح لها بتذكّر كل الوجوه التي كانت قد رأتها في حياتها. ولا أعني فقط أشخاصاً تعرفهم أو تحدّث إليهم، وإنما أعني وجوهاً خلف نظارات شمسية تجاوزتها في شارع مزدحم قبل خمس عشرة سنة".

"أنت تمزح".

"لا"، رفع هاري رأسه حين استنشق هواءً يكفي للاستمرار، وتابع قائلاً: "هناك نحو مئة حالة معروفة مثلها. قال ديدريك غدموندسن إنها أجرت اختباراً في كلية الشرطة وتغلّبت على برامج عدّة مطابقة معروفة. المرأة أرشيف وجوه متنقل. إذا سألتك ألم أرك في مكان ما من قبل؟ صدّقني، لن تكون مجرد عبارة مجاملة".

"ياه! ما الذي تفعله في الشرطة؟ أعني بتمتعها بمثل تلك الموهبة".
هزّ هاري كتفيه قائلاً: "هل تتذكر الشرطي الذي تعرض لإطلاق نار
في أثناء سرقة مصرف في الثمانينيات في رين؟".
"حصل ذلك قبل دخولي الشرطة".

"كان مصادفة في مكان قريب حين انطلق الإنذار، ولأنه كان أول من
وصل إلى الموقع، دخل المصرف أعزل للتفاوض. لقي حتفه بنيران بندقية
آلية ولم يُلَقَ القبض على السارقين قط. استُخدمت هذه الحالة سابقاً في
كلية الشرطة كمثال عمّا يجب عليك تفاديه حين تفاجئ سارقي مصارف".
"يجب أن تنتظر التعزيزات. ينبغي لك ألا تواجه السارقين أو تعرّض
نفسك، أو موظفي المصرف أو السارقين لخطر غير ضروري".
"صحيح، هذا ما يرد في الكُتَيْب. الغريب أنه كان أحد أفضل المحققين
وأكثرهم خبرة. يورغن لون، والد بتي".
"حسناً. وأنت تظن أن ذلك ما دفعها إلى الالتحاق بالشرطة؟ بسبب
والدها؟".

"محتمل".

"هل هي جميلة؟".

"إنها جميلة. كم دورة؟".

"أنجزت للتو أربعاً وعشرين دورة، وبقي ستُّ. وأنت؟".

"اثنتين وعشرين. سألحق بك، كما تعرف".

قال هالفورسن وهو يزيد سرعته: "ليس هذه المرة".

"بلى، سأفعل؛ لأن التلال تبدأ هنا، وعندها سألحق بك. وستتأثر نفسياً
وتتشنج. كالمعتاد".

قال هالفورسن؛ وهو يضغط على الدواستين بقوة أكبر: "ليس هذه
المرّة". أصبحت قطرات عرق ظاهرة للعيان على خط شعره الكثيف. ابتسم
هاري وانحنى فوق مقود الدراجة.
حدّق بيارني مولر بالتناوب إلى لائحة التسوّق التي كان قد تلقاها من
زوجته، والرف الذي وُضعت عليه ما ظن أنها كزبرة. كانت مرغريت قد
وقعت في حب الطعام التايلندي بعد إجازتهما التي أمضياها في فوكيت
الشتاء الماضي، لكن رئيس شعبة الجريمة لم يكن يستسيخ تماماً الخضار
المتنوعة التي تُنقل بالطائرة يومياً من بانكوك إلى مخزن البقالة الباكستاني
في غرونلاندسليرت.
هُمِسَ في أذنه: "ذلك فلفل أخضر أيها المدير"، واستدار بيارني مولر

على عقبه ونظر إلى وجه هاري المتورد والمبلل بالعرق. "قطعتان منها وبعض شرائح الزنجبيل ويمكنك تحضير حساء لذيذ. سيخرج بخار من أذنيك، لكنك ستتعرق مقداراً كبيراً من المواد الضارة".

"يبدو أنك قد تذوقته يا هاري".

"إنه مجرد سباق على دراجة التدريب مع هالفورسن".

"أه، نعم؟ وماذا في يدك؟".

"فلفل جابون، وهو فلفل أحمر صغير".

"لم أكن أعرف أنك تطهو".

حدّق هاري بدهشة إلى الكيس الذي يحتوي على الفلفل الحار؛ كأنه شيء جديد عليه أيضاً، ثم قال: "بالمناسبة، أنا محظوظ لأنني التقيت بك أيها المدير. لدينا مشكلة".

شعر مولر أن فروة رأسه تحكّه.

"لا أعرف من قرّر أن يقوم إيفارسون بقيادة التحقيق بشأن جريمة

القتل في بوغستادفين، لكن هذا ليس مناسباً".

وضع مولر اللائحة في سلة التسوّق وقال: "منذ متى تعملان معاً؟ منذ

يومين كاملين؟".

"ذلك ليس بيت القصيد أيها المدير".

"ألا يمكنك القيام بعملك مرة واحدة في حياتك يا هاري، وتدع

الآخرين يقرّرون كيف ينظّمون الأمور؟ محاولة ألا تكون ضدّ الجميع لن

تُحدث ضرراً دائماً، كما تعلم".

"أريد فقط أن تُحل القضية في أسرع وقت ممكن أيها المدير؛ حتى

يمكنني متابعة العمل على الأخرى، كما تعلم".

"نعم أعلم، لكنك بقيت تعمل على تلك القضية مدة أطول من

الشهرين التي وعدتك بها، ولا يمكنني تبرير تخصيص وقت وإنفاق موارد

بناءً على اعتبارات ومشاعر شخصية يا هاري".

"كانت زميلة أيها المدير".

صرخ مولر: "أعرف!". سكت، ونظر حوله، ثم تابع بنبرة أكثر هدوءاً:

"ما مشكلتك يا هاري؟".

"لقد اعتادوا العمل على السرقات، وإيفارسون ليس مهتماً على الإطلاق

بمعطيات بناءة".

لم يستطع بيارني مولر إخفاء ابتسامته من فكرة هاري حول معطيات

بناءة.

انحنى هاري إلى الأمام، وتكلم بسرعة وحدة: "ما أول سؤال نظرحه على أنفسنا عند وقوع جريمة أيها المدير؟ لماذا؟ ما الدافع؟ هذا ما نسأله. في وحدة السرقات يعدّون تلقائياً أن المال هو الدافع ولا يطرحون السؤال".
"إذاً، ما الدافع كما تظن؟".

"لا أظن أي شيء. القصد أنهم يستخدمون المنهج المغلوط تماماً".
"إنه منهج مختلف يا هاري، مختلف. يجب أن أشتري تلك الخضار وأذهب إلى المنزل، لهذا، أخبرني بما تريده".
"أريد منك أن تتحدّث إلى الأشخاص الذين يجب أن تتحدّث إليهم، حيث يكون هناك شخص واحد أعمل معه".
"تريد أن تترك فريق التحقيق؟".

"تحقيق مواز".

"هاري...".

"كانت تلك هي الطريقة التي قبضنا فيها على أبو الحناء، ألا تذكر؟".
"هاري، لا يمكنني التدخل...".
"أريد أن أعمل مع بتي لون، وأن أبدأ معها من جديد. يعجز إيفارسون عن تحقيق أي تقدم...".
"هاري!".

"نعم؟".

"ما السبب الحقيقي؟".

نقل هاري ثقله من قدمٍ إلى أخرى وقال: "لا يمكنني العمل مع التمساح المبتسم".
"إيفارسون؟".

"سيجعلني ذلك أفعل شيئاً غيباً جداً".

التقى حاجبا بيارني مولر عند جسر أنفه على شكل رقم سبعة وقال:
"هل يُفترض أن يكون هذا تهديداً؟".

وضع هاري يده على كتف مولر وقال: "أريد هذا المعروف فحسب أيها المدير. لن أطلب شيئاً آخر مجدداً. أبدأ".

همهم مولر. بمرور السنين، كم مرة كان قد عرض نفسه للإحراج من أجل هاري، بدلاً من التزام نصيحة مهنية حسنة النية من زملاء أكبر سناً؟ البقاء بعيداً عنه، كما قالوا. إنه مدفع ثائر. كان الشيء الوحيد المؤكد بشأن هاري هول هو أن كارثة ستقع يوماً ما. بأي حال، بطريقة غامضة، كان وهاري قد هبطا حتى ذلك الوقت على قدميهما، ولم يكن بمقدور

أحد اتخاذ إجراءات قاسية بحقهما. حتى ذلك الوقت، كان السؤال الأكثر إثارة للاهتمام: لماذا يتحمل ذلك؟ نظر إلى هاري. مدمن الشراب، ومثير المتاعب، والعنيد المتغطرس الذي لا يُطاق، وأفضل محقق لديه، باستثناء والر.

"لا تتدخل في ما لا يعنك يا هاري، وإلا سأضعك خلف مكتب وأوصد الباب. هل فهمت ذلك؟".
"مفهوم تماماً أيها المدير".

تنهّد مولر وقال: "لدي اجتماع مع رئيس المشرفين وإيفارسون غداً. سيكون علينا أن ننتظر ونرى. لا أعد بأي شيء، هل تسمع؟".
"نعم، نعم أيها المدير. تحياتي إلى زوجتك"، مدّ هاري رأسه إلى الأمام في طريقه إلى الخروج وأضاف: "الكزبرة على الرف السفلي أقصى اليسار".
وقف بيارني مولر يحدّق إلى سلة التسوّق. تذكّر السبب آنذاك؛ كان يحب الأحمق العنيد الجموع المدمن.

الشاه الأبيض

أوما هاري إلى أحد الزبائن المعتادين وجلس إلى طاولة تحت ألواح النافذة الضيقة المتموجة، ونظر إلى بوابة فالدمار ثرينز. كان معلقاً على الجدار خلفه لوحة ضخمة تصوّر يوماً مشمساً في ساحة يونغ تظهر فيها نساء يحملن مظلات ويحييهن بهرح رجلاً يعتمرون قبعات عالية ويتنزهون هناك. كان التباين مع ضوء الخريف الكثيب وهدوء الأصيل التام تقريباً في مطعم شرودر على أشده.

قال هاري للرجل البدين الجالس إلى الطاولة: "جيد أنك استطعت المجيء". كان سهلاً معرفة أنه لم يكن أحد الزبائن المعتادين، ليس من سترته الصوفية الأنيقة، أو ربطة عنقه الفراشية المنقطة باللون الأحمر، وإنما لأنه يحرك كوباً أبيض من الشاي على قطعة قماش تفوح منها رائحة شراب الشعير ومثقوبة بحروق لفائف تبغ مسوّدة. كان الزبون غير المعتاد، شتال أون، عالم نفس وأحد أفضل متخصصي البلاد في مجاله، وخبيراً تلجأ إليه الشرطة باستمرار. كانت النتيجة أحياناً سعيدة وأخرى حزينة؛ لأن أون رجل نزيه ومستقيم يحافظ على سمعته، ولم يتكلم في المحاكم قط عن قضايا لا يمكنه تأييدها بدليل علمي. بأي حال، نظراً إلى ضعف أي دليل في مجال علم النفس، كان يحدث دائماً أن يصبح شاهد الادعاء أفضل أصدقاء الدفاع، والشكوك التي يثيرها تصبُّ عادة في مصلحة المتهم. كان هاري، ضمن نطاق عمله بصفته رجل شرطة، قد استفاد من خبرة أون في قضايا جرائم منذ وقت طويل حتى أصبح يعدّه زميلاً له. وبصفته مدمناً على الشراب، كان هاري قد وضع نفسه على نحو كامل بين يدي هذا الرجل طيب القلب، والذي والرزين، حتى إن بمقدوره - إذا أراد - أن يدعوه صديقاً.

قال أون: "إذاً، هذا هو ملاذك؟".

قال هاري: "نعم"، ورفع حاجباً إلى ماجا عند النضد، التي ردت

مباشرة بعبور الباب الدوّار إلى المطبخ.

"وماذا لديك هناك؟".

"جابون. فلفل حار".

سالت قطرة عرق على أنف هاري، علقت ثانية على طرفه، ثم

سقطت على غطاء المائدة. أمعن أون النظر إلى بقعة العرق ذاهلاً.

قال هاري: "تكييف سيئ. لقد كنت في النادي الرياضي".

رفع أون أنفه وقال: "بصفتي رجل علم، يجب أن أصفّق لك كما أظن، لكن بصفتي فيلسوفاً، سأشكك في جدوى إخضاع جسدك لمثل تلك الأمور البغيضة".

وُضع إبريق قهوة فولاذي وفنجان أمام هاري. "شكراً ماجا". قال أون: "وخزات ضمير. لا يستطيع بعض الناس التعامل معها إلا بمعاينة أنفسهم؛ كما حدث عندما أُصبت بانهييار يا هاري. في حالتك، ليس الشراب ملاذاً، وإنما طريقة أخيرة لمعاينة نفسك". "شكراً. لقد سمعتك تضع ذلك التشخيص من قبل". "ألهذا السبب تتدرب بقسوة؟ ضمير معذب؟". هزّ هاري كتفيه.

خفض أون صوته: "هل تخطر إيلين على بالك؟". التقت عيون أون وهاري الذي وضع فنجان القهوة على شفثيه ببطء وتناول رشفة طويلة قبل أن يضعه مجدداً وهو يتسم ثم قال: "لا، إنها ليست قضية إيلين غيلتن. لم نتوصل إلى نتيجة، لكن ليس لأننا قصّرنا في عملنا. ذلك ما أعرفه. سيظهر شيء ما، إذ إننا نتحجّن الفرصة المناسبة". قال أون: "جيد. ليس خطأك أن إيلين قُتلت. تذكّر ذلك دائماً، ولا تنس: كل زملائك يظنون أن الرجل الصحيح قد اعتُقل". "ربما، وربما لا. لقد مات ولا يمكنه أن يردّ جواباً". "لا تدع ذلك يصبح فكرة راسخة يا هاري"، دفع أون إصبعين في جيب سترته الصوفية، وسحب ساعة جيب فضّية وألقى نظرة سريعة عليها، ثم أضاف: "لكنني لا أتخيل أنك أردت التكلم عن الشعور بالذنب؟". "لا، لم أرد ذلك". أخرج هاري رزمة من الصور من داخل جيبه وقال: "أود أن أعرف رأيك في هذه".

أمسك أون الصور وبدأ يتصفحها. "تبدو سرقة مصرف. ما أفهمه أن هذه ليست قضية شعبة الجريمة". "ستفهم حين ترى الصورة التالية". "فعلاً؟ إنه يرفع إصبعاً إلى آلة التصوير". "آسف، التالية".

"أوووه! هل هي...؟".

"نعم، لا يمكنك رؤية الشعلة بسهولة لأنها أبيض. جي. 3، لكنه أطلق النار عليها. انظر هناك، لقد اخترقت الرصاصة جبين المرأة. خرجت في الصورة التالية من الجهة الخلفية لرأسها واستقرّت في الخشب بجانب

الحاجز الزجاجي".

وضع أون الصور جانباً وسأل: "لماذا يجب أن تُريني دائماً صوراً رهيبة يا هاري؟".

"حتى تعرف ما نتكلم عنه. انظر إلى التالية".
تنهّد أون.

قال هاري وهو يشير: "حصل السارق على المال هنا. كل ما عليه فعله الآن هو الهرب. إنه محترف، وهادئ، ودقيق، وليس هناك سبب لإخافة أحد أو إرغامه على فعل أي شيء. بالرغم من ذلك، اختار أن يؤخر هروبه بضع ثوانٍ ليقتل أمينة سر المصرف؛ ببساطة لأن مدير الفرع تأخر ست ثوانٍ في إفراغ جهاز الصراف الآلي".
رسم أون ببطء الرقم ثمانية بملعقته في الشاي. "وتتساءل الآن عن دافعه؟".

"حسناً، هناك دائماً دافع، لكن من الصعب معرفة المنطق الذي يكمن خلفه. ردود أفعال أولى؟".

"اضطراب شخصية خطر".

"لكن كل شيء آخر فعله يبدو عقلانياً تماماً".

"اضطراب الشخصية لا يعني أنه غبي. ينجح الذين يعانونه في تحقيق أهدافهم، ويكونون أحياناً أفضل من غيرهم. ما يميزهم عنا أنهم يريدون أشياء مختلفة".

"ماذا عن الممنوعات؟ هل هناك عقار يحول رجلاً عادياً إلى شخص عدائي جداً ويرغب في القتل؟".

هزّ أون رأسه قائلاً: "الممنوعات تقوّي النزعات الكامنة أو تُضعفها. يكون لدى سكّير يقتل زوجته استعداداً أيضاً لضربها حين يكون صاحباً. يقترب أشخاص لديهم نزعة خاصة جرائم عنيفة مثل هذه".

"إذاً، ما تقوله هو أن هذا الرجل قد أخطأ؟".

"أو مدرب سابقاً على ذلك".

"مدرب سابقاً؟".

أوما أون موافقاً وقال: "هل تتذكر السارق الذي لم يُلقَ القبض عليه قط، راسكول باكست؟".

هزّ هاري رأسه.

قال أون: "عجري. سرت إشاعات عن هذا الشخص الغامض لسنوات عدّة. كان يُفترض أنه العقل المدبّر خلف كل السرقات الكبيرة للشاحنات

الأمنية والمراكز المالية في أوصلو في الثمانينيات. استغرق الأمر من الشرطة سنوات عدّة لقبول حقيقة أنه موجود فعلاً ولم يستطيعوا حتى بعد ذلك تقديم أي دليل ضده".

قال هاري: "أتذكر الأمر على نحو مبهم الآن. لكنني ظننت أنه قد اعتُقل".

"خطأ. أقرب ما توصلوا إليه هو القبض على سارقين تعهدوا بتقديم دليل ضد راسكول، لكنهما اختفيا في ظروف غامضة".

قال هاري، وهو يخرج علبة لفائف التبغ: "ليس غريباً".

"هذا غريب حين يكونان في السجن".

أطلق هاري صفيراً خافتاً وقال: "لا أزال أظن أن المطاف انتهى به هناك".

قال أون: "ذلك صحيح، لكنه لم يُعتقل. سلّم راسكول نفسه. ظهر يوماً ما في مكتب استقبال قيادة الشرطة، وقال إنه يريد الاعتراف بمجموعة من سرقات المصارف القديمة. أثار ذلك بالطبع فوضى عارمة. لم يفهم أحد شيئاً، ورفض راسكول الإفصاح عن السبب الذي جعله يسلم نفسه. قبل أن تصل القضية إلى المحكمة، اتصلوا بي للتوثق من سلامته العقلية وأن اعترافاته صحيحة. وافق راسكول على التحدث إليّ بشرطين: الأول، أن نلعب مباراة شطرنج... لا تسألني كيف عرف أنني لاعب بارع. والثاني، أن أصطحب معي كتاب فن الحرب المترجم إلى اللغة الفرنسية، وهو كتاب صيني قديم عن الاستراتيجية العسكرية".

فتح أون علبة من سيجار نوبل بوتيت.

"أرسل الكتاب من باريس إليّ وأخذت مجموعة أحجار شطرنج معي. دخلت زنزانتة وحييت رجلاً يشبه في مظهره الخارجي ناسكاً. سألت إن كان بمقدوره استعارة قلبي، قلب صفحات الكتاب وأشار بحركة من يده إلى أنه بمقدوري تجهيز الرقعة. وضعت الأحجار في مكانها ونقلت النقلة الأولى المعروفة في لعبة الشطرنج باسم ريتي: لا تهاجم خصمك حتى تسيطر على الوسط، وهي فعّالة غالباً ضد لاعبين متوسطي القدرات. كان مستحيلاً معرفة أن ذلك ما أفكر فيه من حركة واحدة، لكن ذلك الغجري حدّق من فوق الكتاب إلى الرقعة، داعب لحيته القصيرة، ونظر إليّ بابتسامة العارف، ثم سجل ملحوظة في الكتاب...".

خرجت شعلة من ولاعة فضية عند طرف السيجار.

"... وتابع القراءة. لهذا قلت: ألن تقوم بخطوة؟ شاهدت يده تخربش

بقلمي حين أجاب: لا أحتاج إلى ذلك. أنا أكتب كيف ستنتهي اللعبة، حركة بحركة. ستطرحُ الشاه أرضاً. شرحت أنه من المستحيل عليه معرفة كيف ستتطور اللعبة بعد حركة واحدة فقط. قال: هل نراهن على ذلك؟ حاولت أن أضحك، لكنه أصرّ. وهكذا وافقت على الرهان بمئة لأجعل مزاجه طيباً من أجل مقابلي. طلب أن يرى الورقة النقدية فوضعتها بجانب الرقعة حيث يستطيع مشاهدتها. رفع يده كأنه يريد تحريك حجر، ثم حدث الأمر بسرعة كبيرة".

"شطرنج سريع؟".

ابتسم أون ونفخ، مستغرقاً في أفكاره، وحلقة من الدخان اندفعت نحو السقف، وقال: "في اللحظة التالية، أمسكني بقبضة محكمة ودفع رأسي إلى الخلف على نحو جعلني أنظر إلى السقف، وسمعت صوتاً يهمس في أذني: هل تشعر بالنصل أيها الغادجو (غير غجري)؟ بالطبع كنت أشعر بالفولاذ الحاد الرفيع مثل الشفرة يضغط على حنجرتي، مستعداً لاختراق جلدي. هل اختبرت ذلك الشعور من قبل يا هاري؟".

بحث دماغ هاري بسرعة في سجل التجارب ذات الصلة، لكنه فشل في العثور على شيء مماثل تماماً. هزّ رأسه.

"يبدو الأمر - وأقتبس هذا عن عدد من مرضاي - مروّعاً. كنت خائفاً جداً وعلى وشك التبول في سروالي. ثم همس في أذني: اطرح الشاه أرضاً يا أون. خفف قبضته قليلاً فاستطعت رفع ذراعي وجعلت حجارتني تتطاير من مكانها. ثم تركني بالسرعة نفسها. عاد إلى جانبه من الطاولة وانتظر أن أقف على قدمي وأستعيد السيطرة على تنفسي. تأوهت: ماذا كان ذلك؟ أجاب: كانت تلك سرقة مصرف. أولاً الخطة ثم التنفيذ. أراني بعدها ما كان قد خطّه في الكتاب. كل ما استطعت رؤيته هو حركتي الوحيدة واستسلام الشاه الأبيض. سأل: هل يجيب ذلك عن أسئلتك يا أون؟".

"ماذا قلت؟".

"لا شيء. صرخت للحارس أن يأتي. بأي حال، قبل أن يصل، طرحت على راسكول سؤالاً واحداً أخيراً كنت أعرف أنني سأجن من التفكير فيه إذا لم أحصل على جواب آنذاك. قلت: هل كنت ستفعل ذلك؟ هل كنت ستحزّ عنقي إذا لم أستسلم؟ فقط لتفوز برهان سخيف؟".

"وماذا أجاب؟".

"ابتسم وسأل إن كنت أعرف التدريب السابق؟".

"نعم؟".

"كان ذلك كل شيء. فُتِحَ الباب وغادرت".

"لكن ما الذي كان يعنيه بالتدريب السابق؟".

دفع أون فنجانهِ بعيداً وقال: "يمكنك تدريب دماغك سلفاً على اتباع نمط معين من السلوك. سيسيطر الدماغ على ردود الأفعال الأخرى ويعمل وفقاً للقواعد المحددة سلفاً، مهما تكن. هذا مفيد في مواقف يكون فيها رد فعل الدماغ الطبيعي هو الفزع، كما يحدث حين لا تفتح المظلة، ثم نأمل أن يكون لدى المظليين إجراءات طوارئ تدرّبوا عليها سلفاً".

"أو جنود يقاتلون".

"بالتحديد. هناك بأي حال طرائق لتدريب البشر إلى درجة أنهم

يصابون بنوعٍ من الغشاوة، ولا يتأثرون حتى بعوامل خارجية متطرفة،

فيصبحون آليين أحياء. في الحقيقة، إن هذا حلم كل جنرال، وهو سهل

على نحو مخيف، إذا كنت تعرف التقنيات الضرورية؟!".

"هل تتكلم عن التنويم المغناطيسي؟".

"أحب أن أدعوه تدريباً سابقاً، هذا أقل إرباكاً. إنها مسألة فتح

وإغلاق مسالك لردود الأفعال. إذا كنت ذكياً، يمكنك تدريب نفسك سلفاً

بسهولة، أو ما يدعى التنويم المغناطيسي الذاتي. لو أن راسكول درّب نفسه

سلفاً على قتلي إذا لم أذعن لمطلبه، كان سيمنع نفسه من تغيير رأيه".

"لكنه لم يقتلك".

"في كل البرامج مفتاح نجاة، أو كلمة سرّ تُخرجك من حالة الذهول.

في تلك الحال، ربما كانت إسقاط الشاه الأبيض أرضاً".

"مم! مدهش".

"والآن، أصل إلى ما أقصده...".

قال هاري: "أظن أنني أعرفه. ربما كان سارق المصرف قد درّب نفسه

سلفاً على إطلاق النار إذا لم يلتزم مدير الفرع بالزمن".

قال أون، وهو يلقي السيجار في الفئجان ويضع الصحن فوقه: "يجب

أن تكون قواعد التدريب السابق بسيطة. من أجل أن تدخل في حالة

ذهول، يجب أن تكون تلك القواعد نظاماً مغلقاً صغيراً ولكنه منطقي

يرفض أفكاراً أخرى".

وضع هاري ورقة خمسين كرون بجانب فنجان القهوة ونهض. راقب

أون بصمت حين كان هاري يجمع كل الصور قبل أن يقول: "أنت لا

تصدّق كلمة مما قلته، أليس كذلك؟".

"لا".

نهض أون وأغلق أزرار سترته فوق بطنه. "إذًا، ماذا تصدّق؟".
قال هاري: "أصدّق ما كانت التجربة قد علّمتني إياه؛ أن الأوغاد
عموماً أغبياء مثلي، يتبنون خيارات سهلة ولديهم دوافع غير معقّدة.
باختصار، تبدو تلك الأشياء على حقيقتها. سأراهن أن هذا السارق إما فقد
صوابه أو أُصيب بالذعر. لم يكن ما فعله منطقيًا، وأستنتج من ذلك أنه
غبي. فكّر مثلاً في الغجري الذي تعدّه ذكيًا جدًّا. كم بقي في السجن
ليهاجمك بسكين؟".

قال أون بابتسامة ساخرة: "لا شيء".
"ماذا؟".

"لم يعثروا على سكين قط".
"ظننت أنك قلت إنه هاجمك في زنزانته".
"هل كنت مرة مستقلقيًا على بطنك على الشاطئ وأخبرك أصدقاؤك ألا
تتحرك قيد أمانة لأنهم يحملون جمرات فوق مؤخرتك؟ ثم سمعت شخصاً
يشهق وفي الثانية التالية شعرت بالجمرات تحرق مؤخرتك؟".
عصف ذهن هاري بذكريات عطلاته. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً.
"لا".

"وتبين أنها خدعة، ومجرد مكعبات ثلج؟".
"و؟".

تنهّد أون قائلاً: "أتساءل أحياناً كيف أمضيت الخمس والثلاثين سنة
التي عشتها يا هاري".
مرّر هاري يده على وجهه من التعب وقال: "لا بأس يا أون، ما
قصّدك؟".

"قصدي أن مخادعاً جيداً يمكن أن يجعلك تصدّق أن طرف ورقة مئة
كرون هي طرف سكين".

نظرت الشقراء إلى عيني هاري مباشرة ووعده بطقسٍ مشمسٍ مع
بعض الغيوم القليلة خلال النهار. ضغط هاري زر الإيقاف وتقلّصت الصورة
إلى نقطة مضيئة صغيرة في وسط شاشة بحجم 14 بوصة. عندما أغمض
عيني، بأي حال، كانت صورة شتاين غريت هي التي بقيت معلّقة في
مخيّلته، وسمع صدى صوت المراسل. "... ليس لدى الشرطة مشتبه فيهم في
القضية حتى الآن".

فتح عينيّه مجدداً وأمعن النظر في الانعكاس على الشاشة السوداء.

هو، الكرسي الأخضر القديم من إيفاتور وطاولة القهوة التي وُضعت عليها كأس وقارورة: كل شيء على حاله. كان التلفاز المحمول يجثم على الرف بين دليل لوني بلانيت عن تايلاند ومُصوّر طرقات نرويجي موجود منذ قديم للعيش هناك، ولم يكن قد تحرك متراً واحداً منذ سنوات عديدة. كان قد قرأ عن تقويم السنة السابعة وكيف يبدأ الناس عادة البحث عن مكان جديد يعيشون فيه، أو عمل جديد، أو شريك جديد. لم يكن قد لاحظ شيئاً، وهو يعمل في الوظيفة نفسها منذ نحو عشر سنوات. نظر هاري إلى ساعته. إنها الثامنة، كما قالت أنا.

في ما يتعلّق بالشركاء، لم تكن علاقاته قد دامت وقتاً كافياً حتى يختبر تلك النظرية. إلى جانب الاثنتين اللتين استمرتاً وقتاً طويلاً، كانت علاقات هاري العاطفية قد انتهت بسبب ما دعاه تقويم الأسبوع السادس. لم يكن يعرف إن كان تردّده في الماضي قدماً مرتبطاً بحدوث مأس في المناسبتين اللتين أحب فيهما امرأة، أم أن الشئيين اللذين يحبهما حباً جماً - التحقيق في الجرائم والشراب - يجب أن يتحملا اللوم؟ بأي حال، قبل أن يلتقي راكيل منذ سنتين، كان قد بدأ يميل نحو وجهة النظر التي تفيد بأنه ليس مؤهلاً لعلاقات طويلة الأمد. فكّر في غرفة نومها الكبيرة الباردة في هولمكولن، والأصوات الغريبة التي أصدرها على طاولة الإفطار، ورسمه أوليغ على باب الثلاثة: حيث رسم ثلاثة أشخاص يمسكون أيدي بعضهم بعضاً، أحدهم ضخم، وباسقٍ مثل الشمس الصفراء في السماء الزرقاء الصافية، ومكتوب تحته هاري.

نهض هاري عن الكرسي، عثر على قصاصة الورق التي تحمل رقم هاتفها بجانب المجيب الآلي وضغط على أزرار هاتفه الخليوي. رنّ الهاتف أربع مرات قبل أن يسمع رداً من الطرف الآخر.

"مرحباً هاري."

"مرحباً. كيف عرفت أنه أنا؟"

ضحكت ضحكة خافتة وعميقة ثمّ قالت: "أين كنت في السنوات

الأخيرة يا هاري؟"

"هنا، وهناك. لماذا؟ هل قلت شيئاً غيباً مجدداً؟"

ضحكت بصوت أعلى.

"آه! يمكنك رؤية رقمي على الشاشة. يا لغبائي."

استطاع هاري سماع كم يبدو ضعيفاً، لكن ذلك لم يكن مهماً. كان أهم شيء أن يقول ما لديه ويُنهي الحديث. نهاية القصة. "اسمعي يا أنا،

بشأن موعدنا هذا المساء...".
"لا تكن سخيّاً يا هاري!".
"سخيّاً؟".

"أنا بصدّد تحضير وجبة الألفية المنكّهة بالكاري. وإذا كنت خائفاً من قيامي بإغوائك، فستصاب بخيبة أمل. أظنّ فحسب أننا ندين لبعضنا بعضاً بساعتين على العشاء لتتبادل أطراف الحديث، وتذكر الأيام الخوالي، ونوضّح بعض سوء الفهم، أو ربما لا. قد نضحك. هل تتذكر الفلفل الحار؟".
"حسناً نعم".

"رائع. إذّا، عند الثامنة تماماً، اتفقنا؟".
"حسناً...".

"جيد".

أنهى هاري الاتصال ووقف يحدّق إلى الهاتف.

جلال أباد

قال هاري، وهو يضغط بقوة أكبر على فولاذ البندقية البارد: "سأقتلك قريباً. أريد فقط أن تعرف ذلك سلفاً، وأن تفكر فيه أيها الثرثار!".
كان هاري يتكلم إلى دمي شمعية: جامدة، لا روح فيها، ومجردة من أي صفة إنسانية. كان هاري يتصبّب عرقاً خلف القناع آنذاك والعروق تنبض في صدغيه، وكل نبضة تترك أماً مبرحاً. لم يكن يرغب في رؤية أشخاص حوله، أو النظر إلى عيونهم الاتهامية.
قال للشخص المجهول أمامه: "ضع المال في حقيبة، وضع الحقيبة فوق رأسك".

بدأ المجهول يضحك، وأدار هاري البندقية ليضربه على رأسه بالأخمص، لكنه أخطأه. بدأ الآخرون في المصرف يضحكون آنذاك وراقبهم هاري عبر الثقبين غير المنتظمين في القناع. بدوا فجأة مألوفين. كانت الفتاة إلى النضد الثاني تشبه بيرجيتا، وسيقسم إن الرجل الأسمر هو أندرو. والسيدة بيضاء الشعر مع عربة الأطفال...
همس: "أمي".

قال المجهول: "هل تريد المال أم لا؟ أمامك خمس وعشرون ثانية".
جأر هاري وهو يوجّه فوهة البندقية نحو فمه الأسود المفتوح: "أنا من يقرّر كم سيطول هذا الأمر! إنه أنت. كنت أعرف ذلك طوال الوقت. ستموت بعد ست ثوانٍ. يجب أن تخاف على حياتك!".
تدلّت سن على خيط من اللثة وسال الدم من فم الرجل المجهول، لكنه تكلم كأنه لا يبالي بذلك: لا يمكنني تبرير تخصيص وقت وإنفاق موارد بناءً على اعتبارات ومشاعر شخصية. صدح رنين هاتف في مكان ما.
"يجب أن تخاف على حياتك! يجب أن تخاف على حياتك كما خافت!".

"لا تدع ذلك يصبح فكرة راسخة يا هاري". شعر هاري بالفم يمضغ فوهة البندقية.

"كانت زميلة، أيها الوغد! كانت أفضل...". علق القناع بفم هاري ممّا جعل من الصعب عليه أن يتنفس. لكن صوت المجهول بقي يصدح بالرغم من ذلك: "انس أمرها".

"... أصدقائي". ضغط هاري على الزناد. لم يحدث شيء. فتح عينيه.
كانت أول فكرة خطرت لهاري أنه قد غفا. كان يجلس على الكرسي

الأخضر نفسه ينظر إلى شاشة التلفاز السوداء. كان المعطف جديداً، ينسدل فوقه، يغطي نصف وجهه؛ واستطاع تذوق المادة الرطبة في فمه. وغمر ضوء النهار الغرفة. شعر بعد ذلك بالمطرقة الثقيلة، التي ضربت عصباً خلف عينيه، مراراً وتكراراً، بدقة ومن دون رحمة. كانت النتيجة أماً مبرحاً ومألوفاً في الوقت نفسه. حاول إعادة الشريط. هل انتهى الأمر به في شرودر؟ هل بدأ يشرب في منزل آنا؟ لكن الأمر كان كما يخشى: كان فراغاً. تذكر جلوسه في غرفة المعيشة بعد الحديث إلى آنا عبر الهاتف، لكن بعد ذلك كان خواء. انحنى هاري فوق مسند الكرسي وسمع القيء يتناثر على الأرضية الخشبية. تأوه، ثم أغمض عينيه، وحاول صمّ أذنيه عن الهاتف الذي يرن ويرن. عندما قاطعه المجيب الآلي، استغرق في النوم. بدا الأمر كأن أحداً قد اقتطع أجزاءً من وقته، وتخلص من تلك القصاصات. استيقظ هاري مجدداً، لكنه أخر فتح عينيه ليكتشف إن كان هناك تحسّن. لا شيء يمكن أن يلاحظه. كانت الفوارق الوحيدة أن المطارق الثقيلة تدق الآن فوق منطقة أوسع، ورائحته كريهة بسبب القيء وعرف أنه لن يستطيع الخلود إلى النوم مجدداً. عدّ حتى ثلاثة، ثم نهض، ومشى متثاقلاً ثماني خطوات إلى الحمام، طأطأ رأسه حتى ركبتيه وتقيأ. وقف يتمسك بكرسيّ المرحاض ويكافح لاستعادة أنفاسه. ولاندهاشه، رأى أن المادة الصفراء التي تسيل على المرحاض الأبيض تضم قطعاً حمراء وخضراء صغيرة جداً. استطاع إمساك إحدى القطع الحمراء بين سبابته وإبهامه، ووضعها تحت ماء الصنبور حيث غسلها ورفعها أمام الضوء. وضعها بعد ذلك بحرص بين أسنانه ومضغها. تغصّن وجهه حين تذوق عصارة الفلفل الحارّة. غسل وجهه وشدّ قامته، ورأى العين السوداء الكبيرة في المرآة. وخز الضوء في غرفة المعيشة عينيه حين استمع إلى الرسالة على المجيب الآلي. "أنا بتي لون. أمل أنني لا أزعجك، لكن إيفارسون قال إنني يجب أن أتصل بالجميع فوراً. وقعت سرقة مصرف أخرى. مصرف دن نورسك في كيركفين، بين متنزه فروغنز وتقاطع ماجورستون".

الضباب

كانت الشمس قد اختفت خلف طبقة من سحبٍ رمادية داكنة انتشرت على ارتفاع منخفض جداً فوق فيورد أوصلو البحري، والرياح الجنوبية تعصف بقوة كبيرة؛ كأنها تمهد الطريق لمطرٍ متوقع. صفت مزاريب السطوح وخفقت ظلل النوافذ في كل أنحاء كيركفين. كانت الأشجار عارية تماماً آنذاك، وبدا المنظر كأن الألوان الأخيرة قد اختفت من المدينة فأصبحت أوصلو بالأبيض والأسود. انحنى هاري في الرياح ووضع يديه في جيبه وتمسك بمعطفه. لاحظ أن الزر السفلي قد اختفى، على الأرجح في المساء أو الليل، ولم يكن الشيء الوحيد المفقود. عندما أراد الاتصال بآنا لمساعدته قليلاً على تذكّر ما حدث تلك الليلة، اكتشف أنه قد أضع هاتفه الخلوي أيضاً. وعندما اتصل بها من هاتف ثابت، سمع صوتاً ذكره على نحو مبهم بمذيع من الماضي. قال إن الشخص الذي يحاول الاتصال به ليس موجوداً في ذلك الوقت، لكن بمقدوره ترك رقمه أو رسالة، ولكنه لم يزج نفسه بذلك.

تحسّنت حال هاري بسرعة واكتشف أن مقاومة الرغبة في شرب المزيد، وقطع المسافة القصيرة جداً إلى فينمونوبولت أو شرودر، أمران سهلان جداً على نحو مفاجئ. بدلاً من ذلك، استحم، وارتدى ثيابه، ومشى من بوابة صوفي متجاوزاً استاد بيسلت إلى بيلستردت، وستنسبارك وعبر ماجورستون. تساءل عمّا كان قد شربه. في غياب آلام بطن تنجم عادة عن شراب جيم بيم، أُصيب بحالة ذهول غلّفت كل أحاسيسه، ولم تستطع حتى هبات منعشة من الرياح أن تنتشله منها.

كانت سيارتا دورية شرطة تحملان أضواء زرقاء دوّارة تقفان خارج فرع مصرف دن نورسك. أظهر هاري هويته لأحد الضباط الذين يرتدون زياً رسمياً، ثم انحنى تحت شريط الشرطة الحاجز وذهب إلى المدخل حيث كان ويير يتحدث إلى أحد رجاله من الطب الشرعي. قال ويير: "أهلاً بك هذا الأصيل أيها المفتش"، مشدداً على كلمة أصيل. رفع حاجبه حين رأى كدمة حول عين هاري وسأله: "هل بدأت صاحبة البيت تضربك؟".

لم يكن هاري حاضر البديهة ليرد بسرعة، لهذا أخرج لفافة تبغ من العلبة بدلاً من ذلك: "إذاً، ماذا لدينا هنا؟".

"رجل مقنّع مع أیه. جي. 3".

"وقد طار العصفور؟".

"حلّق بعيداً".

"هل تحدّث أحدٌ إلى الشهود؟".

"نعم، بالفعل. لي ولي مشغولان في مقر قيادة الشرطة".

"أي تفاصيل عمّا حدث؟".

"منح السارق مديرة الفرع خمساً وعشرين ثانية لفتح جهاز الصراف

الآلي حين كان يوجّه البندقية إلى رأس إحدى النساء خلف النضد".

"وجعلها تتكلم عنه؟".

"نعم. وعندما دخل المصرف، قال الكلمات الإنكليزية نفسها".

قال أحدهم خلفهما: "هذه سرقة بقوة السلاح. لا أحد يتحرك!"، ثم

أصدر ضحكة قصيرة متقطّعة وقال: "لطيف أنك استطعت المجيء يا هول.

يا الله، هل انزلت في الحمام؟".

أشعل هاري لفافة التبغ بإحدى يديه ومزّر العلبة إلى إيفارسون، الذي

هزّ رأسه قائلاً: "عادة سيئة يا هول".

"أنت محق"، وضع هاري علبة التبغ في جيبه الداخلي وتابع قائلاً:

"يجب ألاّ تعرض لفائف التبغ على أحد قط، وأن تفترض أن سيّداً نبيلاً

يشترى التبغ بنفسه. بنجامين فرانكلين".

قال إيفارسون متجاهلاً ابتسامة ويبر: "حقاً؟ أنت مثقف جداً يا هول.

ربما تعرف أن سارق المصرف قد ضرب مجدداً؛ تماماً كما قلنا إنه

سيفعل؟".

"كيف تعرف أنه هو؟".

"كما سمعت على الأرجح، إنها نسخة طبق الأصل عن سرقة نوردي في

بوغستادفين".

قال هاري، وهو يأخذ نفساً عميقاً: "أوه؟ أين الجثة؟".

نظر هاري وإيفارسون إلى عيني بعضهما. لمعت أسنان الزاحف، وتدخل

ويبر: "كانت مديرة الفرع سريعة. أفرغت جهاز الصراف الآلي من النقود في

ثلاث وعشرين ثانية".

قال إيفارسون: "لا ضحايا في الجريمة. هل خاب أملك؟".

قال هاري، وهو يطلق الدخان من منخريه: "لا". بدّدت عصفه ريح

الدخان، لكن الارتباك في ذهنه لم يختفِ.

أبعد هالفورسن نظره عن سيلفيا (آلة القهوة) حين فُتح الباب.

قال هاري وهو يرمي بنفسه على كرسي مكتبه: "هل يمكنك تحضير

إسبرسو غنية بالطاقة بسرعة من أجلي؟".

قال هالفورسن: "صباح الخير لك أيضاً. تبدو في حالٍ مزرية".

وضع هاري وجهه بين يديه: "لا أتذكر شيئاً البتة عما حدث ليلة أمس. ليست لدي أدنى فكرة عما كنت أشربه، لكنني لن أدع قطرة تتجاوز شفتي أبداً مجدداً".

نظر من بين أصابعه ورأى جبين زميله يتجهّم قلقاً.

"استرخ يا هالفورسن، كانت إحدى تلك الأشياء فحسب. أنا صاحٍ مثل هذا المكتب الآن".

"ماذا حدث؟".

أطلق هاري ضحكة جوفاء وقال: "تشير محتويات المعدة إلى أنني

تناولت العشاء مع صديقة قديمة. لقد اتصلت مرات عدّة للتوثق من ذلك، لكنها لم ترد".

"امرأة؟".

"نعم، امرأة".

قال هالفورسن بحذر: "إذاً، لست شرطياً ذكياً جداً، أليس كذلك؟".

دمدم هاري: "ركّز أنت على القهوة. حبيبة قديمة، كان ذلك كل شيء. لقاء بريء تماماً".

"كيف تعرف إذا كنت لا تتذكر شيئاً؟".

حكّ هاري راحة كفه على ذقنه غير الحليق، وفكّر في ما كان أون

قد قاله عن إن الممنوعات تُظهر ببساطة نزعات كامنة. لم يكن يعرف إن كان يعدُّ ذلك مطمئناً، فقد بدأت تفاصيل معزولة تظهر؛ فستان أسود.

كانت أنا ترتدي فستاناً أسود. وكان هو يستلقي على السلام، وساعدته امرأة على الوقوف؛ وجهها مبهم، مثل إحدى لوحات أنا.

قال هاري: "أعاني دائماً فقدانَ ذاكرة مؤقتاً. هذا ليس أسوأ مما

يحدث مع أي شخص آخر".

"وعينك؟".

"ربما ارتطمت بخزانة مطبخ حين عدت إلى المنزل أو شيء من هذا

القبيل".

"لا أريد أن أجعلك تقلق يا هاري، لكن يبدو أنه شيء أكثر خطورة

من خزانة مطبخ".

قال هاري ممسكاً كوب القهوة بكلتا يديه: "حسناً، هل أبدو منزعجاً؟

خضت شجارات عدّة حين كنت ثملاً، وكانت مع أشخاص لم أحبهم وأنا

صاح أيضاً".

"رسالة من مولر، بالمناسبة. طلب مني إخبارك أن الأمر قد تم، لكنه لم يوضح ماهيته".

حرك هاري الإسبرسو في فمه قبل أن يبتلعه ثم قال: "ستعرف ذلك يا هالفورسن، ستعرفه".

نوقشت سرقة المصرف بالتفصيل في الاجتماع اليومي لفريق التحقيق في مقر قيادة الشرطة ذلك الأصيل. أبلغهم ديريك غدموندسن أن ثلاث دقائق انقضت من لحظة إطلاق الإنذار حتى وصول عناصر الشرطة، لكن بحلول ذلك الوقت كان السارق قد هرب من مسرح الجريمة. إضافة إلى قيام سيارات الدورية بإغلاق الشوارع القريبة مباشرة، كانوا في الدقائق العشر اللاحقة قد كُونوا طوقاً خارجياً يغطي طرقات المواصلات الرئيسة: إي 18 بجانب فورنبو، والدائري 3 بجانب مستشفى أولفال، وتروندهايمسفين بجانب مستشفى أكر، وغرينيفين فوق باروم، والتقاطع بجانب كارل برنرز بلاس. "أتمنى لو كان بمقدورنا تسمية هذا طوقاً حديدياً، لكنكم تعرفون كيف تجري الأمور مع الموظفين هذه الأيام".

كانت توريل لي قد استجوبت شاهداً قال إنه رأى رجلاً مقنّعاً يقفز إلى مقعد الراكب في سيارة أوبل أسكونا بيضاء كانت تنتظره في ماجورستوفين. كانت السيارة قد انعطفت فجأة يساراً عند بوابة جاكوب ألاس. ذكر ماغنوس راين أن شاهداً آخر قد رأى سيارة بيضاء، ربما أوبل، تدخل مرأباً في فينדרن خرجت منه فولفو زرقاء بعد ذلك مباشرة. أمعن إيفارسون النظر إلى الخريطة المعلقة على لوح أبيض.

"لا يبدو هذا غريباً. أصدر نشرة بحث عن فولفو زرقاء أيضاً يا أولاف. ويير؟".

قال ويير: "ألياف نسيجية. اثنتان خلف النضد الذي قفز من فوقه وواحدة بجانب الباب".

"رائع!"; رفع إيفارسون قبضته في الهواء، ومشى مزهواً حول الطاولة خلفهم، وهو أمرٌ عدّه هاري مزعجاً جداً، ثم تابع كلامه: "إذاً، كل ما علينا فعله هو العثور على بعض المرشحين. سنعرض فيديو عملية السطو على الإنترنت عندما تنتهي بتي من التحرير".

سأل هاري، وهو يدفع كرسيه إلى الجدار ليمنع مرور إيفارسون: "هل تلك خطوة حكيمة؟".

نظر رئيس وحدة السرقات إليه مندهشاً وقال: "حكيمة؟ لن نعارض

بالتأكيد أن يتصل شخص بنا ليزودنا باسم الشخص الظاهر في الفيديو".
قاطعها أولاً: "هل تتذكر حين اتصلت أمّ لتقول إنها قد رأت ابنها في
فيديو عملية سطو على الإنترنت؟ وتبين أنه كان مسجوناً آنذاك بسبب
سرقة أخرى؟".

صدرت ضحكات عالية وابتسم إيفارسون قائلاً: "لا نرفض أبداً شهوداً
جداً يا هول".

"أو مقلّدين جداً؟". وضع هاري يديه خلف رأسه.

"محاكي؟ أدلي بدلوك الآن يا هول".

"همم. إذا كنت سأسرق مصرفاً اليوم، فسأقلّد بالتأكيد سارق المصارف
الأكثر شهرة في النرويج في هذا الوقت وأحوّل الشبهة نحوه. كانت كل
التفاصيل عن سرقة بوغستادفين متوافرة على شبكة الإنترنت".

هزّ إيفارسون رأسه قائلاً: "أخشى أن سارق المصارف العادي هذه الأيام
ليس محنكاً إلى هذا الحدّ يا هول. هل يود شخص آخر أن يشرح لشعبة
الجريمة ما العلامة النموذجية المميزة لشخص يسرق باستمرار؟ لا؟ حسناً،
إنه دائماً - بدقة بالغة - يكرّر ما فعله في المناسبة الناجحة السابقة. يغيّر
أسلوبه فقط عندما يفشل... إذا لم يحصل على المال أو يُلقى القبض عليه".
قال هاري: "ذلك يدعم نظريتك، لكنه لا يُلغي نظريتي".

ألقي إيفارسون نظرة يائسة حول الطاولة؛ كأنه يرجو المساعدة، ثم
قال: "حسناً يا هول. ستحظى بفرصة اختبار نظرياتك. في الواقع، لقد قرّرت
تجريب طريقة جديدة، جوهرها هو أن مجموعة صغيرة ستعمل على نحو
مستقل عن فريق التحقيق، لكن بالتوازي معه. نشأت الفكرة من مكتب
التحقيقات الاتحادي، والهدف تفادي الوصول إلى طريق مسدودة، ووجود
وجهة نظر واحدة فقط في القضية، وهو ما يحدث غالباً مع مجموعات
كبيرة من الضباط حين يتكوّن، بوعي أو بخلاف ذلك، رأي عام بشأن
النقاط الرئيسية في تحقيق ما. يمكن للمجموعة الصغيرة أن تقدم فكرة
جديدة وحيوية؛ لأن أفرادها يعملون منفصلين ولا يتأثرون بالمجموعة
الأخرى. كانت هذه الطريقة قد أثبتت فاعليتها في قضايا صعبة. أنا واثق
أن معظمنا هنا سيتفوقون على أن هاري هول يتمتع بمؤهلات طبيعية
ليكون عضواً في مثل هذه المجموعة".

صدرت ضحكات خافتة متفرّقة، وتوقف إيفارسون خلف كرسي بتي

ووجه الحديث إليها: "بتي، ستنضمين إلى هاري".

وهنا، تورّدت بتي خجلاً، فما كان من إيفارسون إلا أن وضع يداً

أبوية على كتفها قائلاً: "إذا لم ينجح الأمر، فكل ما عليك فعله هو قول ذلك".

قال هاري: "سأفعل".

كان هاري على وشك أن يفتح الباب الأمامي للمبنى الذي تقع فيه شقته حين غيّر رأيه ومشى عائداً عشرة أمتار إلى متجر البقالة الصغير، حيث كان علي يحمل صناديق من الفاكهة والخضار من الرصيف. "مرحباً هاري! هل أنت أفضل الآن". ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه علي وأغمض هاري عينيه هنيهة؛ كان ذلك ما يخشاه. "هل ساعدتني أمس يا علي؟".

"على الصعود على السلام فحسب. عندما فتحنا بابك، قلت إن بمقدورك تدبّر الأمر".

"كيف وصلت إلى المنزل؟ سيراً أم...؟".

"سيارة أجرة. تدين لي مئة وعشرين".

تأوه هاري وتبع علياً إلى المتجر وقال: "أعتذر يا علي. حقاً. هل يمكنك أن تعطيني فكرة موجزة، من دون كثيرٍ من التفاصيل المحرجة؟". "كنت والسائق تتجادلان في الشارع، وغرف نومنا تواجه الطريق"، أضاف بابتسامة جذابة: "وجود النافذة هناك شيء شنيع". "ومتى كان ذلك؟".

"منتصف الليل".

"تستيقظ عند الخامسة يا علي. لا أعرف ما يعنيه أشخاص مثلك

بمنتصف الليل".

"الحادية عشرة والنصف، على الأقل".

وعد هاري نفسه أن ذلك لن يحدث مجدداً، وظل علي يومئ بالطريقة التي يتصرف بها الناس حين يستمعون إلى قصصٍ يحفظونها عن ظهر قلب. سأل هاري علياً كيف يستطيع شكره، فردّ عليه أن هاري يستطيع تأجيله غرفته في القبو التي لا يستخدمها. قال هاري إنه سيمعن التفكير في الأمر ودفع إلى علي مال سيارة الأجرة، وثمان قارورة كولا، وكيس باستا وكرات لحم.

قال هاري: "إذاً، صفينا الحساب"، فهزّ علي رأسه إيجاباً.

"طلب رئيس لجنة البناء، والخازن والسيد إصلاح الرسوم الفصلية.

"آه تبا، لقد نسيت".

"إريكسن". ابتسم علي.

"من؟".

"شخص تلقيت منه رسالة الصيف الماضي، وقد طلب مني إرسال رقم الحساب حتى يستطيع دفع الرسوم عن شهري أيار وحزيران 1972. قال إن ذلك هو السبب الذي جعله لا ينعم بنوم هادئ طوال الثلاثين سنة الماضية. كتبت إليه قائلاً إن لا أحد في البناء يتذكره، لهذا، لا حاجة إلى أن يدفع". أشار علي بإصبع إلى هاري: "لكنني لن أفعل ذلك معك". رفع هاري كلتا ذراعيه مستسلماً: "سأحوّل المال غداً". كان أول شيء فعله هاري حين أصبح في شقته هو الاتصال برقم أنا مجدداً. المريب الآلي نفسه كما في المرة الماضية. لكنه كان قد أفرغ للتو كيس الباستا وكرات اللحم في المقلاة حين سمع رنين الهاتف بالرغم من الطشيش، فأسرع إلى الردهة ورفع السماعة بسرعة. صرخ: "مرحباً!".

قال الصوت النسائي المألوف على الطرف الآخر، مشدوهاً نوعاً ما: "مرحباً".

"آه، إنه أنت".

"نعم، من كنت تظن؟".

أطبق هاري جفنيه على عينيه بقوة وقال: "العمل، لقد وقعت سرقة أخرى". بدا طعم الكلمات مرّاً وحاراً، وشعر بالألم الخدر خلف عينيه. قالت راكيل: "حاولت الاتصال بك على هاتفك الخليوي". "لقد أضعته".

"أضعته؟".

"تركته في مكان ما، أو سُرقت مني. لا أعرف يا راكيل".

"هل هناك خطب يا هاري؟".

"خطب؟".

"تبدو... متوتراً جداً".

"أنا...".

"نعم؟".

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال: "كيف تجري القضية؟".

كان هاري يصغي، لكن ليس بمقدوره ترتيب الكلمات في جمل منطقية. الوضع المادي، والأفضل لأوليغ، والتحكيم، وفهم أنه لا أبناء كثيرة. كان الاجتماع التالي مع المحامين قد تأجل حتى الجمعة؛ وأوليغ بخير، لكنه سيّم العيش في فندق.

قال: "أخبريه أنني أتطلع قدماً إلى عودتكما".
عندما أنهيا المكالمة، وقف هاري يتساءل إن كان عليه أن يتصل بها مجدداً. لكن لماذا؟ ليقول لها إن حبيبة قديمة قد دعته إلى عشاء وليست لديه فكرة عما حدث؟ وضع هاري يده على الهاتف، لكن إنذار الدخان في المطبخ انطلق فجأة. وعندما أبعد المقلادة عن النار وفتح النافذة، رنَّ الهاتف مجدداً. فكّر هاري ملياً في أن أشياء كثيرة كانت ستختلف لو أن بيارني مولر لم يختار الاتصال به تلك الأمسية.
قال مولر: "أعرف أنك في عطلة، لكننا نعاني نقصاً في الموظفين وقد عُثِر على امرأة مقتولة في شقتها. يبدو أنها أطلقت النار على نفسها. هل يمكنك إلقاء نظرة؟".

"بالطبع أيها المدير، فأنا أدين لك لما حدث اليوم. بالمناسبة، عرض إيفارسون منهج التحقيق الموازي كأنه فكرته".
"ماذا كنت ستفعل إذا كنت مديراً وتلقيت مثل ذلك الأمر من الأعلى؟".

"فكرة أن أصبح مديراً تحيّر العقل. كيف أصل إلى هذه الشقة؟".
"ابق حيث أنت، سنرسل من يُقلِّك".
بعد عشرين دقيقة تردّد طنين حاد قلماً يسمعه هاري مما جعله يفزع. قال الصوت الرنّان والمشوّش عبر جهاز النداء الداخلي إن سيارة الأجرة قد وصلت، لكن هاري أحسّ أن الشعر على عنقه يقف. عندما نزل السلام ورأى السيارة الرياضية الحمراء من طراز تويوتا أم. أر. 2، أُكِّدَت شكوكه.

"مساء الخير يا هول". جاء الصوت من نافذة السيارة المفتوحة، لكنها كانت قريبة جداً من الإسفلت ولم يرَ هاري المتكلم. فتح هاري الباب، ورحّب به صوتٌ جهوري وكثيب، صوتٌ متكلّف مثل حلوى زرقاء ولكنه مصنّعة مألوفة: "أيها الوغد الوسيم!".
جلس هاري بصعوبة على المقعد الوحيد الضيق.

قال المفتش توم والر، وهو يفتح فكاً تيوتونياً - شعب سلتي قديم - ويكشف صفاً جميلاً من أسنان ناصعة البياض في منتصف وجهه الذي لفحته الشمس: "نحن الاثنان معاً الليلة". لكن العينين الزرقاوين بقيتا باردتين. كان كثيرون في مقر قيادة الشرطة لا يحبون هاري، لكن وفقاً لما يعرفه كان هناك شخص واحد فقط يكرهه فعلاً. برأي والر، عرف هاري أنه ممثل غير لائق لسلك الشرطة، ومن ثمّ يمثّل ذلك إهانة شخصية. في

مناسبات عدّة، كان هاري قد أوضح أنه لا يشاطر والر وزملاء آخرين آراءهم الفاشية المستترة عن المثليين، والشيوخيين، والذين يحتالون للحصول على منحة البطالة، والباكستانيين، والصينيين، والغجريين، وذوي الأصول الإسبانية؛ في حين أن والر، من جانبه، كان قد دعا هاري وغداً مزعجاً سكيراً. بأي حال، كان هاري يشكُّ في أن السبب الحقيقي لكرهيته هو أنه مدمن على الشراب، إذ لم يكن توم والر يتسامح مع الضعف. افترض هاري أن ذلك هو سبب تمضيته ساعات عدة في النادي الرياضي يتدرّب على الركل والملاكمة على أكياسٍ من الرمل وعدد كبير من شركاء الملاكمة الجدد. في المطعم الداخلي، كان هاري قد سمع مصادفةً أحد رجال الشرطة الشبان يصف، بإعجابٍ في صوته، كيف كسر والر كلتا ذراعي رجل يجيد الكاراتيه في عصابة فييتنامية بجانب محطة أوسلو المركزية. ونظراً إلى وجهة نظر والر بشأن لون الجلد، كانت حقيقة تمضية زميله وقتاً طويلاً في حجرة التسمير الاصطناعي مفارقة له، لكن ربما كان ما قاله أحد الرجال صحيحاً: لم يكن والر عنصرياً حقاً. كان يُسرُّ بضرب النازيين الجدد مثل السود تماماً. إضافة إلى ما كان معروفاً للجميع، كانت هناك بعض القضايا التي لا يعلم أحد عنها شيئاً، لكن بعضهم تتابهم مشاعر غامضة بشأنها بالرغم من ذلك. كانت قد انقضت أكثر من سنة آنذاك منذ العثور على سفير أولسن - الشخص الوحيد الذي كان بمقدوره إبلاغهم عن الدافع لقتل إيلين غيلتن - مستلقياً على سريه يحمل مسدساً دافئاً في يده ورصاصة من سميث آند ويسون بين عينيه.

"كن حذراً يا والر".

"عفواً؟".

مدّ هاري يده وقال: "هناك جليد الليلة".

خرخر المحرك مثل آلة خياطة، لكن الصوت كان مضللاً؛ وعندما ازدادت سرعة السيارة اختبر هاري بنفسه تصلّب ظهر المقعد. شكّاً طريقيهما على التلة بجانب ستنسبارك على طول بوابة سومز.

سأل هاري: "إلى أين ذاهبان؟".

قال والر، وهو ينعطف فجأة إلى اليسار أمام سيارة تقترب منهما: "هنا". كانت النافذة لا تزال مفتوحة واستطاع هاري سماع صوت الأوراق الرطبة على العجلات.

قال هاري: "أهلاً بعودتك إلى شعبة الجريمة. ألا يريدونك في الاستخبارات السرية؟".

قال والر: "إعادة هيكلة. إضافة إلى ذلك، أراد المشرف العام - كبير المفتشين - ومولر أن أعود. حققت بعض الإنجازات الرائعة في شعبة الجريمة، إذا كنت تتذكر".
"كيف يمكن أن أنسى؟!"

"حسناً، يسمع المرء الكثير عن تأثيرات الشراب طويلة الأمد".
كان هاري قد وضع ذراعه على لوحة القيادة قبل أن يجعله التوقف المفاجئ يرتطم بالزجاج الأمامي. فُتحت علبة القفازات بعنف وضرب شيء ثقيل ركبة هاري في طريقه إلى الأرض.
تأوه: "ماذا كان ذلك؟".

قال والر وهو يوقف المحرك عن العمل: "جيريكو 941، تستخدمه الشرطة الإسرائيلية. إنه غير مذكّر؛ اتركه في مكانه، لقد وصلنا".
سأل هاري مندهشاً: "هنا؟". وأحنى رأسه ليرى مبنى الشقق الأصفر أمامه.

شعر هاري أن قلبه يخفق بقوة، وعندما كان يبحث عن مقبض الباب، بقيت فكرة واحدة من بين كل الأفكار التي تسارعت في ذهنه: كان يجب أن يتصل براكيل.

كان الضباب كثيفاً؛ دخل إلى الأبنية من الشوارع، من الشقوق حول النوافذ المغلقة خلف الأشجار في الطرقات، خارج الباب الأزرق الذي فُتح بعد أن سمعوا صراخ والر الحاد عبر جهاز الاتصال البيني، ومن خلال ثقوب المفاتيح في الأبواب التي تجاوزها في طريقهما إلى الأعلى على السلام، وانتشر مثل غطاء قطني حول هاري. وعندما دخلا الشقة، انتاب هاري إحساس أنه يمشي على غيوم. كان كل شيء حوله - الناس، والأصوات، وخشخشة أجهزة اللاسلكي الصغيرة، والضوء من وميض آلات التصوير - قد اتخذ شكل حلم جميل، وغلافٍ فاصل عمّا يحيط بهم لأنه لم يكن، ولن يكون، حقيقياً. لكن، واقفاً أمام السرير الممددة عليه الميثة ومسدس في يدها اليمنى وثقب أسود في صدغها، وجد نفسه لا يستطيع النظر إلى الدم على الوسادة أو عينيها الجامدتين الاتهاميتين. بدلاً من ذلك، ركّز على أعلى السرير، على الحصان مقطوع الرأس، على أمل أن ينقشع الضباب قريباً ويستيقظ من الحلم.

سورجنفريغاتا

علت الأصوات ثم خفتت حوله.

"أنا المفتش والر. هل يمكن أن يزودني أحدكم بـخلاصة؟"
"وصلنا إلى هنا قبل ثلاثة أرباع الساعة. لقد عثر عليها الكهربائي".
"متى؟".

"عند الخامسة، واتصل مباشرة بالشرطة. اسمه... دعني أرى... رينيه جنسن. لدي رقم تأمينه الوطني (الضمان الصحي الوطني) هنا وعنوانه أيضاً".

"جيد. اتصل وتحقق من سجله".
"حسناً".

"رينيه جنسن؟".

"هذا أنا".

"هل يمكنك المجيء إلى هنا؟ اسمي والر. كيف دخلت؟".
"كما قلت للضابط الآخر، بهذا المفتاح الإضافي. تركته في متجر يوم الثلاثاء؛ لأنها لا تكون في المنزل حين آتي".
"لأنها كانت تعمل؟".

"لا فكرة لدي. لا أظن أن لديها وظيفة. حسناً، ليس من النوع العادي. قالت إنها تحضر لمعرض من نوع ما".
"إذاً، كانت فنانة. هل سمع أحد هنا بها؟".
"لم يلقَ إجابة عن سؤاله".
"ماذا كنت تفعل في غرفة النوم يا جنسن؟".
"أبحث عن الحمام؟".

صوت آخر: "الحمام خلف ذلك الباب".
"لا بأس. هل خطر في بالك ما يثير الشبهة حين دخلت الشقة يا جنسن؟".

"مم... ماذا تعني بشبهة؟".

"هل كان الباب موصداً؟ أي نوافذ مفتوحة؟ هل كانت هناك رائحة أو صوت معين؟ أي شيء؟".

"كان الباب موصداً، ولم أرَ نوافذ مفتوحة، لكنني لم أكن أنظر. الرائحة الوحيدة كانت لذلك المذيب".

"تربنتين (سائل من تقطير الراتنج)؟".

صوت آخر: "هناك بعض مواد الطلاء في إحدى الغرف الأكبر مساحة".
"شكراً. هل لاحظت شيئاً آخر يا جنسن؟".
"عمّ سألتني أيضاً؟".
"صوت".

"صوت، نعم! لا، لم يصدر أي صوت، لقد كان المكان صامتاً مثل قبر.
ذلك... ها ها... لم أعن...".

"لا بأس يا جنسن. هل التقيت الفقيدة من قبل؟".
"رأيتها للمرة الأولى عندما قصدتني في المتجر. بدت مرحة جداً آنذاك".
"ماذا كانت تريد منك أن تفعل؟".

"إصلاح سخّان التدفئة (تروموستاد) تحت الأرضية في الحمام".
"هل يمكن أن تسدينا معروفاً وتتحقق إن كانت هناك فعلاً مشكلة
في الأسلاك؟ انظر إن كان لديها أي أسلاك تروموستاد".
"لماذا؟ أوه! فهمت، ربما تكون قد اخترعت الأمر كله، وكان مفترضاً بنا
العثور عليها؟".

"شيء من هذا القبيل".
"نعم، حسناً، كان التروموستاد محترقاً".
"محترقاً؟".
"لا يعمل".

"كيف تعرف هذا؟"، ولكن لم يردّ على سؤاله.
"لا بدّ من أنهم أخبروك ألا تمس شيئاً يا جنسن، أليس كذلك؟".
"ننعم، لكن وصولكم استغرق وقتاً طويلاً، وقد توترت قليلاً، لهذا كان
يجب أن أجد شيئاً أفعله".

"إذاً، سخّان الفقيدة يعمل على أكمل وجه الآن؟".
"مم... ها ها... نعم".

حاول هاري أن يبتعد عن السرير، لكن قدميه لم تمتثلا لذلك. كان
الطبيب قد أغمض عيني أنا وبدت آنذاك نائمة. كان توم والر قد أرسل
الكهربائي إلى منزله وطلب منه أن يبقى مكانه في الأيام القليلة القادمة،
وقد صرف أيضاً رجال الدورية بملابسهم الرسمية الذين كانوا قد لبّوا النداء.
لم يكن هاري يظن أبداً أن ذلك الشعور سينتابه، لكنه في الحقيقة كان
سعيداً لأن والر هناك. لولا وجود زميله الخبير، ما كان ليُطرح سؤال
عقلاني واحد، أو تُتخذ قرارات منطقية.

سأل والر الطبيب إذا كان بمقدوره تزويدهما باستنتاجات مؤقتة.

"واضحٌ أن الرصاصة قد اخترقت الجمجمة، دمّرت الدماغ، وبذلك أوقفت كل وظائف الجسم الحيوية. على افتراض أن حرارة الغرفة كانت ثابتة، تشير حرارة الجثة إلى أنها قد لقيت حتفها منذ ست عشرة ساعة على الأقل. لا دلائل على استخدام العنف. لا علامات حقن أو أعراض خارجية على استخدام أدوية. بأي حال...". سكت الطبيب هنيهةً ليمنح كلماته تأثيراً أكبر، ثم أضاف: "تشير الندوب على المعصمين إلى أنها قد حاولت هذا من قبل. تخميني النظري، لكن العلمي أنها كانت مصابة باكتئاب هوسي، أو ببساطة اكتئاب انتحاري. لا أمانع أن أراهنكما أننا سنعثر على ملف طبيب نفسي عنها".

حاول هاري أن يقول شيئاً، لكن لسانه لم يمتثل أيضاً.

"سأعرف المزيد حين أقوم بإجراء فحص دقيق".

"شكراً أيها الطبيب. أي شيء تخبرنا به يا ويير؟".

"السلاح هو بريتا أم. 92 أف، وهو مسدس استثنائي. استطعنا العثور على مجموعة واحدة فقط من البصمات على أخمص المسدس، وواضحٌ أنها بصماتها. استقرت الرصاصة في أحد ألواح السرير الخشبية، والذخيرة خاصة بالسلاح؛ لهذا سيُظهر تقرير المقذوفات أنها أُطلقت من هذا المسدس. ستحصلان على تقرير كامل غداً".

"جيد يا ويير. شيء آخر. كان الباب موصداً حين وصل الكهربائي".

لاحظت أن الباب مزودٌ بقفل عادي وليس رتاجاً، لهذا، لا يمكن أن يكون أحد هنا ثم غادر الشقة، إلا إذا أخذ مفتاح الفقيدة وأوصد الباب خلفه بالطبع. بكلمات أخرى، إذا عثرنا على مفتاحها، يمكننا إغلاق هذه القضية".
أوماً ويير ورفع قلم رصاص أصفر، تتدلى منه حلقة ومفتاح. "كان على صندوق الملابس في الردهة. إنه من نوع المفاتيح الذي يفتح الباب الرئيس وكل الغرف الأخرى. تحققت من الأمر وقد فتح باب الشقة".
"ممتاز. كل ما نفتقده هو أساساً رسالة انتحار موقعة. أي اعتراضات على عدّها قضية منتهية؟".

نظر والر إلى ويير والطبيب وهاري: "لا بأس. يمكن نقل النبا الحزين إلى الأسرة لتتعرفها".

ذهب إلى الردهة، في حين وقف هاري بجانب السرير. بعد ذلك بوقت قصير، أطلَّ والر برأسه مجدداً.

"أليس الأمر رائعاً حين تكون كل البطاقات في مكانها يا هول؟".

بعث دماغ هاري رسالة إلى رأسه أن يومئ، لكن لم تكن لديه فكرة

إن كان قد امتثل.

الخدعة

أشاهد فيلم الفيديو الأول. عندما أستعرضه صورة إثر أخرى يمكنني رؤية اندلاع الشرارة. جزيئات من المسحوق التي لم تتحوّل بعد إلى طاقة نقية، مثل عددٍ كبيرٍ من كويكبات لامعة تتبع مذنباً كبيراً إلى الغلاف الجوي لتحترق، في حين يتابع المذنب مساره في سماء صافية. ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً؛ لأن هذا هو المسار المرسوم قبل ملايين السنين، قبل أن تولد البشرية، والعواطف، والكراهية، والرحمة. دخلت الرصاصة الرأس، وعطّلت النشاط الدماغي، وقضت على الأحلام. في قاع الجمجمة تبعثرت آخر فكرة: ومضة صغيرة من مركز الألم؛ إنها آخر نداء استغاثة متناقضة مع نفسها قبل أن يطبق الصمت على كل شيء. نقرت على عنوان فيلم الفيديو الثاني، وحدّقت إلى خارج النافذة حين صرّ الحاسوب بحثاً في ليل الإنترنت. هناك نجوم في السماء وأظن أن كلاً منها برهان على حتمية القدر. لا يبدو أن بمقدورنا فهمها، وهي أرفع مقاماً من حاجة الإنسان إلى المنطق والمعقول. وذلك هو سبب جمالها الأخاذ، على ما أظن.

أصبح فيلم الفيديو الثاني جاهزاً، فنقرت على زرّ التشغيل. عرض المسرحية. إنها مثل مسرح متنقلٍ يقدّم العرض نفسه، لكن في مكان مختلف. الحوار والأحداث نفسها، الأزياء ذاتها، المشاهد عينها. وحدها الإكسسوارات قد تغيّرت، والمشهد الأخير. لم تقع مأساة هذا المساء. أنا سعيد بنفسي. لقد وجدت نواة الشخصية التي أوّديها: الخصم المحترف البارد الذي يعرف ما يريده بالتحديد، ويقتل إذا احتاج إلى ذلك. لا أحد يحاول كسب الوقت، ولا أحد يجروّ على ذلك بعد ما حدث في بوغستادفين. ولهذا السبب، أنا السيّد العظيم لمُدّة دقيقتين، مدة مئة وعشرين ثانية أمنح نفسي إياها. الخدعة ناجحة، والملابس السميكة تحت ثوب العمل، والضبانان المضاعفان، والعدستان اللاصقتان الملوّنتان، والحركات المتقنة.

أوقفت الحاسوب عن العمل وخيّم الظلام على الغرفة. كل ما كان يصلني من الخارج هو ضوء المدينة الخافت. التقيت الأمير اليوم؛ إنه شخص غريب. انتابني شعور غريب بأنني زقزاق مصري؛ الطائر الصغير الذي يقات بتنظيف فم التمساح. أخبرني أن كل شيء تحت السيطرة، وأن وحدة السرقات لم تعثر على أي أدلة. حصل على ماله وحصلت أنا على البندقية التي كان قد وعدني بها.

رہما یجب أن أكون سعيداً، لكن لا شيء يمكن أن يجعلني أتماسك
مجدداً.

اتصلت بعد ذلك بمقر قيادة الشرطة من كشك هاتف عمومي، لكن
لم يكن بمقدورهم الإفصاح عن أي شيء إلا إن قلت إنني أحد أفراد
الأسرة. أخبروني أنه كان انتحاراً، وأن أنا قد أطلقت النار على نفسها. كانت
القضية منتهية، واستطعت بصعوبة وضع السماعة في مكانها قبل أن أبدأ
بالضحك.

القسم الثاني

فريتود

قال أون، وهو يرفع أنفه نحو السماء الرمادية فوق بوغستادفين: "قال ألبير كامو - كاتب وفيلسوف فرنسي - إن فريتود، أو الانتحار، هو المشكلة الحقيقية الوحيدة التي تواجهها الفلسفة؛ لأن القرار إن كانت الحياة تستحق العيش أم لا هو الجواب عن سؤال الفلسفة الأساسي. كل شيء آخر - سواء أكان العالم ثلاثي الأبعاد أم لا، أو العقل تسع طبقات أم اثنتي عشرة - يأتي بعد ذلك".

قال هاري: "مم".

"كان عدد من زملائي قد أجروا بحثاً عن السبب الذي يدفع الناس للانتحار. هل تعرف السبب الأكثر شيوعاً الذي اكتشفوه؟".
"ذلك هو الشيء الذي كنت أمل أن تجيب عنه". كان على هاري أن يسلك مساراً متعرجاً بين الناس على الرصيف الضيق ليتكلم مع عالم النفس البدين.

قال أون: "لم يعودوا يرغبون في الحياة وقتاً أطول".
"تبدو مثل شخص يستحق جائزة نوبل". كان هاري قد اتصل بأون مساء اليوم السابق ورتب أن يعرّج عليه في مكتبه في سبورفيزغاتا عند التاسعة. تجاوزا فرع مصرف نوردي، ولاحظ هاري أن حاوية القمامة الخضراء لا تزال خارج سفن إيليفن على الطرف الآخر من الشارع.
قال أون: "ننسى غالباً أن من يتخذون قرار الانتحار هم أشخاص سليمو العقل، ومنطقيون، ويعدّون أن الحياة لم تعد تقدّم لهم شيئاً. طاعنون في السن فقدوا شركاء حياتهم، أو يعانون تداعي صحتهم، مثلاً".
"كانت هذه المرأة يافعة وتنبض حيوية. ما الأسس المنطقية التي يمكن أن تدفعها لذلك؟".

"أولاً، يجب أن تعرّف كلمة منطقية. عندما يختار شخص مكتئب الهروب من الألم بالانتحار، يجب أن تفترض أن الإنسان المكروب قد وازن بين الأمرين. من ناحية أخرى، من الصعب رؤية الانتحار عملاً منطقياً في السيناريو النموذجي حيث يكون المعذب على وشك الخروج من الدرك الأسفل، وعندها فقط يجد القدرة على تنفيذ ذلك الفعل؛ وهو الانتحار".
"هل يكون الانتحار عملاً عفويّاً تماماً؟".

"هذا ممكن طبعاً. المعتاد أكثر، بأي حال، أن تكون هناك محاولات أولاً، خاصة بين النساء. في الولايات المتحدة، تشير الإحصائيات إلى وجود

عشر محاولات انتحار غير جدية بين النساء مقابل كل محاولة ناجحة".
"غير جدية؟".

"يعدُّ تناول خمسة أقراص منومة صرخة للمساعدة، ومحاولة جادة كفاية لتكون حقيقية، لكنني لا أعدّها محاولة انتحار حين لا تزال هناك قارورة نصف مملوءة من الحبوب على طاولة بجانب السرير".
"هذه المرأة أطلقت النار على نفسها".
"إذاً، هذا انتحار ذكوري".
"ذكوري؟".

"أحد الأسباب التي تجعل الرجل أكثر نجاحاً في هذا هو أنهم يختارون أساليب أكثر فتكاً من النساء؛ أسلحة ومباني شاهقة، بدلاً من جرح معاصمهم أو تناول جرعات زائدة من الأدوية. استثنائي جداً أن تُطلق امرأة النار على نفسها".

"استثنائي على نحو يثير الشبهة؟".
نظر أون إلى هاري بامعان سائلاً إياه: "هل لديك أي سبب يدفعك للظن أنه لم يكن انتحاراً؟".

هزّ هاري رأسه قائلاً: "أريد فقط أن أتأكد تماماً. يجب أن نعطف ميمناً هنا، شقتها ليست بعيدة كثيراً في هذا الشارع".

"سورجنفريغاتا؟". ضحك أون بصوتٍ خافتٍ، ونظر إلى الغيوم الداكنة التي تتحرك في الجو. "طبيعي".
"طبيعي؟".

"كان سورجنفري اسم قصر يخص كريستوف، الملك الهايتي الذي انتحر حين أسره الفرنسيون، ويطلقون عليه أيضاً اسم سان سوسي؛ أو الخالي من الهموم: شارع التحرر من الهم، سورجنفريغاتا".
"حسناً...".

"وأفترض أنك تعرف ما قاله المؤلف النرويجي أولاً باور عن هذا الشارع؟ انتقلت إلى سورجنفريغاتا، لكن ذلك لم ينفذ كثيراً أيضاً". كان أون يضحك بقوة جعلت ذقنه يرتعش.

كان هالفورسن يقف خارج الباب ينتظر وقال: "التقيت بيارني مولر حين كنت أغادر مقرّ الشرطة. كان لديه انطباع أن هذه القضية منتهية تماماً".

قال هاري، وهو يفتح قفل الباب بالمفتاح الذي كان الكهربائي قد أعطاه إياه: "نحتاج فقط إلى ربط بعض الخيوط المتفرقة".

كان الشريط الحاجز الذي وضعته عناصر الشرطة أمام الباب قد أُزيل
ونُقلت الجثة بعيداً، لكن بخلاف ذلك لم يكن أحدٌ قد مسَّ شيئاً منذ
الليلة الماضية. ذهبوا إلى غرفة النوم، حيث لمعت الملاءة البيضاء على
السريـر الكبير في الضوء الخافت.
سأل هالفورسن حين سحب هاري الستائر: "إِذاً، ما الذي نبـحث عنه؟".
أجاب هاري: "مفتاح إضافي للشقة".
"لماذا؟".

"افترضنا أن لديها مفتاحاً إضافياً أعطت الكهربائيّ إياه. لقد كنت أقوم
ببعض التحريّيات. لا يستطيع أيّ صانع أقفال نسخ مفاتيح رئيسة، ويجب
أن تُطلب من المصنـع عبر صانع الأقفال المعتمد. نظراً إلى أن المفتاح
يناسب الباب الأمامي وباب القبو، تريد لجنة الخدمات المسؤولة عن بناء
الشقق السيطرة عليها. لهذا السبب، يجب على قاطني الشقق التقدّم بطلبٍ
للحصول على إذنٍ خطّي من اللجنة حين يريدون مفاتيح جديدة. ووفقاً
لاتفاق مع اللجنة، من واجب صانع الأقفال المعتمد الاحتفاظ بنسخ من
المفاتيح الخاصة بكل شقة. اتصلتُ بلاسمدن، صانع الأقفال في بوابة فيبز،
الليلة الماضية. حصلت أنا بيثسن على مفتاحين إضافيين، مما يجعل عددها
الإجمالي ثلاثة. عثرنا على نسخة في الشقة والكهربائي لديه نسخة ثانية، لكن
أين النسخة الثالثة؟ إلى أن نجده، لا يمكننا إغفال احتمال أن شخصاً كان
هنا حين ماتت وأوصد الباب في طريق خروجه".
أوماً هالفورسن ببطء: "النسخة الثالثة، ممّ".
"المفتاح الثالث. هل يمكنك البدء من هنا يا هالفورسن، في حين
سأرى وأون شيئاً في أثناء ذلك؟".
"لا بأس".

"حسناً، وشيء آخر بعد. لا تتفاجأ إذا عثرت على هاتفي الخلوي. أظن
أنني تركته هنا أصيل أمس".
"كنت أظن أنك قلت إنك أضعته أمس الأول".
"وجدته ثمّ فقدته مجدداً. أنت تعرف...".
هزّ هالفورسن رأسه. تقدّم هاري وأون في الرواق نحو غرف الاستقبال.
"طلبتك لأنك الشخص الوحيد الذي أعرف أنه يرسم".
"لسوء الحظ، تلك مبالغة قليلاً". كان أون لا يزال يتنفس بصعوبة من
صعود السلم.

"نعم، لكنك تعرف القليل عن الفن، لهذا آمل أن تفهم شيئاً من

هذا".

فتح هاري البابين المنزلقين إلى الغرفة الأبعد، وأضاء الأنوار وأشار. بدلاً من النظر إلى اللوحات الثلاث، حبس أون أنفاسه ومشى نحو المصباح ثلاثي البصيلات الكهربائية. أخرج العدسة المكبّرة من الجيب الداخلي لسترته الصوفية، ثم انحنى وقرأ النقش المكتوب على القاعدة الثقيلة. هتف متحمساً: "جيّد! مصباح غريمير أصلي!".

"غريمير؟".

"بترول غريمير؛ المصمم الألماني المشهور عالمياً. إضافة إلى أشياء أخرى، صمم قوس النصر الذي كان هتلر قد أقامه في باريس عام 1941. كان بمقدوره أن يصبح أحد أعظم الفنانين في عصرنا، لكن تبين في ذروة مسيرته أن ثلاثة أرباعه غجري. اعتُقل ومُحي اسمه عن مبانٍ عدّة وأعمال فنية كان قد أبدعها. نجا غريمير، لكن كلتا يديه كانتا قد كُسرتا في المقلع الذي عمل فيه الخجر. تابع العمل بعد الحرب بالرغم من أنه لم يحقق المكانة المرموقة نفسها بسبب إصابته. سأراهن أن هذه من سنوات ما بعد الحرب بالتأكيد". نزع أون غطاء المصباح.

سعل هاري: "كنت أفكّر أكثر في الواقع في هذه اللوحات".

تأفف أون: "عمل هواة. ستفعل خيراً بالتركيز على تمثال المرأة الأنيق هذا. السيدة نمسيس، الموضوع المفضّل عند بترول غريمير بعد الحرب. سيّدة الانتقام عند الإغريق. بالمناسبة، الانتقام دافع متواتر في حالات الانتحار، كما تعلم. يشعرون أن فشل حياتهم خطأ شخص ما، ويريدون تحميل الآخرين الذنب بالانتحار. انتحر بترول غريمير أيضاً، بعد أن قتل زوجته، التي كان لديها حبيب. انتقام، انتقام، انتقام. هل تعرف أن البشر هم المخلوقات الوحيدة التي تمارس الانتقام؟ المثير للاهتمام في الانتقام...".

"أون؟".

"أوه نعم، هذه اللوحات، تريد مني تفسيرها، أليس كذلك؟ همم، لا تبدو مختلفة كثيراً عن اختبار رورشاخ (اختبار للشخصية والذكاء)".

"اللوحة التي تعطىها للمرضى لتحريض ذاكرتهم؟".

"صحيح. المشكلة هنا هي أنني إذا فسّرت اللوحات، فستفصح ربما عن مكنونات نفسيّة أكثر مما تكشف عن حياتها. وباستثناء أن أحداً لم يعد يصدّق اختبار رورشاخ الآن، لهذا لم لا؟ دعني أرى... هذه اللوحات داكنة جداً، وربما تعبّر عن الغضب أكثر من الكآبة. من الواضح أن إحداها لم تنتهِ بعد".

"ربما يُفترض أن تبدو هكذا، وقد تكون معاً لوحة واحدة؟".
"ما الذي يجعلك تقول هذا؟".
"لا أعرف؛ ربما لأن الضوء من المصابيح الثلاثة يسقط مباشرة على صورتها؟".

"همم". وضع أون ذراعه فوق صدره وسبابته على شفثيه وقال: "أنت محق. طبعاً أنت محق. وهل تعرف أمراً يا هاري؟".
"لا، ماذا؟".

"لا تعني لي شيئاً على الإطلاق - اعذرنى على هذا التعبير رجاءً - لا شيء البتة. هل انتهينا؟".

"نعم. أوه! بالمناسبة، هناك فقط تفصيل واحد صغير بما أنك ترسم. كما ترى، الفرشاة على يسار حامل اللوحة. أليس ذلك غير عملي على الإطلاق؟".

"نعم، إلا إن كنت أعسر".
"فهمت. يجب أن أساعد هالفورسن. لا أعرف كيف يمكنني أن أشكرك".

"أعرف. سأضيف ساعة إلى فاتورتي التالية".
كان هالفورسن قد انتهى من غرفة النوم.
قال: "لم تكن لديها مقتنيات كثيرة. يبدو الأمر مثل تفتيش غرفة فندق. ملابس، وصابون، ومكواة، ومناشف، وملاءات سرير. لا صورة للأسرة، أو رسائل، أو أوراق شخصية".

بعد ساعة، عرف هاري بالتحديد ما كان هالفورسن يعنيه. كانا قد فتّشا الشقة كلها وعادا إلى غرفة النوم من دون أن يعثرا على شيء مثل فاتورة هاتف أو كشف حساب مصرفي.

قال هالفورسن وهو يجلس قبالة هاري إلى طاولة الكتابة: "هذا أغرب شيء أراه على الإطلاق. لا بدّ من أنها أزلت كل شيء. ربما أرادت أن تأخذ كل شيء معها - شخصيتها كلها - حين تذهب، إذا كنت تعرف ما أعنيه".

"أعرف. لم ترَ أي علامات على وجود حاسوب محمول؟".
"حاسوب محمول؟".

"حاسوب يمكن حمله".

"ما الذي تتكلم عنه؟".

"ألا يمكنك رؤية المربع باهت اللون على الخشب هنا". أشار هاري

إلى الطاولة بينهما. "يبدو أن حاسوباً محمولاً كان هنا وقد أخذه أحدهم".
"حقاً؟".

كان بمقدور هاري أن يشعر بعيني هالفورسن تجحطان.
في الشارع، وقفوا يحدقان نحو الأعلى إلى نوافذها الصفراء الباهتة في
واجهة المبنى، في حين دخّن هاري لفافة تبغ مجمّدة كان قد عثر عليها
في الجيب الداخلي لمعطفه.
قال هالفورسن: "كان أمر الأسرة غريباً، أليس كذلك؟".
"ماذا؟".

"ألم يخبرك مولر؟ لم يستطيعوا العثور على عناوين والديها، أو أشقائها،
أو شقيقاتها، أو أي شخص آخر باستثناء عم لها في السجن. كان على
مولر أن يتصل بالحنوتي بنفسه لنقل جثة الفتاة المسكينة من هنا؛ كأن
الموت لم يكن موحشاً كفاية".
"أي حانوتي؟".

قال هالفورسن: "ساندمان. أراد العم أن تُحرق جثتها".
سحب هاري نفساً من لفافة تبغه وراقب الدخان يصعد ويختفي؛
نهاية عملية كانت قد بدأت حين نثر فلاح بذور تبغ في حقل في
المكسيك. أصبحت البذور نبات تبغ بطول رجل بعد أربعة شهور، وبعد
شهرين إضافيين حُصدت، وفُصلت أوراقها، وجففت، وفرزت، وجمعت
وأرسلت إلى مصانع آر. جي. رينولدز في فلوريدا أو تكساس، حيث أصبحت
لفافة تبغ مزوّدة بمرشح في علبة تبغ صفراء مفرّغة من الهواء، ووضعت
في صندوق وشحنت إلى أوروبا. بعد ثمانية شهور من كونها ورقة على
نبات يافع أخضر تحت الشمس في المكسيك، تقع في جيب معطف رجل
مثل حين يسقط على الدرج أو خارج سيارة أجرة أو يغطي نفسه بمعطفه
كأنه بطانية؛ لأنه لا يستطيع فتح باب غرفة نومه، ولا يجرؤ على ذلك
مع كل الوحوش الموجودة تحت السرير. وأنداك، عندما يجد أخيراً لفافة
التبغ، مجمّدة ومغطاة بوبر الجيب، يضع أحد طرفيها في فمه كريبه الرائحة
ويشعل الآخر. بعد أن تصبح ورقة التبغ المجففة المفرومة داخل جسده
وتمنحه لحظة متعة قصيرة، تنطفئ الجذوة وتحرّر أخيراً: حرّة أن تتحلّل،
وتصبح هباءً منثوراً؛ وأن تُنسى.

تتحنح هالفورسن مرتين: "كيف عرفت أنها قد طلبت المفاتيح من
صانع الأقفال في بوابة فيبوز؟".

رمى هاري عقب لفافة التبغ على الأرض وشدّ معطفه بقوة حول

نفسه ثم قال: "يبدو أن أون كان محققاً سيهطل المطر. إذا كنت ذاهباً إلى مقر قيادة الشرطة مباشرة، يمكن أن أستقلّ سيارة أجرة".
"لا بدّ من أن هناك مئات صانعي الأقفال في أوصلو يا هاري".
"مم، اتصلت بنائب رئيس لجنة البناء، كنوت آرنيه رنغنز؛ إنه رجل لطيف. إنهم يتعاملون مع صانع الأقفال نفسه منذ عشرين عاماً. هل نذهب الآن؟".

قالت بتي لون حين دخل هاري دار الألم: "جيد أنك أتيت. اكتشفت شيئاً الليلة الماضية. انظر إلى هذا". أعادت شريط الفيديو إلى أوله وضغطت على زر الإيقاف المؤقت. ملأت صورة ترتعش الشاشة لوجه شتاين غريت وهي تنظر إلى قناع السارق. "لقد كبرت جزءاً من صورة الفيديو. أردت أن يصبح وجه شتاين أكبر ما يمكن".
سأل هاري وهو يرمي بنفسه على كرسي: "ما سبب ذلك؟".
"إذا نظرت إلى النضد، فسترى أن ثماني ثوانٍ قد انقضت قبل أن يبدأ المسرّع إطلاقاً...".
"المسرّع؟".

ابتسمت خجلاً وقالت: "إنه مجرد اسم كنت قد أطلقت عليه سرّاً. تمتلك جدّتي مزرعة، لهذا أنا... نعم".
"أين تقع؟".

"فالي في وادي ست".
"ورأيت حيوانات تُذبح هناك؟".
"نعم". لم تشجع نبرة الصوت على طرح مزيدٍ من الأسئلة. ضغطت بتي زر الإبطاء وأصبح وجه شتاين غريت مفعماً بالحيوية. رأى هاري عينيها تطرفان وشفتيها تتحرّكان ببطء. كان قد بدأ يخاف من رؤية الرصاصة حين أوقفت بتي فجأة فيلم الفيديو.
سألت بحماسة: "هل رأيت ذلك؟".
انقضت بضع ثوانٍ قبل أن يصقّ هاري.
قال: "كانت تتكلم! قالت شيئاً قبل ثوانٍ من إطلاق النار عليها، لكن لا يمكن سماع شيء على التسجيل الصوتي".
"ذلك لأنها كانت تهمس".

"كيف لم أنتبه إلى ذلك؟ لكن لماذا؟ وماذا قالت؟".
"أمل أن نكتشف ذلك قريباً. لقد طلبت مختصاً بقراءة الشفاه من معهد الصم والبكم. إنه في طريقه إلينا الآن".

"رائع".

ألقت بتي نظرة خاطفة على ساعتها، وعصّ هاري شفته السفلى، ثم أخذ نفساً وقال بهدوء: "بتي، كانت لي...".

رأها تتسمّر في مكانها حين استخدم اسمها الأول. "كانت لي زميلة تدعى إيلين غيلتن".

قالت بسرعة: "أعرف. لقيت حتفها بجانب النهر".

"نعم. عندما كنا نصل إلى طريق مسدودة في قضية، كنا نلجأ إلى تقنيات عديدة لتفعيل المعلومات العالقة في اللاوعي: تداعي أفكار. كنا نكتب كلمات على أوراق، وأشياء من ذلك القبيل"، ابتسم هاري محرّجاً وأضاف: "قد يبدو الأمر مبهماً قليلاً، لكنه أسفر أحياناً عن نتائج جيدة. تساءلت إن كان بمقدورنا تجريب ذلك".

"إذا أحببت". خطر لهاري مجدداً كيف تبدو بتي أكثر ثقة بنفسها حين يرگزان على فيلم فيديو أو شاشة حاسوب. كانت تنظر إلى عينيه آنذاك كأنه قد اقترح عليها لعبة ورق سهلة.

قال: "أريد أن أعرف ما شعورك بشأن هذه القضية تحديداً".

ضحكت بعصبية. "شعوري، همم".

"انسي الحقائق المجرّدة بعض الوقت"، انحنى هاري إلى الأمام وأضاف: "لا تكوني تلك الفتاة الذكية. لا داعي إلى تعزيز ما تقولينه بأدلة. قولي فحسب ما تُشعرِك فطرتك به".

حدّقت إلى الطاولة بينما كان هاري ينتظر تعليقاً منها، ثم نظرت مباشرة إلى عينيه قائلة: "أراهن بمالي على الاحتمال الثاني".

"الثاني؟".

"ترجيحات نتائج مباريات كرة القدم. الفريق الزائر يفوز. إنها إحدى القضايا ضمن الخمسين بالمئة التي لا نحلّها قط".

"حسناً، ولماذا؟".

"حساب بسيط. عندما تفكّر في كل الحمقى الذين لا نعتقلهم، فإن رجلاً مثل المسرّع، الذي كان قد فكّر ملياً في الأمر ويعرف قليلاً عن طريقة عملنا، يتمتع بالتأكيد بأفضلية".

"نعم!، فرك هاري وجهه ثم تابع: "إذاً، فطرتك تقوم بحساب ذهني؟".

"ليس دائماً. هناك شيء في الطريقة التي يعمل بها. إنه عاقد العزم، ويبدو أن ما يحفّزه...".

"ما الذي يحفّزه يا بتي؟ المال؟".
"لا أعرف. وفقاً للإحصائيات، الدافع الرئيس للسارقين هو المال، والثاني هو المتعة و...".

"انسي الإحصائيات يا بتي. أنتِ محققة الآن. لا تحللي صور الفيديو فحسب، وإنما تفسيراتك اللاواعية عندما كنت قد رأيته أيضاً. ثقّي بي، ذلك أهم دليل بين يدي أيّ محقق".
نظرت بتي إليه، إذ كان هاري يدرك أنه يحاول استمالتها لتعبّر عمّا يجول في داخلها؛ ثمّ حثّها قائلاً: "هيا! ما الذي يحفّز المسرّع؟".
"المشاعر!".

"أي نوع من المشاعر؟".
"مشاعر قوية".

"أي نوع من المشاعر القوية يا بتي؟".
أغمضت عينيها وقالت: "حب أو كراهية. كراهية. لا، حب. لا أدري".
"لماذا أطلق النار عليها؟".
"لأنه... لا".

"هيا. لماذا أطلق النار عليها؟". كان هاري قد دفع كرسيه نحو كرسيها.
"لأنه كان مضطراً إلى ذلك. لأنه شيء محدّد سلفاً...".
"جيد! لماذا هو محدّد سلفاً؟".
كان هناك قرع على الباب.

كان هاري يفضّل لو أن فريتز بيلك من معهد الصم والبكم لم يكن قد اخترق شوارع المدينة على درّاجته بسرعة الزئبق لمساعدته، لكنه كان يقف آنذاك عند الباب؛ رجل لطيف ممتلئ الجسم يضع نظارة دائرية ويعتمر خوذة زهرية. لم يكن بيلك أصمّ، وبالتأكيد ليس أبكم. من أجل أن يعرف أكبر قدر ممكن من المعلومات عن حركات شفّتي شتاين غريت، شغّل الجزء الأول من شريط الفيديو حيث يمكنهم سماع ما قالته. عندما كان الشريط يعمل، تكلم بيلك من دون توقف.

"أنا مختص، لكننا جميعاً نقرأ الشفاه حتى إذا كنا نستطيع سماع ما يقوله الناس. لهذا السبب لا يكون الشعور مريحاً حين يكون الدوبلاج في الأفلام على نحو أجزاء من مئة من الثانية".

قال هاري: "حقاً؟ شخصياً، لا أفهم شيئاً من حركات شفّتيها".

"المشكلة أنه يمكن قراءة ثلاثين إلى أربعين بالمئة فقط من كل الكلمات من الشفّتين مباشرة. لفهم الباقي يجب أن تدرس لغة الوجه

والجسد، وتستفيد من مهاراتك اللغوية والمنطق ملء الكلمات الناقصة.
التفكير مهم مثل الرؤية".

قالت بتي: "تبدأ الهمس هنا".

أغلق بيلك فمه فوراً وركّز تماماً على حركات الشفتين الهادئة على الشاشة. أوقفت بتي التسجيل قبل إطلاق الرصاصة.

قال بيلك: "حسناً. مرة أخرى".

وبعد ذلك: "مجدداً".

ثم: "مرة أخرى رجاءً".

بعد سبع مرات، أوماً أنه قد رأى كفاية.

قال بيلك: "لا أفهم ما تعنيه"، وهنا تبادل هاري وبتي النظرات. ثم أضاف: "لكن أظن أنني أعرف ما تقوله".

حثت بتي الخطى في الرواق لمجارة هاري.

قالت: "يعدُّ أفضل خبير في البلاد بهذا المجال".

قال هاري: "ذلك لا ينفع. قال بنفسه إنه لم يكن واثقاً".

"لكن ماذا إن قالت ما ظنّه بيلك؟".

"لا يبدو هذا منطقياً. لا بدّ من أنه غفل عن أداة نفي".
"لا أوافقك الرأي".

توقف هاري فجأة وكادت بتي تصطم به. بتعبير منزعج، نظرت إلى عينين تحدّقان إليها.

قال: "جيد".

قالت بتي بحيرة: "ماذا تعني؟".

"الاختلاف في الرأي جيد، وهو يعني أنك قد رأيت أو فهمت شيئاً حتى إذا لم تكوني واثقة به تماماً. وهناك شيء لم أفهمه"، بدأ يمشي مجدداً وأضاف: "لنفترض أنك محقة، عندها، يمكن أن نفكر إلى أين يقودنا هذا".
توقف أمام المصعد وضغط الزر.

سألت بتي: "إلى أين ستذهب الآن؟".

"لأتحقق من بعض التفاصيل. سأعود بعد أقل من ساعة".

فُتح المصعد وخرج إيفارسون منه.

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: "آها! الشرطيان السريّان في مهمة. هل

من جديد تخبراني به؟".

قال هاري وهو يتخطّاه ويدخل المصعد: "الهدف من المجموعات

المتوازية هو أننا لسنا مضطرين إلى تقديم تقارير دورية. أليس كذلك؟ إذا

كنت فهمتك ومكتب التحقيقات الاتحادي على نحو صحيح".
بقيت ابتسامة إيفارسون العريضة على حالها وقال: "واضح أننا يجب
أن نتشارك في معلومات رئيسة".
ضغط هاري زر الطابق الأول، لكن إيفارسون وضع نفسه بين مصراعي
المصعد: "حسناً؟".

هزّ هاري كتفيه وقال: "همست شتاين غريت شيئاً للشارق قبل أن
يقتلها".

"آهه؟".

"نظن أنها همست: إنه خطأي".

"إنه خطأي؟".

"نعم".

تغصّنت ابتسامة إيفارسون وقال: "هذا ليس صحيحاً، أليس كذلك؟
سيبدو الأمر منطقياً أكثر لو أنها قالت إنه ليس خطأي. أعني، ليس
خطأها أن الأمر استغرق من مدير الفرع ست ثوانٍ إضافية لوضع المال في
الحقيبة".

قال هاري ناظراً إلى ساعته: "لا أوافقك الرأي. لقد تلقينا مساعدة من
أحد أفضل خبراء البلاد بهذا المجال. يمكن أن تزودك بتي بالتفاصيل".
كان إيفارسون يستند إلى أحد مصراعي المصعد، الذي يضغط من دون
هوادة على ظهره وقال: "إذاً، نسيت أداة النفي من شدة ارتباكها. هل
ذلك كل ما لديك؟ بتي؟".

تورّدت بتي خجلاً: "لقد بدأت تواءاً دراسة فيديو سرقة المصرف في
كيركفين".

"أي استنتاجات؟".

نظرت إلى هاري ومن ثمّ إلى إيفارسون مجدداً وقالت: "ليس في
الوقت الحاضر".

قال إيفارسون: "إذاً، لا شيء. ربما ستكونان سعيدين حين تعرفان أننا
قد حدّدنا تسعة مشتبهٍ فيهم وأحضرناهم إلى هنا لاستجوابهم. ولدينا
استراتيجية للحصول على شيء من راسكول".
سأل هاري: "راسكول؟".

قال إيفارسون، وهو يعلّق أصابعه في حلقات حزامه: "راسكول باكست،
ملك جردان المجاري نفسه". أخذ نفساً عميقاً ورفع سرواله بحركة مفاجئة
وهو يبتسم ساخراً: "لكن ربما تستطيع بتي تزويدك بالتفاصيل في وقت

لاحق".

رخام

كان هاري يدرك أن تفكيره ضيق في قضايا معينة. خذ غوستادفين، مثلاً؛ لم يكن يحب غوستادفين، من دون أن يعرف السبب. ربما كان ذلك؛ لأن لا أحد في هذا الشارع يبتسم. لم يكن هاري يبتسم بنفسه، لكنه يعيش في بيسلت، ولا يحصل على مال ليبتسم، ولديه آنذاك أسباب عدّة وجيهة تجعله لا يبتسم. بأي حال، ذلك لا يعني أن هاري، شأنه شأن معظم النزويجين، لا يُقدّر ابتسامة من آخرين له. داخليةً، حاول هاري إيجاد عذر للفتى خلف النضد في سفن إيليفن. كان يكره عمله على الأرجح، ربما يعيش في بيسلت أيضاً، وكان المطر قد بدأ يهطل مجدداً.

ألقي الوجه الشاحب المملوء بثوراً حمراء ملتعبة نظرة مملة على بطاقة هويته الشرطة: "كيف لي أن أعرف منذ متى الحاوية في الخارج؟". قال هاري: "لأنها خضراء وتغطي نصف مجال رؤيتك لبوغستادفين". تأوه الفتى ووضع يديه على وركين يكادان لا يحملان سرواله: "منذ أسبوع تقريباً. هناك صف من الناس ينتظر خلفك، كما تعرف". "مم. ألقيت نظرة داخلها. إنها حاوية تماماً باستثناء بعض القوارير والصحف. هل تعرف من طلبها؟". "لا".

"أرى أن لديكم آلة تصوير مراقبة فوق النضد. يبدو أنها التقطت صوراً للحاوية؟". "إذا كنت تقول ذلك". "إذا كنتم لا تزالون تحتفظون بشريط فيديو من الأسبوع الماضي فأود أن أراه".

"غداً، حين يكون توبن هنا".

"توبن؟".

"مدير المتجر".

"أقترح أن تتصل بتوبن الآن وتحصل على إذن لمنحي الشريط، ثم لن أؤخرك وقتاً أطول".

قال والبثور تصبح أكثر احمراراً: "يجب أن تبحث عنه. ليس لدي وقت لأبدأ البحث عن شريط فيديو الآن".

قال هاري من دون أن يتحرك: "ماذا عمّا بعد وقت الإغلاق؟".

قال الفتى وهو يحرك عينيه: "نحن نفتح أربعاً وعشرين ساعة".
قال هاري: "تلك دعابة".

قال الفتى بصوتٍ متهكّم: "حسناً. هل ستشتري شيئاً أم ماذا؟".
هزّ هاري رأسه ونظر الفتى إلى الشخص خلفه: "الصندوق جاهز".
تنهّد هاري واستدار إلى الصف المزدهم أمام النضد وقال: "الصندوق ليس شاغراً. أنا من شرطة أوسلو"، رفع بطاقة هويته وتابع: "وهذا الشخص معتقل؛ لأنه لم يستطع لفظ حرف الشين".

كان هاري ضيق الأفق في بعض القضايا. في تلك اللحظة تحديداً، كان سعيداً جداً برد الفعل. كان يحب أن يتسم الآخرون له.

لكنه لم يكن يحب الابتسامة التي تبدو جزءاً من التدريب المهني للواعظين والسياسيين والحنوتيين. يتسم هؤلاء بعيونهم في أثناء كلامهم، ومنح ذلك السيد ساندمان من دار جناز ساندمان مظهراً صادقاً جعل، مع درجة الحرارة في مستودع التوابيت تحت دار عبادة ماجورستون، هاري يرتعش. جال ببصره في أرجاء المكان حيث كان هناك تابوتان، وكروسي، وإكليل ورود، ومدير جناز، وبزة سوداء، وشعر ممشّط بعناية.

قال ساندمان: "تبدو رائعة، ومسالمة، ومطمئنة، وموقرة. هل أنت أحد أفراد الأسرة؟".

"ليس تماماً". أظهر هاري بطاقته الشرطة على أمل أن يكون ذلك المظهر الصادق خاصاً بأفراد الأسرة المقربين. لم يكن كذلك.
"مأساة أن تموت مثل هذه الشابة الياقة بتلك الطريقة". ابتسم ساندمان وهو يضغط راحتي كفيه معاً. كانت أصابع الحانوتي رفيعة ومعقوفة على نحو استثنائي.

قال هاري: "أود إلقاء نظرة على الملابس التي كانت الفقيدة ترتديها عند العثور عليها. قالوا في المكتب إنك أحضرتها إلى هنا".

أوماً ساندمان، وجلب كيساً أبيض وشرح أنه فعل ذلك تحسباً لظهور الوالدين أو الأقرباء، وأن بمقدوره التخلص منها. وبدأ هاري البحث من دون جدوى عن جيوب في الثوب الأسود.

سأل ساندمان بنبرة صوتٍ بريئة حين كان ينظر من فوق كتف هاري: "هل تبحث عن شيء محدد؟".

قال هاري: "مفتاح منزل. لم تجد شيئاً حين..."، حدّق إلى أصابع ساندمان المعقوفة، ثمّ تابع قائلاً: "... نزعنا ملابسها؟".

أغمض ساندمان عينيه وهزّ رأسه قائلاً: "كان الشيء الوحيد تحت

الثوب هو جسدها. إضافة إلى الصورة في الحذاء، طبعاً".
"الصورة؟".

"نعم. غريب، أليس كذلك؟ يا لها من عادات! لا تزال في حذائها".
أخرج هاري حذاء أسود عالي الكعب من الكيس وخطرت له صورتها
في المدخل حين وصل: فستان أسود، حذاء أسود، فم أحمر.
كانت الصورة لامرأة وثلاثة أولاد على شاطئ، مثنية من زاويتها. بدا
أنها لقطة فوتوغرافية لعطلة في مكان ما في النزويج حيث تظهر صخور
كبيرة صقيلة في الماء وأشجار صنوبر عالية على التلال في الخلفية.
سأل هاري: "هل جاء أحد من أفراد أسرتها إلى هنا؟".
"عمّها فقط. مع أحد زملائك، طبعاً".
"طبعاً؟".

"نعم، فهمت أنه يمضي حكماً بالسجن".
لم يرد هاري، وانحنى ساندمان إلى الأمام وقوّس ظهره بطريقة جعلت
رأسه الصغير يتراجع بين كتفيه فأصبح يشبه نسرًا: "تساءلت عن السبب"،
بدا الهمس مثل زقزقة عصفور خافتة وتابع: "أعني نظراً إلى أنهم لن
يسمحوا له بحضور الجنازة".

تحنح هاري وقال: "هل يمكنني رؤيتها؟".
بدا ساندمان محبطاً، لكنه أشار بتهذيب بيده إلى أحد التوابيت.
كالمعتاد، خطر لهاري كم يمكن لعمل احترافي أن يحسّن حال جثة.
بدت آنا مطمئنة حقاً. مسّ جبينها؛ كأنه يمسّ رخاماً.
سأل هاري: "ما هذه القلادة؟".

قال ساندمان: "نقود ذهبية. أحضرها عمها".
"وما هذا؟". رفع هاري رزمة أوراق مربوطة معاً بقطعة مطاط بنية.
كانت حزمة من أوراق المئة كرون.
قال ساندمان: "عادة لديهم".

"من هم أولئك الذين تتكلم عنهم باستمرار؟".
"ألا تعرف؟". رسم ساندمان ابتسامة على شفثيه الرقيقتين الرطبتين
وقال: "كانت غجرية".

كانت كل الطاومات في مطعم مقر قيادة الشرطة مشغولة بزلاء
يتبادلون أحاديث مفعمة بالحيوية، باستثناء واحدة مشى هاري إليها.
قال: "ستعرفين الأشخاص قريباً". نظرت بتي إليه غير مدركة ما يقوله،
وأدرك أن ليهما خصائص مشتركة أكثر مما كان يظن. جلس ووضع شريط

فيديو أمامه وقال: "صُور هذا من متجر سفن إيليفن قبالة المصرف مباشرة يوم السرقة، إضافة إلى تسجيل يوم الخميس الذي سبقه. هل يمكنك أن تتحققني من وجود أي شيء مثير للاهتمام؟".

تمتت بتي وفمها مملوء بخبز وكبد: "هل تعني أن أتحقق من ظهور سارق المصرف فيه؟". أمعن هاري النظر إلى غدائها الدسم. قال: "حسناً، يمكننا أن نأمل فحسب".

قالت وعيناها مملوءتان بالدموع وتكافح لابتلاع الطعام: "طبعاً. عام 1993، سُرق كريدتيكيس في فروغنز. كان السارق قد جلب أكياساً عليها شعار شركة النفط شل ليضع المال فيها، لهذا رأينا فيلم آلة تصوير المراقبة في أقرب مراكز شل. وتبين أنه قد دخله لشراء أكياس قبل عشر دقائق من قيامه بالعملية، وكان يرتدي الملابس نفسها، لكن من دون قناع. وقد اعتقلناه بعد نصف ساعة".

سأل هاري من دون أن يفكر: "نحن، قبل ثماني سنوات؟".
تغير لون وجه بتي وأمسكت قطعة خبز وحاولت الاختباء خلفها ثم تمتت: "والدي".

"أعتذر. لم أقصد ذلك".
جاء الرد سريعاً: "لا يهم".
"والدك...".

قالت: "لقي حتفه. لقد مرّ وقت طويل الآن".
جلس هاري يصغي إلى أصوات المضح ويمعن النظر إلى يديه.
سألت بتي: "لماذا أخذت شريط الأسبوع قبل السرقة؟".
قال هاري: "الحاوية".
"ماذا عنها؟".

"اتصلت بشركة حاويات القمامة وسألت؛ وقد تبين أن شتين سوبستاد قد طلبها يوم الخميس ووضعت في الموقع المتفق عليه خارج متجر سفن إيليفن في اليوم التالي. هناك اثنان يدعيان شتين سوبستاد في أوصلو وأنكر كلاهما طلب حاوية. نظرتي أن السارق قد وضعها هناك لحجب الرؤية من النافذة حتى لا تستطيع الآلة تصويره عابراً الشارع بعد أن يغادر المصرف. إذا كان يتجول حول متجر سفن إيليفن في اليوم نفسه الذي طلب فيه الحاوية، فرمّا نرى شخصاً ينظر إلى آلة التصوير وخارج النافذة نحو المصرف، يتحقق الزوايا وما إلى ذلك".

"بقليل من الحظ، يقول الشاهد خارج سفن إيليفن إن السارق كان

لا يزال مقنعاً حين عبر الطريق، لهذا، لماذا سيزعج نفسه بحاوية؟".
"ربما كانت الخطة أن ينزع القناع في أثناء عبور الطريق". تنهد هاري وقال: "لا أدري، لكنني أعرف أن هناك شيئاً بشأن تلك الحاوية الخضراء. لقد بقيت هناك أسبوعاً وباستثناء بعض المارة الغريبيين الذين رموا نفاياتهم فيها، لم يكن أحد قد استخدمها".

قالت بتي ممسكة شريط الفيديو وتقف: "لا بأس".
قال هاري: "شيء آخر بعد. ماذا تعرفين عن راسكول باكست هذا؟".
تجهّمت وقالت: "راسكول؟ كان شخصية أسطورية نوعاً ما حتى سلّم نفسه. إذا كانت الإشاعات صحيحة، فله ضلع بطريقة أو بأخرى في تسعين بالمئة من سرقات المصارف في أوصلو. أظن أنه يعرف كل شخص اقترّف سرقة مصرف هنا في السنوات العشرين الأخيرة".

"إذاً، هذا ما يريد إيفارسون أن يعرفه منه. في أيّ سجن هو؟".
رفعت بتي إبهاماً فوق كتفها. "جناح أبيه هناك".
"في بوتسن؟".

"نعم. ورفض أن ينطق بكلمة لأي شرطي طوال مدة سجنه".
"إذاً، ما الذي يجعل إيفارسون يظن أنه سينجح معه؟".
"وجد أخيراً شيئاً يريده راسكول ويمكنه الاستفادة منه للتفاوض معه. يقولون في بوتسن إنه الشيء الوحيد الذي كان راسكول قد طلبه منذ دخوله إلى هناك: الإذن بالذهاب إلى جنازة قريبة له".
قال هاري آملاً ألا يفصح وجهه عن شيء: "حقاً؟".
"ستُدفن بعد يومين، وقد تقدم راسكول بطلب عاجل إلى مدير السجن للسماح له بحضور الجنازة".

بعد أن ذهبت بتي، بقي هاري جالساً إلى الطاولة. كانت استراحة الغداء قد انتهت والمطعم قد أصبح شبه فارغ. كان يفترض أن يكون مرتباً وأنيقاً؛ لأن شركة إطعام وطنية تديره، لكن هاري كان يفضل أن يأكل في المدينة. تذكّر فجأة أنه المكان الذي رقص فيه مع راكيل في حفلة الميلاد، وكان قد قرّر هناك بالتحديد أن يقوم بخطوة نحوها. أم كان العكس صحيحاً؟ كان لا يزال بمقدوره أن يشعر بانحناء ظهرها على يده.
راكيل.

ستُدفن أنا بعد يومين، ولا يخامر أحد أي شك أنها قد ماتت انتحاراً بيدها. كان الشخص الوحيد هناك الذي يستطيع مخالفتهم الرأي، لكنه لا يتذكر شيئاً. إذاً، لماذا لا يترك الكلاب النائمة في رقادها؟ كان لديه أشياء

كثيرة يخسرها ولا شيء يجنيه. إذا لم يكن من أسباب أخرى، فلماذا لا
يستطيع أن ينسى القضية من أجله، ولمصلحة علاقته براكيل؟
وضع هاري مرفقيه على الطاولة ودفن وجهه بين يديه.
إذا كان بمقدوره مخالفتهم الرأي، فهل سيفعل ذلك؟
استدار الجالسون إلى الطاولة المجاورة حين سمعوا كرسياً يصرّ على
الأرض وشاهدوا الشرطي حليق الرأس، وطويل الساقين، ومقوّس الظهر يخرج
بخطوات واسعة وسريعة من المطعم.

حظ

رنت الأجراس فوق الباب بقوة في الكشك المظلم المزدهم حين دخل
الرجلان مسرعين إليه. كان متجر إمار للفاكهة والتبغ أحد الأكشاك الأخيرة
من نوعها، مع مجلات سيارات، وصيد طرائد وأسماك على أحد الجدران،
ولفائف تبغ، وسيجار على الآخر، وثلاثة أكوام من قسائم اليانصيب على
النضد بين قضبان عرق سوس رطبة ومرصبان من الميلاد السابق.

قال إمار، وهو رجل نحيل أصلع في الستين من عمره، ملتجٍ ويتكلم
بلهجة نوردلاند: "تمطر من دون سابق إنذار".

قال هالفورسن ماسحاً المطر عن كتفيه: "ياه، كان ذلك مفاجئاً".

قال الشمالي بلهجة بوكمال مكتسبة: "خريف أوصلو المعتاد: قحط أو
طوفان. علبة تبغ كامل ذات العشرين لفافة؟".

أوما هاري وأخرج محفظته.

"إضافة إلى ورقتي يانصيب للشرطي الشاب". مدَّ إمار يده بورقتين إلى
هالفورسن، الذي أظهر له ابتسامة عريضة ووضعهما بسرعة في جيبه.

سأل هاري، وهو ينظر نحو الخارج إلى المطر الغزير، الذي كان ينهمر
بقوة على الأرصفة المقفرة آنذاك خارج النافذة المتسخة: "هل مسموحٌ
إشعال لفافة تبغ هنا يا إمار؟".

قال إمار وهو يعطيها الفكة: "بالتأكيد. السموم واليانصيب هما خبزي
وزبديتي".

انحنى إلى الأسفل وخرج عبر ستارة بنية متموجة حيث سمعا صوت
آلة قهوة تقرر خلفها.

قال هاري: "إليك الصورة. أودّ منك فقط اكتشاف من هي المرأة".

"فقط؟". نظر هالفورسن إلى الصورة مطوية الزاوية التي أعطاه هاري
إياها.

قال هاري: "ابدأ بالعثور على المكان الذي التُّقطت فيه الصورة"،

وانتابته نوبة سعال حادة حين حاول حبس الدخان في رثنيه. "تبدو منطقة
اصطيافٍ. إذا كانت كذلك، فلا بدّ من أن هناك محلّ بقالة صغيراً أو
شخصاً يؤجر شاليهات، أو أشياء من هذا القبيل. إذا كان أفراد الأسرة في
الصورة نزلاء دائمين، فسيعرف شخص يعمل هناك من يكونون. عندما تعرف
ذلك، اترك الباقي لي".

"كل هذا لأن الصورة كانت في الحذاء؟".

"إنه ليس المكان المعتاد للاحتفاظ بالصور، أليس كذلك؟".
هزّ هالفورسن كتفيه ومشى إلى الشارع.
قال هاري: "إنه لا يتوقف".
"أعرف، لكن يجب أن أعود إلى المنزل".
"لماذا؟".

"من أجل شيء يدعى الحياة. لا شيء سيثير اهتمامك".
رسم هاري ابتسامة على وجهه ليُظهر أنه فهم أن تلك دعاية وقال:
"استمتع".

رنّت الأجراس وأُغلق الباب بقوة خلف هالفورسن. سحب هاري نفساً من لفافة تبغ، وبينما كان ينظر إلى مجموعة إلمار من موضوعات القراءة، خطر له قلة الاهتمامات التي يتشاطرها مع رجل نرويجي عادي. هل كان ذلك لأنه لم يعد يمتلك أيّاً منها منذ وقت طويل؟ موسيقى، نعم، لكن أحداً لم يقدم شيئاً جيداً في السنوات العشر الأخيرة، ليس حتى أبطاله القدامى. أفلام؟ إذا خرج من دار عرض هذه الأيام من دون أن يشعر بشرخ في الفص الجبهي، فسيعدُّ نفسه محظوظاً. لا شيء آخر. بعبارة أخرى، الشيء الوحيد الذي كان لا يزال مهتماً به هو العثور على أشخاص وزجّهم وراء القضبان. ولم يعد حتى ذلك يجعل قلبه يخفق كما في السابق. كان الشيء المرعب، كما فكّر هاري وهو يضع يده على نضد إلمار البارد الأملس، أن تلك الحال لم تعد تزعجه إطلاقاً. حقيقة أنه قد أذعن للأمر الواقع. كان يشعر ببساطة بالتحرّر ليصبح أكبر سنّاً.
رنّت الأجراس بقوة مجدداً.

قال هالفورسن: "نسيت أن أخبرك عن الرجل الذي اعتقلناه لحيازته غير القانونية سلاحاً ليلة أمس. روي كينسفيك، أحد حليقي الرؤوس في بيتزا هربرت". وقف عند المدخل وقطرات المطر تتراقص حول حذائه الرطب.
"مم؟".

"كان خائفاً، لهذا طلبت منه أن يزودني بشيء أحتاج إليه وسأطلق سراحه".

"و؟".

"قال إنه رأى سفير أولسن في غرونلوكا ليلة مقتل إيلين".
"ماذا بعد؟ لدينا شهود عدّة يمكنهم تأكيد ذلك".

"نعم، لكن هذا الرجل رأى أولسن يجلس مع شخص في سيارة ويتحدّث إليه".

سقطت لفافة تبغ هاري إلى الأرض، ولكنه تجاهلها.
سأل ببطء: "هل يعرف من هو؟".
هزّ هالفورسن رأسه نافيةً: "لا، تعرّف إلى أولسن فقط".
"هل حصلت على وصف؟".
"يتذكر فقط أن الشخص يبدو مثل شرطي. لكنه قال إنه سيتعرّف
إليه على الأرجح إن رآه مرة ثانية".
كان بمقدور هاري أن يشعر بالدفء يسري في جسده تحت معطفه
ونطق كل كلمة بحرص: "هل استطاع معرفة نوع السيارة؟".
"لا، لقد مرّ بجانبها مسرعاً".
أوماً هاري، ويده تصعد وتهبط على النضد.
تنحج هالفورسن قائلاً: "لكنه يظن أنها سيارة رياضية".
لاحظ هاري لفافة التبغ يتصاعد منها الدخان على الأرض، وقال:
"اللون؟".

رفع هالفورسن راحة كفه معتذراً.
سأل هاري بصوت خافت أجشّ: "هل كانت حمراء؟".
"ماذا قلت؟".
شدّ هاري قامته قائلاً: "لا شيء. تذكر الاسم، واذهب إلى المنزل من
أجل حياتك".
رنّت الأجراس.
توقف هاري عن ضرب النضد، لكنه أبقى يده عليه، وقد بدا فجأة
رخاماً بارداً.
كانت أستريد مونسن في الخامسة والأربعين من عمرها وتكسب رزقها
من ترجمة كتب الأدب الفرنسي في مكتب في شقتها في سورجنفريغاتا. لم
يكن هناك رجل في حياتها، إنما كان لديها شريط لنباح كلب تشغله في
الليل. سمع هاري خطواتها وبدأت ثلاثة أقفال على الأقل تتحرّر خلف
الباب قبل أن يُفتح قليلاً، وأطلّ وجه نحيل منمّش تحت شعر أجعد
أسود.

صرخت حين رأت طول هاري الفارع: "آه".
ربما لم يكن الوجه مألوفاً، لكن انتابه فوراً شعور أنه قد التقى بها.
كان ذلك على ما يبدو بسبب وصف آنا الدقيق لجارتها الشاحبة.
قال وهو يعرض بطاقته: "هاري هول، شعبة الجريمة. أعتذر لإزعاجك
في هذا الوقت المتأخر من الأصيل. لدي بضعة أسئلة عن الأمسية التي

ماتت فيها أنا بيثسن".

حاول أن يبتسم مُطمئناً حين رأى أنها تواجه مشكلات في إغلاق فمها.
من طرف عينه، رأى هاري حركة خلف زجاج باب الجيران.

"هل يمكنني الدخول يا آنسة مونسن؟ لن يستغرق الأمر دقيقة".

تراجعت أستريد مونسن خطوتين إلى الوراء، واستغل هاري الفرصة
لينسل إلى الداخل ويغلق الباب خلفه. كان بمقدوره آنذاك رؤية تفاصيل
تسريحة شعرها الأفريقية. كان واضحاً أنها صبغته باللون الأسود، ويحيط
برأسها الأبيض الصغير مثل كرة ضخمة.

وقفا قبالة بعضهما في ضوء الردهة الخافت، بجانب ورود جافة
وصورة مؤطرة من متحف شاغال في نيس.

سأل هاري: "هل رأيتني من قبل؟".

"ماذا... هل تعني؟".

"فقط إن كنت قد رأيتني من قبل. سأذكر الباقي في ما بعد".

فتحت فمها وأغلقتها، ثم هزّت رأسها بحزم.

قال هاري: "لا بأس. هل كنتِ في المنزل ليلة الثلاثاء؟".

أومات مترددة.

"هل رأيت أو سمعت شيئاً؟".

قالت: "لا شيء". كان ذلك سريعاً جداً لهاري.

قال محاولاً أن يرسم ابتسامة ودودة، بالرغم من أنها لم تكن الشيء

الأكثر تميزاً في جعبته من تعبيرات الوجه: "خذي وقتك وفكري مجدداً".

قالت وعيناها تبحثان عن الباب خلف هاري: "لا شيء... إطلاقاً".

عندما عاد هاري إلى الشارع، أشعل لفافة تبغ. كان قد سمع أستريد

مونسن تغلق قفل الأمان في الثانية التي أصبح فيها على الطرف الآخر من

بابها. مسكينة. كانت الأخيرة على لائحته واستطاع أن يستنتج أن لا أحد

قد رآه أو سمعه أو أي شخص آخر على السلام في الليلة التي ماتت

فيها أنا.

بعد أن سحب مرتين من لفافة التبغ، رماها بعيداً.

جلس على كرسيه في المنزل يراقب عين المجيب الآلي الحمراء وقتاً

طويلاً قبل أن يضغط زر التشغيل. كانت راكيل تقول له عمت مساءً،

وصحفي يريد تعليقاً عن سرقتي المصرفين. أعاد الشريط بعدئذ واستمع إلى

رسالة آنا: "وهل تمنع ارتداء الجينز الذي تعرف أنني أحبه كثيراً؟".

لطم وجهه، ثم أخرج الشريط ورماه في سلة المهملات. كان المطر

ينهمر في الخارج، وهاري يستعرض قنوات تلفازية في الداخل. حقائق نسائية، وصابون، ولعبة أسئلة يمكن أن تجعلك مليونيراً. تابع هاري نقاشاً على قناة سويدية بين فيلسوف وعالم اجتماعي عن مفهوم الانتقام. ادعى أحدهما أن بلداً مثل الولايات المتحدة، التي تدافع عن قيم معينة مثل الحرية والديمقراطية، تتحمل مسؤولية أخلاقية في الثأر من الهجمات التي وقعت على أراضيها؛ لأنها هجمات على قيمها أيضاً: "وحدها الرغبة في الانتقام - وتنفيذ ذلك - يمكن أن تحمي نظاماً حساساً مثل الديمقراطية". ردّ الآخر: "ماذا إن وقعت القيم نفسها التي تمثلها الديمقراطية ضحية عمل انتقام؟ ماذا إن انتهكت حقوق دولة أخرى كما ينص عليها القانون الدولي؟ ما نوع القيم التي تدافع عنها إذا حرمت مدنيين أبرياء من الحقوق في سعيك خلف أشخاص مذنبين؟ وماذا عن القيمة الأخلاقية لعرض الخد الآخر؟".

قال الرجل الآخر مبتسماً: "المشكلة أن لدينا خدين فقط، أليس كذلك؟".

أوقف هاري التلفاز عن العمل وتساءل إن كان يجب أن يتصل براكيل، لكنه قرّر أن الوقت متأخر كثيراً. حاول أن يقرأ في كتاب جيم ثومبسون، لكنه اكتشف أن الصفحات من 24 إلى 38 مفقودة. نهض ومشى ذهاباً وجيئة في غرفته، ثم فتح الثلاجة وحدّق محبطاً إلى جبهة بيضاء ومرطبان من مربّى الفراولة. شعر بشيء ما، لكن لم يعرف ماهيته، فأغلق باب الثلاجة بعنف. من الذي يحاول خداعه؟ كان يريد شراباً.

نهض عند الثانية بعد منتصف الليل وقد نام على كرسيه مرتدياً ملابسه كلها. وقف واتجه إلى الحمام، ومن ثمّ شرب كوباً من الماء. قال محدثاً نفسه على صفحة المرأة: "تباً"، ثمّ ذهب إلى غرفة النوم وشغل حاسوبه الشخصي. وجد 140 مقالاً بالزوجية على صفحات الإنترنت عن الانتحار، لكن لا شيء عن الانتقام، وإما مجرد كلمات رئيسة وروابط إلى دوافع الانتقام في الأدب والأسطورة الإغريقية. كان على وشك أن يوقف الحاسوب عن العمل حين أدرك أنه لم يتحقق من رسائله الإلكترونية منذ بضعة أسابيع. كانت هناك رسالتان، إحداها من مزود خدمة الإنترنت الذي يتعامل معه والذي حدّره فيها قبل أسبوعين أن الخدمة ستتوقف، أما الأخرى فكانت من آنا. نقر مرتين وقرأ الرسالة: مرحباً هاري. لا تنس المفتاح. آنا. أظهر الوقت أنها أرسلت قبل ساعتين من لقائه بها آخر مرة. قرأ الرسالة مجدداً؛ إنها مختصرة جداً، وبسيطة... جداً. افترض أن تلك هي

الطريقة التي يرسل فيها الناس بريداً إلكترونياً إلى بعضهم بعضاً. مرحباً هاري. سيبدو لمراقبين خارجيين بالتأكيد أنهما صديقين قديمين، لكنهما كانا قد عرفا بعضهما ستة أسابيع فقط، قبل وقت طويل، ولم يكن قد أدرك أن لديها عنوان بريده الإلكتروني.

عندما خلد إلى النوم، حلم أنه يقف في المصرف مع البندقية مجدداً، وكان الناس حوله من رخام.

غادجو

قال بيارني مولر، وهو يدخل متمهلاً مكتب هاري وهالفورسن في صباح اليوم التالي: "يا له من طقس رائع اليوم".
قال هاري من دون أن يبعد نظره عن كوب قهوته: "حسناً، أنت تعرف، أليس كذلك؟ لديك نافذة". أضاف حين ألقى مولر بنفسه على كرسي التحري هالفورسن، الذي أطلق صرخة ألم: "وكرسي جديد".
قال مولر: "مرحباً أيها المتفائل. هل يومك سيئ؟".
هزّ هاري كتفيه وقال: "شارفت على الأربعاءين وقد بدأت أستمتع بالتذمر. هل من خطب في ذلك؟".

"لا، على الإطلاق. بالمناسبة، من الجيد أن أراك مرتدياً بزّة".
رفع هاري الطيّة عند ياقة سترته كأنه قد اكتشف آنذاك فقط البزّة الداكنة.

قال مولر: "كان هناك اجتماع لرؤساء الوحدات أمس. هل تريد النسخة القصيرة أم الطويلة؟".
حرّك هاري قهوته بقلم رصاص وقال: "يجب أن نوقف التحقيق في قضية إيلين، أليس كذلك؟".
"لقد أغلقت القضية قبل وقت طويل يا هاري. ويقول رئيس قسم الطب الشرعي إنك تزعجهم للتوثق من كل الأدلة القديمة".
"عثرنا على شاهد جديد أمس...".
"هناك دائماً شاهد جديد يا هاري. إنهم لا يرغبون في المزيد فحسب".
"لكن...".

"لقد وضعنا خطأً تحتها يا هاري. آسف".
استدار مولر عند الباب وقال: "اذهب وتنزّه في الشمس. قد يكون آخر يوم دافئ بعض الوقت".
قال هاري حين دخل دار الأم ورأى بتي: "سرت إشاعات أن الطقس مشمس، كما تعرفين".

قالت: "اضغط على مفتاح النور لنعتّم المكان، أريد أن أريك شيئاً".
كانت قد بدت متحمسة عبر الهاتف، لكنها لم تذكر السبب. أمسكت جهاز التحكم عن بعد قائلة: "لم أجد شيئاً على الشريط من اليوم الذي طلبت فيه الحاوية، لكن ألقى نظرة على هذا يوم السرقة".
شاهد متجر سفن إيليفن على الشاشة، والحاوية الخضراء خارج النافذة،

والكعك بالقشدة داخل المتجر، والجهة الخلفية من رأس الفتى ومؤخرته - الفتى الذي كان قد تحدّث إليه قبل يوم - حيث كان يخدم فتاة اشترت حليباً، كوزموبوليتان وواقيات.

"توقيت التسجيل عند 15:05، أي قبل نحو خمس عشرة دقيقة من السرقة. انظر الآن".

أمسكت الفتاة أغراضها وغادرت، وتحرك الصف إلى الأمام وأشار رجل يرتدي ثوب عمل أسود ويعتمر قبعة ذات غطاءٍي أذنين مشدودين بإحكام إلى الأسفل إلى شيء على النضد. أبقى رأسه منخفضاً حيث لم يكن ممكناً رؤية وجهه. كان يحمل تحت ذراعه حقيبة قماشية سوداء مطوية.

همس هاري: "يا للهول!".

قالت بتي: "ذلك هو المسرع".

"أأنت واثقة؟ يرتدي كثير من الناس ثياب عمل سوداء، ولم يكن

السارق يعتمر قبعة".

"عندما يبتعد عن النضد، ستري أنه الحذاء نفسه الذي رأيناه في

شريط الفيديو. ولاحظ الانتفاخ على يساره. تلك آية. جي. 3".

"لقد ألصقتها بجسده. لكن ماذا يفعل في متجر سفن إيليفن؟"

"إنه ينتظر الشاحنة المصفحة ويحتاج إلى موقع مراقبة لا يثير

الشبهات. لقد تردّد على المنطقة ويعرف أن الشاحنات الأمنية تأتي بين

15:15 و 15:20. في ذلك الوقت، لا يستطيع أن يتجوّل في المكان واضعاً

قناعاً ويعلن عن نواياه، لهذا يعتمر قبعة تغطي معظم وجهه. عندما

يذهب إلى النضد، وإذا أمعنت النظر، يمكنك أن ترى مستطيلاً صغيراً من

الضوء يلمع عليه. إنه انعكاس عن الزجاج. أنت تضع نظارة شمسية، أليس

كذلك، أيها المسرع الوغد؟". تكلمت بتي بصوت خافت، لكن بسرعة وغضب

لم يسمعه هاري منها من قبل. "من الواضح أنه يعرف بشأن آلة التصوير

في متجر سفن إيليفن أيضاً. إذ لا يُظهر أي جزء من وجهه. انظر إليه

يتحقّق الزوايا! في الواقع، يفعل ذلك جيداً. يجب أن أعترف له بذلك".

أعطى الفتى خلف النضد الرجل الذي يرتدي زيّ العمل الأسود كعكة

بالقشدة وأمسك الورقة النقدية من فئة عشرة كرون التي وضعها هناك.

قالت بتي: "صحيح. إنه لا يضع قفازاً. لكن لا يبدو أنه قد مسّ

شيئاً في المتجر. وهناك يمكنك رؤية مستطيل الضوء الذي كنت أخبرك عنه".

لم ينبس هاري ببنت شفة.

خرج الرجل من المتجر حين كان آخر رجل في الصف يدفع حسابه.

قال هاري وهو ينهض: "يجب أن نبدأ البحث عن شهود مجدداً".
قالت بتي، وهي لا تزال تحدّق إلى الشاشة: "لن أكون متفائلة جداً.
تذكر أن شاهداً واحداً فقط قال إنه رأى المسرّع يهرب في ساعة الازدحام
يوم الجمعة. أفضل مكان يختبئ فيه السارق هو حشد من الناس".
"لا بأس، لكن هل لديك أي اقتراحات أخرى؟".

"اجلس وإلا ستفوّت الجزء المشوّق".
مخرجاً قليلاً، رمقها هاري بنظرة وواجه الشاشة. كان الفتى خلف
النضد قد استدار نحو آلة التصوير ودسّ إصبعه في أنفه.
تذمّر هاري: "الجزء المشوّق لشخص هو...".

"انظر إلى الحاوية خارج النافذة".
عكس لوح النافذة الزجاجي الضوء، لكنهما استطاعا بالرغم من ذلك
رؤية الرجل بزّي العمل الأسود. كان واقفاً على الرصيف بين الحاوية وسيارة
متوقفة؛ ظهره إلى آلة التصوير ويده تستقر على حافة الحاوية. بدا أنه
يراقب المصرف في أثناء تناول الكعكة بالقشدة. كما ظهرت الحقيبة القماشية
التي كان يحملها وقد وُضعت على الإسفلت.

قالت بتي: "ذلك هو موقع مراقبته. طلب الحاوية وجعلهم يضعونها
في ذلك الموقع تحديداً. الأمر بسيط جداً. يمكنه انتظار الشاحنة الأمنية
والاختباء عن آلات تصوير المراقبة. ولاحظ طريقة وقوفه: أولاً، لن يستطيع
نصف المارّة رؤيته بسبب الحاوية، والذين يتمكنون من ذلك سيرون رجلاً
يرتدي زيّ عمل ويعتمر قبعة بجانب حاوية: بناءً، أو رجل نقل، أو عامل
تنظيفات. بالمختصر، لا شيء سيحظى بموطئ قدم في القشرة الدماغية. لا
عجب أننا لم نحظّ بأي شهود".

قال هاري: "إنه يترك بعض البصمات الرائعة الكبيرة على الحاوية. من
المؤسف أن هطول المطر لم يتوقف في الأسبوع الماضي".
"لكن الكعكة بالقشدة...".

تنهّد هاري: "إنه يأكل بصماته أيضاً".
"... تجعله يشعر بالعطش. شاهد هذا الآن".
انحنى الرجل إلى الأسفل، فتح زمام الحقيبة القماشية وسحب منها
كيساً أبيض، وأخرج منه قارورة.
همست بتي: "كوكا كولا. قرّبت الصورة قبل أن تأتي. إنها قارورة كوكا
كولا مزوّدة بسدادة".

أمسك الرجل القارورة من الأعلى حين كان ينزع السدادة، ثم أرجع

رأسه إلى الخلف، رفع القارورة عالياً في الهواء وسكب. استطاع رؤية الشراب يُراق على وجهه، لكن القبعة غطت الفم المفتوح والوجه. ثم وضع القارورة في الكيس الأبيض، ربطه وكان على وشك أن يعيده إلى الحقيبة القماشية حين توقف عن فعل ذلك.

همست بتي: "راقب. إنه يفكر الآن". وبنبرة رتيبة خافتة: "ما المساحة التي ستأخذها الأموال؟ ما المساحة التي سيحتلها المال؟". أمعن بطل الرواية النظر إلى الحقيبة القماشية، ثم نظر إلى الحاوية، وأخيراً حسم أمره، وبحركة سريعة من ذراعه طار الكيس، والقارورة بداخله، على مسار قوسي في الهواء وخط في الحاوية المكشوفة. جأر هاري: "رمية ثلاث نقاط!". صرخت بتي: "الجمهور يتحمس!". صرخ هاري: "تبا!".

تأوهت بتي: "أوه، لا"، وضربت جبينها بالملقود يأساً. قال هاري: "لا بد من أنها كانت هنا. انتظري!". فتح هاري باب السيارة فجأة أمام درّاج انحرف عن مساره، وجرى عبر الشارع، إلى متجر سفن إيليفن وصولاً إلى النضد. سأل الفتى الذي كان على وشك تغليف قطعتي سجق بيغ بايت لفتاتين بدينيتين: "متى أخذوا الحاوية؟".

قال الفتى من دون أن ينظر إليه: "انتظر دورك، حياً بالله". صرخت إحدى الفتيات متذمرة حين انحنى هاري أمامها، فمنع وصولها إلى قارورة الكاتشاب، وأمسك بقميص الفتى الأخضر. قال هاري: "مرحباً يا هذا، إنه أنا مجدداً. اسمع هذا جيداً الآن، وإلا سيدخل هذا السجق في...".

أرغم تعبير الفتى المذعور هاري على تمالك نفسه، فأفلته من قبضته وأشار إلى النافذة، التي يمكن من خلالها آنذاك رؤية مصرف نوردي على الطرف الآخر من الشارع بسبب الفراغ الكبير الذي تركته الحاوية. "متى أخذوا الحاوية؟ بسرعة!".

ابتلع الفتى ريقه وحدّق إلى هاري قائلاً: "الآن. منذ قليل فحسب". "متى الآن؟".

"قبل دقيقتين". كانت عيناه قد جحظتا.

"إلى أين يذهبون؟".

"كيف لي أن أعرف؟ لا أعرف شيئاً عن حاويات القمامة؟".

"لا شيء".

"ماذا؟".

لكن هاري كان قد غادر المكان.

* * *

وضع هاري هاتف بتي الخلوي الأحمر على أذنه. "إدارة نفايات أوصلو؟ أنا المفتش هاري هول من الشرطة؟ أين تُفرغون حاوياتكم تلك؟ الخاصة، نعم. متوديك، لا بأس. أين هي... فركسير فورولاندز في ألنابرو؟ شكراً. ماذا؟ أو غرومو؟ كيف تعرف أي الموقعين...؟

قالت بتي: "انظر، ازدحام مروري".

كوّنت السيارات جداراً لا يمكن اختراقه على ما يبدو عند تقاطع تي. أمام مقهى لوري في هيغدهاوغسفين.

قال هاري: "كان يجب أن نذهب من أورانينبورغفين، أو كيركفين". قالت بتي، وهي تدفع العجلة الأمامية اليمنى على الرصيف، وتضغط على البوق وتزيد السرعة: "مؤسف أنك لا تقود"، وقد قفز الناس مبتعدين عن الطريق.

قال هاري عبر الهاتف الخلوي: "مرحباً؟ لقد أخذتم توأاً حاوية خضراء من بوغستادين بجانب تقاطع إندوستريغاتا. إلى أين تنقلونها؟ نعم. سأنتظر". قالت بتي، وهي تنعطف عند تقاطع أمام ترام: "لنجرب ألنابرو". قفزت العجلات على السكة الفولاذية حتى استقرت على الإسفلت. انتاب هاري شعور غريب بأنه يتذكر ذلك.

كانا قد وصلا إلى بيلستردت حين تكلم الرجل من إدارة نفايات أوصلو ليقول إنهم لا يستطيعون الاتصال بالسائق عبر هاتفه الخلوي، لكن الحاوية على الأرجح في طريقها إلى ألنابرو.

قال هاري: "حسناً، هل يمكنك أن تتصل بمتوديك وتطلب منهم عدم إفراغ محتويات الحاوية في محرقة النفايات حتى... مكتبك يُغلق من الساعة 11:30 حتى الساعة 12:00؟ بحذراً! لا، كنت أتكلم إلى السائق. لا، سائقي". اتصل هاري في نفق أبسن بمقر قيادة الشرطة وطلب منهم إرسال سيارة دورية إلى متوديك، لكن أقرب سيارة متوافرة كانت على بعد خمس عشرة دقيقة على الأقل.

"تباً!". رمى هاري الهاتف الخلوي من فوق كتفه وضرب لوحة القيادة. قادت بتي السيارة على الطريق الملتوية بين بايورتن وبلازا بيتي في فسحة بين حافلة حمراء وشاحنة شيفروليه، فوق الخط الأبيض. عندما

وصلت إلى التقاطع المتحرك المعروف بآلة السير بسرعة 110 كيلومترات في الساعة ونفذت انزلاقاً محكماً على عجلات صرّت على الإسفلت، نحو المنعطف الحاد جانب الفيورد البحري من محطة أوصلو المركزية، أدرك هاري أن الأمل لم يضع بعد.

سأل، وهو يتشبث جيداً في أثناء انحرافهما يميناً ويساراً بين السيارات على الطريق المؤلف من ثلاثة مسارب والذي يصل إلى نفق إكبرغ: "من كان الوغد المجنون الذي علّمك القيادة؟".
قالت بتي: "علّمت نفسي بنفسي".

في منتصف نفق فالرنغا ظهرت شاحنة ضخمة، بشعة، تنفث المازوت أمامهما. كانت تتحرك ببطء على المسرب الأيمن، وعليها حاوية خضراء يثبّتها قضبان أصفران في مكانها وقد كُتب عليها: إدارة نفايات أوصلو.
صرخ هاري: "نعم!".

انعطفت بتي أمام الشاحنة، خفّفت السرعة وشغّلت الإشارة اليمنى.
أنزل هاري زجاج النافذة، مَدَّ يداً تحمل بطاقته الشرطة ولوح بالأخرى للسائق أن يقف على جانب الطريق.

لم يكن لدى السائق اعتراض على قيام هاري بإلقاء نظرة داخل الحاوية، لكنه تساءل إن كان يجب أن ينتظروا حتى يصلوا إلى ساحة متوديك، حيث يمكنهم إفراغ المحتويات على الأرض.

صرخ هاري بصوتٍ يعلو على ضوضاء حركة السير: "لا أريد أن تتحطم القارورة!".

قال السائق: "كنت أفكر في بزّتك الأنيقة"، لكن هاري كان يصعد آنذاك إلى الحاوية. في اللحظة التالية، صدر صوتٌ مجلجل من الداخل، وسمع السائق وبتي هاري يطلق شتائم متتالية، ثم يواصل البحث بعض الوقت. وأخيراً "نعم!" أخرى قبل أن يظهر مجدداً على حافة الحاوية يضع كيساً أبيض فوق رأسه مثل إكليل.

قال هاري حين شغّلت بتي محرك السيارة: "أعطي ويبر القارورة فوراً وأخبريه أن الأمر عاجل. انقلي تحياتي إليه".
"هل سينفع ذلك؟".

حكّ هاري رأسه: "لا، قولي فقط إن الأمر عاجل".
ضحكت؛ ليس كثيراً، ولا من القلب، لكن هاري لاحظ الضحكة.
سألت: "هل أنت شديد الحماسة دائماً؟".

"أنا؟ ماذا عنك؟ كنت على استعداد لقيادتنا إلى القبر من أجل هذا

الدليل، أليس كذلك؟".

ابتسمت، لكنها لم ترد. تحققت من المرأة قبل أن تعود إلى الطريق.
ألقى هاري نظرة إلى ساعته وقال: "تبا!".

"تأخرت على اجتماع؟".

"هل تظنين أنه بمقدورك نقلي إلى دار عبادة ماجورستون؟".

"طبعاً. ألهذا السبب ترتدي البزة السوداء؟".

"نعم. إنها... صديقتي".

"إذاً، ربما من الأفضل أن تحاول التخلص من البقعة البنية على كتفك

أولاً".

مدّ هاري رأسه وقال وهو يمسحها: "من الحاوية. هل اخفت الآن؟".

أعطته بتي منديلاً ورقياً قائله: "جرب قليلاً من البصاق. هل كانت

صديقة مقربة؟".

"لا. أو نعم... ربما لبعض الوقت. لكن يجب أن يذهب المرء إلى

الجنازات، أليس كذلك؟".

"هل تذهب أنت؟".

"ألا تذهبين أنت؟".

"ذهبت إلى جنازة واحدة فقط في كل حياتي".

ثم انطلقا بصمت.

"والدك؟".

أومأت إيجاباً.

تجاوزا التقاطع عند سنسن. في موسلوندن، المنطقة المعشوشبة الكبيرة

أدنى هارالدشيمن، كان رجل وقتيان صغيران يلعبون بطائرة ورقية ترتفع في

الهواء. وقف الثلاثة ينظرون إلى السماء الزرقاء ورأى هاري الرجل يعطي

الخيط للفتى الأطول.

قالت: "لم نلقِ القبض على الرجل الذي فعل ذلك حتى الآن".

قال هاري: "لا، لم نفعل. ليس بعد".

* * *

قال رجل الدين، وهو ينظر نحو الأسفل إلى صفوف المقاعد الخشبية

الخالية والرجل الطويل حليق الرأس الذي كان قد دخل آنذاك، يبحث عن

مقعد في الخلف: "الله وهب والله أخذ". انتظر حتى تلاشى صوت النشيج

العالي الذي يمزق الفؤاد تحت السقف المقنطر.

شدّ رجل الدين على كلمة أخذ ورفعت الأمواج الصوتية الكلمة

وحملتها إلى نهاية دار العبادة. ازدادت قوة النسيج مجدداً، بينما كان هاري يراقب. كان قد ظنّ أن آنا، التي كانت منفتحة جداً وتنبض بالحياة، سيكون لديها أصدقاء كثير، لكن هاري عدّ ثمانية أشخاص فقط: كان ستة منهم في الصف الأمامي واثنان خلفهم قليلاً. ثمانية. نعم، حسناً، كم عدد الذين سيذهبون إلى جنازته؟ ربما لم يكن ثمانية أشخاص عدداً سيئاً. جاء النسيج من الصف الأمامي حيث استطاع هاري رؤية ثلاثة رؤوس تلقها أوشحة براقعة وثلاثة رجال مكشوفي الرأس. كان الاثنان الآخران رجل يجلس إلى اليسار وامرأة في الوسط. عرف الشعر الأفريقي الأجدد الكثيف لأستريد مونسن.

صرّ الأورغن، ثم بدأت الموسيقى. أغمض هاري عينيه وشعر بأنه متعب جداً. ارتفع صوت العزف من الأورغن وانخفض، وانسابت النغمات العالية مثل ماء من السقف. أنشدت الأصوات الخافتة طلباً للمغفرة والرحمة. أراد أن يغمر نفسه في شيء يمكن أن يدفعه ويخفيه. كان أربعة رجال يحملون التابوت. عرف هاري الشرطي أولاً لي خلف رجلين أسمرين يرتدي كل منهما بزّة أرمانى، وقميصاً أبيض مفتوحاً عند العنق. كان الشخص الرابع طويلاً جداً ويجعل النعش مائلاً. كانت البزّة فضفاضة على الجسد النحيل، لكنه كان الوحيد بين الأربعة الذي لا يبدو متضايقاً من ثقل التابوت. أثار وجه الرجل تحديداً انتباه هاري. إنه نحيل، ودقيق الملامح ذو عينين بنيتين، كبيرتين، ومملوءتين ألاماً في تجويفين غائرين في الجمجمة. كان الشعر الأسود مشدوداً إلى الخلف في ضفيرة طويلة، ويترك الجبين العالي المشرق مكشوقاً. كان الفم الحساس على شكل قلب محاطاً بلحية طويلة ومشدّبة. وكان هناك شيء آخر: كان ذلك الوجه مشرقاً. عندما اقترب الرجال الأربعة من هاري يمشون على الممر، حاول أن يرى ما الذي يجعله مشرقاً. هل كان الحزن؟ ليس السعادة. الخير؟ الشر؟ التقت عيونهم برهة وجيزة في أثناء سيرهم. جاءت خلفهم أستريد مونسن تنظر إلى الأسفل، ورجل في منتصف العمر يشبه محاسباً وثلاث نساء، اثنتان كبيرتان في السن وواحدة شابة، ترتدي تنورة مزركشة. كنّ ينشجن وينتحن، يحركن عيونهن ويفركن أيديهن في مسيرة صامتة. حين غادر الموكب الصغير دار العبادة وقف هاري.

"هؤلاء الغجر غريبون، أليس كذلك يا هول؟"، تردد صدى الكلمات في دار العبادة. استدار هاري، ورأى إيفارسون، يرتدي بزّة ويضع ربطة عنق سوداء وقال مبتسماً: "عندما كنت صغيراً، كان لدينا بستاني غجري. الغجر

يسافرون مع دبة ترقص، كما تعرف. كان يدعى جوزيف. موسيقى ودعابات طوال الوقت. لكن الموت، كما ترى...".

مسّ إيفارسون ذراع هاري برفق. كان على هاري أن يصكّ أسنانه ليقاوم الرغبة في إبعادها عنه. نزلا على درجات دار العبادة حيث علت ضوضاء حركة السير في كيركفين على صوت الأجراس. كانت سيارة كاديلاك سوداء بابها الخلفي مفتوح تنتظر موكب الجنازة عند بوابة شونينغز. قال إيفارسون: "سيأخذون التابوت إلى محرقة فستر. حرق الجثة، تلك عادة هندوسية نقلوها معهم من الهند. في إنكلترا، يحرقون مقطورة الفقيد، لكن لم يعد مسموحاً لهم حبس الأرملة فيها"، ضحك ثمّ تابع: "يُسمح لهم بأخذ مقتنيات شخصية. أخبرني جوزيف عن أسرة رجل غجري توفي في المجر. وضعوا الديناميت الذي كان يملكه في التابوت وנסفوا المحرقة عن بكرة أبيها".

أخرج هاري علبة لفائف التبغ.

قال إيفارسون من دون أن يخفف من الابتسامة: "أعرف سبب وجودك هنا يا هول. أردت أن ترى إذا كانت الفرصة سانحة لتتحدث إليه، أليس كذلك؟". أشار إيفارسون برأسه إلى الموكب والرجل الطويل النحيل الذي يخرج ببطء في حين يتعثر الثلاثة الآخرون وهم يحاولون مجاراته.

سأل هاري وهو يضع لفافة تبغ بين شفتيه: "هل ذلك هو المدعو راسكول؟".

أوماً إيفارسون وقال: "إنه عمها".

"والآخرون؟".

"أصدقاء، على ما يبدو".

"وأفراد الأسرة؟".

"لا يعترفون بالفقيدة".

"أوه؟".

"تلك رواية راسكول. الغجر كاذبون، لكن ما يقوله ينسجم مع قصص جوزيف عن تفكيرهم".

"وهو؟".

"شرف الأسرة كل شيء. لهذا تبرأوا منها. وفقاً لراسكول، كانت قد تزوجت غجرباً يتكلم اليونانية في أسبانيا حين بلغت الرابعة عشرة من عمرها، لكن قبل إتمام الزفاف هربت مع غادجو".

"غادجو؟".

"غير غجري. بخار دانماركي. أسوأ شيء يمكن أن تفعله، إذ جلب ذلك العار إلى الأسرة كلها".

"مم". تحرّكت لفافة التبغ غير المشتعلة صعوداً وهبوطاً بين شفّتي هاري حين تكلم: "أفهم أنك قد عرفت راسكول هذا جيداً؟".
أبعد إيفارسون عنه دخاناً خيالياً وقال: "لقد تبادلنا أطراف الحديث. مشادات، كما أسميها. ستأتي الأحاديث المهمة بعد الوفاء بما يخصنا في الاتفاق، وبعبارة أخرى، بعد أن يكون قد حضر هذه الجنازة".
"إذاً، لم يقل الكثير حتى الآن؟".

"لا شيء يهم التحقيق، لا. لكن النبرة كانت إيجابية".
"إيجابية جداً إلى درجة أنني أرى رجال شرطة يساعدون على حمل قريته إلى مثواها الأخير؟".

"طلب رجل الدين أن أكون أنا أو لي بين من يحملون التابوت ليرتفع العدد. لا بأس بذلك؛ لأننا هنا لنراقبه بأي حال. وسنتابع ذلك. أعني أن نراقبه".

ألقي هاري نظرة خاطفة إلى شمس الخريف الحادّة.
استدار إيفارسون نحوه قائلاً: "دعني أوضح شيئاً يا هول. ليس مسموحاً لأحدٍ التحدّث إلى راسكول حتى تنتهي منه. لا أحد. لقد حاولت طوال ثلاث سنوات عقد اتفاق مع الرجل الذي يعرف كل شيء، وهو بين يديّ الآن. لن يُسمح لأحدٍ بإفساد ذلك. هل تفهم ما أقوله؟".
قال هاري، وهو ينتزع قطعة تبغ صغيرة من فمه: "أخبرني يا إيفارسون إذ إننا نجري هذا الحديث الخاص هنا، هل تحوّلت هذه القضية إلى منافسة بيني وبينك؟".

رفع إيفارسون وجهه إلى الشمس وضحك بصوتٍ خافت، ثمّ قال وعيناه مغمضتان: "هل تعرف ما كنت سأفعله لو كنت مكانك؟".
قال هاري حين لم يعد الصمت ممكناً: "ماذا؟".

"كنت سأرسل بزّي إلى التنظيف الجاف. تبدو مثل شخص كان يستلقي في حفرة نفايات". وضع إصبعين على جبينه وقال: "أتمنى لك يوماً طيباً".
وقف هاري وحيداً على الدرجات يدخن ويشاهد نقل التابوت الأبيض على طول الرصيف.

استدار هالفورسن على كرسيه حين دخل هاري وقال: "رائع أنك هنا. لدي بعض الأخبار الجيدة. أنا... تبا، يا لها من رائحة!".

ضغط هالفورسن على أنفه وقال بصوتٍ أجشّ: "ماذا حدث لبزتك؟".
"وقعت في حاوية نفايات. ما الأخبار؟".
"أوه... نعم، أظن أن الصورة التُقطت في منطقة اصطياف في سورلاند،
لهذا أرسلتها عبر البريد الإلكتروني إلى كل مخافر الشرطة في أوست - أغدر.
وكنت محقاً، فقد اتصل شرطيٌّ من ريسور على الفور ليقول إنه يعرف
الشاطئ. لكن، هل تعرف أمراً؟".
"آه، لا في الواقع".
"لم تكن في سورلاند، وإنما في لاركولن!".
نظر هالفورسن إلى هاري بابتسامة ترقّب، وأضاف حين فشل هاري في
الرد: "في أوستفولد، خارج موس".
"أعرف أين تقع لاركولن يا هالفورسن".
"نعم، لكن هذا الشرطيّ من...".
"يذهب الناس من سورلاند في عطلات أيضاً. هل اتصلت بلاركولن؟".
حرك هالفورسن عينيه يأساً: "نعم، بالطبع. اتصلت بموقع التخميم
ومكانين يؤجران شاليهات. ومتجري البقالة الوحيدين هناك".
"هل حالفك الحظ؟".
"نعم"، ابتسم هالفورسن مجدداً وأضاف: "أرسلت الصورة عبر الفاكس
وعرف أحد الرجال الذين يديرون متجر البقالة من تكون. إنهم يمتلكون
أروع الشاليهات في المنطقة. ينقل إليهم بضائع بين الحين والآخر".
"واسم السيدة هو؟".
"فيغديس ألبو؟".
"ألبو؟ ألبو؟".
"نعم. هناك اثنتان فقط بهذا الاسم في النرويج: إحداهما ولدت عام
1909، والثانية في الثالثة والأربعين من عمرها وتعيش في شارع 12
بيورنتركت في سلمدال مع آرنه ألبو. وشيء آخر... إليك رقم هاتفها أيها
المدير".
قال هاري وهو يمسك الهاتف: "لا تنادني هكذا".
تأوه هالفورسن وقال: "ما الأمر؟ هل مزاجك سيئ أم ماذا؟".
"نعم، لكن ليس ذلك هو السبب. مولر هو المدير، ولست أنا،
مفهوم؟".
كان هالفورسن على وشك أن يقول شيئاً حين رفع هاري يده بحزم:
"السيدة ألبو؟".

كان الإنسان بحاجة إلى كثير من المال والوقت والمساحة لبناء منزل آل آلبو؛ وذوقٍ رفيع أيضاً. أو كما رأى هاري الأمر: ذوق سيئ جداً. بدا أن المهندس المعماري - إذا كان هناك واحد - قد حاول دمج شكل الشاليه النرويجي التقليدي مع طراز مزارع جنوبي الولايات المتحدة ومسحة من تصميم الضواحي الرائعة. غاصت قدما هاري في ممر الألواح الخشبية الذي يمتد على طول حديقة أنيقة تمتلئ بشجيرات الزينة وفيها أيل برونزي صغير يشرب من نافورة. كان على حافة سقف المرأب لافتة نحاسية بيضوية تزينها راية زرقاء فيها مستطيل أصفر ومثلث أسود.

سمع نباح كلب قويٍّ من خلف المنزل. مشى هاري على الدرجات العريضة بين الأعمدة، ثم رنَّ الجرس وتوقع أن يلتقي امرأة سوداء بمئزر أبيض.

قالت بصوت خافت في الوقت نفسه تقريباً الذي فُتح فيه الباب على مصراعيه: "مرحباً". كانت فيغديس آلبو صورة عن إحدى تلك النساء اللواتي يظهرن في إعلانات الرشاقة التي يراها هاري أحياناً على شاشة التلفاز حين يعود إلى المنزل ليلاً؛ الابتسامة البيضاء نفسها، وشعر باربي الأشقر، والقدم الميَّاس المشدود الذي تتمتع به فتيات الطبقة المخملية. كانت ترتدي حينها سروال جري ضيقاً وقميصاً رقيقاً. وكانت قد أجرت عملية لصدرها، لكنها على الأقل لم تبالغ في الحجم.

"هاري...".

"ادخل!". ابتسمت وظهرت تجاعيد بسيطة جداً حول عينيها الكبيرتين، الزرقاوين اللتين وضعت عليهما القليل من مساحيق التجميل.

دخل هاري ردهة كبيرة مملوءة بأقزام خشبية بدينة وبشعة ترتفع إلى الوركين.

شرحت فيغديس آلبو: "أنا أغسل". أظهرت ابتسامة بيضاء ومسحت بحرص العرق بسبابتها حتى لا تُفسد ماكياج عينيها.

قال هاري: "إذاً، من الأفضل أن أخلع حذائي"، وتذكر في تلك اللحظة الثقب في جوربه فوق الإبهام الأيمن.

ضحكت: "لا، لا سمح الله، ليس المنزل. لدينا أشخاص يقومون بذلك. لكنني أحب أن أغسل ملابسني بنفسني. يجب أن تكون هناك حدود لا يتجاوزها الغرباء في المنزل، ألا تظن ذلك؟".

تمتم هاري: "صحيح تماماً". كان يجب أن يتحرك بسرعة لمجاراتها على الدرجات. تجاوزا مطبخاً فاخراً ووصلا إلى غرفة المعيشة. كانت هناك

مصطبة خلف بابين زجاجيين منزلقين، كما كان هناك عمل فني ضخمة من
الآجر على الجدار الرئيس، يشبه منزلاً بين مبنى بلدية أو سلو ونصب
الجندي المجهول.

قالت فيغديس: "صممه بيير همبل من أجل ذكرى ميلاد آرنيه
الأربعين. بيير صديقنا".

"نعم، لقد صمم بيير فعلاً هذا... الموقد".

"أنا واثقة أنك تعرف بيير همبل، المهندس المعماري، أليس كذلك؟ دار
العبادة الجديدة في هولمكولن، كما تعرف".

قال هاري وهو يعطيها الصورة: "أخشى أنني لا أعرفه. هل تمانعين
إلقاء نظرة على هذه؟".

أمعن النظر في الاندهاش الذي ظهر على وجهها.

"لكن هذه هي الصورة التي التقطها آرنيه السنة الماضية في لاركولن.
كيف حصلت عليها؟".

انتظر هاري ليري إن كان تعبير الحيرة ذاك سيدوم وقتاً طويلاً قبل
أن يرد، فبقي التعبير على حاله.

قال: "وجدناها في حذاء امرأة تدعى آنا بيثسن". شاهد هاري سلسلة
تفاعل أفكار، واستنتاج، ومشاعر انعكست على وجه فيغديس ألبو، مثل

مسرحية تلفازية تُعرض مشاهدتها بسرعة. أولاً مفاجأة، ثم استغراب، وبعد
ذلك حيرة؛ ثم حدس رفضته في البداية بضحكة متشككة، لكنه تجذّر وبدأ
أنه ينمو إلى إدراك كامل. وأخيراً الوجه المتجهم الذي يوحى: يجب أن
تكون هناك حدود لا يتجاوزها الغرباء في المنزل، ألا تظن ذلك؟

عبث هاري بعلبة لفائف التبغ التي كان قد أخرجها، إذ لفت انتباهه
صحن سجائر زجاجي كبير يزهو بمكانه وسط طاولة صغيرة.

"هل تعرفين آنا بيثسن يا سيدة ألبو؟".

"بالتأكيد لا. هل يجب أن أعرفها؟".

قال هاري بصدق: "لا أعرف. لقد ماتت. أتساءل عما كانت تفعله

مثل هذه الصورة الشخصية في حذائها. أي أفكار؟".

حاولت فيغديس ألبو أن ترسم ابتسامة متكلفة على ثغرها، لكن

شفتيها لم يمثلا لذلك. ومالكت نفسها بهزة نشيطة من رأسها.

انتظر هاري، من دون أن يحرك ساكناً واسترخى في مكانه. ومثلما

غاصت قدماه في الممر الخشبي، شعر بأن جسده يغوص في الأريكة البيضاء
المريحة. كانت الخبرة قد علمته أن الصمت أكثر الطرائق فاعلية لجعل

الناس يتكلمون. عندما يجلس غريبان وجهاً لوجه، يصبح الصمت مثل مكنسة كهربائية يسحب الكلمات خارج الفم. جلسا على تلك الحال عشر ثوانٍ أبدية. ابتلعت فيغديس آلبو ريقها وقالت: "ربما رأتها الخادمة ملقاةً في مكان ما وأخذتها معها. وأعطتها لهذه... هل كانت تدعى أنا؟".

"مم. هل تمنعين إذا دخنت يا سيدة آلبو؟".

"لا أحد يدخن في هذا المنزل. لا أنا ولا زوجي...". رفعت يدها

بسرعة إلى ضفيرتها. "وألكسندر، صغيرنا، مصاب بالربو".

"آسف لسماع ذلك. كيف يمضي زوجك وقته؟".

فغرت فمها اندهاشاً واتسعت عيناها الكبيرتان الزرقاوان.

"أعني ما عمله؟". وضع هاري علبة لفائف التبغ داخل جيبه.

"إنه مستثمر. باع الشركة منذ ثلاث سنوات".

"أي شركة؟".

"شركة آلبو. استيراد مناشف ومماسح أقدام حمامات للفنادق

والمؤسسات".

"يبدو أن أعداد المناشف، ومماسح أقدام الحمامات كانت كبيرة".

"كانت لدينا الوكالة لكل اسكندينايفيا".

"تهانينا. الراية على المرأب، أليست علماً قنصلياً؟".

كانت فيغديس آلبو قد استعادت رباطة جأشها ونزعت رباط شعرها.

خطر لهاري أنها قد فعلت شيئاً لوجهها. كان هناك شيء بشأن التناسب لا

يبدو متناسقاً. بمعنى آخر، كان التناسق ممتازاً، وبدا وجهها متناظراً على

نحو مثالي.

"سانت لوسيا (جزيرة في الكاريبي). كان زوجي القنصل النرويجي هناك

إحدى عشرة سنة. لدينا مصنع هناك يخيطون فيه مماسح أقدام الحمامات.

لدينا منزل صغير هناك أيضاً. هل ذهبت...؟".

"لا".

"جزيرة جميلة رائعة ومدهشة. لا يزال بعض السكان الطاعنين في

السن يتكلمون الفرنسية. يجب أن أقول إنها فرنسية مبهمة، لكنهم لطيفون

جداً إلى حدٍ لا يمكن تصديقه".

"فرنسية كروول (جزر الهند الغربية)".

"ماذا؟".

"لقد قرأت عنها. هل تظنين أن زوجك ربما يعرف كيف انتهى الأمر

بهذه الصورة عند الفقيدة؟".

"لا أتخيل ذلك. لماذا سيعرف ذلك؟".

"همم"، ابتسم هاري وأضاف: "قد يكون الأمر صعباً مثل معرفة السبب الذي يدفع شخصاً لوضع صورة غريبة في حذاء شخص آخر"، نهض على قدميه وقال: "أين يمكنني العثور عليه يا سيدة آلبو؟".
عندما كان هاري يسجل رقم هاتف مكتب آرنه آلبو وعنوانه، نظر مصادفة نحو الأسفل إلى الأريكة التي كان يجلس عليها.
قال حين رأى فيغديس آلبو تتبع نظرتة: "همم... انزلت في حاوية قمامة. بالطبع، سوف...".

قاطعتة: "لا يهم. سيُرسل الغطاء إلى التنظيف الأسبوع القادم بأي حال".

على الدرجات في الخارج، سألت هاري بعد إمعان التفكير في الأمر إن كان بمقدوره الانتظار حتى الساعة الخامسة قبل أن يتصل بزوجها.
"سيكون في المنزل عندها ولن يكون مشغولاً جداً".
لم يرد هاري وشاهد طرفي فمها يتحركان صعوداً وهبوطاً.
"عندها، يمكنني أنا وإياه أن... نرى إذا كان بمقدورنا تفسير هذا الأمر لك".

"شكراً، هذا لطف منك، لكن سيارتي هنا والعنوان على طريقي، لهذا، سأذهب إلى مكتبه وأرى إن كنت أستطيع العثور عليه هناك".
قالت بابتسامة شجاعة: "لا بأس".

تبع النباح هاري على الطريق الخاص الطويل. عند البوابة، استدار إلى الخلف. كانت فيغديس آلبو لا تزال واقفة على الدرجات أمام مبنى المزرعة الزهري. كان رأسها مطأطأً والشمس تلمع على شعرها وملابسها الرياضية اللامعة. بدت من بعيد مثل أيل برونزي صغير.
لم يعثر هاري على موقع مخصص يمكن أن يركن سيارته فيه أو على آرنه آلبو في العنوان في فيكا أتريوم. لم يجد إلا موظفة استقبال أخبرته أن آلبو استأجر مكتباً مع ثلاثة مستثمرين آخرين، وأنه يتناول الغداء مع مجموعة من السماسرة.

عندما غادر هاري المبنى وجد مخالفة وقوف ممنوع تحت مساحة الزجاج الأمامي. أخذها وذهب بمزاج سيئ إلى أس. أس. لويز، الذي لم يكن في الواقع مركباً بخارياً وإنما مطعماً في أكر بريج. على النقيض مما يحدث في شرودر، يقدمون طعاماً مستساغاً لزبائن يدفعون ثمنه في مكاتب تقع في ما يمكن تسميته مجازاً وول ستريت أوصلو. لم يكن هاري قد

شعر قط بالراحة في أكر بريج، لكن ربما كان ذلك لأنه ترعرع في أوصلو وليس سائحاً. تبادل بضع كلمات مع النادل، الذي أشار إلى طاولة بجانب نافذة.

قال هاري: "أيها السادة، أنا آسف لإزعاجكم".

هتف أحد الثلاثة الجالسين إلى الطاولة، وهو يدفع شعر ناصيته إلى الخلف: "آه، أخيراً. هل تدعو هذا شراباً فرنسياً بحسب درجة حرارة الغرفة أيها النادل؟".

قال هاري: "سأدعوه شراباً فرنسياً نرويجياً أحمر في قارورة كلوس دي بابس".

نظر الرجل مشدوهاً إلى هاري ببزته الداكنة.

ابتسم هاري: "دعابة. أنا شرطي".

حينها تحول الاندهاش إلى انتباه.

"ليست جريمة بيئية".

تحول الارتياح إلى علامات استفهام. سمع هاري ضحكة صبيانية وشهيقاً. كان قد قرّر كيف سيفعل ذلك، لكن لم تكن لديه فكرة إلى ما سيؤول إليه الأمر وسأل: "آرنيه آلبو؟".

أجاب الشخص الذي يضحك: "هذا أنا". إنه رجل نحيل، شعره قصير، وأجعد، وداكن؛ وتظهر تجاعيد حول عينيه حين يضحك، مما أنبأ هاري أنه ضحك كثيراً وأنه قد تجاوز الخمس والثلاثين سنة كما كان قد خمن في البداية. تابع والضحكة لا تزال في صوته: "أعتذر على سوء الفهم. هل يمكنني مساعدتك أيها الشرطي؟".

نظر هاري إليه، وحاول بسرعة تكوين صورة عنه قبل أن يتابع كلامه؛ صوته جهوري، ونظرتة ثابتة. يضع ربطة عنق لم تكن مرخية كثيراً ولا مشدودة جداً. وقد أشارت حقيقة أنه لم يتوقف عند عبارة هذا أنا، لكنه أضاف اعتذاراً وعبارة: هل يمكنني مساعدتك أيها الشرطي؟ - بتشديد ساخر قليلاً على كلمة شرطي - إلى أن آرنيه آلبو كان إما واثقاً جداً بنفسه أو قد تدرّب كثيراً على إظهار ذلك الانطباع.

رگز هاري، لا على ما سيقوله، وإنما على رد فعل آلبو.

"نعم، يمكنك ذلك يا آلبو. هل تعرف أنا بيثسن؟".

نظر آلبو إلى هاري بعينه الزرقاوين اللتين تشبهان عيني زوجته،

وبعد لحظة تفكير أجاب بصوت عالٍ وواضح: "لا".

لم يكشف وجه آلبو لهاري أكثر مما نطقه. لم يكن هاري يظن أنه

سيكشف شيئاً. كان قد تخلى منذ وقت طويل عن تصديق خرافة أن الأشخاص الذين تضعهم مهنهم وجهاً لوجه مع أكاذيب يومياً يعرفون كيف يميّزونها. كان شرطي قد ادّعى مرة في أثناء محاكمة أنه يعرف من خبرته الطويلة متى يكذب المتهم. كان شتال أون، أحد المختصين الذين يلجأ الدفاع إليهم، قد أجاب أن بحثاً أظهر أنه لا توجد مجموعة مهنية واحدة أفضل من أخرى في كشف الأكاذيب، وأن شخصاً يعمل في التنظيف ماهر في ذلك مثل عالم نفس أو شرطي، أو سيئ بالقدر نفسه. كانت المجموعة الوحيدة في الدراسة المقارنة التي ميّزت نفسها بنقاط فوق المعدل هي عملاء الاستخبارات السرية. لم يكن هاري من عملاء الاستخبارات السرية آنذاك، وإنما رجل من أوبسال - إحدى ضواحي أوسلو - على عجلة من أمره، ومزاجه سيئ وحكمه ضعيف. لم تكن مواجهة رجل تحيط به ظروف مثيرة للشبهة بوجود آخرين، من دون أي أسس للشك، وسيلة فاعلة جداً ولا شيئاً سيدعوه أحد لعبة عادلة. لهذا كان هاري يعرف أنه يجب ألا يفعل ما يقوم به: "أي فكرة عمّن قد يكون أعطاهما الصورة؟".

أمعن الرجال الثلاثة كلهم النظر إلى الصورة التي وضعها هاري على الطاولة.

قال آلبو: "ليست لدي أدنى فكرة. زوجتي؟ الأولاد ربما؟".

"مم". نظر هاري بحثاً عن تغييرات في البؤبؤين، أو إشارات عن ازدياد النبض مثل تعرّق أو احمرار.

"لا أعرف ما يجري أيها الشرطي، لكن نظراً إلى أنك تكبّدت عناء العثور علي، أفترض أن الأمر ليس تافهاً. ربما يمكننا مناقشة هذا على انفراد بعد انتهاء اجتماعي مع هذين السيدين من هاندلسبانكن. إذا أردت أن تنتظر، يمكن أن أطلب من النادل مرافقتك إلى طاولة في منطقة التدخين".

لم يستطع هاري أن يحدّد إن كانت ابتسامة آلبو ساخرة أم لطيفة ببساطة. ليس حتى ذلك.

قال هاري: "ليس لدي وقت. لهذا إذا كان بمقدورنا الجلوس...".

قاطعته آلبو بصوت هادئ لكن حازم: "أخشى أنه ليس لدي وقت أيضاً. هذا وقت عملي، لهذا سيكون علينا أن نتكلم هذا الأصيل؛ إذا كنت لا تزال تظن أن هناك شيئاً يمكن أن أساعدك فيه".

ابتلع هاري ريقه. كان لا حول له ولا قوة ويرى أن آلبو يعرف ذلك.

قال هاري، وهو يسمع كم ذلك مثير للشفقة: "إذاً، لننتحدث في ذلك

الوقت".

"شكراً أيها الشرطي"، أمال آلبو رأسه بابتسامة وأضاف: "وأنت محق على الأرجح بشأن الشراب الفرنسي". استدار ليواجه هاندلسبانكن: "كنت تقول يا شتين عن أوبتيكوم (شركة إلكترونيات نرويجية)؟".
التقط هاري الصورة وكان عليه أن يتحمل الابتسامة الساخرة من السمسار صاحب ذؤابة الشعر قبل أن يغادر.

على الرصيف، أشعل هاري لفافة تبغ، لكن لم يكن لها أي مذاق ورماها بعيداً مدمدماً. انعكست الشمس عن نافذة في حصن أكرشوس وكان البحر هادئاً جداً وبدأ أن هناك طبقة رقيقة من جليد صافٍ على سطحه. لماذا فعل ذلك؟ لماذا محاولة الكاميكازي (انتحارية) هذه لإذلال رجل لم يكن يعرفه؟ فقط لتمسك به قفازات حريرية وترميه خارجاً.
واجه الشمس، وأغمض عينيه وتساءل إن كان يجب أن يفعل شيئاً ذكياً ذلك اليوم على سبيل التغيير؛ مثل التخلي عن القضية كلها. لم يكن أي شيء يبدو منطقياً، والحالة نفسها من الفوضى والارتباك. بدأت الأجراس في مبنى البلدية تقرع.

لم يكن هاري يعرف أن مولر محق؛ كان ذلك آخر يوم دافئ في السنة.

نامكو دجي. كون 45

أوليغ الشجاع.

كان قد قال عبر الهاتف: "سيكون كل شيء على ما يرام"، مراراً وتكراراً كأن لديه خطة سرية، "سأعود وأمي قريباً".

وقف هاري بجانب النافذة ينظر إلى السماء فوق سطح المبنى الذي يواجهه، حيث كانت شمس الغروب تلون الجانب السفلي من طبقة رقيقة ومجعدة من الغيوم بالبرتقالي والأحمر. في طريقه إلى المنزل كانت الحرارة قد انخفضت بحدّة على نحو غير متوقع؛ كأن شخصاً قد فتح باباً غير مرئي سُحبت كل الحرارة من خلاله. في الشقة، كان البرد قد بدأ يزحف عبر ألواح الأرضية الخشبية. أين كان قد وضع خفّه المصنوع من اللباد، في القبو أم في العليّة؟ هل كان لديه أي خفّ؟ لم يتذكر. لحسن الحظ، كان قد كتب اسم لعبة بلاي ستيشن التي وعد أوليغ أن يشتريها له إذا تفوق على سجل هاري في التيترس على غيم بوي. نامكو دجي. كون 45.

توالت الأخبار على تلفاز شاشته 14 بوصة خلفه. احتفال آخر لجمع أموال من أجل الضحايا. جوليا روبرت تعبّر عن تعاطفها وسيلفستر ستالون يتلقى اتصالات المانحين الواردة. وقد حانت ساعة الانتقام. صور تُظهر قصف سفوح جبلية، وأعمدة دخان سوداء تتصاعد من الصخور، ولا شيء ينمو في الطبيعة القفراء. رنّ الهاتف.

كان ويبر؛ المعروف عنه في مقر قيادة الشرطة أنه رجل عجوز مزاجي وعنيد ويصعب التعامل معه، في حين يظنُّ هاري العكس. يجب أن تدرك فقط أنه سيصبح عنيداً إذا عاملته بازدراء أو تجادلت معه.

قال ويبر: "أعرف أنك كنت تنتظر النتائج. لم نجد أي حمض نووي على القارورة، لكننا عثرنا بالفعل على بعض البصمات الباهتة".

"جيد. كنت أخشى أن تتلف حتى إذا كنت داخل كيس".

"لحسن الحظ أنها كانت قارورة زجاجية. كان أثر البصمات على

قارورة بلاستيكية سيختفي بعد أيام عدّة".

استطاع هاري سماع صوت طقطقة قطيلة (قطعة قطن حول عود) في الخلفية وسأل: "هل لا تزال تعمل يا ويبر؟".

"نعم".

"متى ستتحقق من البصمات في قاعدة البيانات؟".

تذمّر الطبيب الشرعي العجوز متشككاً: "هل تجادلني الآن؟".

"لا، إطلاقاً. لدي وقت طويل يا ويير".
"غداً. لست خبير حاسوب وقد ذهب الشبان إلى منازلهم هذه الليلة".
"وأنت؟".

"سأتحقّق من البصماتِ بحثاً عن بعض الاحتمالات بالطريقة القديمة.
نمّ الليلة يا هول. ستبقى عين العم بلود ساهرة".
وضع هاري السّاعة، ثمّ ذهب إلى غرفة النوم وشغّل حاسوبه. طغى
الصوت الذي يصدر عند تشغيل الحاسوب وبدء عمل برنامج ويندوز على
كلام الانتقام الأميركي من غرفة المعيشة ثانية واحدة. فتح ملف فيديو
السرقة في كيركفين، وشاهد الفيلم السيئ مرات عدّة من دون أن يصبح
أكثر حكمة، أو حماقة. نقر على أيقونة البريد الإلكتروني، فوجد أن لديه
رسالة واحدة. رنّ هاتف الردهة مجدداً. ألقى هاري نظرة على ساعته قبل
أن يرفع السّاعة ويلقي التحيّة بصوت يطغى عليه اللطف:
"آرنيه ألبو. أعتذر للاتصال بك مساءً، لكن زوجتي زوّدتني باسمك
وظننت أن بمقدورنا توضيح هذه المسألة بجلاء. هل الوقت مناسب؟".
قال هاري بارتباك بصوته المعتاد: "ممتاز".

"حسناً، لقد دردشت مع زوجتي، ولم يسمع أي منا بهذه المرأة أو
يعرف كيف حصلت على الصورة. لكن محترفاً قام بتحميضها، وربما أخذ
شخص يعمل في المعمل نسخة. أيضاً، هناك أشخاص كثيرون يدخلون بيتنا
ويخرجون منه؛ ولهذا قد تكون هناك تفسيرات عديدة محتملة".
"مم". لاحظ هاري أن صوت آرنيه ألبو لا يتحلّى بالهدوء والطمأنينة
نفسيهما اللذين كانا في نبرته في وقت سابق ذلك اليوم. بعد بضع ثوانٍ
من الصمت تابع ألبو: "إذا كنت تريد التكلم أكثر عن هذا الأمر، فسأقدّر
أن تتصل بي في المكتب. فهمت من زوجتي أنها زوّدتك برقمي".
"وأنا فهمت أنك لا تحب أن يزعجك أحد في ساعات عملك".
"لا أريد أن تتعرض... زوجتي لإجهاد. امرأة ميتة مع صورة في حذاء،
يا الله! أود منك أن تتعامل معي".

"أفهم ذلك. لكن الصورة هي لزوجتك وأولادك!".
"أقول لك إنها لا تعرف شيئاً عن الأمر!". أضاف نادماً على ما يبدو
على نبرته الغاضبة: "أعدك أن أتوتّق من كل احتمال يمكنني تخيّل لأفسّر
كيف حدث ذلك".

"شكراً على العرض، لكنني لا أزال أحتفظ بحق التحدث إلى الشخص
الذي أظنه مناسباً". استمع هاري إلى أنفاس ألبو قبل أن يضيف: "آمل

أنك تفهم هذا".

"اسمع...".

"أخشى أن هذا ليس موضوعاً للنقاش. سأتصل بك أو بزوجتك إذا كان هناك ما أريد معرفته".

"انتظر لحظة! أنت لا تفهم. زوجتي... انزعجت كثيراً".

"أنت محق. أنا لا أفهم، هل هي مريضة؟".

قال ألبو والاندھاش واضح في صوته: "مريضة؟ لا، لكن...".

"إذاً، أقترح أن ننتهي من هذا النقاش الآن". رأى هاري انعكاس

صورته على صفحة المرآة وقال: "هذه ليست ساعات عملي. عمت مساءً".

وضع سماعة الهاتف ونظر إلى المرآة مجدداً. كانت قد اختفت آنذاك،

تلك الابتسامة الصغيرة، والبهجة التي تجعلك النكاية تشعر بها. الأنانية،

الغرور، السادية: الصفات الأربع للانتقام. كان هناك شيء آخر أيضاً؛ بدا أن

هناك خطباً ما، شيئاً مفقوداً. أمعن النظر في انعكاس صورته؛ ربما كانت

طريقة تسليط الضوء.

جلس هاري أمام الحاسوب يفكر في أن عليه إخبار أون بتلك

"الصفات" الأربع. أمعن التفكير في ذلك الشيء. جاء البريد الإلكتروني الذي

كان قد تلقاه من عنوان لم يره قط من قبل: furi@bold.com. نقر على

الرسالة.

عندما كان يجلس هناك، سرت قشعريرة في جسد هاري هول ستدوم

سنة كاملة.

حدث ذلك حين كان يقرأ الرسالة؛ انتصب شعر عنقه واشتد الجلد

حول جسده مثل ملابس تتقلص.

هل نلعب؟ لنتخيل أنك كنت في عشاء مع امرأة وعُثر عليها في اليوم

التالي ميتة. ماذا تفعل؟

S2MN

أطلق الهاتف عويله، وعرف هاري أنها راكيل، فتركه يرن.

الدموع اللوزية

كان هالفورسن مندهشاً جداً لرؤية هاري حين دخل مكتبهما.
"أنت هنا الآن؟ هل تدرك أنها...؟".

تمتم هاري جالساً أمام شاشة الحاسوب يضع ذراعاً فوق الأخرى:
"جافاني النوم. هذه الآلات بطيئة جداً".

نظر هالفورسن من فوق كتفه وقال: "يعتمد كل شيء على سرعة نقل البيانات حين تكون على صفحات الإنترنت. أنت تستخدم خطأً أي. أس. دي. أن. (شبكة رقمية للخدمات المتكاملة) عادياً، لكن ابتهج؛ لأننا سنحظى قريباً بخدمة الحزمة العريضة. هل تبحث عن مقالات في صحيفة داجنز نيرينغسيلف الإلكترونية؟".

"هه؟... نعم".

"آرنيه ألبو؟ هل تكلمت إلى فيغديس ألبو؟".

"نعم".

"ما علاقتهما بالتحديد بسرقة المصرف؟".

لم ينظر هاري إليه، إذ لم يقل قط إن لذلك علاقة بسرقة المصرف، وأيضاً لم يقل إن الأمر يتعلق بالجريمة، لهذا كان طبيعياً تماماً أن يفترض زميله ذلك. كان هاري يتفادى الإجابة حين ملأ وجه آرنيه ألبو الشاشة. كانت أعرض ابتسامة يراها هاري حتى ذلك اليوم تطلّ من فوق ربطة عنق مشدودة بإحكام. تلمّظ هاري بشفتيه وقرأ بصوت عالٍ: ثلاثون مليوناً مقابل عمل الأسرة. حصل آرنيه ألبو اليوم على ثلاثين مليون كرون بعد أن اشترت سلسلة الفنادق تشويس كل الأسهم في شركة ألبو أمس. يقول ألبو إنه يريد تخصيص مزيدٍ من الوقت لأسرته، التي كانت أكبر أسباب قيامه ببيع شركته الناجحة. قال ألبو خلال مقابلة أُجريت معه: "أريد رؤية أولادي يكبرون. الأسرة أهم استثماراتي".

وقام هاري بنسخ المقال.

"ألا تريد باقي المقال؟".

قال هاري: "لا. أريد الصورة فقط".

"ثلاثون مليوناً في المصرف، وقد بدأ الآن يسرق المصارف أيضاً؟".

قال هاري وهو ينهض عن كرسيه: "سأشرح لاحقاً. في هذه الأثناء،

أتساءل إن كان بمقدورك أن تشرح لي كيف تجد من يرسل بريداً

إلكترونياً".

"العنوان في البريد الإلكتروني".

"وذلك في دليل الهاتف، صحيح؟".

"لا، لكن يمكنك معرفة مخدّم البريد الذي أرسله، وهو مذكور في العنوان. في المخدّم لائحة بأسماء الزبائن وعناوينهم؛ إنه عمل بسيط جداً. هل تلقيت رسالة إلكترونية مثيرة للاهتمام؟".

هزّ هاري رأسه.

قال هالفورسن: "أعطني العنوان وسأجده لك في ملح البصر".

"لا بأس. هل سمعت بمخدّم يدعى بولد دوت كوم؟".

"لا، لكنني سأتحقق منه. ما باقي العنوان؟".

تردّد هاري وقال: "لقد نسيت".

طلب هاري سيارة من المرأب وقادها ببطء عبر غرونلاند. تلاعبت ريح باردة بالأوراق التي كانت قد جفت على الرصيف في شمس الأمس. مشى الناس يدسون أيديهم داخل جيوبهم ويحنون رؤوسهم بين أكتافهم.

في بيلستردت، قاد هاري سيارته خلف ترام والتقط إذاعة أن. أر. كيه. الإخبارية على المذياع. لم يقولوا شيئاً عن قضية شتاين غريت. كانت هناك مخاوف من أن مئات آلاف الأطفال اللاجئين لن ينجوا من الشتاء الأفغاني القاسي. لقي جندي أميركي حتفه، وكانت هناك مقابلة مع أفراد أسرته

الذين أرادوا الانتقام. كانت ببسلة مغلقة أمام حركة السير وهناك تحويلة. "نعم؟". كان مقطع صوتي واحد عبر جهاز النداء الداخلي كافياً لمعرفة أن أستريد مونسن مصابة بزكام شديد.

"هاري هول. شكراً لمساعدتك حتى الآن. تساءلت إن كان ممكناً طرح بضعة أسئلة أخرى. هل لديك وقت؟".

أخذت نفساً عميقاً قبل أن ترد: "بشأن ماذا؟".

"أفضل ألا أقف في العراء هنا وأسأل".

أخذت نفساً عميقاً آخر. قبل أن يسأل هاري: "أليس الوقت مناسباً؟". صرّ القفل ودفعت هاري الباب ليفتحه.

كانت أستريد مونسن تقف في الرواق تضع شالاً على كتفها وذراعاً

فوق الأخرى حين صعد هاري السلم.

قال هاري: "رأيتك في الجنازة".

قالت: "ظننت أن واحداً من جيرانها على الأقل يجب أن يحضر".

بدت وكأنها تتكلم عبر مكبر صوت.

"أتساءل إن كنت تعرفين هذا الشخص؟".

أمسكت بتردد الصورة مثنية الطرف وقالت: "أي واحد؟".
"أياً منهم في الواقع".

حدّقت أستريد مونسن إلى الصورة مطولاً.
"حسناً؟".

هزّت رأسها نافيةً.

"أأنتِ واثقة؟".

"مم. هل تعرفين إن كان لآنا حبيب؟".
"واحد؟".

تنفّس هاري بعمق وقال: "هل تقصدين أنهم كانوا كثيرين؟".

هزّت كتفها وقالت: "يمكنك سماع كل صوت في هذا المنزل. دعني
أقول إن السلام تصر".

"أي شيء جدّي؟".

"ليست لدي أي فكرة".

انتظر هاري ردّها ولكنها لم تصمت طويلاً حتى قالت: "كانت هناك
ورقة تحمل اسماً مثبتة بجانب صندوق بريدها هذا الصيف. لا أعرف إن
كانت العلاقة جدّية كفاية...".
"لا؟".

"أظن أن خط يدها كان على الرسالة، كُتِبَ عليها اسم إريكسن

فقط". كان هناك أثر ابتسامة على شفيتها الرقيقتين وتابعت: "ربما كان قد
نسي إخبارها اسمه الأول. بأي حال، اختفت الورقة بعد أسبوع".

نظر هاري نحو الأسفل إلى الدرابزين. كانت السلام شديدة الانحدار،

ثم قال: "أسبوع أفضل من لا شيء، أليس كذلك؟".

قالت وهي تضع يدها على مقبض الباب: "ربما بالنسبة إلى بعضهم.

يجب أن أذهب الآن. لقد تلقيت بريداً إلكترونياً، كما أسمع".

"لن يذهب إلى أي مكان، أليس كذلك؟".

غلبتها نوبة أخرى من العطاس وقالت بعينين مملوءتين دمعاً: "يجب

أن أرد عليه. إنه المؤلف. نناقش ترجمتي".

قال هاري: "إذاً، سأعود. أريد منك فقط أن تنظري إلى هذه أيضاً".

أعطاه هاري ورقة. أمسكت بها، ثم ألقت نظرة عليها ونظرت إلى

هاري متشككة.

قال هاري: "ألقي نظرة متفحّصة فحسب. خذي كل الوقت الذي

تحتاجين إليه".

قالت وهي تعيد الورقة: "غير ضروري بتاتاً".
استغرق الأمر من هاري عشر دقائق ليمشي من مقر قيادة الشرطة إلى 21 آيه. كيولبرغاتا. كان المبنى الآجريّ القديم مقرّاً لمذبغة، ومطبعة، ومشغل للحدادة، وعلى الأرجح أشياء عدّة أخرى؛ ذكرى عن وجود صناعة في أوصلو سابقاً. أصبح كرميتكنيسك يشغل المبنى آنذاك. بالرغم من الإضاءة الجديدة والديكور المعاصر، إلا أن اللمسة الصناعية لا تزال ظاهرة على المبنى. وجد هاري ويير في إحدى الغرف الكبيرة الباردة.
قال هاري: "تبا! هل أنت واثق تماماً؟".

ابتسم ويير متعباً وقال: "البصمة على القارورة سليمة جداً ولو أنها لدينا في ملفاتنا، لكان الحاسوب قد عثر عليها. طبعاً، يمكننا أن نبحث يدويّاً لنكون واثقين مئة وعشرة بالمئة، لكن ذلك سيستغرق أسابيع ولن نجد شيئاً بأي حال. هذا مؤكد".
قال هاري: "آسف. كنت واثقاً تماماً أننا لننا منه. كنت أظن أن فرص عدم اعتقال رجل مثله سابقاً معدومة".

"تعني حقيقة أن بصمته ليست في أرشيفنا أن علينا البحث في مكان آخر. لكن الآن، لدينا على الأقل دليل ملموس. هذه البصمة والألياف من كيركفين. إذا استطعنا العثور على الرجل، فلدينا إثبات قاطع. هلغسن!".
توقف شاب يمر بجوارهما فجأة.

تذمر ويير وقال: "لقد وصلتني هذه القبعة من أكرسلفا في كيس مفتوح. لا ندير حظيرة حيوانات هنا، هل تفهم هذا؟".
أوماً هلغسن ورمق هاري بنظرة العارف.

قال ويير وهو يستدير إلى هاري مجدداً: "يجب أن تتقبل الأمر كرجل. على الأقل لم يكن عليك أن تتحمّل ما حدث مع إيفارسون اليوم".
"إيفارسون؟".

"ألم تسمع بما حدث في كولفرت اليوم؟".
هزّ هاري رأسه نافياً، وضحك ويير بصوت خافتٍ وفرك يديه، ثمّ قال:
"في تلك الحال، سأخبرك قصة جيدة تساعدك في طريقك يا هول".
كان وصف ويير مثل التقارير الشرطة التي يكتبها؛ موجزاً، بجمل مختصرة تصف الحدث من دون أي سرد مسهب عن المشاعر، أو نبرة الصوت أو تعبيرات الوجه. لم تكن لدى هاري مشكلة في ملء الفراغات. كان بمقدوره أن يتخيل مدير وحدة السرقات رون إيفارسون وويير يدخلان إحدى غرف الزيارة في الجناح آيه. وسماع الباب يوصد خلفهما. كانت كلتا

الغرفتين إلى جانب مكتب الاستقبال ومجهّزتين للأسر. يستطيع السجين الاستمتاع ببضع لحظات هدوء مع أقرب الناس إليه وأعزّهم في غرفة كان أحدهم قد حاول أن يجعلها مريحة؛ أثاث أساسي، وورود اصطناعية، وعدد من اللوحات المائية الباهتة على الجدار.

كان راسكول واقفاً حين وصل الاثنان؛ يتأبط كتاباً سميكاً تحت ذراعه، وعلى الطاولة المنخفضة أمامهم رقعة شطرنج مع أحجار منسّقة وجاهزة للعب. لم ينبس ببنت شفة، ونظر إليهما بعينين بنيتين تنضحان أملاً. كان يرتدي قميصاً أبيض يشبه المعطف يصل إلى ركبتيه تقريباً. لم يكن إيفارسون مرتاحاً، وطلب بفضاظة من الخجري الطويل النحيل أن يجلس، فأطاع راسكول الأمر بابتسامة باهتة.

كان إيفارسون قد اصطحب ويير معه بدلاً من رجال الشرطة الشبان في فريق التحقيق؛ لأنه ظنّ أن الثعلب العجوز يمكن أن يساعده على تكوين فكرة عن راسكول، كما قال. وضع ويير كرسيّاً عند الجدار وأخرج دفتر ملحوظات، في حين جلس إيفارسون قبالة السجين سيئ السمعة. قال راسكول ماداً يده المفتوحة ليدعو الشرطي إلى بدء اللعبة: "رجاءً، أيها المدير إيفارسون".

قال إيفارسون، وهو يضع خمس صور عن سرقة بوغستادين بجانب بعضها بعضاً على الطاولة: "لقد جئنا إلى هنا لنحصل على معلومات، لا نلعب ألعاباً. نود أن نعرف من هذا". رفع راسكول الصور الواحدة تلو الأخرى وأمعن النظر إليها وهو يقول "همم" بصوتٍ عالٍ.

سأل بعد أن نظر إليها كلها: "هل يمكنني أن أستعير قلماً؟".

تبادل ويير وإيفارسون نظرات.

قال ويير وهو يعطيه قلم حبر سائل: "خذ قلمي".

قال راسكول من دون أن يشيح بصره عن إيفارسون: "أفضل النوع

العادي".

هزّ رئيس وحدة السرقات كتفيه، وأخرج قلم حبر جافّ من جيبه

الداخلي وأعطاه إياه.

قال راسكول، وهو ينزع غطاء قلم إيفارسون الأبيض، الذي كان يحمل

بالمصادفة شعار مصرف دن نورسك: "أولاً، أودّ أن أشرح مبدأ خرطوشة

الصباغ. كما تعرفان، يضيف موظفو المصارف دائماً خرطوشة صباغ إلى المال

تحسباً لتعرضهم إلى سرقة. الخرطوشة متصلة بعلب الأموال المعدنية في

جهاز الصراف الآلي. ترتبط بعض الخراطيش بجهاز إرسال تعمل بالحركة، في حال وضعت في كيس مثلاً. تعمل أجهزة أخرى حين تتجاوز بوابة قد تكون مثبتة في أعلى المدخل الرئيس للمصرف. ربما يكون في الخرطوشة جهاز إرسال مجهري مرتبط بلاقط قد يحدث انفجاراً حين يصل إلى مسافة معينة عن اللاقط، لنقل مئة متر. تنفجر أجهزة أخرى بعد وقت محدد من تشغيلها. يمكن أن تحتوي الخرطوشة نفسها على كل أنواع الأجهزة، لكن يجب أن تكون صغيرة حتى يمكن إخفاؤها بين الأوراق النقدية. بعضها بهذا الحجم"، أبعاد راسكول إبهامه وسبابته سنتيمترين عن بعضهما، وتابع قائلاً: "الانفجار ليس خطراً على السارق، والمشكلة هي الصباغ، أو الحبر".

أخرج خرطوشة الحبر من القلم.

"كان جدي يعمل في صناعة الحبر. علّمني أنهم كانوا في الماضي يستخدمون الصمغ لصنع حبر أسود. يأتي الصمغ من شجرة الأكاسيا ويدعى الدموع اللوزية؛ لأنه يسيل بقطرات صفراء بهذا الحجم". شكّل دائرة بإبهامه وسبابته، بحجم لوزة تقريباً. "الهدف من الصمغ هو أنه يجعل الحبر لزجاً ويخفف توتره السطحي، ويُبقي أملاح الحديد سائلة. تحتاج أيضاً إلى مذيب. قبل وقت طويل كان يوصى باستخدام مياه الأمطار أو الشراب الفرنسي الأبيض، أو الخل. قال جدي إنه يجب إضافة الخل إلى الحبر حين تكتب إلى عدو، والشراب الفرنسي حين تكتب إلى صديق".

تنحج إيفارسون، لكن بالرغم من ذلك تابع راسكول حديثه. "أولاً، الحبر غير مرئي. يصبح مرئياً حين يوضع على الورق. هناك جزيئات حمراء في خرطوشة الصباغ تثير تفاعلاً كيميائياً حين توضع على ورق النقود؛ وهذا يجعل إزالتها مستحيلاً. ستبقى الأموال موسومة إلى الأبد بأنها مسروقة".

قال إيفارسون: "أعرف كيف تعمل خرطوشة الصباغ. أود أن أعرف...". "صبراً أيها المدير. الشيء الرائع في هذه التقنية أنها بسيطة جداً، إلى درجة أنه بمقدوري صنع خرطوشة صباغ بنفسني، أضعها حيث أشاء، وأجعلها تنفجر على مسافة محددة من اللاقط. يمكن وضع كل المعدات المطلوبة في علبة غداء".

كان ويبر قد توقف عن تسجيل الملاحظات.

"لكن مبدأ الخرطوشة ليس التقنية أيها المدير إيفارسون. المبدأ هو

إثبات الجريمة"، أشرق وجه راسكول بابتسامة كبيرة ثم تابع قائلاً: "يلصق الحبر نفسه أيضاً بملابس السارق وجلده. والحبر قوي جداً، وعندما يصبح على يديك لن تستطيع غسله عنهما أبداً. مال ملطخ بالدم. عذاب الحَكَم. عقاب السارق".

رمى راسكول خرطوشة الحبر على الأرض خلف الطاولة، وعندما انحنى ليلتقطها، أشار إيفارسون إلى ويبر أنه يريد دفتر الملحوظات. قال إيفارسون وهو يضع الدفتر على الطاولة: "أودّ منك أن تكتب اسم الشخص الظاهر في الصور. كما قلت، لسنا هنا لنلعب ألعاباً". قال راسكول وهو يجمع أجزاء القلم ببطء: "لن نلعب ألعاباً، لا. وعدت أن أزودك باسم الشخص الذي أخذ المال، أليس كذلك؟". قال إيفارسون: "كان ذلك هو الاتفاق، نعم". انحنى إلى الأمام حين بدأ راسكول يكتب.

قال: "نحن الإكسوركسان (العُجْر) نعرف ما الاتفاق. لن أكتب اسمه فحسب، وإنما الغانية التي يذهب إليها بانتظام والرجل الذي اتصل به ليكسر ركبة الشاب الذي حطّم فؤاد ابنته حديثاً أيضاً. بالمناسبة، رفض الشخص المعني المهمة". "آه... ممتاز". استدار إيفارسون بسرعة إلى ويبر الذي قرأ الملحوظة على عجل.

تلاشت الابتسامة المبتهجة ومتمم: "لكن... هيلج كليمنتسن. إنه مدير الفرع. هل هو متورط؟".

قال راسكول: "كثيراً. أخرج المال، أليس كذلك؟". جاء صوت ويبر العميق من عند الباب: "ووضعه في حقيبة السارق القماشية".

تغير تعبير وجه إيفارسون ببطء من الشك إلى الغضب وقال: "ما هذه الثثرة؟ وعدت أن تساعدنا؟".

أمعن راسكول النظر إلى الظفر الطويل المدبب لإصبعه الصغرى في يده اليمنى، ثم أوماً مغتاضاً، وانحنى فوق الطاولة ولوّح لإيفارسون أن يقترب منه وهمس: "أنت محق. إليك معلومة؛ تعلم مغزى الحياة. اجلس وراقب ابنك. ليس سهلاً العثور على الأشياء التي كنت قد فقدتها، لكنه ممكن". ربت على ظهر رئيس وحدة السرقات وأشار نحو رقعة الشطرنج. "دورك أيها المدير".

كان إيفارسون يستشيط غضباً وهو يمشي مع ويبر عبر كولفرت، نفق

تحت الأرض طوله ثلاثمئة متر يصل سجن بوتسن بمقر قيادة الشرطة.
قال إيفارسون: "وثقت بأحد المجرمين الكاذبين! وثقت بجري كاذب!".
تردد الصدى على طول الجدران الآجرية. كان ويبر يحث الخطي، يريد أن
يخرج من النفق البارد الرطب. كان كولفرت يُستخدم لنقل المساجين من
غرف الاستجواب في مقر قيادة الشرطة وإليها، وسرت إشاعات كثيرة عما
كان يحدث في الأسفل.

شد إيفارسون سترة بزّته بقوة حوله وزاد سرعته ثم قال: "عدني بشيء
واحد يا ويبر: ألا تتفوه بكلمة عن هذا لأي شخص. اتفقنا؟". استدار نحو
ويبر رافعاً حاجبه: "حسناً؟".

كان الجواب عن سؤال إيفارسون "نعم" رسمية بالقدر نفسه حين
وصلا إلى مكان في كولفرت جدرانه برتقالية وسمع ويبر صوت "بوف".
أطلق إيفارسون صرخة رعب وخرّ على ركبتيه في بركة ماء، يمسك صدره.
استدار ويبر حول نفسه ونظر يميناً ويساراً في النفق ولكنه لم يجد
أحدًا، ثم استدار مجدداً إلى مدير وحدة السرقات، الذي كان يحدّق إلى
يده المضرجة بالأحمر.
تأوه: "أنا أنزف. أنا أحتضر".

استطاع ويبر رؤية عيني إيفارسون تجحطان في وجهه.
سأل إيفارسون، وصوته يرتعش خوفاً حين نظر إلى ويبر يحدّق إليه
فاغراً فمه: "ما الأمر؟".

قال ويبر: "سيكون عليك أن تذهب إلى محل التنظيف".
نظر إيفارسون إلى الأسفل. كان الصباغ الأحمر قد انتشر على كل
قميصه وأجزاء من سترته الخضراء الفاتحة.
قال ويبر: "حبر أحمر".

أخرج إيفارسون بقايا قلم مصرف دن نورسك. كان الانفجار المجهري
قد جعله ينطبق في الوسط. بقي على ركبتيه وعيناه مغمضتان حتى عادت
أنفاسه طبيعية مجدداً ثم ثبتّ نظره على ويبر.
سأل وهو يمد يده النظيفة: "هل تعرف ما أعظم ذنب اقترفه هتلر؟"،
أمسك ويبر يده وشدّ إيفارسون ليقف على قدميه. جال إيفارسون ببصره
على الجزء من النفق الذي كانا قد تجاوزاه وأجاب عن سؤاله بنفسه: "أنه
لم يقضِ تماماً على الغجر".

قلّد ويبر وهو يضحك بصوتٍ خافت: "ولا كلمة إلى أي شخص عن
هذا. ذهب إيفارسون مباشرة إلى المرأب وقاد سيارته عائداً إلى منزله.

سيلطخ الحبر جلده مدة ثلاثة أيام على الأقل".
هز هاري رأسه غير مصدق: "وماذا فعلتما لراسكول هذا؟".
هز ويبر كتفيه وقال: "قال إيفارسون إنه سيضعه في زنزانه انفرادية.
أعرف أن ذلك لن ينفع بشيء. الرجل مختلف. بالحديث عن الاختلاف،
كيف تجري الأمور مع بتي؟ هل حصلتما على أي شيء باستثناء هذه
البصمة؟".

هز هاري رأسه نافياً.
قال ويبر: "الفتاة مميزة. يمكنني رؤية والدها فيها. ستكون بارعة".
"نعم. هل كنت تعرف والدها؟".
أوما ويبر وقال: "كان رجلاً طيباً ومخلصاً، ومن المؤسف أن حياته
انتهت على تلك الحال".

"غريب أن يخطئ شرطي خبير كما فعل هو".
قال ويبر وهو يغسل فنجان قهوة: "لا أظن أنها كانت غلطة".
"أه؟".

همهم ويبر.
"ماذا قلت يا ويبر؟".
تمتم: "لا شيء. كان لديه من دون شك سبب وجيه. هذا كل ما
أقوله".

قال هالفورسون: "بولد دوت كوم مخدّم من دون شك. كل ما أقوله
إنه ليس مسجلاً في أي مكان. قد يكون في قبو في كيف مثلاً ولديه
زبائن مجهولون يرسلون أفلاماً خلاعية خاصة إلى بعضهم بعضاً. ما أدراني
أنا؟ نحن البشر لا يمكن أن نعثر على أشخاص لا يريدون أن يجدهم أحد
في تلك الأدغال. يجب أن تستعين بمتعقب بارع، مختص حقيقي".
كان القرع على الباب ناعماً لدرجة أن هاري لم يسمعه، لكن
هالفورسن صرخ: "ادخل".
فُتح الباب بحذر.

قال هالفورسن بابتسامة: "مرحباً. بتي، أليس كذلك؟".
أومات ونظرت بسرعة إلى هاري ثم قالت له: "كنت أحاول العثور
عليك. رقم هاتفك الخلوي المذكور في اللائحة...".
قال هالفورسن وهو ينهض: "لقد فقد هاتفه الخلوي. اجلسي وسأعدُّ
إسبرسو هالفورسن لك".

تردّدت قائلة: "شكراً، لكنّ هناك شيئاً يجب أن أريك إياه في دار

الأم يا هاري. هل لديك وقت؟".
قال هاري وهو يميل إلى الخلف على كرسيه: "كل الوقت في العالم.
كان لدى ويبر خبر سيئ فقط. لا بصمات مطابقة. وراسكول خدع
إيفارسون شر خدعة اليوم".
"هل ذلك خبر سيئ؟". تفوّهت بتي بذلك قبل أن تستطيع منع
نفسها. غطت فمها منزعجة، وضحك هاري وهالفورسن.
قال هالفورسن قبل أن تغادر مع هاري: "لطيف أن أراك مجدداً يا
بتى". لم يحصل على رد، وإنما على نظرة مستفسرة من هاري، وبقي واقفاً
مخرجاً قليلاً في وسط الغرفة.
لاحظ هاري بطانية مطوية على أريكة أيكيا التي تتسع لشخصين في
دار الأم وسأل بتى: "هل نمت هنا ليلة أمس؟".
قالت وهي تشغل شريط الفيديو: "غفوتُ فحسب. شاهد المسرّع
وشتاين في هذه الصورة".
أشارت إلى الشاشة حيث كانت قد أوقفت صورة السارق وشتاين تميل
نحوه. أحس هاري أن الشعر على عنقه يقف.
قالت: "هناك شيء مريب في هذا، أليس كذلك؟".
أمعن هاري النظر إلى السارق، ثم شتاين، وعرف أن ذلك ما جعله
يشاهد الفيلم مراراً وتكراراً، ويبحث طوال الوقت عن شيء موجود هناك
لكنه غفل عنه.
سأل: "ما الأمر؟ ما الذي تريه ولا أستطيع رؤيته؟".
"حاول".
"لقد حاولت سلفاً".
"اطبع الصورة في شبكيتك، أغمض عينيك واشعر بها".
"بصدق...".
"هيا يا هاري"، ابتسمت ثم قالت: "هذا هو التحقيق، أليس كذلك؟".
نظر إليها ذاهلاً قليلاً، ثم هز كتفيه وفعل ما قالته.
"ماذا ترى يا هاري؟".
"باطني جفني".
"ركّز. أخبرني بما يزعجك".
"هناك شيء بشأنهما. شيء... عن الطريقة التي يقفان بها".
"جيد. ماذا عن الطريقة التي يقفان بها؟".
"إنهما يقفان... لا أعرف. إنهما يقفان بطريقة غير صحيحة نوعاً ما".

"خطأ بأي طريقة؟".

انتاب هاري شعور الغرق نفسه الذي أحس به حين كان في منزل فيغديس آلبو. رأى شتاين غريت تميل إلى الأمام في جلستها؛ كأنها تحاول سماع كلمات السارق. كان يحدّق من ثقب القناع إلى وجه الشخص الذي يوشك على قتله. فيمّ كان يفكر؟ وفيمّ كانت تفكر؟ في هذه اللحظة المتجمّدة من الزمن، هل كانت تحاول اكتشاف من يكون، ذلك الرجل المقتنّع؟

كرّرت بتي: "خطأ بأي طريقة؟".

"إنهما... إنهما...".

سلاحٌ في اليد، وإصبع على الزناد. تحوّل كل من حوله إلى رخام. إنها تفتح فمها. يمكنه رؤية عينيها. الفوهة تمسّ أسنانها. "خطأ بأي طريقة؟".

"إنهما... إنهما قريبان جداً من بعضهما".

"أحسنّت يا هاري!".

فتح عينيه. تلالأت بقع تشبه الأميبيا (حيوان وحيد الخلية) وطافت في مجال رؤيته.

تمتم قائلاً: "أحسنّت؟ ماذا تعنين؟".

"لقد وصفت بالكلمات ما كنا نراه طوال الوقت. أنت محق تماماً يا هاري. إنهما يقفان قريباً جداً من بعضهما بعضاً".

"نعم، سمعت نفسي أقول ذلك، لكن قريبين جداً في ما يتعلق بماذا؟".
"في ما يتعلق بالمسافة التي يجب أن يقف فيها شخصان لم يلتقيا قط من قبل".

"هه؟".

"هل سمعت بإدوارد هال؟".

"ليس تماماً".

"عالم اجتماع. كان أول من شرح الصلة بين المسافة التي يبقيها أشخاص بين بعضهم بعضاً والعلاقة بينهم. إنها موثّقة جيداً".
"اشرح".

"المسافة الاجتماعية بين الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم بعضاً من واحد إلى ثلاثة أمتار ونصف. تلك هي المسافة التي يجب أن تحافظ عليها إذا كان الموقف يسمح بذلك، لكن انظر إلى طوابير انتظار الحافلات والمراحيض. في طوكيو، يقف الناس أقرب إلى بعضهم بعضاً ويشعرون

بالراحة، لكن الاختلافات من ثقافة إلى أخرى ضئيلة نسبياً في الواقع".
"لا يمكنه أن يهمس لها من مسافة أبعد من متر، أليس كذلك؟".
"لا، لكن كان بمقدوره فعل ذلك في ما يُعرف بالمسافة الشخصية،
التي تتراوح بين خمسة وأربعين سنتيمتراً ومترٍ واحدٍ. تلك هي المسافة التي
يحافظ عليها الناس مع غرباء وما يدعى المعارف. لكن كما ترى، حطّم
المسرّع وشتاين هذا الحد الفاصل. لقد قست المسافة. إنها عشرون سنتيمتراً.
هذا يعني أنهما داخل حيز التواصل الحميم. عندما تكون قريباً جداً من
الشخص الآخر لا يمكنك التركيز على وجهه أو تفادي رائحته أو حرارة
جسده. إنها مسافة مخصصة للأزواج أو أفراد الأسرة المقربين".
قال هاري: "لقد دُهِشت بمعلوماتك، لكن هذين الشخصين متورطان في
موقف حرج".

صرخت بتي، وهي تمسك ذراع الكرسي حتى لا تفقد توازنها: "نعم،
لكن هذا ما يجعل الأمر مثيراً جداً. إذا لم يكن الناس مضطرين، فإنهم لا
يعبرون الحدود التي تكلم إدوارد هال عنها. والمسرّع وشتاين ليسا مضطرين
إلى ذلك".

فرك هاري ذقنه وقال: "لا بأس، لنتابع سلسلة الأفكار".
قالت بتي: "أظن أن المسرّع كان يعرف شتاين غريت بشكل جيد".
"جيد، جيد". وضع هاري كفيّه على وجهه وتكلم عبر أصابعه. "إذاً،
كانت شتاين تعرف سارق المصرف المحترف الذي نفّذ عملية سرقة متقنة
قبل أن يقتلها. تعرفين إلى أين يأخذنا هذا الاستنتاج، أليس كذلك؟".
أومأت بتي وقالت: "سأرى ما يمكننا العثور عليه عن شتاين غريت في
الحال".

"رائع. وبعد ذلك سنتبادل أطراف الحديث مع شخص كان موجوداً
معظم الأحيان ضمن حيزها الحميم".

يوم رائع

قالت بتي: "يجعل هذا المكان قشعريرة تسري في جسدي".
قال هاري: "كان لديهم مريض شهير هنا يدعى أرنولد جوركلرود. قال إن هذا المكان هو دماغ الوحش المريض المعروف باسم علم النفس. إذاً، لم تجدي شيئاً عن شتاين غريت؟".
"لا. سجلها لا تشوبه شائبة، وحساباتها المصرفية لا تشير إلى مخالفات مالية. لم تكن تسرف في التسوق في متاجر الملابس أو المطاعم. لا دفعات في استاد بجرك للخيول أو أي إشارات أخرى على الرهان. كان الإنفاق الوحيد الذي اكتشفته رحلة إلى ساو باولو هذا الصيف".
"وزوجها؟".

"الشيء نفسه تماماً، ملتزم ومقتصد".

مرًا تحت البوابة إلى مستشفى غاستاد ووصلا إلى ساحة محاطة بمبانٍ ضخمة مشيدة من الحجر الأحمر.

قالت بتي: "يشبه سجنًا".

قال هاري: "هاينريش شريمير. مهندس معماري ألماني من القرن التاسع عشر. صمم أيضاً سجن بوتسن".

جاء ممرض ليرافقهما من الاستقبال. كان شعره مصبوغاً بالأسود ويبدو مثل شخص يعزف في فرقة أو يقوم بأعمال تصميم؛ وهو في الواقع ما كان يفعله.

قال وهم يمشون على عجل في الرواق إلى القسم ج 2: "كان تروند غريت يجلس أغلب الأحيان ويحدّق إلى الخارج عبر النافذة".

سأل هاري: "هل هو مستعد للكلام؟".

"نعم، يمكنه أن يتكلم الآن...". كان الممرض قد دفع ستمئة كرون لجعل شعره الأسود يبدو أشعث، ويعبث آنذاك بإحدى الخصلات ويطرف بعينه إلى هاري عبر نظارة سوداء مزركشة الإطار تجعله يبدو مثل أخرق، بالطريقة المناسبة تماماً؛ أي أن الجهد يمكن أن يرى أنه ليس أخرق وإنما خبير.

قالت بتي: "يتساءل زميلي إن كان غريت على ما يرام ليتكلم عن زوجته".

قال الممرض وهو يعيد خصلة الشعر إلى أمام نظارته: "ستكتشفان ذلك. إذا أُصيب بذهان مجدداً، فلن يكون مستعداً".

لم يسأل هاري كيف يعرفان أن شخصاً مصاباً بذهان. وصلوا إلى نهاية الرواق وفتح الممرض باباً فيه نافذة دائرية.

سألت بتي وهي تنظر في أرجاء غرفة الاستقبال الأنيقة: "هل يجب أن يوصد الباب عليه؟".

قال الممرض من دون أن يسهب في الشرح: "لا"، وأشار إلى الرجل الذي يلبس ثوب حمّام أبيض يجلس على كرسي كان قد نُقل إلى جانب النافذة وقال: "سأكون في مكتب المناوبة إلى يسار طريق خروجكما".

مشياً إلى الرجل الجالس على الكرسي، والذي كان يحدّق إلى الخارج عبر النافذة، والشيء الوحيد الذي يتحرك يده اليمنى، التي كانت تنقل ببطء قلماً فوق دفتر ملحوظات، بتشنجٍ وتلقائيةٍ مثل ذراع آلية. سأل هاري: "تروند غريت؟".

لم يتعرّف الشخص الذي استدار، إذ إن غريت قد حلق كل شعره، وبدا وجهه نحيلاً، وحلّت محلّ النظرة القاسية التي رآها هاري في عينيه تلك الأمسية التي قابله فيها في ملعب كرة المضرب نظراً هادئةً وخاويةً وضائعةً تجاوزتهما. كان هاري قد رآها من قبل. إنهم يبدون على تلك الحال بعد الأسابيع الأولى خلف المشارب حين يبدؤون التكفير عن ذنوبهم. كان هاري يعرف بشكلٍ فطري أن ذلك الرجل يفعل الشيء نفسه؛ التكفير عن الذنب.

قال هاري: "نحن من الشرطة".

نظر غريت إليهما.

"يتعلق الأمر بالسطو على المصرف وزوجتك".

أغمض غريت عينيه تقريباً؛ كأن عليه أن يركّز ليفهم ما كان هاري

يقوله.

قالت بتي بصوتٍ عالٍ: "كنا نتساءل إذا كان بمقدورنا أن نطرح عليك بضعة أسئلة".

أوماً غريت ببطء، فسحبت بتي كرسيّاً إلى جانبه وجلست.

سألت: "هل يمكنك أن تخبرنا عنها؟".

"أخبركما؟". صرّ صوته مثل باب سيئ التزييت.

قالت بتي بابتسامة لطيفة: "نعم. نود أن نعرف عن شتاين. ماذا

كانت تفعل. ماذا كانت تحب. ما الخطط التي كانت لديكما. ذلك النوع من الأشياء".

"ذلك النوع من الأشياء؟". نظر غريت إلى بتي، ثم وضع القلم جانباً

وقال: "كنا سننجب أولاداً. تلك هي الخطة. أطفال أناييب اختبار. كانت تأمل في توأم: اثنين زائد اثنين، كما قالت دائماً. اثنين زائد اثنين. كنا على وشك البدء". وهنا فاضت الدموع في عينيه.

"أنتما متزوجان منذ وقت طويل، أليس كذلك؟".
قال غريت: "عشر سنوات. إذا لم يلعبوا كرة المضرب، فما كنت لأمانح. لا يمكنك إرغام الأولاد أن يحبوا الأشياء نفسها التي يحبها والدهم، أليس كذلك؟ ربما كانوا سيفضّلون ركوب الخيل. ركوب الخيل ممتع".
"أي نوع من الأشخاص كانت؟".

كرّر غريت مواجهاً النافذة: "عشر سنوات. التقينا عام 1988. كنت قد بدأت الدراسة في كلية الإدارة في أوصلو وكانت في سنتها الأخيرة في مدرسة نيسن الثانوية. كانت أجمل فتاة رأيتها في حياتي. أعرف أن الجميع يقولون إن الجميلة هي المرأة التي لا يمكنك الزواج منها والتي يجب أن تنساها، لكن مع شتاين، كان الأمر حقيقياً. ولم أتوقف عن التفكير قط في أنها الأجل. انتقلنا للعيش معاً بعد شهر وبقينا معاً كل يوم وليلة طوال ثلاث سنوات. بالرغم من ذلك لا أصدّق أنها قد وافقت على أن تصبح شتاين غريت. أليس هذا غريباً؟ عندما تحب شخصاً حباً جماً، تجد الأمر مبهماً حين يحبك بالقدر نفسه. يجب أن يكون العكس صحيحاً، أليس كذلك؟".
سقطت دمعة على ذراع الكرسي.

"كانت طيبة. لم يعد هناك عدد كبير من الناس يقدرّون تلك الصفة الآن. كانت محل ثقة، ومخلصة ولطيفة دائماً؛ وشجاعة. كانت إذا ظنّت أنها تسمع ضوضاء في الأسفل وأنا نائم، تنهض وتنزل إلى هناك. قلت إنها يجب أن توقظني، فماذا ستفعل إذا كان هناك يوماً ما لصوص في الطابق السفلي؟ لكنها كانت تضحك وتقول: سأقدّم لهم عندها كعكاً، وستوقظك رائحة الكعك لأنها تفعل ذلك دائماً. كان يُفترض أن توقظني رائحة الكعك حين... نعم".

تنفّس نفساً عميقاً بصوتٍ مسموع. لوّحت أعضان أشجار البتولا العارية في الخارج لهم في الريح العاصفة. همس: "كان يجب أن تحضّر كعكاً". ثم حاول أن يضحك، لكن بدا أنه يبكي.
سألت بتي: "كيف كان أصدقاؤها؟".

لم يكن غريت قد توقف عن الضحك واضطرت إلى تكرار السؤال.
قال: "كانت تحب البقاء بمفردها. ربما لأنها كانت وحيدة، وعلاقتها بوالديها وثيقة. ثم حظي أحدنا بالآخر. لم نكن بحاجة إلى أحد آخر".

قالت بتي: "ربما كانت لديها علاقات بأخرين لا تعرف بشأنها، أليس كذلك؟".

نظر غريت إليها وسأل: "ماذا تعنين؟".

احمرّت وجنتا بتي من الارتباك وابتسمت بسرعة قائلة: "أعني أن زوجتك ربما لم تكن تُطلعك على الأحاديث التي تتبادلها مع كل الأشخاص الذين تلتقي بهم".

"لماذا؟ ماذا تحاولين أن تقولي؟".

ابتلعت بتي ريقها وتبادلت نظرات مع هاري، الذي تولّى زمام الأمور وقال: "في تحقيقاتنا يجب أن نتوثق دائماً من كل الاحتمالات، حتى إذا كانت تبدو ضعيفة؛ وأحدها أن يكون بعض موظفي المصرف متورطين مع السارق. أحياناً تكون هناك مساعدة من الداخل في تخطيط عملية وتنفيذها. هناك شك، مثلاً، أن يكون السارق يعرف متى يعاد ملء علب الصراف الآلي المعدنية". أمعن هاري النظر إلى وجه غريت بحثاً عن إشارات إلى ردّ فعله على ذلك، لكن عينيه أوحتا إليه أنه لم يعد يتواصل معهما، فكذب قائلاً: "لقد طرحنا الأسئلة نفسها على كل الموظفين الآخرين". زعق غراب على الشجرة في الخارج؛ حزيناً ووحيداً. أوماً غريت، ببطء في البداية ثم بسرعة.

قال: "آها! فهمت. تظنان أن ذلك هو سبب قتل شتاين. تظنان أنها تعرف السارق. وعندما انتهى من استغلالها، أطلق النار عليها لإزالة أي أدلة محتملة. أليس ذلك صحيحاً؟".

قال هاري: "حسناً، هذا احتمال وارد على الأقل".

هزّ غريت رأسه وضحك مجدداً ضحكة حزينة جوفاء وقال: "واضح أنكما لم تعرفا زوجتي شتاين. لا يمكن أن تفعل شيئاً مماثلاً قط. ولماذا ستفعل ذلك؟ لو أنها عاشت وقتاً أطول، لأصبحت مليونيرة". "أوه؟".

"والي بوتكر جدّها. عمره خمس وثمانون سنة ويمتلك ثلاثة مبانٍ سكنية في وسط المدينة. شُخصت إصابته بسرطان الرئة هذا الصيف، ومنذ ذلك الوقت أصبح واضحاً ما ستؤول إليه الأمور. كان كل من أحفاده سيحصل على مبنى".

كان سؤال هاري مجرد رد فعل لإرادتي: "من سيحصل على مبنى

شتاين الآن؟".

أجاب غريت باشمئزاز في صوته: "الحفيدان الآخرا. وستتحقق الآن من

حجة غيابهما، أليس كذلك؟".

سأل هاري: "هل تظن أننا يجب أن نفعل ذلك؟".

كان غريت على وشك أن يجيب، لكنه أحجم حين التقت عيناه بعيني هاري، وعصّ على شفته السفلى.

قال وهو يمرّ يده على ذقنه غير الحليق: "أعتذر. بالطبع يجب أن أكون سعيداً لأنكما تتوثقان من كل احتمال. يبدو كل شيء ميئوساً منه، ولا معنى له. حتى إذا قبضتما عليه، فلن أستعيد أبداً ما أخذه مني. لن تفعل ذلك حتى عقوبة الإعدام. فقدان حياتك ليس أسوأ شيء يمكن أن يحدث لك". كان هاري يعرف سلفاً ما سيقوله: أسوأ شيء هو أن تفقد سبب العيش.

قال هاري وهو ينهض: "نعم، هذه بطاقتي. اتصل بي إذا خطر شيء لك. يمكنك أيضاً أن تطلب الحديث إلى بتي لون".

كان غريت قد استدار ليواجه النافذة مجدداً ولم يرَ هاري يمد يده ببطاقته، لهذا تركها على الطاولة. في الخارج، كان الظلام يصبح أكثر حلقة وشاهدوا انعكاسات شبه شفافة على النافذة، مثل أشباح.

قال غريت: "ينتابني شعور أنني قد رأيته من قبل. أيام الجمعة كنت أذهب مباشرة من العمل لألعب السكواتش في مركز فوكس في سبورفيسغاتا. لم يكن لدي زميل، لهذا أقصد النادي الرياضي أولاً. أرفع أثقالاً، وأركب الدراجة، وذلك النوع من التمارين. هناك عدد كبير من الأشخاص في ذلك الوقت وعليك غالباً أن تقف في صفّ طويل".

قال هاري: "ذلك صحيح".

"عندما لقيت شتاين حتفها، كنت هناك، على بعد ثلاثمئة متر عن المصرف، أتطلع قدماً إلى الاستحمام والذهاب إلى المنزل والبدء بالطهي. أطهي دائماً الوجبة أيام الجمعة. كنت أحب انتظارها. كنت أحب... انتظارها. لا يحب كل الرجال ذلك".

سألت بتي: "ماذا تعني أنك رأيته؟".

"رأيت شخصاً يتجاوزني في غرفة تغيير الملابس. كان يرتدي ثياباً فضفاضة سوداء، مثل رداء سروالي".

"أكان مقنعاً؟".

هزّ غريت رأسه نافياً.

سأل هاري: "ربما كان يعتمر قبعة ذات إطار؟".

"كان يحمل غطاءً للرأس في يده. يكون قناعاً أو قبعة لها إطار".

شرع هاري يقول: "هل رأيت وجهه...؟"، لكن بتي قاطعته: "طوله؟".
قال غريت: "لا أعرف. طول عادي. ما العادي بأي حال؟ 1.80؟".
سأل هاري: "لماذا لم تخبرنا هذا من قبل؟".
قال غريت وهو يضغط أصابعه على الزجاج: "لأن هذا مجرد إحساس.
أعرف أنه ليس هو".
سأل هاري: "لماذا أنت واثق جداً؟".
"لأن اثنين من زملائكما كانا هنا قبل بضعة أيام. كان اسماهما لي".
دار على الكرسي ونظر إلى هاري. "هل هما قريبان؟".
"لا، ماذا أرادا؟".
أبعد غريت يده. كانت النافذة قد أصبحت ضبابية حول آثار الأصابع
الدبقة.

"أرادا أن يتحققا إن كانت شتاين متورطة بطريقة ما مع سارق
المصرف. وعرضا علي صوراً للسرقة".
"و؟".

"كان الرداء السروالي أسود من دون أي علامات. كان على ظهر الثوب
الذي رأيت في مركز فوكس حروف بيضاء كبيرة".
سألت بتي: "أي حروف؟".
قال غريت وهو يمحو آثار يديه: "ب - و - ل - ي - ت - ي
(شرطة). عندما خرجت إلى الشارع بعد ذلك، سمعت صفارات شرطة في
ماجورستون. كان أول شيء فكّرت فيه هو كيف يستطيع لصوص الهرب
بوجود قوة شرطية كبيرة".
"نعم، بالفعل. ما الذي جعلك تفكّر في ذلك؟".

"لا أعرف. ربما لأن أحدهم كان قد سرق مضرب السكواتش الخاص بي
من غرفة تغيير الملابس حين كنت أتمرّن. كانت فكري اللاحقة أن مصرف
شتاين تعرّض للسرقة. هكذا يعمل دماغك حين يجمع خيالك، أليس كذلك؟
ثم ذهبت إلى المنزل وأعددت لازانيا". حاول غريت أن يبتسم، ثم بدأت
الدموع تنهمر.

ثبّت هاري بصره على الورقة التي كان غريت قد كتبت عليها حتى
لا يرى الرجل الراشد يبكي.

"تحقّقت من حسابك المصرفي النصف سنوي؛ لقد سُحب مبلغ كبير
من المال!". بدا صوت بتي أجشّ وقاسياً. "لقد تمّ سحب ثلاثين ألف كرون
في ساو باولو. علامَ أنفقتها؟".

نظر هاري إليها ذاهلاً، وبدأ أنها لا تبالي أبداً بالموقف.
ابتسم غريت عبر دموعه وقال: "احتفلت وشتاين بذكرى زواجنا
العاشرة هناك. كانت لديها عطلة مستحقة وذهبت قبلي بأسبوع. كانت تلك
أطول مدة نفترق فيها عن بعضنا".
قالت بتي: "سألتك على ماذا أنفقت الثلاثين ألف كرون بالعملة
البرازيلية؟".

استدار غريت إلى النافذة وقال: "تلك مسألة خاصة".
"وهذه قضية جريمة قتل يا سيد غريت".
رمقها غريت بنظرة طويلة وقاسية قائلاً: "واضح أنك لم تحبي أحداً
من قبل، أليس كذلك".
أصبح جبين بتي داكناً.
قال غريت: "يعدُّ تجار المجوهرات الألمان في ساو باولو بين الأفضل في
العالم. اشتريت الخاتم الألماس الذي كانت شتاين تضعه حين توفيت".
جاء ممرضان من أجل غريت. الغداء. وقف هاري وبتي بجانب
النافذة يشاهدانه حين كانا ينتظران أن يرافقهما الممرض إلى الخارج.
قالت بتي: "أنا آسفة. جعلت من نفسي أضحوكة. أنا...".
قال هاري: "لا ضير من ذلك".
"نتوثق دائماً من حسابات المتهمين في قضايا المصارف، لكنني تماديت
على الأرجح هذه المرة...".

"قلت إن لا ضير من ذلك يا بتي. لا تعتذري أبداً عن أسئلة
تطرحينها، وإما عن تلك التي لا تسألينها".
وصل الممرض وفتح الباب.

سأل هاري: "إلى متى سيبقى هنا؟".
قال الممرض: "سيُرسل إلى المنزل نهار الأربعاء".
سأل هاري بتي، في طريقهما بالسيارة إلى مركز المدينة عن سبب
إرسال موظفي الرعاية الطبية المرضى إلى المنزل دائماً. "بالمحصلة، لا يقدمون
خدمة النقل، أليس كذلك؟ ويقرّر المرضى بأنفسهم إذا كانوا يريدون الذهاب
إلى البيت، أو أي مكان آخر، صحيح؟ لهذا، لماذا لا يقولون: ذهبوا إلى
البيت؟، أو خرجوا من المستشفى؟".

لم تكن لدى بتي وجهة نظر عن ذلك، وركّز هاري على الطقس
الكئيب، وفكّر في أنه قد بدأ يبدو مثل رجل عجوز متدمر، إذ قبل ذلك،
كان يبدو متدمراً فقط.

قالت بتي: "لقد غيرت سريحة شعره، ويضع نظارة".
"من هو؟".
"الممرض".

"آه! لم أكن أعلم أنكما تعرفان بعضكما".
"لا نعرف بعضنا. رأيته على الشاطئ في هوك مرة، وفي إلدورادو، وفي ستورتينغسغاتا. أظن أنها كانت ستورتينغسغاتا... لا بد من أن ذلك كان قبل خمس سنوات".

أمعن هاري النظر إليها وقال: "لم أدرك أنه من النوع الذي تفضّليه".
قالت: "ليس الأمر كذلك".

قال هاري: "آه! نسيت. إنه ذلك الخلل في دماغك".
ابتسمت وقالت: "أوسلو مدينة صغيرة".
"حقاً؟ كم مرة كنت قد رأيته قبل أن تأتي إلى مقر قيادة الشرطة؟".
"مرة قبل خمس سنوات".
"أين كان ذلك؟".

"على شاشة التلفاز. لقد حللت تلك القضية في سيدني".
"مم. أظن أن ذلك ترك انطباعاً".
"أتذكر فقط أن ذلك أزعجني؛ لأنك عدت بطلاً بالرغم من أنك قد فشلت".
"أوه".

"لم تجلب القاتل إلى المحكمة، وأرديته قتيلاً".
أغمض هاري عينيه وفكر كم سيكون مذاق أول سحبة من لفافة التبغ اللاحقة رائعاً. ربت على صدره ليتحسس إن كانت العلبة في جيبه الداخلي وأخرج الورقة المطوية ليعرضها على بتي.
سألت بتي: "ما هذه؟".
"الورقة التي كان غريت يخرّبش عليها".
قرأت: "يوم رائع".

"لقد كتبها ثلاث عشرة مرة. إنها مثل ذا شايينغ (اللمعان)، أليس كذلك؟".

"ذا شايينغ؟".

"فيلم الرعب، كما تعرفين. ستانلي كوبريك". رمقها بنظرة من طرف عينه وقال: "الفيلم الذي يجلس فيه جاك نيكلسون في فندق يكتب الجملة نفسها مراراً وتكراراً".

قالت بهدوء: "لا أحب أفلام الرعب".
واجهها هاري، وكان على وشك قول شيء ما، لكنه شعر أنه من
الأفضل ألا يفعل ذلك.
سألت: "أين تعيش؟".
"بيسلت".
"إنها على الطريق".
"همم. إلى أين؟".
"أوبسال".
"نعم؟ أين في أوبسال؟".
"فتلاندسفين. بجانب مقر الشرطة تماماً. هل تعرف أين تقع
يورنزلوكفين؟".

"نعم، هناك منزل خشبي أصفر كبير عند الزاوية".
"تماماً. أعيش هناك، في الطابق الأول. تعيش والدتي في الطابق الأرضي؛
لقد ترعرعت في ذلك المنزل".
قال هاري: "ترعرعت في أوبسال أيضاً. ربما نعرف الأشخاص أنفسهم؟".
قالت بتي، وهي تنظر إلى خارج النافذة: "ربما".
قال هاري: "يجب أن نتحقق من ذلك في وقت ما".
لم ينس أي منهما بكلمة أخرى.
حل المساء واشتدت سرعة الريح. لقد تمّ في نشرة الأحوال الجوية
توقع عواصف جنوبي تادت ورياح شديدة في الشمال. سعل هاري، وأخرج
الكنزة التي كانت والدته قد حاكتها لوالده، الذي أهداها بدوره لهاري في
الميلاد بعد سنوات من وفاتها. كان ذلك شيئاً غريباً، كما فكّر هاري. سخّن
الباستا وكرات اللحم، ثم اتصل براكيل وأخبرها عن المنزل الذي كان قد
ترعرع فيه.

لم تقل الكثير، لكنه عرف أنها تحب سماعه يتكلم عن غرفة نومه،
وألعابه، وخزانة الملابس الصغيرة، وكيف يتدع قصصاً من نقوش ورق
الجدران؛ كأنها حكايات خيالية مكتوبة بالشفيرة، وعن أحد الأدراج في خزانة
الثياب التي كان قد اتفق مع والدته أنه يخصه وحده، وألاً تمسه أبداً.
قال هاري: "كنت أحتفظ ببطاقات كرة القدم هناك، وتوقيع توم لوند،
ورسالة من سولفي وهي فتاة التقيت بها في عطلة صيفية في أندالسنز.
لاحقاً، أول علبة لفائف تبغ لي، علبة واقيات. بقيت هناك مغلقة حتى
انتهت صلاحيتها. عندما نفختها مع شقيقتي بعد ذلك، كانت جافة جداً

مما جعلها تتمزّق".

ضحكت راكيل، وتابع هاري كلامه، فقط ليسمعها تضحك.
بعد المكالمة ذرع المكان جيئةً وذهاباً ضجراً. كانت الأخبار تكررراً لليوم
السابق. عواصف تتجمّع فوق جلال أباد.

ذهب إلى غرفة نومه وشغل الحاسوب، فوجد أنه قد تلقى بريداً
إلكترونياً آخر، وهنا، شعر بنبضه يتسارع حين رأى العنوان، فنقر عليه
لقراءته:

مرحباً هاري

لقد بدأت اللعبة. أثبت فحص الجثة بعد الموت أنك كنت موجوداً
حين توفيت. هل تخفي ذلك سراً لهذا السبب؟ حكمة كبيرة على الأرجح.
حتى إذا بدا انتحاراً، فهناك أشياء عدّة لا تدخل في الحساب، أليس كذلك؟
حركتك.

S2MN

جعل صوت هاري يقفز فزعاً وأدرك أنه قد ضرب براحة كفه على
الطاولة بكل ما أوتي من قوة. نظر في أرجاء الغرفة المعتمة، وقد بدا
غاضباً وخائفاً، لكن الشيء المحبط أنه شعر بأن كاتب البريد الإلكتروني
قريب... جداً وفي متناول يده. مدّ هاري ذراعه ووضع يده التي لا تزال
تؤلمه على الشاشة. برّد الزجاج الفاتر جلده، لكنه شعر بالرغم من ذلك
بالحرارة، بنوعٍ من حرارة الجسد، ترتفع داخل الجهاز.

الحذاء على السلك

جرى إلمار في غرونلاندسليرت، وهو يحيي بسرعة زبائن وموظفين في المتاجر المجاورة ويبتسم لهم. كان منزعجاً من نفسه. كانت الفكة قد نفذت لديه مرة أخرى واضطر إلى تعليق لافتة كتب عليها: أعود قريباً على الباب حتى يذهب إلى المصرف.

فتح الباب بسرعة، دخل بخطوات واسعة إلى المصرف، صرخ تحيته المعتادة: "صباح الخير"، وأسرع ليحصل على بطاقة. لم يردّ أحد، لكنه كان معتاداً على ذلك آنذاك؛ نرويجيون بيض فقط يعملون هناك. شاهد رجلاً يبدو أنه يُصلح جهاز الصراف الآلي، وكان الزبائن الوحيدون الذين استطاع رؤيتهم يقفون بجانب النافذة ينظرون إلى الشارع، وقد أطبق هدوء شديد على المكان. هل كان يحدث شيء لم يلحظه؟

نادت امرأة: "عشرون". نظر إلمار إلى الرقم على بطاقته: 51، لكن نظراً إلى أن كل المراكز كانت مغلقة، ذهب إلى الصندوق حيث صدر صوت المرأة.

قال وهو يحدّق بفضول عبر النافذة: "مرحباً كاثرين، حبي. خمس رزم من فئة الخمسة والواحد كرون، رجاءً."

"واحد وعشرون". نظر إلى كاثرين شوين باندهاش ولاحظ عندها فقط الرجل الذي يقف بجانبها. ظنّ للوهلة الأولى أنه رجل أسود، لكنه رأى بعد ذلك شخصاً يضع قناعاً أسود. ابتعدت فوهة آيه. جي. 3 التي يحملها عنها وتوقفت عند إلمار.

نادت كاثرين بصوت مكتوم: "اثان وعشرون".

سأل هالفورسن وهو ينظر نحو الأسفل إلى فيورد أوسلو البحري تحتها: "لماذا هنا؟". دفعته الريح إلى الخلف أكثر فأكثر. كان الأمر قد استغرق منهما أقل من خمس دقائق للابتعاد بالسيارة عن أدخنة العادم في غرونلاند إلى إكبرغ، الذي يبرز مثل برج مراقبة أخضر في الزاوية الجنوبية الشرقية من أوسلو. كانا قد عثرا على مقعد خشبي تحت الأشجار يطل على البناء الآجري القديم الجميل الذي كان هاري لا يزال يدعو مدرسة البحارة، بالرغم من أنه ينظّم آنذاك دروساً لمديري الأعمال.

قال هاري: "أولاً، لأن المكان رائع هنا. ثانياً، لتلقين غريب القليل عن تاريخ أوسلو. أوس في أوسلو تعني سلسلة تلال، أو سفح التل الذي نجلس عليه الآن؛ سلسلة إكبرغ. ولو هو السهل الذي يمكنك رؤيته في الأسفل

هناك"، مشيراً إليه، "وثالثاً، نجلس وننظر نحو الأعلى إلى هذه السلسلة كل يوم والمهم أن نكتشف ماذا يوجد خلفها، ألا تظن ذلك؟".
لم يرد هالفورسن.

قال هاري: "لم أرغب في فعل هذا في المكتب، أو في متجر إمار. هناك شيء يجب أن أخبرك به". بالرغم من أنهما كانا في مكانٍ عالٍ فوق الفيورد البحري، إلا أن هاري ظنَّ أنه لا يزال يستطيع تذوق الماء المالح في الريح، وقال: "كنت أعرف أنا بيثسن".
أوماً هالفورسن.

علّق هاري: "لا تبدو مندهشاً تماماً".
"عرفت أنه شيء مماثل".
"لكن هناك المزيد".
"أوه، نعم؟".

دسّ هاري لفافة تبغ غير مشتعلة بين شفثيه وتابع: "قبل أن أتابع، يجب أن أحذرك؛ ينبغي أن يبقى ما سأقوله بيني وبينك، وقد يمثّل هذا معضلة لك. هل تفهم؟ لهذا، إذا لم تكن ترغب في أن تتورط، فلا داعٍ إلى أن أقول المزيد وسأتوقف هنا. هل تود سماع المزيد أم لا؟".
تفحص هالفورسن وجه هاري. لو كان يعن التفكير في الأمر، لما استغرق ذلك منه وقتاً طويلاً. فأوماً هالفورسن موافقاً.
قال هاري: "لقد بدأ أحدهم يرسل بريداً إلكترونياً إليّ، بشأن موت أنا".

"شخص تعرفه؟".

"لا فكرة لدي. العنوان لا يعني شيئاً لي".
"لهذا السبب سألتني عن تعقّب عناوين البريد الإلكتروني أمس؟".
"لا أفهم كثيراً في الحواسيب، لكنك بارع فيها"، فشل هاري في محاولة لإشعال لفافة التبغ بسبب الريح، "أحتاج إلى مساعدة. أظن أن أنا قُتلت".
عندما كانت الريح الشمالية الغربية تجرّد الأشجار من أوراقها على إكبرغ، تكلم هاري عن الرسالتين الإلكترونيتين الغريبتين اللتين كان قد تلقاهما من شخص بدا أنه يعرف كل ما يعرفه، وأكثر على الأرجح. لم يذكر أن الرسالتين الإلكترونيتين تضعان هاري في مسرح الجريمة ليلة موت أنا. لكنه ذكر أن السلاح كان في يد أنا اليمنى بالرغم من أن فرشاتها أثبتت أنها عسراء، والصورة في الحذاء، والحديث مع أستريد مونسن.
"قالت أستريد مونسن إنها لم ترَ قط فيغديس أبو ولا حتى الأولاد

عندما أريتها الصورة. لكن عندما عرضت عليها الصورة الصحفية لزوجها آرنيه آلبو، لم تكن بحاجة إلى إلقاء نظرة ثانية. لم تعرف اسمه، لكنه كان يزور أنا بانتظام. كانت قد رآته حين نزلت إلى الأسفل لتأخذ بريدها. جاء عند الأصيل وغادر مساءً".

"ذلك ما يدعى العمل في وقت متأخر".

"سألت مونسن إن كان الاثنان يلتقيان خلال الأسبوع فقط، وقالت إنه كان يصطحبها أحياناً في سيارته في العطلة الأسبوعية".
"ربما أحببنا التغيير قليلاً والرحلات إلى الريف".

"ربما، بغض النظر عن هدف الرحلة. أستريد مونسن امرأة شديدة الانتباه والتدقيق. قالت إنه لم يصطحبها قط إلى الخارج في الصيف. ذلك ما جعلني أفكر".

"تفكر في ماذا؟ فندق؟".

"هذا محتمل. لكن يمكنك الذهاب إلى فندق في الصيف أيضاً. فكر يا هالفورسن، فكر في شيء قريب".

مدّ هالفورسن شفته السفلية وكشّر ليظهر أن لا اقتراحات يقدمها. ابتسم هاري ونفث سحابة من دخان وقال: "كنت أنت من وجد المكان".
رفع هالفورسن، مرتبكاً، حاجبه وقال: "الشاليه! هذا واضح!".
"أليس كذلك؟ عش حب سري وفخم حين تكون الأسرة في المنزل بعد الموسم، وقد أغلق الجيران الفضوليون مصاريع أبوابهم. على مسافة ساعة فقط بالسيارة من أوسلو".

قال هالفورسن: "لكن ماذا يعني ذلك؟ لا يوصلنا هذا إلى أي مكان".
"لا تقل هذا. إذا استطعنا إثبات أن أنا كانت تذهب إلى الشاليه، فسيكون آلبو مرغماً على الرد علينا على الأقل. لن يتطلب ذلك الكثير: إيجاد بصمة صغيرة، شعرة، بقا شديدا الانتباه يقوم بإيصال البضائع بين الحين والآخر...".

فرك هالفورسن عنقه وقال: "لكن، لماذا لا ندخل في صلب الموضوع مباشرة ونبحث عن بصمات أصابع آلبو في شقة أنا؟ لا بد من أنها مملوءة بها".

"أشك في أنها لا تزال هناك. وفقاً لأستريد مونسن، توقف فجأة عن رؤية أنا قبل سنة. استمر على تلك الحال إلى أحد أيام الأحد من الشهر الماضي. جاء ليصطحبها في سيارته. تتذكر مونسن ذلك بوضوح؛ لأن أنا طرقت على بابها وطلبت منها توخي الحذر من اللصوص".

"وأنت تظن أنهما ذهبا إلى الشاليه؟".

قال هاري رامياً عقب لفافة التبغ في بركة ضحلة حيث هسّت وانطفت: "أظن أن ذلك أحد الأسباب التي دفعت أنا إلى وضع الصورة في حذائها. هل تتذكر ما تعلّمته عن الطب الشرعي في كلية الشرطة؟".
"القليل الذي تعلّمناه. ألا تذكره أنت؟".

"لا. هناك حقائب معدنية مع المعدّات الأساسية في ثلاثٍ من سيارات الدورية. مسحوق، وفرشاة، وفيلم بلاستيكي للبصمات. شريط قياس، ومصباح يدوي، وكماشات، ذلك النوع من الأشياء. أريد منك حجز إحدى السيارات غداً".

"هاري...".

"واتصل بالبقال سلفاً للحصول على إرشادات دقيقة. حاول أن تبدو صادقاً ونزيهاً حتى لا يشك في شيء. قل إنك تبني شاليهاً وإن المهندس المعماري الذي تعمل معه جعل شاليه آبو مرجعاً لك. تريد أن تراه فقط".

"هاري، لا يمكننا أن...".

"اجلب عتلة أيضاً".

"أصغي إليّ!".

جعل صياح هالفورسن نورسين يطيران إلى الفيورد البحري وهما يطلقان صرخات خافتة. عدّ على أصابعه: "أولاً، ليس لدينا مذكرة تفتيش، ثانياً، ليس لدينا أي دليل قد يبرّر ذلك، ثالثاً، ليس لدينا... شيء، رابعاً والأهم من كل ذلك، نحن - أم يجب أن أقول أنا؟ - ليس لدينا كل الحقائق. لم تخبرني كل شيء، أليس كذلك يا هاري؟".
"ما الذي يجعلك تظن...؟".

"الأمر بسيط. دافعك ليس قوياً كفاية. معرفة المرأة ليس حافزاً كافياً لتجاهل كل القوانين فجأة، والدخول عنوة إلى شاليهات والمخاطرة بعملك؛ وعملي. أعرف أنك قد تصبح مجنوناً قليلاً، لكنك لست أحمق".
راقب هاري عقب لفافة التبغ الرطب يطفو في الحفرة الضحلة وقال:
"منذ متى نعرف بعضنا يا هالفورسن؟".

"منذ سنتين تقريباً".

"هل كذبت عليك مرة خلال تلك المدة؟".

"مُدّة سنتين ليست مدة طويلة".

"هل سبق وكذبت عليك؟ أنا أسألك".

"بالتأكيد".

"هل سبق وكذبت بشأن شيء مهم؟".
"ليس وفقاً لما أعلم".

"لا بأس. أنا لا أكذب عليك الآن أيضاً. أنت محق، لم أخبرك كل شيء. ونعم، أنت تخاطر بعملك بمساعدتي. كل ما يمكنني قوله إنك ستكون في ورطة أكبر إذا أخبرتك الباقي. كما هو واضح، يجب أن تثق بي، أو تنسحب. لا يزال بمقدورك أن ترفض".

جلسا ينظران إلى الفيورد البحري، وقد بدا النورسان نقطتين صغيرتين بعيدتين.

قال هالفورسن: "ماذا كنت ستفعل أنت؟".
"أنسحب".

أصبحت النقطتان أكبر؛ كان النورسان عائدين.
عندما عادا إلى مقر قيادة الشرطة كانت هناك رسالة من مولر على المجيب الآلي.

قال حين اتصل هاري: "لنخرج في نزهة"، وأضاف حين أصبحا في الخارج: "إلى أي مكان".

قال هاري: "كشك إلمار. أحتاج إلى بعض لفائف التبغ".

تبع مولر هاري على درب موحل فوق الأعشاب بين مقر قيادة الشرطة والطريق المفروشة بالحصى المؤدية إلى سجن بوتسن. كان هاري قد لاحظ أن المخططين لم ينتبهوا قط إلى أن الناس سيجدون دائماً المسلك الأسرع بين نقطتين بغض النظر عن الطريق التي سيسلكونها. كانت في نهاية الدرب لافتة ملقاة على الأرض كُتب عليها: لا تمش على العشب.
سأل مولر: "هل سمعت عن سرقة المصرف في غرونلاندسليرت مبكراً هذا الصباح؟".

أوماً هاري وقال: "مثير للاهتمام أنه اختار فعل ذلك على بعد مئة متر عن مقر الشرطة".

"كانوا يصلحون جهاز إنذار المصرف مصادفة في ذلك الوقت".

قال هاري: "لا أصدّق المصادفات".

"أوه؟ تظن أنه كان عملاً داخلياً؟".

هزّ هاري كتفيه. "أو كان شخصاً يعرف بشأن الإصلاحات".

"لا يعرف إلا المصرف والمصلحين، ونحن".

"لم تكن سرقة المصرف ما أردت التحدث عنه، أليس كذلك أيها

المدير؟".

قال مولر، وهو يدور حول حفرة ضحلة: "لا، كان المشرف العام قد أجرى نقاشاً مع العمدة... كل هذه السرقات تزعجه".
على الدرب، توقفا ليسمحا لامرأة يلحق بها ثلاثة أولاد بالمرور. كانت تطلب منهم أن يتراجعوا بصوت غاضب ومجهد، وتفادت نظرات هاري. كان ذلك وقت الزيارة في بوتسن.

قال مولر: "إيفارسون إنسان كفوء، ولا أحد يشك في ذلك. بأي حال، يبدو أن هذا المسرع من طينة مختلفة عما كنا قد اعتدنا عليه. يظن المشرف العام أن الطرائق التقليدية قد لا تكون كافية هذه المرة".
"ربما لا، لكن ماذا يعني ذلك؟ اثنتان أخريان أكثر أو أقل ليست فضيحة".

"اثنتان؟".

"الفريق الزائر يفوز. قضية لا تُحلّ. عامية متداولة الآن أيها المدير".
"هناك ما هو أكثر من ذلك على المحك يا هاري. تلاحقنا وسائل الإعلام طوال اليوم، وهذا كابوس. إنهم يدعونه مارتن بدرسن الجديد. وينشرون على موقع فيردنز غانغ الإلكتروني أنهم اكتشفوا أننا ندعوه المسرع".

قال هاري، وهو يعبر الطريق بالرغم من الإشارة الحمراء ومولر الحذر في أعقابهم: "القصة القديمة نفسها دائماً. تحدّد وسائل الإعلام أولوياتنا".
"حسناً، لقد قتل المسرع شخصاً بالمحصلة".

"ونتغاضى عن جرائم القتل التي لم تعد مثار اهتمام العامة".

قال مولر بحدة: "لا! لن نبدأ كل ذلك مجدداً".

هزّ هاري كتفيه وداس على عددٍ من الصحف كانت قد وقعت أرضاً. كانت صحيفة في الشارع تقلّب أوراقها بسرعة كبيرة.
"إذاً، ماذا تريد؟".

"المشرف مهتم، طبعاً، بجانب العلاقات العامة من الأمر. ينسى العامة

سرقة مصرف معزولة قبل وقت طويل من سقوط القضية بالتقادم. لا يلاحظ أحد أنه لم يُلقَ القبض على الرجل. في هذه القضية، بأي حال، عيون الجميع علينا. وكلما زاد الحديث عن سرقات من هذا النوع، كلما زاد فضول العامة. كان مارتن بدرسن رجلاً عادياً فعل ما يحلم به كثيرون، وأصبح جسي جيمس معاصراً يفرُّ من القانون. يكون ذلك النوع من القضايا أساطير، وأبطالاً، وأشخاصاً مرتبطين بها؛ ومن ثمّ مزيداً من العاملين في

صناعة سرقة المصارف. ارتفع عدد عمليات السطو على المصارف في البلاد حين كانت الصحافة تكتب عن مارتن بدرسن".
"أنت خائف من هذا الانتشار؛ لا بأس بذلك. ولكن، ما دخل هذا بي؟".

"كما قلت، لا أحد يشك في كفاءة إيفارسون. لا أحد يشكك في ذلك. إنه شرطي تقليدي صالح لا يتجاوز الحد أبداً. المسرع، بأي حال، ليس سارقاً مصرف تقليدياً، والمشرف ليس سعيداً بالنتائج حتى الآن". أوماً مولر نحو السجن وتابع: "لقد وصل ما حدث مع راسكول إلى مسامعه".
"مم".

"كنت في مكتب المشرف قبل الغداء وذكّر اسمك؛ مرات عدّة في الواقع".

"يا الله، هل يجب أن أشعر بالفخر؟".

"أنت، بأي حال، محقق كان قد حقق نتائج باستخدام طرائق غير تقليدية".

تحوّلت ابتسامة هاري إلى سخرية. "تعريف لطيف لطيار كاميكازي...".
"باختصار، الرسالة كالآتي يا هاري: تخلّ عن كل شيء آخر تفعله وأخبرني إذا كنت بحاجة إلى مزيد من الأشخاص. سيتابع إيفارسون العمل مع فريقه، لكننا نعتمد عليك. وشيء آخر بعد..."، كان مولر قد اقترب من هاري، "أطلق العنان لنفسك. نحن مستعدون لقبول تجاوز القوانين. بالمقابل، يجب أن يبقى هذا ضمن السلك، بالطبع".

"مم. أظن أنني أفهم. وإذا لم ينجح الأمر؟".

"فسندعمك بكل قوانا، لكنّ هناك حدّاً. ذلك بديهي".

استدار إلمار حين رنّت الأجراس فوق الباب، وأوماً نحو المذياع المحمول الصغير الذي كان أمامه: "وأنا الذي كنت أظن أن قندهار نادي تزلج. علبة تبغ كامل؟".

أوماً هاري إيجاباً. خفض إلمار صوت المذياع وانضم صوت مذياع

الأخبار إلى طنين أصواتٍ في الخارج: سيارات، وريح تعصف بالظلّة، والأوراق التي تتطاير على طول الإسفلت.

"أي شيء من أجل صديقك؟". أشار إلمار نحو الباب حيث يقف مولر.

قال هاري وهو يفتح العلبة: "يريد طياراً كاميكازياً".

"حقاً؟".

قال هاري: "لكنه نسي أن يسأل عن الثمن"، وشعر بابتسامة مولر

الساخرة من دون أن يستدير.

سأل صاحب المتجر وهو يعيد الفكة إلى هاري: "وما الثمن الرائج لطيارى الكاميكاى هذه الأيام؟".

قال هاري: "إذا نجا، يُسمح له بتولى الأعمال التى يريدّها. ذلك هو الشرط الوحيد الذى يضعه، والوحيد الذى يصرُّ عليه".

قال إلمار: "يبدو معقولاً. أتمنى لكما يوماً طيباً أيها السيدان".

فى طريق العودة قال مولر إنه سيتحدّث إلى المشرف العام عن إمكانية عمل هاري على قضية إيلين غيلتن لمدة ثلاثة شهور؛ فى حال إلقاء القبض على المسرّع. وافق هاري، وتردّد مولر أمام اللافتة التى كُتب عليها: لا تمش على العشب.

"إنها الطريق الأقصر أيها المدير".

قال مولر: "نعم، لكن حذائى سيتسخ".

قال هاري وهو يمشى على الدرب: "كما ترغب. حذائى متسخ سلفاً".
خفّ الازدحام المرورى بعد الانعطاف إلى أولفويا. كان المطر قد توقف عن الهطول وبدا طريق لىان جافاً آنذاك. سرعان ما توسّع الطريق بعد ذلك إلى أربعة مسارب وكانت تلك نقطة انطلاق السيارات لتزيد سرعتها وتتسابق فى ما بينها. نظر هاري إلى هالفورسن وتساءل متى سيسمع، هو أيضاً، الصرخات التى تجعل القلب يتوقف. لكن هالفورسن لم يسمع شيئاً؛ لأنه أخذ بنصيحة ترافيس - كانت تُبث من المذياع - بحذافيرها:
"غنّ، غنّ، غنّ!".

"هالفورسن...".

"للحب الذى تجلبه...".

خفض هاري صوت المذياع ورمقه هالفورسن بنظرة مستفسرة.

قال هاري: "مساحتا الزجاج الأمامى. يمكنك إيقافهما الآن".

"آه، نعم، آسف".

انطلقا فى السيارة بصمت، وتجاوزا المخرج إلى دروباك.

سأل هاري: "ماذا قلت للبقال؟".

"لن ترغب فى أن تعرف".

"لكنه كان قد أوصل طعاماً إلى شاليه آلبو الثلاثاء قبل خمسة

أسابيع؟".

"كان ذلك ما قاله، نعم".

"قبل وصول آلبو؟".

"قال فقط إنه سمح لنفسه بالدخول".

"إذًا، لديه مفتاح؟".

"هاري، هناك حدود لما يمكن أن أسأل عنه بحجتي الواهية تلك".

"ما الحجة التي قدّمتها".

تنهّد هالفورسن. "مَسّاح مجلس المقاطعة".

"مَسّاح مجلس...؟".

"... المقاطعة".

"ما تلك المهنة؟".

"لا أدري".

لم تكن لاركولن على الطريق الرئيس، وتبعد عنه ثلاثة عشر كيلومتراً بطيئة وأربعة عشر منعطفاً قاسياً.

تذكّر هالفورسن وقال: "إلى يمين المنزل الأحمر بعد محطة الوقود"،

وانعطف إلى الدرب المفروش بالحصى.

تمتم هاري بعد خمس دقائق حين توقف هالفورسن وأشار إلى البناء الخشبي الضخم بين الأشجار: "كثيرٌ من مَسّاح أقدام الحمّامات". بدا كشاليه جبلي كبير انتهى به الأمر نتيجة سوء فهم بسيط بجانب البحر.

قال هالفورسن، وهو ينظر إلى الشاليهات المجاورة: "المكان مهجور،

أليس كذلك؟ طيور نورس. الكثير من طيور النورس. ربما يوجد مكبّ

نفايات قريب".

"مم". تفقّد هاري ساعته ثم قال: "لنتوقف في مكان أبعد على

الطريق بأيّ حال".

انتهت الطريق بمنطقة التفاف، وقام هالفورسن بإيقاف المحرك عن

العمل وفتح هاري باب السيارة وخرج. تمطّى واستمع إلى صرخات طيور

النورس والهدير البعيد للأمواج التي تضرب الصخور على الشاطئ.

قال هالفورسن وهو يملأ رثتيه: "آه! هذا مختلف قليلاً عن هواء

أوسلو، أليس كذلك؟".

قال هاري باحثاً عن علبة لفائف التبغ: "لا شك في ذلك. هل تأخذ

العلبة المعدنية؟".

لاحظ هاري على الدرب إلى الشاليه نورساً كبيراً أصفر وأبيض على

عمود سياج. استدار الرأس ببطء حين تجاوزه، وقد شعر هاري بعيني

الطائر اللامعتين تنظران إلى ظهره كل الطريق.

أعلن هالفورسن بعد أن ألقيا نظرة عن كثب على القفل محكم

الإغلاق على الباب الخارجي: "لن يكون هذا سهلاً". كان قد علّق قبعته على المصباح الحديدي المزخرف فوق باب السنديان الثقيل. "مم. يجب أن تعمل بنشاط عليه"، أشعل هاري لفافة تبغ وتابع قائلاً: "سأذهب وألقي نظرة سريعة في أثناء ذلك". سأل هالفورسن وهو يفتح الحقيبة: "لماذا أصبحت تدخّن فجأة أكثر من ذي قبل؟".

وقف هاري ساكناً لحظة وترك بصره يتّجه نحو الغابة وقال: "لأمنحك فرصة هزيمتي على الدراجة يوماً ما".

ألواح خشبية سوداء فاحمة ونوافذ متينة؛ بدا كل شيء في الشاليه قوياً ولا يمكن اختراقه. تساءل هاري إن كان من الممكن الدخول عبر المدخنة الحجرية الجميلة، لكنه أبعد الفكرة. مشى على الممر الذي كان مطر الأيام السابقة قد غسله، لكنه تخيل بسهولة أقدام الأولاد الصغيرة وسيقانهم العارية تجري على درب سطعت عليه الشمس في الصيف، في طريقهم إلى الشاطئ خلف الصخور التي صقلتها أمواج البحر. توقف وأغمض عينيه حتى سمع الأصوات: أصوات الحشرات، وحفيف أعشاب طويلة تتمايل في النسيم، وصوت مذياع بعيد، وأغنية تقوى وتخفت في الريح، وصرخات أولاد مرحة من الشاطئ. كان عمره عشر سنوات ويشق طريقه بحذر شديد إلى المتجر لشراء حليب وخبز. كانت الحجارة الصغيرة قد دفنت نفسها في نعلي حذائه، لكنه صكّ أسنانه؛ لأنه عقد العزم على تمرين قدميه ذلك الصيف حتى يجري حافياً مع أويستن حين يعود إلى المنزل. عندما مشى عائداً، بدا أن كيس التسوق الثقيل يجعله يغوص أكثر في الممر المفروش بالحصى، وشعر أنه يمشي على جمرٍ ملتهبٍ. كان قد ركّز انتباهه على شيء أمامه قليلاً - حجرة أو ورقة كبيرة - وقال في قرارة نفسه إن عليه الوصول إلى هناك، وإن المكان ليس بعيداً. عندما وصل أخيراً إلى المنزل، بعد ساعة ونصف، كان الحليب قد فسد وغضبت والدته. فتح هاري عينيه، ورأى الغيوم الرمادية تطفو بسرعة في الجو.

وجد آثار عجلات سيارة على الأعشاب البنية بجانب الدرب، التي أشارت إلى أنها سيارة ثقيلة ذات عجلات مخصصة للطرقات الوعرة، وقد تكون لاندروفر أو شيئاً مماثلاً. مع كل الأمطار التي كانت قد هطلت في الأسابيع الماضية، لم تكن الآثار قديمة جداً؛ مرّ عليها يومان على الأغلب. جال ببصره في الجوار، وفكّر في أن لا شيء يبدو مهجوراً مثل منتجعات صيفية في الخريف. في طريقه إلى الشاليه مجدداً، أوما هاري إلى

النورس.

كان هالفورسن ينحني على الباب الأمامي يحمل آلة فتح أقفال إلكترونية، ويتأفف.

"كيف يجري الأمر؟".

"على نحو سيئ". شدّ هالفورسن قامته ومسح عرقه، ثم تابع قائلاً:
"هذا ليس قفلاً عادياً. إما العتلة أو التخلي عن الأمر."
"لا عتلة". حكّ هاري ذقنه وقال: "هل تحققت ممّا يوجد تحت ممسحة الأقدام؟".

تنهّد هالفورسن وقال: "لا، لن أفعل ذلك أيضاً".
"لماذا؟".

"لأن هذه ألفية جديدة ولم يعد أحد يضع مفاتيح شاليه تحت ممسحة الأقدام الآن، خاصة إذا كان الشاليه فخماً. لهذا، إذا لم تكن مستعداً للرهان بمئة، فلن أزعج نفسي بكل بساطة. اتفقنا؟".
أوماً هاري.

قال هالفورسن: "حسناً"، وجثم ليخلق العلبة.

قال هاري: "عنيّت أنني أراهن على ذلك".

نظر هالفورسن إليه وقال: "أنت تمزح؟".

هزّ هاري رأسه.

أمسك هالفورسن طرف الممسحة النسيجية، وتمتم: "بالتأكيد"، ثم رمى الممسحة بعيداً. تحرّكت ثلاث نمّلات، وحشرتا عث، وأبو مقص وهامت على الإسمنت الرمادي. لكن لم يكن هناك مفتاح.

قال هالفورسن مادّاً راحة كفه: "تكون ساذجاً على نحو لا يصدّق أحياناً يا هاري. لماذا سيترك مفتاحاً؟".

قال هاري الذي أثار انتباهه المصباح الحديدي المزخرف بجانب الباب ولم يرَ اليد الممدودة: "لأن الحليب يفسد إذا تُرك في الشمس". ذهب إلى المصباح وفكّ الغطاء.

"ماذا تعني؟".

"كانت المواد الغذائية تصل قبل يوم من مجيء آلبو، أليس كذلك؟ واضحٌ أنها كانت تُوضع في المنزل".

"إذاً؟ ربما لدى البقال مفتاح إضافي؟".

"لا أظن ذلك. أعتقد أن آلبو أراد أن يكون واثقاً تماماً أن لا أحد يستطيع الدخول فجأة حين يكون وأنا هنا". مسح بيده على الغطاء وبحث

داخل زجاج المصباح وتابع: "وأنا متأكد من ذلك الآن".
سحب هالفورسن يده، متذمراً.
قال هاري حين دخلا غرفة المعيشة: "لاحظ الرائحة".
قال هالفورسن: "صابون أخضر. لا بدّ من أن شخصاً شعر بالنشاط
ليغسل الأرضية".

عزّز الأثاث الثقيل، والتحف العتيقة، والموقد الحجري الكبير انطباع
عطلات الفصح. ذهب هاري إلى رفوف خشب الصنوبر في الطرف الآخر من
الغرفة؛ هناك كتب قديمة على الرفوف. نظر هاري إلى العناوين على أعمدة
الكتب المهترئة، لكن بالرغم من ذلك انتابه شعور أن أحداً لم يقرأها قط؛
على الأقل ليس هنا. ربما كانوا قد اشتروها دفعة واحدة من متاجر عادية
في ماجورستون. ألبومات صور قديمة. كانت هناك علب سيجار كوهيبيا
وبوليفار في الأدراج، وكان أحد الأدراج موصداً.
قال هالفورسن: "إذاً، كثيرٌ من التنظيف". استدار هاري ورأى زميله
يشير إلى آثار أقدام بنية رطبة تظهر في خط مستقيم على الأرض.
خلعا حذاءيهما في الردهة، ووجدا قطعة قماش في المطبخ، وبعد أن
مسحا الأرض، اتفقا على أن يتولى هالفورسن غرفة المعيشة في حين يتولّى
هاري غرف النوم والحمام.

كان هاري قد تعلّم ما يعرفه عن تفتيش المنازل في قاعة شديدة
الحرارة في كلية الشرطة كل يوم جمعة بعد الغداء حين كان الجميع
يتوقون إلى الذهاب إلى المنزل، والاستحمام والتوجّه إلى المدينة. لم يكن
هناك كتيب، وإنما المفتش روكي فقط. وفي يوم الجمعة ذاك، كان قد زوّد
هاري بالمعلومة التي استخدمها لاحقاً دليلاً وحيداً له: "لا تفكّر في ما
تبحث عنه، فكّر في ما تعثر عليه. لماذا هو هناك؟ هل يجب أن يكون
هناك؟ ماذا يعني ذلك؟ إنها مثل القراءة: إذا فكّرت في حرف أم. في أثناء
البحث عن حرف أل، فلن ترى الكلمات".

كان أول شيء رآه هاري حين دخل غرفة النوم الأولى السرير المزدوج
الكبير وصورة السيد والسيدة آلبو على الطاولة الجانبية. لم تكن كبيرة،
لكنها تلفت الانتباه؛ لأنها الصورة الوحيدة وتواجه الباب.
فتح هاري خزانة ملابس، وشمّ رائحة ملابس شخص آخر. لم تكن
هناك ملابس عادية، إنما ملابس رسمية، وكنزات، وبعض البزّات فقط؛ إضافة
إلى أحذية غولف.

بحث هاري في خزائن الثياب الثلاث بعناية. كان محققاً منذ وقت

طويل آنذاك وشعر بالإحراج؛ لأنه يقوم بتفتيش مقتنيات شخصية لأفراد آخرين.

جلس على السرير وأمعن النظر إلى الصورة. كانت الخلفية بحراً وسماء فقط، لكن اتجاه الضوء جعل هاري يفكر في أنها قد التُقطت من دون شك في مناطق جنوبية. كان آرنيه ألبو أسمر ويظهر عليه ذلك التعبير المستهتر نفسه الذي كان هاري قد رآه في المطعم في أكر بريج. كان يمسك بخصر زوجته بإحكام؛ بقوة شديدة حتى بدا أن جسد فيغديس يميل نحوه.

لَفَّ هاري الغطاء واللحاف إلى الجانب. إذا كانت آنا قد نامت في هذا السرير فسيعثران بالتأكيد على شعر، أو خلايا جلد، أو لعاب، أو إفرازات؛ وكلها، على الأرجح. لكن تبين أن الأمر مثلما فُكّر فيه. مرّر يده على الملاءة الممدودة ووضع وجهه على الوسادة وأخذ شهيقاً؛ إنها مغسولة، تياً.

فتح درج طاولة بجانب السرير حيث عثر على علبة من علكة إكسترا، وعلبة لا تزال مغلقة من بارالغين، وحلقة مع مفتاح وقطعة نحاسية تحمل حرفي آيه. آيه، وصورة طفلٍ عارٍ يتكوّر مثل يريقة على طاولة تغيير ملابس، وسكين عسكرية سويسرية.

كان على وشك أن يمسك السكين حين سمع صرخة نورس واحدة تقشعرّ لها الأبدان. ارتعش على نحو لإرادي ونظر إلى خارج عبر النافذة. كان النورس قد اختفى. عاد إلى بحثه حين سمع نباحٍ كلبٍ حاداً. ظهر هالفورسن في تلك اللحظة عند الباب: "أحدهم قادم على الدرب".

خفق قلبه بقوة.

قال هاري: "سأجلب الحذائين. اجلب أنت العلبة مع كل المعدات إلى هنا".

"لكن...".

"سنخرج من النافذة حين يدخل. أسرع!".

ازداد النباح في الخارج قوة وحدة. أسرع هاري عبر غرفة المعيشة إلى الردهة في حين جثا هالفورسن أمام الرفوف ورمى المسحوق، والفرشاة، والورق اللاصق في الحقيبة. كان النباح آنذاك قريباً جداً واستطاع هاري سماع دمدمات مكتومة بين النباح. وقع خطوات في الخارج. لم يكن الباب موصداً، وفات الأوان على فعل أي شيء، وسيلقى القبض عليه متلبساً! أخذ

نفساً عميقاً ووقف حيث كان. يجب أن يتحمّل العواقب أحياناً. ربما يستطيع هالفورسن أن يوليّ الأدبار. بتلك الطريقة، لن يحمل وزر تسريح هالفورسن في وجدانه.

جاء صراخ رجل من الطرف الآخر للباب: "غريغور! عد!". أصبح النباح على مسافة أبعد وسمع الرجل في الخارج يبتعد عن العتبة.

"غريغور! دع الباب وشأنه!".

تقدم هاري خطوتين إلى الأمام وأوصد القفل بحذر، ثم التقط الحذاءين وتسلل عبر غرفة المعيشة حين كانت المفاتيح تخشخش في الخارج. أغلق باب غرفة النوم خلفه حين سمع الباب الأمامي يُفتح. كان هالفورسن جالساً على الأرض تحت النافذة وحدّق إلى هاري بعينين مفتوحتين على وسعهما.

همس هاري: "ما الأمر؟".

همس هالفورسن: "كنت على وشك الخروج من النافذة حين جاء

الكلب المجنون. إنه روتويلر ضخّم".

اختلس هاري النظر إلى خارج النافذة نحو الأسفل إلى الفكين القويين.

كان الكلب يضع كلتا قائمته الأماميتين على الجدار الخارجي. جعلته رؤية هاري يقفز إلى الأعلى وينبح كأنه مجنون، وقد سال اللعاب من بين أنيابه. سمع وقع خطوات ثقيلة في غرفة المعيشة، فجلس هاري على الأرض بجانب هالفورسن.

همس: "سبعون كيلوغراماً كحدّ أقصى. لا شيء مهم".

"أرجوك. لقد رأيت روتويلر يهاجم فيكتور، مدرّب الكلاب".

"مم".

"فقدوا السيطرة على الكلب في التدريب، واضطروا إلى إعادة وصل ما

تضرّر من يد الضابط الذي يمثّل دور الجاني في مستشفى ريكس".

"كنت أظن أنهم يضعون بطانة سميكة".

"هذا صحيح".

جلسا يرهفان السمع إلى النباح في الخارج، إذ كانت الخطوات في

غرفة المعيشة قد توقفت.

همس هالفورسن: "هل نخرج ونلقي التحية؟ إنها مسألة وقت فقط

قبل أن...".

"صه".

سمعا مزيداً من وقع الخطوات تقترب من باب غرفة النوم. أغمض هالفورسن عينيه بقوة؛ كأنه يحمي نفسه من الإذلال. عندما فتحهما مجدداً، رأى هاري يضع إصبعاً تحذيرية على شفتيه. سمعا بعد ذلك صوتاً خارج نافذة غرفة النوم: "غريغور! تعال! لنذهب إلى المنزل!".

ساد الهدوء فجأة بعد بعض النباح الإضافي. كل ما استطاع هاري سماعه هو تنفس قصير وسريع، لكنه لم يعرف إن كانت أنفاسه أم أنفاس هالفورسن.

همس هالفورسن: "مطيع جداً، روتويلر ذلك".
انتظرا حتى سمعا السيارة تبتعد على الطريق، ثم اندفعا إلى غرفة المعيشة ولمح هاري جيب شيروكي أزرق اللون يختفي عن الأنظار. ارمى هالفورسن على الأريكة واسترخى إلى الخلف.
تأوه: "يا الله! تخيلت نفسي لحظة هناك أعود إلى ستينكير بعد طردي من العمل. ماذا كان يفعل بحق الله؟ بقي هنا دقيقتين فقط". قفز عن الأريكة مجدداً وقال: "هل تظن أنه سيعود؟ ربما ذهباً إلى المتجر فحسب؟".

هزّ هاري رأسه وقال: "ذهباً إلى المنزل. أشخاص مثل هؤلاء لا يكذبون على كلابهم".
"واثق؟".

"نعم، بالطبع. سيصرخ يوماً: تعال إلى هنا يا غريغور. سنذهب إلى الطبيب البيطري ليقتلك؟". جال ببصره في أرجاء الغرفة، ثم ذهب إلى الرفوف ومرّر إصبعاً على أغلفة الكتب أمامه، من الرف في الأعلى إلى الأسفل.

أوماً هالفورسن متجهماً وحدّق في الفراغ: "وسياأتي غريغور يهزّ ذيله. كائنات غريبة حقاً تلك الكلاب".

توقف هاري عمّا كان يفعله وكشّر قائلاً: "هل أنت نادم يا هالفورسن؟".

"حسناً، لا أندم على هذا أكثر من أي شيء آخر".
"بدأت تبدو مثلي".

"إنها عبارتك. أنا اقتبس منك. وقت اشترينا آلة الإسبرسو. ما الذي تسعى إليه؟".

قال هاري، وهو يسحب مجلداً كبيراً وسميكاً ويفتحه: "لا أدري. انظر

إلى هذا، إنه ألبوم صور. مثير للاهتمام".
"أوه، نعم؟ لقد جعلتني أضيع مجدداً".
أشار هاري إلى الخلف وتابع تقليب الصفحات. نهض هالفورسن ونظر؛
لقد فهم، إنها آثار حذاء رطب تنتشر من الباب الأمامي عبر الردهة إلى
الرف حيث كان هاري يقف.
أعاد هاري الألبوم إلى حيث كان، وسحب آخر وبدأ يتصفحه.
قال بعد بعض الوقت: "حسناً"، وضع الألبوم على وجهه وتابع: "ها
نحن ذا".

"ما هذا؟".

وضع هاري الألبوم على الطاولة أمام هالفورسن وأشار إلى إحدى
الصور الست الملتصقة على الصفحة السوداء. امرأة وثلاثة أولاد يتسمون
وهم واقفون على شاطئ.
قال هاري: "هذه هي الصورة نفسها التي وجدتها في حذاء أنا.
شمها".

"لست بحاجة إلى ذلك. يمكنني شمّ الغراء من هنا".
"صحيح. لقد لصق الصورة الآن. إذا حرّكتها قليلاً، يمكن أن تشعر أن
الغراء لا يزال طرياً. شمّ الصورة".
"لا بأس". وضع هالفورسن أنفه على الابتسامات. "تبدو مثل... رائحة
موادّ كيميائية".

"أي نوع من المواد الكيميائية؟".
"الرائحة التي تصدر عن الصور دائماً عند تحميضها".
"صحيح مجدداً. وماذا نستنتج من ذلك؟".
"ذلك، مم... أنه يجب لصق الصور".
نظر هاري إلى ساعته وقال: "إذا قاد آلبو سيارته مباشرة إلى منزله،
فسيكون هناك بعد ساعة".
ثمّ أضاف: "سأشرح في السيارة. لقد حصلنا على الدليل الذي نحتاج
إليه".

كان المطر يهطل حين وصلا إلى إي 6. انعكست الأضواء من السيارات
القادمة من الاتجاه المعاكس على الإسفلت الرطب.
قال هاري: "نعرف الآن من أين جاءت الصورة التي كانت أنا قد
وضعتها في حذائها. سأقول تخميناً إن أنا اغتنتم فرصة وجودها آخر مرة
في الشاليه لانتزاعها من الألبوم".

"لكن ماذا كانت ستفعل بها؟".

"الله وحده يعلم. ربما حتى تستطيع رؤية ما يحول بينها وبين آرنيه آلبو. أن تفهم على نحو أفضل، أو يكون لديها شيء تثبته بدبابيس".

"وعندما أريته الصورة، هل كان يعرف من أين جاءت؟".

"بالتأكيد. آثار عجلات الشيروكي بجانب الشاليه هي نفسها الموجودة

سابقاً. إنها تدل على أنه كان هنا قبل بضعة أيام، وربما أمس".

"لغسل الأرضية ومسح كل البصمات؟".

"والتوثق مما شككنا فيه سلفاً: أن صورة مفقودة من الألبوم لها.

عندما ذهب إلى المنزل، عثر على الصور السلبية وأخذها إلى معمل

التحميض".

"على الأرجح إلى متجر حيث يحمّضون الصور في ساعة، ثم عاد إلى

الشاليه اليوم وألصقها حيث كانت القديمة".

"مم".

كانت العجلتان الخلفيتان للشاحنة أمامهما ترسلان رذاذاً من ماء زيتي

متسخ إلى زجاجهما الأمامي، والمساحتان تعملان بكل استطاعتهما.

قال هالفورسن: "لقد بذل آلبو قصارى جهده لإخفاء آثار مغامرته

الطائشة، لكن هل تظن أنه قتل أنا بيثسن؟".

حدّق هاري إلى الشعار على البابين الخلفيين للشاحنة حيث كُتب:

أموروما: لك إلى الأبد وقال: "لِمَ لا؟".

"لا يبدو لي قاتلاً. إنه من النوع المثقف المستقيم حتى النهاية. أب

موضع ثقة مع سجل لا غبار عليه وعمل أسسه بنفسه".

"لم يكن مخلصاً".

"مَن كذلك؟".

رد هاري ببطء: "نعم، من كذلك؟". وانفجر في نوبة غضب مفاجئة:

"هل سنبقى خلف هذه الشاحنة ونتلقى قاذوراتها كل الطريق إلى أوصلو،

أم ماذا؟".

تحقّق هالفورسن عبر المرآة من عدم وجود سياراتٍ وانتقل بالسيارة

إلى المسرب الأيسر. "وماذا سيكون دافعه؟".

قال هاري: "لنساء، ما رأيك؟".

"ماذا تعني؟ نذهب إلى منزله ونسأل؟ نكشف أننا قد حصلنا على

دليل بوسائل غير شرعية ونُطرد من عملنا في الوقت نفسه؟".

"لست مضطراً إلى الذهاب. سأفعل ذلك وحدي".

"وماذا تظن أنك ستحقق بفعل ذلك؟ إذا تبين أننا دخلنا إلى الشاليه من دون مذكرة تفتيش، فلن يبقى هناك قاضٍ على هذه الأرض لن يركل القضية خارج المحكمة".

"لهذا السبب تحديداً".

"تحديداً... عفواً، بدأت هذه الألباز تفرع ناقوس الخطر يا هاري".

"لأننا لا نمتلك شيئاً يمكننا استخدامه في المحكمة، يجب أن نكتفٍ

بجهودنا للعثور على شيء نستطيع الاستفادة منه".

"ألا يجب أن نستدعيه للاستجواب، ونجلسه على كرسي مريح، ونقدم

له الإسبرسو، ونشغل الشريط؟".

"لا. لا نريد أكاذيب كثيرة على شريط حين لا يمكننا استخدام ما

نعرفه لنثبت أنه كاذب. ما نريده هو حليف. شخص يمكن أن يكشفه

نيابة عنا؟".

"ومن هو؟".

"فيغديس ألبو".

"آها. وكيف...؟".

"إذا لم يكن آرنيه ألبو مخلصاً، فستزداد فرص أن ترغب فيغديس في

البحث عميقاً في هذه المسألة. وهناك احتمال أنها تعرف المعلومات التي

نريدها، ونحن نعرف بضعة أشياء يمكن أن تساعدنا لتكتشف المزيد".

حرك هالفورسن المرأة حتى لا ينبهر بضوء المصاييح الأمامية للشاحنة

التي تسير خلفهما مباشرة، وقال: "هل أنت واثق أنها فكرة جيدة يا

هاري؟".

"لا. هل تعرف ماذا تعني متناظرة؟".

"لا فكرة لدي".

"كلمة أو كلمات يمكن قراءتها من اليمين إلى اليسار وبالعكس. انظر

إلى الشاحنة عبر مرآتك. أموروما. إنها الكلمة نفسها بأي طريقة تقرأها بها".

كاد هالفورسن يقول شيئاً، لكنه أمعن التفكير في الأمر وهز رأسه

فقط يأساً.

قال هاري: "أقلني إلى شرودر".

كان الهواء يعبق برائحة العرق، ودخان لفائف التبغ، والملابس التي

بللها المطر وأصوات تصرخ من الطاولات طلباً للشراب.

جلست بتي لون إلى الطاولة حيث كان أون يجلس. كانت رؤيتها

صعبة مثل حمار وحش في زريبة بقر.

سأل هاري: "هل تنتظرين منذ وقت طويل؟".

كذبت: "ليس وقتاً طويلاً".

كان أمامها كأس شراب كبيرة، لم تمسّ بعد والشراب يملأها تماماً. تبعت نظرتة ورفعت الكأس بتكلف.

قال هاري وهو ينظر إلى ماجا: "تناول الشراب ليس إلزامياً هنا. إنه يبدو كذلك فحسب".

تناولت بتي رشفة صغيرة: "في الواقع، إنه ليس سيئاً. قال والدي إنه لا يثق بالناس الذين لا يحتسون الشراب".

وُضع فنجان قهوة أمام هاري، فتورّدت بتي خجلاً حتى جذور شعرها. قال هاري: "كنت أحتسي الشراب، لكنني أقلعت".
أمعنت بتي النظر إلى غطاء الطاولة.

قال هاري: "إنه العيب الوحيد الذي كنت قد تخلّصت منه. أنا أدخن، وأكذب، وأضمر الضغائن"، رفع فنجانه محيياً وتابع قائلاً: "ما الذي تعانينه يا لون؟ إضافة إلى كونك مدمنة فيديو وتذكرين وجه كل شخص سبق أن رأيته؟".

"ليس الكثير"، رفعت كأسها، "باستثناء ارتعاش ستسدال".
"هل هو خطر؟".

"قليلاً. في الواقع، إنه يدعى مرض هنتنغدون (اضطراب وراثي عصبي يؤثر في تنسيق عمل العضلات). إنه وراثي وشائع في ستسدال".
"لماذا هناك من بين الأماكن؟".

"إنه... وادٍ ضيق محاط بمنحدرات عالية، وبعيد جداً عن أي مكان مأهول".

"فهمت".

"جاء كل من والدي ووالدي من ستسدال، وفي البداية لم تكن والدتي ترغب في الزواج منه؛ لأنها ظنّت أن إحدى عمّاته تعاني ارتعاش ستسدال. كانت عمّتي تعاني اختلاجاً مفاجئاً في ذراعيها؛ لهذا اعتاد الناس الابتعاد عنها".

"وأنت مصابة به الآن؟".

ابتسمت بتي وقالت: "اعتاد والدي أن يزعج والدي بهذا الأمر حين كنت صغيرة. عندما كنت ألعب ووالدي لعبة ضرب اليدين، كنت سريعة جداً وأضربه بقوة تجعله يظن أنني مصابة بارتعاش ستسدال. كنت أجد الأمر مسلياً جداً حتى إنني تمّنيّت... أن أكون مصابة بالارتعاش، لكن والدي

أخبرتني يوماً أنني قد أموت من مرض هنتنغدون...". قطعت كلامها وأخذت تحرك كأسها بعصبية.

ثم أضافت: "وفي الصيف نفسه عرفت ما يعنيه الموت".
أوماً هاري إلى بحار عجوز إلى الطاولة المجاورة، الذي لم يرد التحية،
ثم تنحى قائلاً: "ماذا عن الضغائن؟ هل تضميرين أياً منها أيضاً؟".
نظرت إليه سائلة إياه: "ماذا تعني؟".

هز هاري كتفيه وقال: "انظري حولك. لا يمكن أن تستمر البشرية من دونها. انتقام وعقاب. تلك هي القوة المحركة للصغير الذي كان يتعرض لمضايقات في المدرسة ثم أصبح لاحقاً مليارديراً، وسارق المصرف الذي يظن أن المجتمع قد ظلمه. وانظري إلينا. انتقام المجتمع الملتهب يتنكر بمظهر العقاب القاسي المنطقي؛ تلك هي مهنتنا، أليس كذلك؟".

قالت وهي تتفادي نظرتة: "يجب أن يكون الأمر على تلك الحال. لن يقوم مجتمع من دون عقاب".

"نعم، بالطبع، لكن هناك أكثر من ذلك، صحيح؟ التسامح، والتخلص من الانتقام".

"لم أقرأ كثيراً من الفلسفة". رفعت كأسها وتجرعت كمية كبيرة.
أحنى هاري رأسه وقال: "لم أقرأ أنا أيضاً. أحاول فقط إثارة إعجابك.
هل نتكلم عن التفاصيل؟".

قالت: "أولاً الخبر السيئ. فشلت في إعادة رسم الوجه خلف القناع.
مجرد أنف وشكل رأس".
"والخبر الجيد؟".

"تظن المرأة التي استُخدمت كرهينة في عملية السطو في غرونلاندسليرت أن بمقدورها تعرّف صوت السارق. قالت إنه كان حاداً على نحو غير معتاد مما جعلها تظن أنه صوت امرأة".
"مم. أي شيء آخر؟".

"نعم، كنت أتكلم إلى العاملين في فوكس وأنحقق من بعض الأمور.
وصل تروند غريت عند الساعة الثانية والنصف وغادر عند الرابعة تقريباً".
"كيف توثقت من ذلك؟".

"لأنه دفع لحجز ملعب السكواتش ببطاقة حين وصل. سُجّلت الدفعة عند الساعة 14:34. وهل تتذكر مضرب السكواتش المسروق؟ أخبر العاملين بالتأكيد. وثق الشخص الذي يعمل يوم الجمعة الوقت الذي كان فيه غريت هناك. وغادر المركز عند الساعة 16:02".

"وكان ذلك هو الخبر الجيد؟".

"لا، سأذكره الآن. هل تذكر صاحب ثوب العمل الذي رآه غريت يتجاوز النادي الرياضي؟".

"وقد كتبت كلمة شرطة على الظهر؟".

"لقد كنت أشاهد فيلم الفيديو. يبدو أن هناك شعار فلكرو على صدر ثوب عمل المسرّع وظهره".
"المعنى؟".

"إذا كان الشخص الذي رآه غريت هو المسرّع، كان بمقدوره وضع شعار فلكرو على ثوب العمل حين أصبح خارج نطاق آلات التصوير".
"مم.". احتسى هاري القهوة مصدراً صوتاً.

"قد يفسّر ذلك لماذا لم يرَ أحد شخصاً يرتدي ثوب عمل أسود من دون شعارات في المنطقة. كانت هناك بزّات شرطية سوداء في كل مكان بعد السرقة مباشرة".

"ماذا رأوا في فوكس؟".

"ذلك هو الأمر المثير للاهتمام. تتذكر المرأة المناوبة في الواقع رجلاً يرتدي ثوب عمل ظنّته شرطياً. تجاوزها مسرعاً، ولهذا افترضت أنه قد حجز ملعب سكواتش أو شيئاً من هذا القبيل".
"إذاً، لم يكن لديهم اسم؟".
"لا".

"ذلك ليس مثيراً تماماً...".

"لا، لكن الأفضل آت. كان السبب الذي جعلها تتذكر الرجل أنها ظنّت أنه في وحدة خاصة، أو شيئاً مماثلاً؛ لأن باقي معدّاته كانت مثل هاري القذر (فيلم جريمة). إنه...". توقفت ونظرت إليه خائفة وأضافت: "لم أقصد أن...".

قال هاري: "لا بأس بذلك. تابعي".

حرّكت بتي كأسها، وظنّ هاري أنه لاحظ ابتسامة انتصار صغيرة على شفيتها الرقيقتين.

"كان يضع قناعاً مرفوعاً قليلاً إلى الأعلى، ونظارة شمسية كبيرة تخفي باقي وجهه. قالت إنه كان يحمل حقيبة قماشية سوداء بدت ثقيلة جداً".

تدلى نعلان قديمان برباطيهما من السلك الذي يمتد بين المنازل في دوفرغاتا. فعلت المصابيح على السلك كل ما باستطاعتها لإنارة الرصيف المفروش بالحصى، لكن بدا أن أمسية الخريف الحالكة قد أخفت سلفاً كل

الأضواء في البلدة. لم يزعج ذلك هاري، واستطاع العثور على الطريق بين بوابة فيبوز وشرودر في الظلام الدامس. كان قد فعل ذلك مرات عدّة. كانت لدى بتي لائحة بأسماء الأشخاص الذين حجزوا للسكواتش أو اللياقة البدنية في الوقت الذي كان فيه الرجل بثوب العمل هناك، وستبدأ زيارتهم في اليوم التالي. إذا لم تعثر على الرجل، فلا تزال هناك فرصة أن يكون شخص ما قد وُجد في الغرفة حين كان يبدّل ملابسه وأن يمنحهم وصفاً له.

مشى هاري تحت النعلين المعلقين على السلك. كان قد رآهما معلّقين هناك منذ سنوات، وقد أقنع نفسه منذ وقت طويل ألا يحاول العثور على جواب عن سؤال كيف وصلا إلى هناك.

كان عليّ يسمح الدرجات حين وصل هاري إلى مدخل البناء. قال هاري وهو يمسخ قدميه: "لا بدّ من أنك تكره الخريف النرويجي؛ سخام وماء موحل فحسب".

ابتسم عليّ: "في بلدي في باكستان انخفضت الرؤية إلى خمسين متر بسبب التلوث، على مدار السنة".

استطاع هاري سماع صوت بعيد لكنه مألوف. كانت هناك قاعدة مفادها: إن الهواتف تبدأ الرنين حين تسمعها، لكن لا يمكنك الوصول إليها في الوقت المناسب. نظر إلى ساعته؛ إنها العاشرة. كانت راكيل قد قالت إنها ستصل به عند التاسعة.

شرع عليّ يقول: "غرفة القبو تلك..."، لكن هاري كان قد انطلق آنذاك بسرعة كبيرة، يترك آثار حذائه من ماركة دوك مارتنز على الدرجات. توقف الهاتف عن الرنين حين فتح الباب.

خلع حذاءه، وغطّى وجهه بيديه، ثمّ ذهب إلى الهاتف ورفع السماعة. كان رقم الفندق على لصاقة صفراء على المرأة. أمسك الملاحظة ولمح انعكاس أول بريد إلكتروني من S2MN. كان قد طبعه وثبّته على الجدار؛ عادة قديمة. كانوا يزينون الجدار دائماً في شعبة الجريمة بصور، ورسائل، وأدلة أخرى قد تساعدهم على اكتشاف صلة ما أو تحفّز اللاوعي بطريقة أو بأخرى. لم يستطع هاري قراءة الانعكاس على المرأة، لكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك:

هل نلعب؟ لنتخيل أنك كنت في عشاء مع امرأة وعُثر عليها في اليوم الآتي ميتة. ماذا تفعل؟

غير رأيه، وذهب إلى غرفة المعيشة، ثم شغل التلفاز واسترخى على الكرسي المزود بذراعين. ثم نهض مرتعشاً متّجهاً إلى الردهة وطلب الرقم. بدت راكيل قلقة.

قال هاري: "كنت في شرودر. لقد وصلت هذه اللحظة".

"لا بد من أنني اتصلت عشر مرات".

"هل من تطورات في القضية؟".

"أنا خائفة يا هاري".

"مم. خائفة جداً؟".

كان هاري يقف عند مدخل غرفة المعيشة، يضع السماعة بين الكتف والأذن ويخفض صوت التلفاز باستخدام جهاز التحكم عن بُعد. قالت: "ليس كثيراً. قليلاً".

"قليل من الخوف لا يضر. تصبحين أقوى إذا شعرت ببعض الخوف".

"لكن ماذا إن خفت كثيراً؟".

"تعرفين أنني سأكون هناك مباشرة. عليك فقط أن تنطقي الكلمة".

"لقد قلت سابقاً إنك لا تستطيع المجيء يا هاري".

"لقد حصلت على حق تغيير رأيك الآن".

شاهد هاري الرجل بالعمامة والزي المموه على شاشة التلفاز. كان

هناك شيء مألوف في وجهه على نحو غريب، ويشبه شخصاً ما.

قالت: "عالمي يتداعى. يجب أن أعرف فقط أن أحدهم هناك".

"أحدهم هنا".

"لكنك تبدو بعيداً جداً".

استدار هاري بعيداً عن التلفاز واستند إلى إطار الباب، وقال: "أنا

أسف، لكنني هنا وأفكر فيك؛ حتى إذا بدوت بعيداً".

بدأت تبكي وقالت: "أسفة يا هاري. لا بدّ من أنك تفكر في أنني

منتحبة فظيعة. أعرف بالطبع أنك هناك"، ثم همست: "أعرف أن بمقدوري

الاعتماد عليك".

أخذ هاري نفساً عميقاً إذ شعر بصداق طويل، ولكن ليس شديداً،

مثل طوق حديدي يشتد شيئاً فشيئاً حول جبينه. عندما أنهيا حديثهما،

كان يشعر آنذاك بكل نبض يضج أماً في صدغيه.

أوقف التلفاز عن العمل وشغل أسطوانة راديوهيد (فرقة روك) لكنه

لم يستطع تحمّل صوت توم يورك. بدلاً من ذلك، ذهب إلى الحمام وغسل

وجهه. وقف في المطبخ وحدّق إلى الثلاجة من دون أن يعرف ما الذي

يبحث عنه. أخيراً، لم يعد ممكناً تأجيل الأمر أكثر من ذلك وذهب إلى غرفة النوم. نبض الحاسوب بالحياة، وألقى بضوئه الأزرق البارد على الغرفة. أجرى اتصالاً بالعالم حوله، الذي أخبره أن لديه بريداً إلكترونياً؛ لقد شعر بذلك آنذاك: التعطش. خشخشت السلاسل كأن مجموعة من الكلاب تكافح كي تتحرر منها. ونقر على أيقونة البريد الإلكتروني. كنت سأتحقق من حذائها. لا بدّ من أن الصورة كانت على الطاولة بجانب السرير وأخذتها حين كنت أذخر السلاح. بالرغم من ذلك، هذا يجعل اللعبة أكثر إثارة بقليل. قليلاً.

S2MN

ملحوظة: كانت خائفة. أردت أن تعرف ذلك فحسب. تحسّس هاري عميقاً في جيبه وأخرج حلقة مفاتيح كانت قد علقت بها قطعة نحاسية تحمل الحرفين أيه. أيه.

القسم الثالث

الهبوط

عندما يحدّق شخص إلى ماسورة بندقية، ما الذي يجري في ذهنه؟ أتساءل أحياناً إن كانوا يفكّرون أصلاً. مثل المرأة التي التقيت بها اليوم والتي قالت: "لا تطلق النار علي". هل كانت تظن حقاً أن توسلاً من ذلك النوع سيجدي نفعاً بطريقة أو بأخرى؟ كان قد كُتِبَ على بطاقتها التعريفية: مصرف دن نورسك وكاثرين شوين، وعندما سألت عن سبب وجود حرفي كيه. وإيتش. في اسمها، نظرت إليّ بوجه خائف غبي وكرّرت الكلمات: "لا تطلق النار علي". كدت أفقد السيطرة، أخور عليها وأطلق النار بين قرنيها.

السيارات أمامي لا تتحرك، وكنت أشعر بالمقعد على ظهري دبقاً ومتعرّقاً. المذياع على إذاعة أخبار 24 ساعة من أن. أر. كيه، لكنني لم أسمع صوتاً بعد. نظرت إلى ساعتني. عادة أكون بأمان في الشاليه في نصف ساعة. السيارة أمامي مزوّدة بمحوّل محفّز (عادم لتخفيف انبعاث الغازات السامة)، وأوقفت عمل المروحة. كانت ساعة ازدحام الأصيل قد بدأت، لكن حركة السير هذه أبطأ من المعتاد. هل هناك حادث أمامنا؟ أم أن الشرطة نصبت حواجز طرقية؟ مستحيل. الحقيبة التي تحتوي على المال تحت سترة على المقعد الخلفي، بجانب أيه. جي. 3 مذخّرة. زاد سائق السيارة أمامي عدد دورات المحرك، حرّك جهاز تعشيق التروس وتحرك مترين. ثم توقفنا تماماً مجدداً. أفكّر إن كان يجب أن أشعر بالملل، أو العصبية، أو الغضب حين أرى عناصر الشرطة. رجلا شرطة يمشيان على طول الخط الأبيض بين صفوف السيارات. أحدهما امرأة ترتدي زياً رسمياً والآخر رجل طويل يتدثر بمعطف رمادي. يلقيان نظرة متفحّصة على السيارات إلى اليسار واليمين. توقف أحدهما وتبادل بضع كلمات وابتسامة مع سائق لم يكن يضع حزام الأمان. ربما مجرد تدقيق روتيني. إنهما يقتربان. صوت حادّ صدر عن إذاعة أخبار 24 ساعة من أن. أر. كيه. يقول باللغة الإنكليزية إن الحرارة أكثر من أربعين درجة مئوية، وإنه يجب اتخاذ احتياطات ضد لفحة الشمس. بدأت أتعرق تلقائياً بالرغم من أنني كنت أعرف أن الجو في الخارج رطب وبارد. إنهما يقفان أمام سيارتي. إنه الشرطي، هاري هول. تبدو المرأة مثل شتاين. تنظر نحو الأسفل إليّ حين يتجاوزاني. فتنقّسُ الصعداء. كنت على وشك أن أضحك عالياً حين سمعت نقراً على النافذة. أدرت ببطء عنقي نحوها؛ ببطء لا يُصدّق. ابتسمت، واكتشفتُ أن النافذة مفتوحة سلفاً. أمر

غريب؛ قالت شيئاً طغى عليه هدير المحرك في الأمام.
سألت وأنا أفتح عيني مجدداً: "ماذا؟".
"هل يمكنك من فضلك أن تعيد ظهر مقعدك إلى وضعيته الأصلية؟".
سألت محتاراً: "ظهر مقعدي؟".

"سنبط قريباً يا سيدي". ابتسمت مجدداً واختفت.
فركت عيني لإبعاد النعاس عنهما وتذكرت كل شيء: السطو المسلح،
الفرار، الحقيبة مع تذكرة الطائرة في الشاليه. الرسالة النصية من الأمير أن
الجوّ صافٍ. لكن بالرغم من ذلك شعرت ببعض وخزات العصبية حين كنت
أقدم جواز سفري عند نقطة التفتيش في غاردمون. إقلاع الطائرة؛ كان كل
شيء قد سار وفقاً للخطة.

نظرت إلى خارج النافذة. كان واضحاً أنني لم أغادر نطاق أرض الأحلام
بعد. بدوت لحظة واحدة أحلق فوق النجوم، ثم أدركت أنها الأضواء من
البلدة وبدأت أفكر في السيارة المستأجرة التي كنت قد طلبتها. هل يجب
أن أنام في فندق في المدينة الضخمة والحارة والرطبة، وأقود سيارتي جنوباً
غداً؟ لا، سأكون متعباً أيضاً نهار غد، من وعثاء السفر. الأفضل أن أصل
إلى هناك في أسرع وقت ممكن. المكان الذي أذهب إليه أفضل من
سمعته. هناك بعض النزويجين الذين يمكنني التحدث إليهم. الاستيقاظ على
نور الشمس، والبحر، وحياء أفضل. تلك هي الخطة؛ خطتي بأي حال.
أمسكت بالشراب الذي تمكنت من الاحتفاظ به قبل أن تطوي المضيئة
طاولتي. إذاً، لماذا لا أثق بالخطة؟

اشتد هدير المحرك وخفت. أشعر بأنني في طريقي إلى الأسفل الآن.
أغمضت عيني وتنفست نفساً عميقاً؛ لأنني أعرف ما سيحصل. هي. إنها
ترتدي الفستان نفسه حين رأيته لأول مرة. يا الله، أشتاق إليها. لا تغير
حقيقة أن الاشتياق لا يمكن إشباعه شيئاً، حتى لو كانت قد عاشت. كان
كل شيء يتعلق بها مستحيلاً. الفضيلة والهوى. شعر يبدو أنه يمتص كل
الضوء، لكن بدلاً من ذلك يلمع مثل الذهب. الضحكة الجريئة حين تجري
الدموع على وجنتيها. العينان المملوءتان كراهية. كلامها الزائف عن الحب
وسعادتها الكبيرة حين ذهبت إليها بأعذار واهية بعد اتفاقيات لم ألتزم بها،
والتي كررتها حين استلقت بجانبها على السرير ورأسي يفكر في أخرى.
مضى على ذلك وقت طويل الآن. ملايين السنين. أغمضت عيني بقوة حتى
لا أرى الباقي. الرصاصة التي أطلقتها عليها. بؤبؤاها اللذان اتسعا ببطء
مثل وردة سوداء، الدم الذي يسيل، السقوط والانهيال مع تنهيدة كئيبة،

كسر عنقها وارتداد رأسها إلى الخلف. والمرأة التي أحبها ميتة الآن؛ بكل بساطة. لكن ذلك ليس منطقياً. هذا هو الجميل في الأمر؛ بسيط جداً وجميل حيث لا يمكنك التعايش معه بسهولة. خفّ الضغط في القمرة وازداد التوتر. من الداخل؛ قوة غير مرئية تضغط على طبليتي أذنيّ والدماغ اللين. يشعرني شيء ما بأن هذا ما ستؤول إليه الأمور. لن يعثر أحد عليّ، لن ينتزع أحد سري مني؛ لكن الخطة ستُفضح بأي حال. من الداخل.

احتكار

أيقظ منبه المذياع والأخبار هاري. كان القصف قد اشتد، وبدا الأمر مكرراً.

حاول أن يجد سبباً لينهض.

قال الصوت عبر المذياع إنه منذ 1975 كان معدل وزن الرجل والمرأة النوويين قد ازداد ثلاثة عشر وتسعة كيلوغرامات على التوالي. أغمض هاري عينيه وتذكر شيئاً كانت آنا قد قالته. يتمتع التهرب من الواقع بسمعة سيئة لا يستحقها. داعبه الكرى. الشعور الدافئ العذب نفسه حين كان صبيّاً صغيراً يستلقي على السرير والباب مفتوح، يستمع إلى والده يمشي في أرجاء المنزل يوقف عمل كل المصابيح - واحداً إثر آخر - ومع تقدمه في مهمته. كان الظلام خارج بابهِ يصبح أكثر حلقة.

"بعد السرقات بقوة السلاح في أوصلو في الأسابيع الأخيرة، كان موظفو المصارف قد دعوا إلى وضع حراس مسلحين في المصارف غير الحصينة في مركز المدينة. السطو المسلح في الأمس على فرع مصرف دن نورسك في غرونلاندسليرت هو الأخير في سلسلة من السرقات بقوة السلاح، الذي تشك الشرطة في أن الرجل الملقب بلقب المسرع مسؤول عنها. إنه الشخص نفسه الذي أطلق النار وقتل...".

وضع هاري قدميه على المشمّع البارد. كان الوجه المنعكسة صورته على صفحة مرآة الحمام وجه بيكاسو الراحل.

* * *

كانت بتي تتكلم عبر الهاتف. هزّت رأسها حين رأت هاري عند باب المكتب. أوماً وكان على وشك أن يغادر، لكنها لوّحت له أن يعود. قالت: "شكراً على مساعدتك بأي حال"، ووضعت السماعة. سأل هاري، وهو يضع فنجان قهوة أمامها: "هل أزعجك؟". "لا، أهزّ رأسي لأقول إننا لم نكن محظوظين في فوكس. كان الاسم الأخير على اللائحة. بين كل الرجال الذين نعرف أنهم كانوا في فوكس وقت الحادثة، يتذكر واحد منهم فقط على نحو مبهم أنه رأى رجلاً يرتدي ثوب عمل. ولم يكن حتى واثقاً إن كان قد شاهده في غرفة تغيير الملابس أم لا".

"مم". جلس هاري ونظر حوله. كان مكتبها مرتباً كما توقع تماماً، بغض النظر عن نبات مألوف في أصيص على عتبة النافذة لم يتذكر اسمه،

كانت غرفتها خالية من أي زينة خاصة بها، ولاحظ خلفية صورة مؤطرة على طاولتها. كانت لديه فكرة عمّن قد يكون.
سأل: "هل تكلمتِ فحسب إلى الرجال؟".
"الفكرة أنه دخل غرفة تغيير ملابس الرجال ليبدّل ثيابه، أليس كذلك؟".

"ثم مشى في شوارع موريسٽاون مثل أي شخص عادي، نعم. هل من جديد عن سرقة الأمس في غرونلاندسليرت؟".
"هذا يعتمد على ما تعدّه جديداً. سأقول إنها نسخة طبق الأصل. الملابس، وأيه. جي. 3 نفسها. استخدم رهينة ليتكلم. أخذ المال من جهاز الصراف الآلي، وكل ذلك في غضون دقيقة وخمسين ثانية. لا أدلّة. باختصار...".

قال هاري: "المسرّع".
"ما هذا؟". رفعت بتي الفنجان ونظرت إلى داخله.
"كابوتشينو. تحية من هالفورسن".
"قهوة مع حليب؟". تغصّن أنفها.
"دعيني أحمّن. قال والدك إنه لا يثق قط بشخص لا يشرب القهوة سادة؟".

ندم على ذلك مباشرة حين رأى تعبير الاندهاش على وجه بتي.
تمتم: "آسف. لم أقصد أن... كان ذلك غباءً مني".
سارعت بتي بالسؤال ممسكةً مقبض فنجان القهوة بعصبية: "إذًا، ماذا نفعل الآن؟ لقد عدنا إلى المربع الأول".
استرخى هاري على الكرسي وتأمّل حذاءه وقال: "نذهب إلى السجن".
"ماذا؟".

"نذهب مباشرة إلى السجن"، نهض من مكانه وتابع كلامه: "من لا يجازف، فلا يحصل على ألفي كرون".
"ما الذي تتكلم عنه؟".

"بطاقات احتكار (لعبة). هذا ما تبقى لدينا. أن نجرب حظنا، في السجن. هل لديك رقم سجن بوتسن؟".
قالت بتي: "هذه مضيعة للوقت".

تردد صدى صوتها بين جدران كولفرت حين كانت تحث الخطى بجانب هاري.

قال: "ربما، مثل تسعين بالمئة من كل أعمال التحقيقات".

"كنت قد قرأت كل التقارير ونصوص أشرطة المقابلات التي أُجريت. لم يقل شيئاً قط، باستثناء كثير من الهراء الفلسفي غير ذي الصلة بالموضوع".
ضغط هاري زر الاتصال البيني بجانب الباب الحديدي الرمادي في نهاية النفق.

"هل سمعت القول المأثور القديم عن البحث عما تفقدينه في الضوء؟
أفترض أنه يُقصد به توضيح حماقة البشر. يبدو الأمر منطقياً لي".
سَمِعَ أحدهم يقول له: "ارفع بطاقة هويتك إلى آلة التصوير".
سألت بتي، وهي تدخل بسرعة خلف هاري: "ما الفائدة من مجيئي إذا كنت ستتكلم معه وحدك؟".

"إنه أسلوب استخدمناه أنا وإيلين حين استجبونا مشتبهاً فيهم. يجري أحدنا المقابلة دائماً في حين يجلس الآخر يرهف السمع. إذا وصل الأمر إلى طريق مسدودة، كنا نأخذ استراحة. إذا كنت أنا من تولّى الحديث، أخرج من المكان وتبدأ إيلين تتكلم عن أشياء عادية أخرى، مثل الإقلاع عن التدخين أو أن كل ما يعرض على التلفاز هراء تلك الأيام. أو تحسب كم دفعت مقابل إيجار شقتها منذ انفصالها عن حبيبها. بعد أن يتحدثا بعض الوقت، كنت أطلّ برأسي عليهما وأقول إن شيئاً قد طرأ وإن عليها تولي زمام الأمور".

"هل نجح ذلك؟".

"كل مرة".

صعدا السلام إلى الحاجز أمام ساحة السجن. أوماً مسؤول السجن خلف الزجاج السميكة المضاد للرصاص إليهما وضغط زرّاً. جاء الصوت الحاد: "سيكون الحارس معكما بعد دقيقة".

كان حارس السجن مربع القامة، عضلاته مفتولة وبتهادى في مشيته مثل قزم. قادهما إلى مبنى الزنانات. رواق يمتد على ثلاثة طوابق مع صفوف من أبواب زنانات زرقاء تحيط بقاعة مستطيلة، وشبكات أسلاك ترتفع بين الأرضيات. لم يكن ممكناً رؤية أحد، ولم يعكر الصمت إلا صوت إغلاق باب بعنف في مكان ما.

كان هاري قد زار المكان مرات عدّة من قبل، لكن يبدو سخيلاً دائماً أن يفكر في أن خلف كل تلك الأبواب أشخاصاً ظنّ المجتمع أنه من المناسب سجنهم ضد إرادتهم. لم يكن يعرف تماماً لماذا يجد الفكرة قاسية جداً، لكن كانت لها علاقة بالمظاهر المادية للعقاب الممنهج مجتمعياً للجريمة؛ الميزان والسيف.

خشخشت مجموعة مفاتيح الحارس حين فتح باباً كتبت عليه كلمة زوار بأحرف سوداء، وقال لهما: "تفضلاً. اقرعاً فقط حين ترغبان في الخروج".

دخلا وأغلق الباب بقوة خلفهما. أثار انتباه هاري في الصمت الذي أعقب ذلك طنين خافت متقطع لمصباح نيون، والورود الاصطناعية على الجدار، التي تلقي ظلالاً شاحبة على لوحات مائية باهتة. كان رجل يجلس مشدود القامة على كرسي عند منتصف الجدار الأصفر تماماً خلف طاولة؛ يضع ذراعيه على الطاولة على جانبي رقعة شطرنج، وكان شعره مشدوداً بإحكام خلف أذنيه. كان يرتدي زياً موحداً يشبه ثوب العمل. شكّل الحاجبان المشدّبان والظل الذي يقع على الأنف المستقيم حرف تي. واضحاً كلما ومض مصباح النيون. كان تعبير وجهه مألوفاً، بأي حال، يتذكّره هاري من الجنازة؛ فهو مزيج متناقض من المعاناة والجمود الذي ذكّر هاري بشخص ما.

أشار هاري إلى بتي أن تجلس بجانب الباب. أخذ كرسيّاً إلى الطاولة وجلس قبالة راسكول وقال: "شكراً لتخصيص وقت لمقابلتنا". قال راسكول بصوت هادئ ومرح على نحو مفاجئ: "الوقت يذهب سدّى هنا". تكلم مثل أوروبي شرقي مشدداً على كلمة هنا وبأسلوب واضح. "أفهم ذلك. أنا هاري هول وهذه زميلتي...". "بتي لون. أنت تشبهين والدك يا بتي". سمع هاري بتي تشهق واستدار قليلاً نحوها. لم يكن وجهها أحمر، بل على العكس ازداد جلدها الباهت شحوباً، وقد برزت تكشيرة جامدة؛ كأنها تلقت صفة.

نظر هاري إلى الأسفل، وسعل، وقد لاحظ للمرة الأولى أن التناظر المخيف تقريباً على كلا جانبي المحور الذي يفصله عن راسكول يشوبه تفصيل واحد صغير: الملك والملكة على رقعة الشطرنج. "أين رأيتك من قبل يا هول؟".

قال هاري: "يراني الآخرون غالباً بجانب الموتى". "نعم! الجنازة. كنت أحد كلاب حراسة إيفارسون". "لا".

"إذاً، لم تحب ذلك، أليس كذلك؟ أن تُدعى كلب حراسة. هل هناك ضغينة بينكما؟".

رد هاري: "لا، لا نعجب بعضنا بعضاً فحسب. لم يعجبك أنت أيضاً،

كما فهمت".

ابتسم راسكول قليلاً وقال: "آمل ألا يكون عدّ ما حدث أمراً شخصياً. بدت بزة ثمينة جداً".

"أظن أن بزته عانت الأمرين".

"أراد أن أخبره شيئاً، وهذا ما فعلته".

"أن النقود المسروقة تحمل علامات إلى الأبد؟".

"ليس شيئاً أيها المفتش. لكن الخبر سيزول بمرور الوقت. هل تلعب الشطرنج؟".

حاول هاري ألا يتأثر؛ لأن راسكول قد استخدم الرتبة الصحيحة. ربما كان قد خمن ذلك.

سأل هاري: "كيف استطعت إخفاء جهاز الإرسال بعد ذلك؟ سمعت أنهم قلبوا المبنى رأساً على عقب".

"من قال إنني أخفيت شيئاً؟ أسود أم أبيض؟".

"يقولون إنك لا تزال العقل المدبّر خلف معظم سرقات المصارف في النرويج، وإن هذه قاعدتك، وحصّتك من العمليات تُحوّل إلى حساب أجنبي. هل لهذا السبب أردت أن يضعوك في الجناح أياه. في سجن بوتسن؟ لأنك تستطيع لقاء المدانين بأحكام قصيرة والذين سرعان ما سيخرجون وينفذون الخطط التي تضعها هنا؟ وكيف تتواصل معهم في الخارج؟ هل لديكم هواتف خلوية هنا أيضاً؟ حواسيب؟".

تنهّد راسكول وقال: "بداية واعدة يا هول، لكنني بدأت أشعر بالملل منك. هل نلعب أم ماذا؟".

قال هاري: "لعبة مملة، إلا إن كان هناك شيء في قدرٍ مغلقة".

"ذلك يناسبني. على ماذا يجب أن نلعب؟".

"هذا". رفع هاري حلقة تحمل مفتاحاً واحداً وقطعة نحاسية.

سأل راسكول: "وما هذا؟".

"لا أحد يعرف. عادة يجب أن تجازف بأن ما يوجد في القدر ثمين".

"لماذا أفعل ذلك؟".

انحنى هاري إلى الأمام. "لأنك تثق بي".

ضحك راسكول بصوتٍ عالٍ وقال: "اذكر لي سبباً واحداً كي أثق بك

أيها السبيوني (الجاسوس)؟".

قال هاري من دون أن يشيح بصره عن راسكول: "بتي، هل تمنعين

في تركنا وحدنا؟".

سمع الطرق على الباب وخشخشة المفاتيح خلفه. فُتح الباب وكانت هناك طقطقة خافتة حين أُوصد القفل.

"ألقِ نظرة". وضع هاري المفتاح والقطعة النحاسية على الطاولة. سأل راسكول من دون أن يبعد نظريه عن هاري: "أيه. أيه؟". رفع هاري الملك الأبيض عن الرقعة. كانت قطعة مصنوعة يدوياً وجميلة. "هذان هما الحرفان الأولان لرجل يعاني مشكلة عويصة. كان ثرياً، ولديه زوجة وأولاد، ومنزل وشاليه، وكلب وعشيقة. بدا كل ما في الحديقة وردياً"، قلب هاري القطعة رأساً على عقب وتابع قائلاً: "لكن بمرور الوقت، تغير الرجل الثري. جعلته أحداثٌ يدرك أن الأسرة هي أهم شيء في حياته. لهذا باع شركته، تخلص من العشيقة، ووعد نفسه وأفراد أسرته أنهم سيعيشون من أجل بعضهم بعضاً. كانت المشكلة أن العشيقة بدأت تهدد الرجل بكشف علاقتهما. ربما كانت قد ابتزته أيضاً. ليس لأنها جشعة، لكن لأنها فقيرة؛ ولأنها كانت تضع اللمسات الأخيرة على عمل فني ظنت أنه سيتوج مسيرتها المهنية، وكانت بحاجة إلى مال للترويج له. ضغطت عليه أكثر فأكثر، وفي إحدى الأمسيات قرّر أن يزورها. ليست أي أمسية عادية، لكن تلك الأمسية الخاصة؛ لأنها كانت قد أخبرته أن حبيباً قديماً سيأتي إليها. لماذا أخبرته؟ ربما لتثير غيรته؟ أو تُظهر أن هناك رجالاً آخرين يريدونها؟ لم يشعر بالغيرة، وإنما بالإثارة. كانت تلك فرصة رائعة"، نظر هاري إلى راسكول الذي كان قد وضع ذراعاً فوق أخرى ويراقب هاري، ثم أضاف: "انتظر في الخارج. انتظر وانتظر، يراقب الأضواء في شقتها. غادر الزائر قبل منتصف الليل قليلاً. رجل عادي - إذا وصل الأمر إلى ذلك الحد - لن يكون لديه حجة غياب، وذلك الذي سيؤكد آخرون أنه قد أمضى الأمسية كلها مع أنا. كانت جارتها المصابة بأرق، إذا لم يكن هناك أحد آخر، ستسمع هذا الرجل يرن الجرس في وقت مبكر من المساء. رجلنا لم يرن الجرس. رجلنا دخل بمفتاح. تسلل على السلام وفتح باب شقتها". رفع هاري الملك الأسود وقارنه بالأبيض. إذا لم تنظر عن كثب، فقد تُخدع وتظن أنهما متماثلان.

"السلاح ليس مسجلاً. قد يكون لآنا، أو له. لا أعرف أنا ما حدث في الشقة بالتحديد، ولن يعرف العالم ذلك على الأرجح؛ لأنها ماتت. من وجهة نظر الشرطة، إنها قضية منتهية: انتحار".

داعب راسكول لحيته المشدّبة: "أنا؟ وجهة نظر الشرطة؟ لماذا ليس نحن ووجهة نظرنا؟ هل تحاول إبلاغي أنك تغرّد خارج السرب أيها

المفتش؟".

"ماذا تعني؟".

"تعرف تماماً ما أعنيه. خدعة إرسالك زميلتك إلى الخارج لتمنحني الانطباع أن هذا بيني وبينك، أفهم ذلك، لكن..."، ضغط راحتي كفيه معاً وتابع: "بالرغم من أن ذلك ممكن، هل يعرف أي شخص آخر ما تعرفه؟". هز هاري رأسه نافياً.

"إذاً، ما الذي تسعى إليه؟ المال؟".

"لا".

"لن أكون على عجلة من أمري لو كنت مكانك أيها المفتش. لم تسنح لي فرصة قول ما تساويه هذه المعلومات لي بعد، إذا استطعت إثبات ما كنت قد قلته، وأن ينال الرجل المذنب عقابه في ظل - لنقل - ظروف خاصة بعيداً عن أي تدخل من الدولة".

قال هاري، وهو يأمل ألا يكون العرق على جبينه ظاهراً للعيان:

"تلك ليست القضية. السؤال هو: ما قيمة معلوماتك لي".

"ماذا تقترح أيها السبيوني؟".

قال هاري، وهو يمسك المملكين باليد نفسها: "ما أقترحه هو مقايضة.

ستخبرني من هو المسرّع وسأحصل على دليل ضد الرجل الذي قتل أنا".

ضحك راسكول بصوتٍ خافت ثم قال: "لقد انتهينا هنا. يمكنك

الذهاب الآن أيها السبيوني".

"فكر في الأمر يا راسكول".

"غير ضروري إطلاقاً. أثق بالناس الذين يسعون إلى المال، لكن لا أثق

بالمناضلين".

نظرا إلى بعضهما بعضاً، طقطق مصباح النيون، أوماً هاري، ووضع

قطعتي الشطرنج، ثم وقف على قدميه، واتجه نحو الباب وطرق عليه. قال

وظهره إلى راسكول: "لا بدّ من أنك كنت تحبها حباً جماً. كانت الشقة في

سورجنفريغاتا مسجلة باسمك، وأعرف تماماً كم كانت أنا مفلسة".

"أوه؟".

"نظراً إلى أنها شقتك، فقد طلبت من لجنة المبنى أن ترسل إليك

المفتاح. سيأتي به مراسل اليوم. أقترح أن تقارنه بالمفتاح الذي حصلت عليه

مني".

"لماذا؟".

"هناك ثلاثة مفاتيح لشقة أنا. كان لدى أنا مفتاح، والكهربائي لديه

الثاني. وجدت هذا المفتاح في شاليه الرجل الذي كنت أتكلم عنه؛ في درج الطاولة بجانب السرير. إنه المفتاح الثالث والأخير، والوحيد الذي كان ممكناً استخدامه، إذا قُتلت أنا".

سمعا وقع خطوات خارج الباب.

قال هاري: "وإذا كان ذلك يعزّز مصداقيتي، فأنا أحاول إنقاذ نفسي

فحسب".

أميركا

العطشى يشربون في أي مكان. خذ ماليك عند بوابة ترسييس مثلاً؛ كان مطعم همبرغر ولا علاقة له بالمستوى الرفيع الذي يمثله شرودر، بالرغم من كل عيوبه، كمشرب مرخص له. صحيح أنهم يقدمون الهمبرغر اللذيذ الذي يروجون له على أنه خارج المنافسة، وقد يقول المرء إن المكان يتمتع بمسحة جمالية يضيفه الديكور المستوحى من البيئة الهندية مع صورة الأسرة الملكية الترويجية مما يمنح المكان جمالاً خاصاً به، بأي حال، لكنه كان وسيظل دائماً منفذ بيع طعام جاهز، إذ لن يحلم أولئك الذين يستمتعون باحتساء الشراب أن يحتسوا شراهم فيه.

لم يكن هاري قط واحداً منهم.

لم يكن قد جاء إلى ماليك منذ وقت طويل، لكن عندما ألقى نظرة سريعة في أرجاء المكان، تحقق أن شيئاً لم يكن قد تغير. كان أويستن جالساً مع أصدقاء الشراب الذكور (وأنتى واحدة) إلى طاولة مدخنين في الداخل، تسمع أغاني بوب قديمة، وتعليق مذيع رياضي على محطة تلفزيونية رياضية؛ يوروسبورت وطشيش الدهن... كانوا يتبادلون أطراف أحاديث مرحة عن الفائزين باليانصيب، وجريمة قتل ثلاثية وقعت حديثاً، والعيوب الأخلاقية للصدیق المفقود.

اخترق صوت أويستن الأجنس التلوث الصوتي: "مرحباً هاري!". مرر يده على شعره الطويل إلى الخلف، مسحها على فخذ سرواله ومدّها إلى هاري. "هذا هو الشرطي الذي كنت أخبركم عنه يا قوم. الذي قتل الرجل في أستراليا. أصبته في رأسه، أليس كذلك؟".

قال أحد الزبائن الآخرين: "أحسنت عملاً"، لم يستطع هاري رؤية وجهه؛ لأنه كان ينحني إلى الأمام وشعره الطويل يتدلى فوق شراهم مثل ستارة، "قضيت على الشرير".

أشار هاري إلى طاولة شاغرة وأوماً أويستن، أخدم لفافة التبغ، ثم وضع علبة بتروس في جيب قميصه القطني، وركّز على حمل كأس الشراب المملوءة إلى الطاولة من دون أن يريق ما فيها.

قال أويستن، وهو يخرج لفافة تبغ جديدة: "مضى وقت طويل لم أرك فيه. الشيء نفسه في ما يخص باقي الشباب، بالمناسبة، لا أراهم قط. لقد انتقلوا جميعاً، تزوجوا وأنجبوا أطفالاً"، ضحك أويستن بصوتٍ أجشٍ وقاسٍ وأضاف: "لقد استقروا جميعاً، بأي حال. من كان يظن ذلك؟".

"مم".

"هل عدت إلى أوبسال يوماً؟ والدك لا يزال يعيش في منزله، أليس كذلك؟".

"نعم، لكنني لا أذهب إلى هناك كثيراً. نتكلم عبر الهاتف بين الحين والآخر".

"وشقيقتك؟ هل هي أفضل؟".

ابتسم هاري وقال: "لا تتحسن إذا كنت مصاباً بمتلازمة داون (اضطراب مورثات) يا أويستن. إنها بخير. لديها شقتها الخاصة في سوغن، وحبیب".

"يا الله، أكثر مما حظيت أنا به".

"كيف حال القيادة؟".

"على خير ما يرام. غيرت شركة سيارات الأجرة فقط. ظنت آخر واحدة أنني حساس. تباً لهم".

"ألا تزال غير مهتم بالعودة إلى الحواسيب؟".

"هل أنت مجنون!، أطلق أويستن ضحكة مكتومة حين مرّ طرف لسانه على الورق وأضاف: "راتب سنوي قدره مليون، ومكتب هادئ... طبعاً يمكنني فعل ذلك، لكن القطار فاتني يا هاري. لقد فات أوان رجال الروك أند رول مثلي في تقانة المعلومات".

"كنت أتحدث إلى شخص في قسم حماية البيانات في مصرف دن

نورسك. قال إنك لا تزال تُعدُّ رائداً في اختراق الشيفرات".

"الرائد يعني الماضي يا هاري. لا أحد يحتاج إلى قرصان معلوماتية متأخر عشر سنوات عن آخر التطورات. تفهم هذا، أليس كذلك؟ ثم هناك كل ذلك التعب".

"ماذا حدث فعلاً؟".

"ماذا حدث؟". حرّك أويستن عينيه وقال: "تعرفني. مرة هيببي، دائماً

هيببي. كنت بحاجة إلى نقود. جرّبت شيفرة محظورة"، أشعل لفافة تبغهِ ونظر حوله بحثاً عن صحن سجائر لكن من دون جدوى، ثم سأله: "ماذا عنك؟ أقلعت عن الشراب إلى الأبد، أليس كذلك؟".

"أحاول"، مدّ هاري يده إلى صحن سجائر على الطاولة المجاورة

وأضاف: "أنا مع إحداهن".

أخبر أويستن عن راكيل، وأوليج، والمحكمة في موسكو؛ وعن الحياة

عموماً. لم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً.

تكلم أويستن عن الآخرين في مجموعة الأصدقاء الذين كانوا قد ترعرعوا في أوبسال: سيح الذي كان قد انتقل إلى هارسوتا مع امرأة ظنّ أويستن أنه لا يوجد أي انسجام بينهما، وكريستيان الذي أصبح على كرسي متحرك بعد أن صدمته سيارة حين كان على دراجته النارية شمال مينسوند: "لقد منحه الأطباء فرصة".

سأل هاري: "فرصة بشأن ماذا؟".

قال أويستن: "أن يقيم علاقة مجدداً".

كان تور لا يزال مدرّساً، لكنه قد انفصل عن سيلجي.

قال أويستن: "فرصه ليست جيدة. ازداد وزنه ثلاثين كيلوغراماً؛ لهذا السبب تخلّت عنه. هذا صحيح! التقى توركيلد بها في البلدة وأخبرته أنها لا تستطيع تحمّل كل تلك البدانة". وضع كأسه على الطاولة وقال: "لكنني أظن أنك لم تأتِ لهذا السبب؟".

"لا، أحتاج إلى بعض المساعدة. أعمل على قضية".

"إلقاء القبض على أشرار؟ وجئت إلي؟ يا الله!". تحولت ضحكة

أويستن إلى نوبة سعال.

قال هاري: "إنها قضية تورطت فيها شخصياً. صعبٌ أن أشرح كل شيء، لكنني أحاول اقتفاء أثر شخص يرسل بريداً إلكترونياً إليّ. أظن أنه يستخدم مخدماً زبائنه مجهولون في مكان ما في الخارج".

أوماً أويستن مستغرفاً في أفكاره ثمّ قال: "إذاً، أنت في ورطة؟".

"ربما. ما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

"أنا سائق سيارة أجرة لا يعرف شيئاً عن آخر تطورات تقانة

المعلومات. وكل من يعرفني يمكن أن يقول لك إنه لا يمكن الاعتماد علي في ما يتعلق بذلك العمل. باختصار، السبب الوحيد الذي جئت إليّ من أجله هو أنني صديق قديم. الإخلاص. سأبقي فمي مغلقاً، أليس كذلك؟".

ارتشف جرعة كبيرة من كأس شراب جديدة وقال: "قد أكون غريب

الأطوار، لكنني لست غيباً يا هاري"، سحب بقوة من لفافة تبغّه ثمّ

أضاف: "إذاً، متى نبدأ؟".

كان الليل قد خيم على سلمدال. فُتح الباب وظهر رجل وامرأة على

الدرجات، ثمّ استأذنا بالانصراف من مضيفيهما وسط ضحكات، مشياً على طول الدرب، والحصى تصرّ تحت الحذاءين الأسودين اللامعين، يعلّقان بصوتين خافتين على الطعام، والمضيف والمضيفة والضيوف الآخرين. وهكذا، عندما غادرا البوابة إلى بيورنترأكت، لم يلاحظا سيارة الأجرة المتوقفة بعيداً قليلاً

على جانب الطريق. أطفأ هاري لفافة تبغ، شغل مذياع السيارة واستمع إلى إلفيس كوستلو (مغنٌ بريطاني) يدندن أغنية شاهد المحققين؛ على إذاعة بي. 4. كان قد لاحظ أنه عندما يصبح مطربوه المفضلون كباراً في السن، ينتهي الأمر بهم على قنوات إذاعية هامشية. كان يدرك تماماً أن ذلك لا يعني إلا شيئاً واحداً فقط؛ أنه يتقدم في العمر أيضاً. بالأمس، كانوا قد أذاعوا أغاني نيك كيف (مغنٌ أسترالي) بعد كليف ريتشارد (مغنٌ بريطاني).
قدم مذيغُ برامج مسائية ذو صوت رخم برنامج يوم آخر في الفردوس وأوقف هاري المذياع عن العمل. أنزل النافذة وأرهف السمع إلى الأصوات الخافتة التي تصدر من منزل آل آلبو، الوحيدة التي تعكّر الصمت. حفلة راشدین: علاقات تجارية، وجيران، وأصدقاء قدامى من الكلية. ليس ذا بيردي سونغ (فرقة بريطانية) أو حفلة شبان في مكان مكشوف، وإمما دجي. آند تي، آبا ورولينغ ستون. أشخاص في أواخر العقد الثالث من أعمارهم وقد أمّوا تعليمهم العالي. بكلمات أخرى، لا عودة متأخرة جداً إلى جليسة الأطفال. نظر هاري إلى ساعته. فكّر في الرسالة الإلكترونية الجديدة على حاسوبه حين شغله مع أويستن:

أشعر بالملل. هل أنت خائف أم غبي فحسب؟

S2MN

كان قد ترك الحاسوب بين يدي أويستن واستعار منه سيارة الأجرة؛ مرسيدس متهالكة من السبعينيات، التي اهتزت مثل فرشاة قديمة مزودة بنوابض فوق مطبات السرعة في المنطقة السكنية، لكن بالرغم من ذلك تبقى قيادتها حلماً. كان قد قرّر أن ينتظر حين رأى الضيفين بملابسهما الرسمية يغادران منزل آل آلبو. لم يكن هناك أي سبب يدفعه للاستعجال. وكان يحتاج، بأي حال، إلى تمضية بعض الوقت في إمعان التفكير في ما جرى قبل أن يقترب شيئاً غيباً. كان هاري قد حاول أن يبقى هادئاً وعقلانياً، لكن أشعر بالملل تلك أزعجته.

تمتم هاري لنفسه وهو ينظر إلى صورته المنعكسة على المرآة الداخلية: "لقد أمعنت التفكير في الأمور الآن، ويمكنك فعل شيء غبي الآن".

فتحت فيغديس الباب. كانت قد نفّذت الخدعة السحرية التي لا تتقنها إلا أنثى ولا يستطيع الرجال غير أسوارها: أصبحت جميلة. كان التغيير الجوهري الوحيد الذي استطاع هاري تحديده أنها ترتدي فستان سهرة فيروزي اللون يناسب لون عينيها الزرقاوين الكبيرتين اللتين اتسعتا اندهاشاً فجأة.

"أعتذر عن إزعاجك في مثل هذه الساعة المتأخرة يا سيدة آلبو. أود أن أتحدث إلى زوجك".

"نحن نقيم حفلة. ألا يمكن أن ينتظر ذلك حتى الغد؟". ابتسمت له ابتسامة متوسلة، واستطاع هاري أن يرى كم هي متشوّقة إلى غلق الباب بقوة.

قال: "أعتذر. لم يكن زوجك يخبرنا الحقيقة حين قال إنه لا يعرف أنا بيشن. ولا أظن أنك كنت تقولينها أيضاً". لم يعرف هاري إن كان فستان السهرة أو المواجهة هي التي جعلته يختار نبرة رسمية. كان فم فيغديس آلبو مثل دائرة صامتة.

قال هاري: "لدي شاهد رأيهما معاً. وأعرف من أين جاءت الصورة". طرفت عيناها مرتين.

تمتمت: "لماذا...؟ لماذا...؟".

"لأنهما كانا حبيبين يا سيدة آلبو".

"لا، أعني... لماذا تخبرني هذا؟ من منحك الحق؟".

فتح هاري فمه، مستعداً للإجابة، ليقول إنه ظنّ أن لها حق المعرفة، وأن ذلك سينكشف بأي حال، وما إلى ذلك، ولكن، بدلاً من ذلك، وقف ينظر إليها. كانت تعرف لماذا يخبرها ذلك، إلا أنه هو لم يكن يعرف - على الأقل حتى ذلك الوقت - فابتلع ريقه.

"حق فعل ماذا يا عزيزتي؟".

رأى آرنيه آلبو ينزل السلام. كان جبينه يلمع من العرق، وربطة عنقه الفراشية تتدلى فوق قميصه. استطاع أن يسمع من غرفة المعيشة في الطابق الأعلى ديفيد بوي يُلحُّ على القول: "هذه ليست أميركا". قالت فيغديس من دون أن تبعد عينيها المتوسلتين عن هاري: "خفّف صوتك يا آرنيه، ستوقظ الأولاد".

جمجم (تلفظُ يعوزه الوضوح) زوجها: "لن يستيقظوا إذا سقطت قبلة نووية".

قالت بهدوء: "أظن أن ذلك ما فعله السيد هول للتو. من أجل

إحداث أكبر ضرر ممكن، كما يبدو".

نظر هاري إلى عينيها.

"حسناً؟". كسّر آرنيه آلبو ووضع ذراعه حول كتفي زوجته وقال: "هل

يمكنني الانضمام إلى اللعبة؟". كانت الابتسامة مفعمة بالمتعة، لكنها واسعة في الوقت نفسه، وبريئة تقريباً؛ مثل بهجة فتى يفتقر إلى المسؤولية كان

قد استعار سيارة والده من دون إذنه.
قال هاري: "أعتذر، اللعبة انتهت. لدينا الدليل الذي نحتاج إليه. والآن، يتعقّب خبير في تقانة المعلومات العنوان الذي كنت ترسل البريد الإلكتروني منه".

"ما الذي يتكلم عنه؟"، ضحك آرنيه وأضاف: "دليل؟ بريد إلكتروني؟".
أمعن هاري النظر إليه وقال: "الصورة في حذاء أنا. أخذتها من ألبوم الصور حين كنت وإياها في الشاليه في لاركولن قبل بضعة أسابيع".
سألت فيغديس، وهي تنظر إلى زوجها: "أسابيع؟".
قال هاري: "كان يعرف ذلك حين أريته الصورة. كان في لاركولن أمس ولصق نسخة في مكانها".

عبس آرنيه ألبو، لكنه بقي يبتسم وقال: "هل كنت تشرب أيها الشرطي؟".

تابع هاري، وقد عرف أنه على وشك أن يفقد السيطرة على نفسه:
"ما كان يجب أن تخبرها أنها ستموت، أو على أقل تقدير أن تشيح بصرك عنها بعدئذ. دسّت الصورة في حذائها. وذلك ما أوقع بك يا ألبو".
سمع هاري شهيقاً حاداً من السيدة ألبو.
قال ألبو، وهو لا يزال يداعب عنق زوجته: "حذاء هنا أو هناك... هل تعرف لماذا لا يستطيع رجال الأعمال النرويجيون العمل في الخارج؟ إنهم ينسون أحذيتهم. ينتعلون أحذية يشترونها في النرويج ويرتدون بزات برادا تكلف خمسة عشر ألف كرون. ينظر الأجانب إلى ذلك بتوجّس". أشار ألبو إلى الأسفل وأضاف: "انظر، إنه مصنوع يدوياً. حذاء إيطالي. ألف وثمان مئة كرون. ثمن بخس إذا كان يمنحك الثقة بالنفس".
قال هاري: "ما أتساءل عنه هو لماذا كنت مهتماً جداً بأن تجعلني أعرف أنك تنتظر في الخارج. بسبب الغيرة؟".
هزّ آرنيه رأسه وهو يضحك، في حين حرّرت السيدة ألبو نفسها من ذراعه.

أصرّ هاري: "هل كنت تظن أنني حبيبها الجديد؟ ولأنك ظننت أنني لن أجرؤ على فعل شيء تحسباً لظهور اسمي في القضية، اعتقدت أن بمقدورك التلاعب معي قليلاً، تعدّبي، تدفعني للجنون، هل كان ذلك مرادك؟".

"ادخل يا آرنيه! يريد كريستيان أن يلقي خطاباً!". وقف رجل يحمل كأساً وسيجاراً في يده يترنّح على أعلى السلم.

قال آرنيه: "ابدأوا من دوني. سأصرف هذا السيد اللطيف أولاً".
تقطب جبين الرجل عبوساً وسأل: "مشكلة، أليس كذلك؟".
أسرعت فيغديس بالقول: "لا، إطلاقاً. انضم إلى الآخرين فحسب يا
توماس".

هزّ الرجل كتفيه وتركهم.
قال هاري: "الشيء الآخر الذي أدهشني هو أنه بعد أن واجهتك
بالصورة، كنت متغرساً كفاية لتستمر في إرسال بريد إلكتروني إلي".
جمجم آلبو: "آسف لتكرار ما قلته سابقاً أيها المفتش، لكن ما ذلك...
ذلك البريد الإلكتروني الذي تتكلم عنه باستمرار؟".

"حسناً. يظن كثير من الناس أن بمقدورهم إرسال بريد إلكتروني
مجهول المصدر بالاشتراك في مخدّم من دون الإفصاح عن اسمك الحقيقي.
تلك فكرة مغلوبة. لقد أخبرني صديقي خبير التقنية أن كل شيء - كل
شيء بالتأكيد - تفعله على الإنترنت يترك أثراً إلكترونياً يمكن، وفي هذه
الحالة سيجري، تعقبه إلى الجهاز الذي أرسل منه البريد. إنها فقط مسألة
معرفة أين تبحث". أخرج هاري علبة لفائف تبغ من جيبه الداخلي.

شرعت فيغديس تقول: "أفضل إذا لم تكن..."، لكنها توقفت.
قال هاري وهو يشعل لفافة تبغ: "أخبرني يا سيد آلبو، أين كنت
مساء الثلاثاء من الأسبوع الماضي بين الحادية عشرة والواحدة؟".

تبادل آرنيه وفيغديس آلبو النظرات.

قال هاري: "يمكننا فعل هذا هنا، أو في مخفر الشرطة".

قالت فيغديس: "كان هنا".

"كما قلت"، نفخ هاري الدخان من أنفه. كان يعرف أنه يجازف كثيراً،
لكن خدعة غير متقنة ستتكشف، ولم يكن هناك أي مجال للتراجع، ثم
أضاف: "يمكننا فعل هذا هنا، أو في مخفر الشرطة. هل يجب أن أخبر
الضيوف أن الحفلة قد انتهت؟".

عضّت فيغديس شفتها السفلى وشرعت تقول: "لكنني أخبرتك أنه

كان...".

قال آلبو وهو يربت على كتفها: "لا بأس بذلك يا فيغديس. اذهبي

واعتني بالضيوف. سأمشي مع السيد هول خارجاً".

لم يشعر هاري بنسمة هواء هناك بالرغم من أن الريح كانت تعصف
في أماكن أعلى. كانت الغيوم تمر بسرعة في السماء وتغطي القمر بين
الفينة والأخرى. مشيا الهويينا.

سأل آلبو: "لماذا هنا؟".

"أنت طلبت ذلك".

أوماً آلبو: "ربما فعلت ذلك. لكن لماذا كان يجب أن تكتشف بتلك الطريقة؟".

هزّ هاري كتفيه: "كيف كنت تريدها أن تكتشف الأمر؟".

كانت الموسيقى قد توقفت، وصدر صوت ضحكات غريبة من المنزل. كان كريستيان قد أطلق العنان لنفسه.

سأل آلبو: "هل يمكنني الحصول على لفافة تبغ؟ كنت قد أقلعت في الواقع".

مرّر هاري العلبه له.

"شكراً". وضع آلبو لفافة تبغ بين شفثيه وانحنى فوق ولاءة هاري

وقال: "ما الذي تسعى إليه؟ المال؟".

تمتم هاري: "لماذا يسأل الجميع عن ذلك؟".

"أنت وحدك. ليست لديك وثائق لاعتقالي، وتحاول خداعي بتهديدات اصطحابي إلى مخفر الشرطة. وإذا كنت داخل الشاليه في لاركولن، فستكون في ورطة مثلي على الأقل".

هزّ هاري رأسه.

مال آلبو إلى الخلف: "لا مال؟". كانت هناك بضع نجوم تلمع في

الأعلى. "إذاً، شيء شخصي؟ هل كنتما حبيين؟".

قال هاري: "ظننت أنك تعرف كل شيء عنها".

"كانت أنا تأخذ الحب على محمل الجد. تحب الحب. لا، تبجّله، تلك

هي الكلمة. تبجّل الحب. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي له مكان في

حياتها. ذلك والكراهية. هل تعرف ما النجوم النيوترونية؟".

هزّ هاري رأسه نافيةً. أمسك آلبو لفافة التبغ وقال: "إنها كواكب

شديدة التراص وتتمتع بجاذبية سطح كبيرة جداً، إلى درجة أنني إذا ألقيت

لفافة التبغ هذه على إحداها فإنها تضربها بقوة قنبلة نووية. كان الأمر

مشابهاً مع أنا. كانت جاذبيتها للحب - والكراهية - قوية جداً ولا يوجد

شيء في الحيزّ بينهما. كل تفصيل صغير يسبب انفجاراً نووياً. هل تفهم؟

استغرق مني الأمر وقتاً كي أفهمه. كانت مثل جوبيتير: متوارية خلف غيمة

أزلية من الكبريت، وحس الدعابة، والنشاط".

"الرّهرة".

"عفواً؟".

"لا شيء".

ظهر القمر بين غيمتين، وخرج الأيل البرونزي مثل وحش خيالي من الظلال في الحديقة.

قال آلبو: "كنت وأنا قد اتفقنا على اللقاء في منتصف الليل. قالت إن لديها بعض أشياء الشخصية وتريد إعادتها إليّ. جلست في سيارتي في سورجنفريغاتا بين الثانية عشرة وربع ساعة بعدها. كنا قد اتفقنا على أن أتصل بها من السيارة بدلاً من رن الجرس؛ بسبب الجارة الفضولية، كما قالت. بأي حال، لم ترد، لهذا قدت السيارة عائداً إلى المنزل".

"إذاً، كانت زوجتك تكذب؟".

"طبعاً. اتفقنا في اليوم الذي ظهرت أنت فيه مع الصورة أن تمنحني حجة غياب".

"ولماذا تتخلى عن حجة الغياب الآن؟".

ضحك آلبو وقال: "هل هذا مهم؟ نحن شخصان يتكلمان، والقمر شاهد صامت علينا. يمكن أن أنكر كل شيء في ما بعد. لأكون صريحاً، لا أظن أن لديك شيئاً يمكنك استخدامه ضدي، بأي حال".

"إذاً، لماذا لا تخبرني بالباقي كله بما أنك تتكلم؟".

"تعني أنني قتلتها؟"، ضحك بصوتٍ أعلى هذه المرة وأضاف: "مهمتك أن تكتشف الأمر، أليس كذلك؟".

كانا قد وصلا إلى البوابات الخارجية.

"أردت فقط أن ترى كيف سيكون رد فعلي، أليس كذلك؟"، أطفأ آلبو لفافة التبغ على الرخام وقال: "وأردت أن تنتزع انتقامك، ولهذا السبب أخبرت زوجتي. كنت غاضباً. فتى صغير غاضب يضرب كل ما يأتي في طريقه. هل أنت سعيد؟".

قال هاري: "عندما أجد عنوان البريد الإلكتروني، سأنال منك". لم يكن غاضباً آنذاك، وإنما متعباً فقط.

قال آلبو: "لن تجد أي عنوان بريد إلكتروني. آسف أيها الرجل العجوز. يمكننا الاستمرار في هذه اللعبة، لكنك لا تستطيع الفوز".

ضربه هاري، وكان صوت المفاصل على الجسد مكتوماً ووجيزاً. ترنح آلبو إلى الخلف، يمسك جبينه.

استطاع هاري رؤية أنفاسه الرمادية في ظلمة الليل، وقال: "يجب أن تخيط ذلك الجرح".

نظر آلبو إلى يده المملوطة بالدماء وقهقهه: "يا للهول يا هاري، يا لك

من خاسر فظيع. هل يناسبك أن نستخدم اسمينا الأولين؟ أظن أن هذا قد
قربنا من بعضنا بعضاً، أليس كذلك؟".

لم يرد هاري، وضحك آلبو بصوتٍ أعلى.

"ماذا رأيت فيك يا هاري؟ لم تكن أنا تحب الفاشلين. على الأقل لم

تكن تسمح لهم بمعاشرتها".

علت الضحكة أكثر فأكثر ومشى هاري عائداً إلى سيارة الأجرة،

وجرحت أثلام مفاتيح السيارة جلده حين اشتدت يده شيئاً فشيئاً حولها.

سديم (1) رأس الحصان

استيقظ هاري على رنين الهاتف ونظر إلى الساعة، إنها السابعة والنصف. كان المتصل أويستن الذي غادر شقة هاري قبل ثلاث ساعات فقط، وقد حدّد موقع المخدّم في مصر حينها، وأحرز تقدماً آخر آنذاك. "لقد أرسلت بريداً إلكترونياً إلى صديق قديم. إنه يعيش في ماليزيا ويقوم ببعض أعمال القرصنة غير ذات الشأن. مزوّد خدمة الإنترنت في الطور، في شبه جزيرة سيناء. ليست لديهم سوى بضعة مخدّمات هناك، وهو نوع من مراكز الخدمة. هل كنت نائماً؟".

"نوعاً ما. كيف ستجد زبوننا؟".
 "هناك طريقة واحدة فقط كما أخشى. الذهاب إلى هناك مع رزمة سميكة من أوراق النقد الأميركية".
 "كم؟".

"ما يكفي لجعل شخص يخبرك إلى من تتوجه للحديث إليه، وجعل الشخص الذي تتحدث إليه يخبرك إلى من يجب أن تتحدث فعلاً. وجعل الشخص الذي...".
 "لقد فهمتك. كم؟".

"ألف دولار قد تحقق تقدماً".

"هل تظن ذلك؟".

"أخرجت ذلك من بنات أفكارى. ما أدراني أنا بالله عليك؟".

"لا بأس. هل تقبل المهمة؟".

"طبعاً".

"لا أدفع كثيراً. تسافر على أرخص طيران وتقيم في فندق وضع".
 "اتفقنا".

كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة، ومطعم مقر قيادة الشرطة كان مكتظاً. صكّ هاري أسنانه وتابع طريقه. لم يكن يكره زملاءه وفقاً لمبدأ، وإنما فطرياً. ومع مرور السنين، كان الأمر يصبح أسوأ.
 كان أون قد دعا ذلك: "جنون عظمة عادي تماماً. أشعر أنا بالشيء نفسه. أظن أن كل علماء النفس يطاردونني، وفي الحقيقة، لا يزيد العدد على الأرجح على نصفهم".

جال هاري ببصره في أنحاء الغرفة ورأى بتي مع غدائها وظهر شخص يجلس معها. حاول هاري ألا يلاحظ النظرات التي رمقته من الطاولات في

أثناء مروره بها. تمتم أحدهم قائلاً: "مرحباً"، لكن هاري افترض أنها قيلت سخريّة ولم يرد.
"هل أزعجكما؟".

نظرت بتي إلى هاري كأنه قد ضبطها بالجرم المشهود.
قال صوت مألوف وهو ينهض: "لا، على الإطلاق. كنت على وشك أن أغادر بأي حال".

انتصب الشعر على عنق هاري: ليس وفقاً لمبدأ، ولكن فطرياً.
"إذاً، أراك هذا المساء". ابتسم توم والر، ابتسامة بيضاء عريضة فأصبح وجه بتي شديد الاحمرار. أخذ طبقه، ثمّ أوماً إلى هاري وابتعد. حدّقت بتي إلى جنب الماعز أمامها وبذلت قصارى جهدها أن تتمالك نفسها، في حين كان هاري يجلس.
"حسناً؟".

قالت: "حسناً ماذا؟".
قال هاري: "تركت لي رسالةً قلتَ فيها إنّ لديك خبراً جديداً. فهمت أنه عاجل".

"لقد عملت على الأمر"، شربت بتي من كوب الحليب وأضافت:
"الرسوم التي وضعها البرنامج لوجه المسرّع. لقد كنت أجهد نفسي لمعرفة من تذكّرني".

"هل تقصدين المطبوعات التي أريتني إياها؟ ليس هناك شيء يشبه الوجه حتى من بعيد، إنّما مجرد خطوط عشوائية على ورق".
"أياً تكن".

هزّ هاري كتفيه قائلاً: "أنتِ صاحبة التلايف الدماغية. هاتِ ما عندك".

"خطر لي من قد يكون ليلة أمس". تناولت جرعة أخرى من الحليب ومسحت ابتسامتها البيضاء بمنديل المائدة.
"حسناً؟".

"تروند غريت".

حدّقت هاري إليها وقال باندهاش: "أنت تمزحين، أليس كذلك؟".
قالت: "لا. قلت فقط إن هناك بعض التشابه. بالمحصلة، لم يكن غريت بعيداً عن بوغستادفين وقت وقوع الجريمة. لكن كما قلت، لقد عملت على ذلك".
"وكيف...؟".

"توثقت من مستشفى غوستاد. إذا كان الشخص نفسه قد سطا على فرع مصرف دن نورسك في كيركفين، فلا يمكن أن يكون غريت. كان جالساً في ذلك الوقت في غرفة التلفاز مع ثلاثة ممرضين على الأقل. وأرسلت بعض الشباب من كريمتكينيسك إلى منزل غريت للحصول على بصمة. لقد قارنها ويبر بالبصمة على قارورة الكوكا كولا. ليست بصمته بالتأكيد".

"إذاً، فقد أخطأت التقدير؟".
هزتّ بتي رأسها وقالت: "نبحث عن شخص يتمتع بعدد من الصفات الخارجية المتطابقة مع غريت".

"آسف لأنني مضطر إلى قول هذا يا بتي، لكن غريت لا يتمتع بصفات خارجية أو من أي نوع آخر. إنه محاسب يبدو مثل محاسب. لقد نسيت شكله أصلاً".

قالت، وهي تنزع ورقة التغليف عن شطيرتها التالية: "صحيح. لكن أنا لم أنس. تلك هي المشكلة".

"ربما تكون لدي بعض الأنباء الجيدة".
"أوه، نعم؟".

"أنا في طريقي إلى بوتسن. يريد راسكول أن يتحدث إلي".
"واو! حظاً طيباً".

"شكراً، نهض هاري، تردّد، قليلاً، ثم أخذ نفساً عميقاً وقال: "أعرف أنني لست والدك، لكن هل يمكنني قول شيء واحد؟".
"تفضّل".

نظر حوله ليتثبت أن أحداً لا يمكنه سماعهما وقال: "سأحترس من والر، لو كنت مكانك".

"شكراً لك"، قضمت بتي قطعة كبيرة من شطيرتها وأضافت: "والجزء عنك وعن والدي صحيح".

قال هاري: "لقد عشت في النزويج طوال حياتي. ترعرعت في أوبسال. كان والداي مدرّسين. تقاعد والدي، ويعيش، منذ توفيت والدي، مثل شخص يسير في نومه، لا يزور أرض الأحياء إلا لماماً. تفتقد إليه شقيقتي الصغيرة، وأفتقد إليه أنا أيضاً، كما أظن. أفتقد إلى كليهما. ظناً أنني سأصبح مدرّساً، وظننت ذلك أنا أيضاً. لكنها كانت كلية الشرطة بدلاً من ذلك، وقليلاً من الحقوق. إذا سألتني لماذا أصبحت شرطياً، يمكن أن أسرد لك عشر إجابات معقولة، لكنني لا أصدّق أيّاً منها. لم أعد أفكر في ذلك الآن. إنه عمل، يدفعون لي أجراً مقابلته، وأظن أنني أفعل شيئاً جيداً بين الحين والآخر...

يمكن أن تعيش على ذلك مدة طويلة. أدمنت على الشراب قبل أن أبلغ الثلاثين. ربما قبل أن أبلغ العشرين، وهذا يعتمد على كيف تنظر إلى الأمور. يقولون إنه في مورثاتك؛ هذا محتمل. عندما كبرت اكتشفت أن جدّي في أندالسنز كان يثمل كل يوم طوال خمسين سنة. ذهبنا إلى هناك كل صيف حتى بلغت الخامسة عشرة ولم ألاحظ شيئاً قط. لسوء الحظ، لم أرث تلك الموهبة. كنت قد فعلت أشياء لم تمرّ مرور الكرام من دون أن يلاحظها أحد. باختصار، إنه إنجاز أني لا أزال أحتفظ بعلمي في سلك الشرطة".

نظر هاري إلى لافتة كُتِبَ عليها: ممنوع التدخين وأشعل لفافة تبغ. "كنت وأنا خيلين لمدة ستة أسابيع؛ لم تحبني، ولم أحبها. عندما قطعت علاقتي بها، أسديتها معروفاً أكبر مما أسديت نفسي، ولكنها لم ترّ الأمر على تلك الحال".

وأوماً الرجل الآخر في الغرفة.

تابع هاري: "لقد أحببت ثلاث نساء في حياتي. كانت الأولى حبيبة طفولة كدت أن أتزوجها لكن العلاقة تدهورت بيننا. انتحرت بعد وقت طويل من توقفي عن رؤيتها، ولم يكن لذلك علاقة بي. لقيت الثانية حتفها غيلة على يد شخص كنت أطارده على الطرف الآخر من الكرة الأرضية. حدث الشيء نفسه لزميلتي إيلين. لا أعرف لماذا تموت النساء من حولي. ربما هي المورثات".

"ماذا عن المرأة الثالثة؟".

المرأة الثالثة؛ المفتاح الثالث. تحسّس هاري القطعة المعدنية التي تحمل حرفي أيه. أيه. وحواف المفتاح الذي كان راسكول قد مرّره له عبر الطاولة حين دخل الغرفة. سأل هاري إن كان مطابقاً للمفتاح الذي حصل عليه وأوماً راسكول.

كان قد طلب من هاري أن يتكلم عن نفسه.

كان راسكول يجلس آنذاك ومرفقاه يرتاحان على الطاولة وأصابعه متشابكة كأنه يتضرّع. كان مصباح النيون قد استُبدل والضوء على وجهه مثل مسحوق أبيض ضارب إلى الزرقة.

قال هاري: "المرأة الثالثة في موسكو. أظن أن علاقتنا ستدوم".
"هي لك؟".

"لن أصف العلاقة على ذلك النحو".

"لكنكما معاً؟".

"نعم".

"وتخططان لتمضية باقي حياتكما معاً؟".

"حسناً. لا نخطط. لا يزال الوقت باكراً على ذلك".

ابتسم راسكول له ابتسامة حزينة وقال: "تعني أنك أنت الذي لا يخطط. لكن النساء يخططن. النساء يخططن دائماً".

"مثلك؟".

هز راسكول رأسه وقال: "أعرف كيف أخطط سرقات المصارف فقط. كل الرجال هواة في الاستيلاء على القلوب. قد نظن أننا أحرزنا انتصاراً، مثل جنرال يستولي على قلعة، ثم نكتشف متأخرين جداً - إذا اكتشفنا أصلاً - أننا قد خُدعنا. هل سمعت بصن تزو؟".

أوما هاري وقال: "جنرال صيني واستراتيجي عسكري. كتب فن الحرب".
"يؤكدون أنه كتب فن الحرب. شخصياً، أظن أنها كانت امرأة. ظاهرياً، فن الحرب كتيب عن التكتيكات في ساحة المعركة، لكن في أعماق مستوياته يصف كيف تفوز بالنزاعات. أو لأكون أكثر دقة، فن الحصول على ما تريده بأقل ثمن ممكن. الفائز بحرب ليس بالضرورة أن يكون هو المنتصر. كان كثيرون قد حظوا بالتاج، لكنهم خسروا معظم جيشهم ولم يعودوا يستطيعون الحكم إلا بشروط أعدائهم المهزومين ظاهرياً. في ما يتعلق بالسلطة، ليس لدى النساء غرور الرجال. لسن بحاجة إلى إظهار سلطتهن، ولا يردن إلا القوة التي تمنحهن الأشياء الأخرى التي يرغبن فيها: الأمن، الطعام، المتعة، الانتقام والسلام. إنهن يخططن بعقلانية في سعيهن إلى السلطة، ويفكرن في ما بعد المعركة، واحتفالات النصر. ولأنهن يتمتعن بقدرة فطرية على رؤية الضعف في ضحاياهن، يعرفن متى وكيف يضربن، ومتى يتوقفن. لا يمكنك أن تتعلم ذلك أيها السبيوني".
"ألهذا السبب أنت في السجن؟".

أغمض راسكول عينيه وضحك من دون صوت ثم قال: "يمكنني أن أجيبك بسهولة، لكنك لن تصدق كلمة مما أقوله. يقول صن تزو إن أول مبادئ الحرب هي ترومبيري: الخداع. صدقني، كل الغجر يكذبون".
"مم. أصدّقك؟ كما في العبارة الإغريقية؟".

"رائع، شرطي يعرف ما هو أكثر من قانون العقوبات. إذا كان كل الغجر يكذبون وأنا غجري، فعندها، لن يكون صحيحاً أن كل الغجر يكذبون. لهذا، الحقيقة هي أنني أقول الصدق، وصحيح أن كل الغجر يكذبون؛ ولهذا، أنا أكذب. نقاش يدور في حلقة مفرغة يستحيل الخروج

منها. حياتي هكذا وتلك هي الحقيقة الوحيدة". أطلق ضحكة لطيفة؛ أنثوية تقريباً.

"لقد رأيت الآن حركتي الافتتاحية، إنه دورك".

نظر راسكول إلى هاري، وأوماً.

"اسمي راسكول باكست. إنه اسم ألباني، لكن والدي رفض قبول أننا ألبانيين. فقد اعتبر أن ألبانيا هي الخاصرة الضعيفة لأوروبا. لهذا، قيل لي ولكل أشقائي وشقيقتي إننا ولدنا في رومانيا، ونُصّرنا في بلغاريا، وطُهرنا في المجر".

شرح راسكول أن أفراد أسرته كانوا على الأرجح مكاريين، أكبر الجماعات الغجرية الألبانية. هربت الأسرة من اضطهاد أنور خوجة (رئيس ألبانيا) للغجر عبر الجبال إلى مونتينيغرو (الجبل الأسود) وبدأوا العمل شرقاً. "كنا مطاردين في كل مكان ذهبنا إليه. ادّعوا أننا لصوص. بالطبع كنا كذلك، لكنهم لم يزعجوا أنفسهم حتى بالحصول على بيّنة. كان الدليل أننا غجر. أقول لك هذا؛ لأنك إذا أردت أن تميّز غجرياً يجب أن تعرف أنه ولد بوصمة منبوذ على جبينه. كان كل نظام في أوروبا يضطهدنا. لا فرق بين الفاشيين، والشيوعيين، والديمقراطيين؛ لكن الفاشيين كانوا أكثر كفاءة فقط. لم يُثر الغجر ضجة بشأن المحرقة؛ لأن الفرق عن الاضطهاد الذي كنا نتعرض له لم يكن كبيراً. لا يبدو أنك تصدّقني؟".

هزّ هاري كتفيه، ووضع راسكول ساقاً فوق أخرى.

قال: "عام 1589، نفّذت الدامارك عقوبة الإعدام بزعماء الغجر. بعد خمسين سنة، قرّرت السويد أنه يجب شق كل ذكور الغجر. في مورافيا قطعوا الأذن اليسرى لكل النساء الغجريات، وفي بوهيميا اليمنى. أعلن رئيس أساقفة ماينز أنه يجب إعدام كل الغجر من دون محاكمة؛ لأن سبل عيشهم خارجة عن القانون. وعام 1725، أقرّ قانون في بروسيا لإعدام كل الغجر فوق الثامنة عشرة من دون محاكمة، لكنه استُبدل لاحقاً، إذ حُفّض العمر إلى أربعة عشرة. مات أربعة من أشقاء والدي في المعتقل؛ واحد منهم فقط في أثناء الحرب. هل أتابع؟".

هزّ هاري رأسه.

قال راسكول: "لكن حتى تلك حلقة مفرغة. إن سبب اضطهادنا ونجاتنا واحد. نحن مختلفون، ونريد أن نكون كذلك. ومثلما نحن منبوذون من الآخرين، لا يستطيع غادجو دخول مجتمعنا. الغجري هو الغريب الغامض والخطر الذي لا تعرف شيئاً عنه، والذي تدور كل أنواع الإشاعات

حوله. ظن أشخاص من أجيال عدّة أن الغجر أكلة لحوم بشر. ادّعوا حيث
ترعرعت - في بالتني، خارج بوخارست - أننا سلالة قابيل ومحكوم علينا
بالشقاء إلى الأبد. كان جيراننا من الغادجو يمنحوننا مالاً لنبقى بعيدين
عنهم".

جال بصر راسكول على الجدران الخالية من النوافذ وتابع: "كان والدي
حدّاداً، لكن لم يكن هناك عمل في رومانيا. كان يجب أن تنتقل إلى مكبّ
النفايات خارج البلدة حيث يعيش غجر كالدراش. في ألبانيا، كان والدي
بوليباس، الزعيم والقاضي الغجري المحلي، لكن بين غجر كالدراش كان مجرد
حدّاد عاطل عن العمل.

أطلق راسكول تنهيدة عميقة وأضاف:

"لن أنسى أبداً النظرة في عينيه حين أعاد معه إلى المنزل دباً بنياً
صغيراً أليفاً. كان قد اشتراه بآخر ما تبقى معه من مال من مجموعة من
يورساري. قال والدي: يجيد الرقص. دفع الشيوعيون مالاً لرؤية الدب
الراقص. جعلهم يشعرون بأنهم أفضل حالاً. حاول ستيفان، شقيقي، إطعام
الدب لكنه لم يأكل، وسألت والدي إن كان مريضاً، فأجابها والدي أنهما
كانا قد مشيا كل الطريق من بوخارست ويحتاج إلى الراحة فقط، ولكن
الدب مات بعد أربعة أيام".

أغمض راسكول عينيه وابتسم ابتسامته الكئيبة تلك ثمّ وأضاف: "هربت
وستيفان في الصيف نفسه. لم يكن هناك ما يسد رمقنا طوال شهرين.
ذهبنا شمالاً".

"كم كان عمرك؟".

"كنت في الثامنة من عمري وهو في الثانية عشرة. كانت الخطة أن
نصل إلى ألمانيا الغربية. في ذلك الوقت، كانوا يسمحون بدخول اللاجئين من
كل أنحاء العالم ويطعمونهم. أفترض أنها كانت طريقتهم في التعويض. ظن
ستيفان أنه كلما كنا أصغر، كلما ازدادت فرصنا في دخول تلك البلاد.
لكنهم أوقفونا عند الحدود البولندية. وصلنا إلى وارسو حيث نمنا تحت
جسر وتدثّر كل منا ببطانية، في المنطقة المغلقة بجانب فسكودنيا، محطة
السكك الحديدية الشرقية. عرفنا أننا سنجد شلبر: مهرّب بشر. بعد بحث
استغرق أياماً عدّة وجدنا شخصاً غجرباً يدعو نفسه دليل حدود، ووعد
بإيصالنا إلى ألمانيا الغربية. لم يكن لدينا مال ندفعه، لكنه قال إن هناك
طرائق ووسائل، وإنه يعرف بعض الرجال الذين يدفعون جيداً لفتيان
غجربين وسيمين. لم أعرف ما كان يتكلم عنه، لكن ستيفان فهم ما

يقصده. ابتعد مع الدليل قليلاً وتناقشا بأصوات عالية، في حين كان الدليل يشير إليّ. هزّ ستيفان رأسه تكراراً، وفي النهاية، مدّ الدليل ذراعيه واستسلم. طلب ستيفان مني الانتظار حتى يعود في سيارة. فعلت ما قاله، لكن الساعات انقضت. حلّ الليل فاستلقيت هناك ونمت. في أول ليلتين تحت الجسر، كانت توقظني مكابح شاحنات نقل البضائع، لكنّ أذنيّ اليافعتين سرعان ما تعودتا على أن تلك الأصوات ليست هي التي يجب أن أتوخى الحذر منها. لهذا نمت ولم أستيقظ حتى سمعت وقع خطوات تقترب خلسة في منتصف الليل. كان ستيفان؛ زحف تحت بطانيته وتكوّر بجانب الجدار الرطب. استطعت سماعه يبكي، لكنني أغمضت عيني بقوة ولم أتحرك، وسرعان ما سمعت القطارات مجدداً، رفع راسكول رأسه وسأل: "هل تحب القطارات أيها السيوني؟".

أوما هاري.

"عاد الدليل في اليوم التالي، وطلب مزيداً من المال. غادر ستيفان في السيارة مجدداً. استيقظت بعد أربعة أيام عند بزوغ الفجر ورأيت ستيفان. لا بدّ من أنه بقي مستيقظاً طوال الليل. كان يستلقي كما يفعل عادة وعيناه نصف مغمضتين، ورأيت أنفاسه تعلق في هواء الصباح الباكر البارد جداً. كان هناك دم على فروة رأسه، وإحدى شفثيه متورمة. أمسكت بطانيتي وذهبت إلى المحطة الرئيسة حيث كانت أسرة من غجر كالدراش قد استقرت خارج المراحيض، تنتظر السفر غرباً. تكلمت إلى أكبر الفتیان سنّاً، والذي أخبرني أن الرجل الذي ظننا أنه دليل سفر كان قواداً محلياً يتردّد على منطقة المحطة، وأنه قد عرض على والده ثلاثين زلوتياً (عملة بولندية) مقابل شقيقه الصغيرين. أريت الفتى بطانيتي. كانت سميقة وفي حال جيدة، مسروقة عن حبل غسيل في لوبلن. فأحبها. كان كانون الأول سيحل قريباً. طلبت رؤية سكينه التي كانت داخل قميصه".

"كيف عرفت أن لديه سكيناً؟".

"كل الغجر لديهم سكاكين؛ ليأكلوا بها. لا يتشارك حتى أفراد الأسرة الواحدة أدوات المائدة - يمكن أن يصابوا بماريم، عدوى. لكنه أبرم اتفاقاً جيداً. كانت سكينه صغيرة ومثلّمة. لحسن الحظ، استطعت شحذها عند الحدّاد في ورشة السكك الحديدية".

مرّر راسكول الظفر الطويل المدبب لإصبعه الصغيرة في يده اليمنى على جسر أنفه.

"تلك الليلة، بعد أن ركب ستيفان السيارة، سألت القواد إن كان

هناك زبون لي أيضاً. كثر وقال إنني يجب أن أنتظر. عندما عاد، وقفت في الظلام تحت الجسر أراقب القطارات تدخل منطقة المحطة وتخرج منها. صرخ: تعال إلى هنا أيها الغجري. لدي زبون جيد. رجل حزب ثري. تعال الآن، ليس لدينا متسع من الوقت!. أجبت: يجب أن ننتظر قطار كراكو. جاء إليّ وأمسك ذراعي: يجب أن تأتي الآن، هل تفهم؟. كنت أصل إلى صدره فقط. قلت وأنا أشير: هذا هو. أفلتني ونظر إلى الأعلى. مرّت ظلال موكب من عربات فولاذية سوداء على وجوهنا الشاحبة حين نظرنا إلى الأعلى. ثم حانت اللحظة التي كنت أنتظرها. صرير الفولاذ على الفولاذ عند عمل المكابح. طغى ذلك على كل شيء".

نظر هاري إليه شزراً؛ كأن ذلك يسهّل التوثق مما إذا كان راسكول يكذب.

"عندما مرّت آخر عربة ببطء بجانبني، رأيت وجه امرأة يحدّق إلي من إحدى النوافذ. بدت كشبح، مثل أمي. رفعت السكين المملطخة بالدماء وأريتها إياها. وهل تعرف شيئاً أيها السبيوني؟ تلك هي المرة الوحيدة في حياتي التي شعرت فيها بسعادة كاملة". أغمض راسكول عينيه كأنه يعيش تلك اللحظة مجدداً. "كوي بير كوي. الرأس بالرأس. تلك هي العبارة الألبانية لثأر الدم...".

"ماذا حدث بعد ذلك؟".

فتح راسكول عينيه مجدداً وقال: "هل تعرف ما هو باكست أيها السبيوني؟".

"لا فكرة لدي".

عندما أخذت محفظة القوادم، كان فيها ثلاثة آلاف زلوتي. عاد ستيفان وحملنا الجثة فوق السكة الحديدية وألقيناها في إحدى عربات البضائع المتجهة شرقاً، ثم ذهبنا شمالاً. بعد أسبوعين تسللنا على متن مركب من غدانسك إلى غوتنبرغ. ذهبنا من هناك إلى أوسلو وحقل في توين يوجد فيه أربع مقطورات، ثلاث منها يشغلها غجر. كانت الرابعة قديمة ومهجورة، ومحورها مكسور. أصبحت منزلنا طوال خمس سنوات. في عشية الميلاذ ذاك، احتفلنا بذكرى ميلادي التاسعة هناك، وتناولنا البسكويت وكوباً من الحليب تحت البطانية الوحيدة التي بقيت لدينا. في يوم الميلاذ، دخلنا عنوة أول كشك، وعرفنا أننا قد جئنا إلى المكان المناسب". أشرق وجه راسكول بابتسامة عريضة وأضاف: "كان الأمر مثل أخذ حلوى من طفل".

جلسا صامتين وقتاً طويلاً، وأخيراً قال راسكول: "يبدو أنك لا تصدّقني

تماماً حتى الآن".

سأل هاري: "هل ذلك مهم؟".

ابتسم راسكول وسأل: "كيف تعرف أن أنا لم تحبك؟".

هزّ هاري كتفيه.

مشياً عبر كولفرت، وهما مقيدان بأغلال إلى بعضهما بعضاً.

قال راسكول: "لا تفترض أنني أعرف من هو السارق. قد يكون

دخيلاً".

قال هاري: "أعرف".

"جيد".

"إذاً، إذا كانت أنا ابنة ستيفان وهو يعيش في النرويج، فلماذا لم

يذهب إلى الجنازة؟".

"لأنه ميت. سقط عن سقف كانوا بينونه قبل سنوات عدّة مضت".

"ووالدة أنا؟".

"انتقلت جنوباً إلى رومانيا مع شقيقتها وشقيقها حين مات ستيفان.

ليس لدي عنوانها. أشك في أن لها عنواناً".

"أخبرت إيفارسون أن سبب عدم ذهاب أفراد الأسرة إلى الجنازة هو

أنها جلبت العار لهم".

"حقاً؟"، استطاع هاري رؤية المتعة في عيني راسكول البنيتين، ثمّ قال:

"هل تصدّقني إذا قلت إنني كنت أكذب؟".

"نعم".

"لكنني لم أكن أكذب. كانت الأسرة قد تبرّأت من أنا. لم تعد

موجودة بالنسبة إلى والدها. رفض ذكر اسمها. ليمنع ماري (العدوى). هل

تفهم؟".

"ربما لا".

مشياً إلى مقرّ الشرطة ووقفا ينتظران المصعد. تمتم راسكول شيئاً

لنفسه قبل أن يقول بصوت عالٍ: "لماذا تثق بي أيها السبيوني؟".

"ما الخيار المتاح لي؟".

"لديك خيار دائماً".

"الأهم هو: لماذا تثق بي أنت؟ قد يكون المفتاح الذي أخذته مني

مثل المفتاح الذي لديك لشقة أنا، لكن ربما لم أعثر عليه في شقة القاتل".

هزّ راسكول رأسه. "أسأت الفهم. أنا لا أثق بأحد. أثق بفطرتي فقط.

وهي تخبرني أنك لست رجلاً غيباً. لدى كل شخص شيء يعيش من أجله.

شيء يمكن حرمانه منه. أنت أيضاً. هذا كل ما في الأمر".
استقلا المصعد، وأمعن هاري النظر إلى راسكول في العتمة. جلس
يشاهد فيديو سرقة المصرف وظهره مشدود وراحتا كفيّه تضغطان على
بعضهما، ووجهه خالٍ من أي تعبير. ليس حتى عندما ملأ صوت العيار
الناري دار الألم.

سأل هاري، وهما يشاهدان آخر صور المسرّع يختفي في إندوستريغاتا:
"هل تريد رؤيته مجدداً؟".

قال راسكول: "ليس ضرورياً".

قال هاري محاولاً أن يبدو مهتماً: "حسناً؟".

"هل لديك المزيد؟".

انتاب هاري شعور بأنه سيسمع أخباراً سيئة.

"حسناً، لدي فيديو من متجر سفن إيليفن قبالة المصرف تماماً، حيث
راقب الموقع قبل عملية السطو".
"شغله".

شغله هاري مرتين. كرّر حين اكتسحت العاصفة الثلجية الشاشة

أمامهما: "حسناً؟".

قال راسكول وهو ينظر إلى ساعته: "أعرف أنه يفترض أن يكون خلف
سرقات أخرى ويمكننا مشاهدتها. لكن هذه مضيعة للوقت".

"ظننت أنك قلت إن الوقت هو الشيء الوحيد الذي لديك كفايتك

منه".

قال وهو ينهض ويعرض يده: "كذبة واضحة. الوقت هو الشيء الوحيد

الذي لا أملكه. الأفضل أن تغلّ يدي بالأصفاً مجدداً أيها السبيوني".

أطلق هاري شتيمة في قرارة نفسه ثم قيّد راسكول بالأصفاً ومشيا
جانبياً بين الطاولة والجدار إلى الباب. أمسك هاري مقبض الباب.

قال راسكول: "معظم سارقي المصارف أشخاص عاديون. لهذا السبب

يصبحون لصوص مصارف".

توقف هاري.

أضاف راسكول: "كان أحد أشهر سارقي المصارف في العالم الأميركي ويلى

سوتون. عندما اعتقل ونُقل إلى المحكمة، سأله القاضي عن السبب الذي

يدفعه لسرقة المصارف. أجاب سوتون: لأن الأموال موجودة هناك. أصبحت

تلك عبارة شائعة في الإنكليزية الأميركية اليومية، وأفترض أنها يجب أن

تظهر لنا كم هي اللغة مباشرة وبسيطة على نحو رائع. بالنسبة إليّ، تمثّل

أحمق ألقى القبض عليه. لا يكون سارقو المصارف الجيدون شهيرين أو يستشهد آخرون بأقوالهم. لا تسمع قط بهم لأنهم لم يُعتقلوا. لأنهم ليسوا صريحين وجاهلين. والشخص الذي تبحث عنه واحد منهم".
انتظر هاري.

قال راسكول: "غريت".

"غريت؟". حدّقت بتي إلى هاري بعينين جحظتا من رأسها وكرّرت: "غريت؟". كان الوريد في عنقها متورماً، ثم أضافت: "لدى غريت حجة غياب! تروند غريت محاسب يفقد السيطرة على نفسه، وليس سارق مصارف! تروند غريت... إنه... إنه...".

قال هاري: "بريء، أعرف". كان قد أغلق باب المكتب خلفهما

واسترخى على كرسيه أمام الطاولة. "لكننا لا نتكلم عن تروند غريت".
أغلقت بتي فمها بقطعة رطبة مسموعة.

سأل هاري: "هل سمعت عن ليف غريت؟ قال راسكول إنه احتاج

أول ثلاثين ثانية فقط ليعرف ذلك، لكنه أراد رؤية الباقي ليتحقق من الأمر؛ لأن أحداً لم يكن قد رأى ليف غريت منذ سنوات عديدة. وفقاً لآخر إشاعة سمعها راسكول، كان غريت يعيش في مكان ما في الخارج".
قالت بتي، ونظرتها تهيم بعيداً: "ليف غريت. كان فتى يثير الدهشة. فأنا أتذكر والدي يتكلم عنه. لقد قرأت تقارير عن سرقات يُشتبه في ضلوعه بها حين كان في السادسة عشرة من عمره فقط. كان أسطورة؛ لأن الشرطة لم تعتقله قط، وعندما اختفى نهائياً، لم يكن لدينا حتى بصماته".
نظرت إلى هاري وقالت: "كيف كنت بهذا الغباء؟ البنية الجسدية نفسها. ملامح متشابهة. شقيق تروند غريت، أليس كذلك؟".

أوماً هاري.

تقطّب جبين بتي عبوساً وأضافت: "لكن ذلك يعني أن ليف غريت قتل زوجة شقيقه".

"هذا يفسّر بضع أشياء، أليس كذلك".

أومات ببطء. "العشرون سنتمتراً بين الوجهين. عرفا بعضهما بعضاً".

"وإذا عرف ليف غريت أن أحداً تعرّف إليه...".

قالت بتي: "بالطبع، كانت شاهدة. لم يكن بمقدوره المجازفة بأن

تسلّمه".

نهض هاري وقال: "سأطلب من هالفورسن تحضير شيء قوي حقاً من

أجلنا. الآن دعينا نلقي نظرة على الفيديو".

قال هاري وعينه مسمرتان على الشاشة: "أظن أن ليف غريت لم يكن يعرف أن شتاين تعمل هناك. الشيء المثير للاهتمام أنه تعرّف إليها على الأرجح واختار بالرغم من ذلك أن يستخدمها رهينة. لا بدّ من أنه قد عرف أنها ستميّزه عن قرب، بالصوت، إذا لم يكن من شيء آخر". هزّت بتي رأسها غير قادرة على استيعاب ذلك، واستغرقت في تأمل صور المصرف حيث كان كل شيء هادئاً مؤقتاً، وأوغست شولز بمشيته المتثاقلة في منتصف الطريق إلى الخارج. "إذاً، لماذا فعل ذلك؟". "إنه محترف. لا يترك أي شيء للمصادفة. كان مصير شتاين غريت قد تحدّد منذ تلك اللحظة". جمّد هاري صورة اللحظة التي دخل فيها السارق من الباب ونظر في أرجاء القاعة. "عندما رأها ليف غريت وعرف أن هناك فرصة أن يجري التعرف إليه، عرف أنه يجب أن تموت. لهذا السبب أيضاً استخدمها كرهينة". "بارد كالجليد".

"أربعون درجة تحت الصفر. الشيء الوحيد الذي لا أفهمه حقاً هو لماذا كان مستعداً لاقتراف جريمة لتفادي التعرف إليه، في حين أنه مطلوب أصلاً في سرقات مصارف أخرى". جاء ويبر يحمل صينية عليها فناجين قهوة.

قال وهو يوازن الصينية حتى استقرت على الطاولة: "نعم، لكن ليف غريت ليس مطلوباً في أي سرقة". بدا أن الغرفة قد زُخرفت مرة في الخمسينيات ثم بقيت على حالها لم تمتد يد الإنسان إليها منذ ذلك الوقت. الكراسي الأنيقة، والبيانو، والنباتات التي يعلوها الغبار على عتبة النافذة تجثم هناك في سكون غريب. كان حتى رقّاص ساعة الجد في الزاوية يتأرجح صامتاً، والمرأة بيضاء الشعر ذات العينين اللامعتين في الزجاج المؤطر على رف الموقد تضحك من دون صوت. كان السكون الذي بدا أنه دخل حين أصبح ويبر أرمل قبل ثماني سنوات قد أطبق على كل شيء حوله، وسيكون صعباً جعل البيانو يُصدر نغمة موسيقية واحدة. كانت الشقة في الطابق الأرضي من مبنى سكني قديم في توين، لكن ضوء السيارات في الخارج زاد الشعور بالصمت في الداخل فحسب. جلس ويبر على أحد الكراسي المزوّدة بذراعين، بحرص؛ كأنه قطعة للعرض في متحف. "لم نجد قط دليلاً ملموساً على تورط غريت في أيّ من السرقات. لا إفادة من شهود، لا أحد يعرف عنه شيئاً، لا بصمات ولا أدلة شرعية أخرى. لقد تمّ في التقارير التأكيد فقط أنه كان مشتبهاً فيه".

"إذًا، على افتراض أن شتاين غريت لم تبلغ عنه، كان رجلاً صاحب سجل نظيف".

"صحيح. بسكويت؟".

هزّت بتي رأسها.

كان يوم عطلة ويبر، لكن هاري قد أصرّ عبر الهاتف على إجراء حديث معه على الفور. كان يعرف أن ويبر يمتنع عن استقبال زوّار في منزله، لكن ذلك لم ينفذ في شيء.

قالت بتي: "تكلّمنا إلى الضابط المناوب في كريمتكينيسك لمقارنة البصمات على قارورة الكوكا كولا بتلك التي رُفعت من سرقات سابقة كان ليف غريت مشتبهًا في تنفيذها. لكن، لا شيء".

قال ويبر، وهو يتحقق أن غطاء إبريق القهوة في مكانه المناسب:

"كما قلت، لم يُعثَر على بصمات ليف غريت قط في مسرح جريمة".

قلّبت بتي دفتر ملحوظاتها بإبهامها وقالت: "هل توافق مع راسكول أن ليف غريت هو رجلنا؟".

"حسنًا، لِمَ لا؟". بدأ ويبر يسكب القهوة.

"لأنه لم يستخدم العنف في أيّ من العمليات المشتبه فيها، ولأنها كانت زوجة شقيقه. تقتل لأن أحداً قد يتعرّف إليك... أليس ذلك دافعاً واهناً جداً لارتكاب جريمة؟".

توقف ويبر عن السكب ونظر إليها. رمق هاري، الذي هزّ كتفيه، بنظرة ساخرة.

قال: "لا". وتابع سكب القهوة، بينما تورّدت بتي احمراراً.

قال هاري شبه معتذرٍ: "يأتي ويبر من مدرسة التحقيق التقليدية. رأيه أن الجريمة بالتعريف تستثني الدوافع العقلانية. هناك فقط درجات من دوافع مشوّشة، قد تبدو أحياناً منطقية".

قال ويبر وهو يضع إبريق القهوة جانباً: "تلك هي طبيعتها".

قال هاري: "أتساءل لماذا ترك ليف غريت البلاد إذا لم يكن لدى

الشرطة شيء ضده بأي حال".

مسح ويبر غباراً غير مرئي عن ذراع الكرسي وقال: "لا أعرف حق

المعرفة".

"حق المعرفة؟".

وضع ويبر مقبض فنجان القهوة الخزفي الرقيق بين إبهام بدين وضخم

وسبابة ملطّخة بالنيكوتين. "سرت إشاعة في ذلك الوقت. لا شيء مؤكد.

يزعمون أنه لم يكن يفرُّ من الشرطة. كان أحدهم قد سمع أن آخر سرقة مصرف لم تجرِ وفقاً للخطة. كان غريت قد ترك شريكه في وضع لا يحسد عليه".

سألت بتي: "بأي طريقة؟".

"لا أحد يعرف. ظن بعضهم أن غريت كان سائق الهروب وانطلق بعيداً حين وصلت الشرطة، تاركاً الرجل الآخر في المصرف. قال آخرون إن العملية كانت ناجحة، لكن غريت هرب إلى الخارج مع كل المال". شرب ويبر رشفة وخفض الفنجان بحرص. "الجانب المثير للاهتمام في القضية التي نتكلم حولها الآن ربما ليس كيف، وإنما مَنْ؛ مَنْ كان هذا الشخص الثاني؟".

أمعن هاري النظر في عيني ويبر. "هل تعني أنه كان...؟".
أوماً خبير الطب الشرعي المحنك، وتبادل هاري وبتي النظرات.
قال هاري: "تياً".

* * *

راقبت بتي حركة السير إلى اليسار، تنتظر فسحة في سيل السيارات من اليمين في توينغاتا. هطل المطر غزيراً على السقف. أغمض هاري عينيه، إذ عرف أنه إذا ركّز يمكنه أن يجعل هفيف السيارات المارة يصبح أمواجاً تضرب مقدمة المعدية، وهو يقف في النسيم يحدّق نحو الأسفل إلى الزبد الأبيض، يمسك قبعة جدّه. لكن لم يكن لديه وقت.

قال هاري وهو يفتح عينيه: "إذاً، راسكول لديه عمل لم ينته مع ليف غريت. وأشار إلى أنه القاتل. هل غريت هو حقاً الشخص في الفيديو، أم أن راسكول يريد تصفية حسابه فحسب؟ أم إنها إحدى حيل راسكول الأخرى لخداعنا؟".

قالت بتي: "أو كما قال ويبر: مجرد إشاعة". استمرت السيارات تمرّ من اليمين، في حين كانت تنقر بأصابعها على مقود القيادة بنفاد صبر.
قال هاري: "قد تكونين محقة. لو أن راسكول أراد تصفية حسابه مع غريت، لما كان بحاجة إلى مساعدة الشرطة. على افتراض أنها مجرد إشاعات، لماذا اختار غريت، إذا لم يفعلها هذا الأخير؟".
"نزوة؟".

هزّ هاري رأسه قائلاً: "راسكول استراتيجي. لا يختار الرجل الخطأ من دون سبب وجيه. لست واثقاً بأن المسرّع كان يعمل بمفرده هنا".
"ماذا تعني؟".

"ربما خطط شخص آخر للسرقات. عضو في شبكة تهريب أسلحة ربما شمل التخطيط سيارة الهروب وشقة مؤمنة ومنظفًا، يتخلص من الملابس والأسلحة بعدئذ. إنه مبيّض، يغسل الأموال.
"راسكول؟".

"إذا أراد راسكول صرف انتباهنا عن المذنب الحقيقي، فلن يجد شيئاً أفضل من دفعنا إلى البحث عن رجل لا يعرف أحد مكانه، شخص ميت ومدفون أو قد استقر في الخارج منتحلاً اسماً جديداً، مشتبته فيه لا نقصيه أبداً من حساباتنا؟ أن يشي بشخص آخر مما يجعلنا نطارذ ظلالنا بدلاً من رجله".

"إذاً، تظن أنه يكذب؟".

"كل الغجر يكذبون".

"أوه؟".

"أقتبس عن راسكول".

"إذاً، يتمتع بحسّ دعاية جيد. ولماذا لا يكذب عليك، إذا كان قد كذب على كل شخص آخر؟".
لم يردّ هاري.

قالت بتي، وهي تضغط بلطف على دواسة الوقود: "ثغرة أخيراً".

قال هاري: "انتظري! انعطفي يميناً، إلى فينماركخاتا".

قالت فزعة: "حسناً"، وانعطفت إلى الطريق أمام متنزه توين، ثم

سألته: "إلى أين نحن ذاهبان؟".

"سنزور تروند غريت في منزله".

كانت الشبكة في ملعب كرة المضرب قد أُزيلت. ولم يكن هناك ضوء في أي من نوافذ منزل غريت.

استنتجت بتي بعد أن رنّت الجرس مرتين: "ليس في المنزل".

فُتحت نافذة الجارة.

صدر صوت المرأة المرتعش وذات الوجه المتغصن، الذي ظنّ هاري أنه

أكثر اسمراراً من آخر مرة كانا قد رأياها فيها: "تروند في الداخل الآن. لا

يريد أن يفتح لأحد. أبقِ إصبعك على الجرس، وعندها سيأتي".

ضغطت بتي الجرس واستطاعا سماع الرنين المرّوع داخل المنزل. أُغلقت

نافذة الجارة وأصبحا ينظران مباشرة بعد ذلك إلى وجه شاحب مع

انتفاخين أسودين ضاربين إلى الزرقة تحت العينين الجامدتين. كان تروند

غريت يرتدي ثوب حمّام أصفر. بدا كأنه قد خرج للتو من سريره بعد

أن نام أسبوعاً، ولم يكن ذلك كافياً. من دون أن ينبس بكلمة، رفع يده ولوّح لهما أن يدخلوا. كان هناك وميض حين انعكس شعاع الشمس عن الخاتم الماسي في إصبعه الصغيرة من يده اليسرى. قال تروند: "كان ليف مختلفاً. حاول قتل رجل حين كان في الخامسة عشرة".

ابتسم من تلقاء نفسه؛ كأنه يسترجع ذكرى عزيزة. "بدا أن لدينا مجموعة كاملة من المورثات التي نتشاطرها في ما بيننا. كان لدي ما لم يكن لديه، والعكس صحيح. ترعرعنا هنا في ديزنغرندا، في هذا المنزل. كان ليف أسطورة في المنطقة، في حين كنت أنا مجرد شقيق ليف الصغير. أحد أول الأشياء التي أتذكرها كان من المدرسة حين كان ليف يقف على السطح في الاستراحة. كان ذلك على ارتفاع أربعة طوابق، ولم يجرؤ أي من المدرسين على إنزاله إلى الأرض. وقفنا في الأسفل نهلل حين كان يرقص وذراعه ممدوتان إلى جانبه. لا يزال بمقدوري رؤية جسده تحت السماء الزرقاء. لم أخف لحظة واحدة، ولم يخطر ببالي أن شقيقي قد يقع. أظن أن الجميع شعروا بالشيء نفسه. كان ليف الشخص الوحيد الذي واجه الأشقاء غوستن من حي ترافرفين، بالرغم من أنهم كانوا أكبر منه بستين على الأقل ومن زوّار مركز احتجاز الشباب المشاغبين. أخذ ليف سيارة والدي حين كان في الرابعة عشرة من عمره، قادها إلى ليلستروم وعاد بكيس من تويست كان قد سرقه من كشك المحطة - لم يعرف والدي شيئاً عن ذلك - وأعطاني ليف الحلويات".

بدا أن تروند غريت يحاول أن يضحك. كانوا قد جلسوا حول طاولة، وقام تروند بتحضير الكاكاو. كان قد سكب مسحوق الكاكاو من علبة وقف يحدّق إليها وقتاً طويلاً. كتب أحدهم كاكاو على العلبة المعدنية بقلم حبر جاف، وكان خط اليد أنيقاً وأثوياً.

قال تروند: "كان أسوأ شيء أن بمقدور ليف أن يبلي بلاءً حسناً لنفسه، ومشكلته أنه كان يملُّ من الأشياء بسرعة كبيرة. قال الجميع إنه كان أفضل موهبة كرة قدم في سكيد منذ سنوات طويلة، لكن عندما اختير لفريق الناشئين الوطني، لم يزعج نفسه حتى بالالتحاق بالمنتخب. عندما أصبح في الخامسة عشرة من عمره استعار غيتاراً، وبعد شهرين كان يؤدي أغانيه الخاصة في المدرسة. بعد ذلك طلب منه شخص يدعى واكتار أن ينضم إلى فرقة في غرورود، لكنه خذله؛ لأنهما لم يكونا جيدين كفاية. كان ليف من النوع الذي يستطيع فعل كل شيء، ومقدوره اجتياز المراحل

الدراسية بسهولة كبيرة لو أنه أنجز فروضه ولم يتغيّب كثيراً". ارتسمت ابتسامة ملتوية على وجه تروند، وأضاف: "أعطاني بضائع مسروقة لأقلّد خط يده وأنجز فروضه المدرسية. كانت علامته في النزويجية على الأقل في أيّد أمينة". ضحك تروند، لكن سرعان ما تجهّم مجدداً، وتابع: "ثم سئم من الغيتار وبدأ يتسكح مع زمرةٍ من فتيان أكبر سنّاً من أرفول. بدا أن ليف لم يفكر مطلقاً في أن هناك أي خطر في ترك ما لديه. كان هناك دائماً شيء آخر، وأفضل، وأكثر إثارة عند المنعطف اللاحق".

سأل هاري: "قد يبدو من الغباء أن تطرح على شقيق هذا السؤال، لكن هل تقول إنك كنت تعرفه جيداً؟".

فكّر تروند ملياً وقال: "لا، إنه ليس سؤالاً غيبياً. نعم، ترعرعنا معاً. ونعم، كان ليف ودوداً ومسلماً، والجميع - فتيان وفتيات - يرغبون في التعرّف إليه. لكن في الواقع، كان ليف ذنباً وحيداً. قال لي مرة إنه لم يحظ قط بأي أصدقاء حقيقيين، وإنما مجرد معجبين وحببيات. كانت هناك أشياء كثيرة لا أعرفها عن ليف، مثلما حدث حين جاء الأشقاء غوستن لإثارة مشكلة. كان هناك ثلاثة منهم وجميعهم أكبر سنّاً من ليف. هربت مع الفتيان المحليين الآخرين عندما رأيناهم. لكن ليف بقي حيث كان. استمروا في ضربه طوال خمس سنوات؛ ثم، يوماً ما، جاء الفتى الأكبر سنّاً وحده؛ روجر. هربنا كالمعتاد. عندما نظرت من خلف زاوية المنزل استطعت رؤية روجر مستلقياً على الأرض وليف فوقه. كان ليف يضع ركبتيه على ذراعي روجر ويحمل عصا. اقتربت لأرى ما يحدث. باستثناء الأنفاس الثقيلة، لم يكن هناك صوت يخرج من أي منهما. فحين اقتربت، رأيت آنذاك أن ليف قد وضع العصا في محجر عين روجر".

غيّرت بتي وضعية جلوسها على كرسيها. "كان ليف منصباً تماماً على ما يقوم به؛ كأنه يفعل شيئاً يتطلب دقة وعناية كبيرتين. بدا أنه يحاول اقتلاع مقلة العين. كان روجر ينزف دمّاً؛ سال من العين، نزل على أذنه وسقطت قطرات من شحمتها على الإسفلت. كان الصمت مطبقاً ومقدورك سماع الدم يسقط على الأرض؛ قطرة، قطرة، قطرة".

سألت بتي: "ماذا فعلت أنت؟".

"تقيأت. لم أستطع قط تحمّل منظر الدم، فهو يجعلني أشعر بدوار وأنا لست على ما يرام". هزّ تروند رأسه وأضاف: "ترك ليف روجر يذهب في حال سبيله وعاد إلى المنزل معي. عالج روجر عينه، لكننا لم نرَ

قط الأشقاء غوستن في حيننا مجدداً. لن أنسى أبداً منظر ليف يحمل العصا. كنت أظن في لحظات مثل تلك أن شقيقي الأكبر يمكن أن يصبح أحياناً شخصاً آخر، شخصاً لا أعرفه، يعرّج علي في زيارة غير متوقعة. لسوء الحظ، أضحت الزيارات أكثر ندرة بعد ذلك".

"قلت شيئاً عن محاولته قتل رجل".

"كان ذلك صباح أحد. كان مع ليف مفك وقلم رصاص، وذهب على متن درّاجته الهوائية إلى أحد جسور المشاة فوق رينغفين. تعرف تلك الجسور، أليس ذلك؟ إنها مخيفة قليلاً؛ لأنه يجب عليك أن تمشي فوق شبكة معدنية مربّعة وتنظر نحو الأسفل إلى الإسفلت الذي يبعد سبعة أمتار. كما قلت، كان ذلك يوم أحد، ولم يكن هناك أشخاص كثر في الجوار. فكّ براغي إحدى الشبكات المعدنية وترك برغيين على أحد الجانبين وقلم الرصاص في الزاوية تحت الشبكة، ثم انتظر. أولاً، جاءت سيدة، تطلق شتائم وتعرج على كعب رفيع مكسور". ضحك تروند بهدوء وتابع: "بالنسبة إلى فتى عمره خمسة عشر عاماً، كان ليف بارعاً". رفع الكوب إلى فمه ونظر إلى خارج نافذة المطبخ ذاهلاً، فقد كانت شاحنة سلال النفايات متوقفة أمام صناديق القمامة. "هل اليوم الاثنين؟".

قال هاري الذي لم يكن قد مسّ كوبه: "لا، ماذا حدث للسيدة؟". "كان هناك مساران من الشبكات المعدنية. اختارت السير على الأيسر. حظ سيئ، كما قال ليف. أوضح أنه كان يفضلها على الرجل. ثم جاء الرجل. مشى على الجانب الأيمن. بسبب قلم الرصاص في الزاوية كانت الشبكة المعدنية غير الثابتة أعلى قليلاً من الأخرى. ظن ليف أن الرجل قد رأى الخطر؛ لأنه أبطأ مشيته مع اقترابه من الشبكة. عندما كان على وشك أن يخطو خطوته الأخيرة بدا أنه تجمّد في الهواء".

هز تروند رأسه ببطء وهو يشاهد الشاحنة تطحن كل نفايات الجيران. "عندما وضع قدمه عليها، فُتحت الشبكة مثل باب أفقي. تعرف، مثل ذاك الذي يستخدمونه في عمليات الشنق. كُسرت كلتا ساقَي الرجل حين ارتطم بالإسفلت. لو لم يكن صباح أحد، لكانت السيارات دهسته مباشرة. حظ سيئ، كما قال ليف".

سأل هاري: "هل قال ذلك للشرطة أيضاً؟".

قال تروند وهو يحدّق إلى كوبه: "الشرطة، نعم. جاءوا بعد يومين. أنا فتحت الباب. سألوا إن كانت الدرّاجة في الخارج تخص أي شخص في المنزل. قلت نعم. تبين أن شاهداً قد رأى ليف يبتعد عن جسر المشاة

وأعطى وصفاً للدراجة وفتى يرتدي سترة حمراء. وهكذا أريتهم السترة
المخططة التي كان ليف يرتديها".

سأل هاري: "أنت؟ سلّمت شقيقك؟".

تنهّد تروند وقال: "قلت إنها درّاجتي، وسترتي. أنا وليف متشابهان
جداً".

"لماذا فعلت ذلك بالله عليك؟".

"كنت في الرابعة عشرة من عمري فقط وأصغر من أن يفعلوا شيئاً.
كان الأمر سينتهي بليف في مركز الاحتجاز حيث يوجد روجر غوستن".

"لكن، ماذا قال والدك ووالدتك؟".

"ماذا قالوا؟ يعلم كل من يعرفنا أن ليف قد فعل ذلك. كان الأحمق
الذي يسرق حلويات ويرمي حجارة، في حين كنت أنا الفتى الصغير اللطيف
والطيب الذي ينجز فروضه ويساعد سيدات عجائز على عبور الطريق. لم
يتكلم أحد عن ذلك قط بعدئذ".

تنحنحت بتي: "فكرة من كانت أن تتحمل اللوم؟".

"فكرتي. أحببت ليف أكثر من أي شخص على الأرض. لكن بعد إسقاط
القضية، يمكنني قول ذلك الآن. والحقيقة هي...". رسم تروند ابتسامته
الفاترة على وجهه وأضاف: "أتمنى أحياناً أن أكون أنا من تجرأ على فعل
ذلك".

حرّك هاري وبتي كوبيهما بصمت. تساءل هاري أي منهما سي طرح
السؤال. لو كانت إيلين معه، كانا سيعرفان ذلك بديهياً.

بدأ معاً: "أين...؟". طرفت عينا تروند عليهما. أوماً هاري إلى بتي.

سألت: "أين يعيش شقيقك الآن؟".

"أين... هو ليف؟". نظر تروند إليهما ذاهلاً.

قالت: "نعم. نعرف أنه متوارٍ عن الأنظار منذ وقت طويل".

استدار غريت إلى هاري وقال: "لم تقل إن هذا يخص ليف". كانت
النبرة اتهامية.

قال هاري: "قلنا إننا نريد التكلم عن هذا وذاك. لقد انتهينا من
هذا، ونتكلم الآن عن ذلك".

نهض تروند مسرعاً عن كرسيه، أمسك الأكواب، ذهب إلى المغسلة
وتخلّص من الكاكاو. "لكن ليف... بالمحصلة هو... ما علاقته بالله عليكم
بهذا...؟".

قال هاري: "ربما لا شيء. إذا كانت له علاقة، فسنحتاج إلى مساعدتك

لإقصائه من تحقيقاتنا".

تأوه تروند وهو يستدير ليواجههما: "إنه لا يعيش في هذا البلد".

نظر هاري وبتي إلى بعضهما.

سأل هاري: "إذاً، أين يعيش؟".

تردّد تروند جزءاً من الثانية بالتحديد بداً طويلاً جداً قبل أن يجيب:
"لا أعرف".

شاهد هاري شاحنة القمامة الصفراء تتحرك في الخارج وقال: "لا تجيد
الكذب، أليس كذلك؟".

أجابه تروند بنظرة قاسية.

قال هاري: "مم. ربما لا يمكن أن نتوقع أن تساعدنا على العثور على
شقيقك. من ناحية أخرى، كانت زوجتك من لقيت حتفها. ولدينا شاهد
أشار إلى أن شقيقك هو القاتل". نظر إلى تروند حين قال الكلمة الأخيرة
ورأى تفاحة آدم في عنقه ترتفع تحت جلده الشاحب. في الصمت اللاحق،
استطاعوا سماع مذياع في الشقة المجاورة.

سعل هاري وأضاف: "إذا كان هناك أي شيء يمكن أن نخبرنا به،

فسنكون شاكرين كثيراً".

هزّ تروند رأسه.

جلسا بضع لحظات، ثم نهض هاري وقال: "لا بأس. تعرف أين تجدنا
إذا فكّرت في شيء".

في الخارج على الدرجات، لم يبدُ تروند متعباً كما كان حين وصلا.
نظر هاري بعينه الحمراءوين إلى الشمس المنخفضة التي تبرز بين الغيوم.
"أعرف أن هذا ليس سهلاً عليك، لكن ربما حان وقت خلع السترة
الحمراء".

لم يرد غريت، وآخر ما شاهدها حين كانا يخرجان من موقف

السيارات هو غريت يقف على العتبة يعبث بالخاتم الماسي حول إصبعه
الصغيرة، ونظرة خاطفة من وجه أسمر متغصّن خلف نافذة الجارة.

انقشعت السحب في المساء. توقف هاري في أعلى دوفرغاتا في طريقه

إلى المنزل من شرودر وحدّق إلى الأسفل. تلالأت النجوم في السماء التي
غاب عنها القمر. كان أحد الأضواء طائرة تحلق شمالاً نحو مطار غاردمون.

سديم رأس الحصان في كوكبة الجوزاء. سديم رأس الحصان. الجوزاء. من

كان قد أخبره بذلك؟ تساءل إن كانت أنا.

عندما عاد هاري إلى شقته، شغل التلفاز لي شاهد أخبار أن. أر. كيه.

وشاهد حكايات بطولية عن رجال إطفاء أميركيين. بعد ذلك أوقف هاري التلفاز عن العمل، وساد السكون المكان حتى إنه سمع صوت رجلٍ ينادي امرأة في الشارع، وبدا ثملاً. فتش هاري في جيوبه ليعثر على الملاحظة التي كان قد كتب عليها رقم راكيل الجديد، واكتشف أنه لا يزال يحتفظ بالمفتاح والقطعة المعدنية ذات الحرفين آيه. آيه. فوضعه في درج طاولة الهاتف قبل أن يتصل بالرقم، ولكن، لم يرد أحد. عندما رنَّ الهاتف، لم يكن واثقاً أنها هي؛ وبدلاً من ذلك سمع أويستن عبر خط مشوش.

"تباً، الطريقة التي يقودون بها هنا!"

"لا داعي للصراخ يا أويستن."

"إنهم يحاولون قتلي على الطرقات هنا! ركبت سيارة أجرة من شرم

الشيخ. رحلة رائعة، كما ظننت؛ مباشرة عبر الصحراء، لا يوجد ازدحام مروري، وطريق مستقيمة. يا للهول، كنت مخطئاً. يمكنني أن أخبرك أنه إنجاز أنني حي. وأشعر بحرّاً شديداً! وهل سمعت الجنادب هنا؛ صراير الصحراء؟ يصدر عنها أعلى صوت جنادب في العالم. يخترق القشرة الدماغية مباشرة، وهذا شيء مروّع جداً. الماء هنا مدهش أيضاً. رائع! صافٍ تماماً مع مسحة من لون أخضر. حرارة الجسد، حتى إنك لا تشعر به. خرجت أمس من البحر ولم أكن واثقاً إن كنت في...".

"انس درجة حرارة البحر يا أويستن. هل وجدت المخدّم؟"

"نعم ولا".

"ماذا يعني ذلك؟"

لم يحصل هاري على جواب. كان واضحاً أن نقاشاً على الطرف الآخر قد قاطعهما. سمع هاري كلمات مثل "المدير" و"المال".

"هاري؟ آسف، الرجل هنا مرتاب قليلاً. وأنا أيضاً. أعني أنني أشعر بحرّاً شديداً! لكن أظن أنني قد عثرت على المخدّم المطلوب. هناك دائماً احتمال أنهم يحاولون خداعي، لكن غداً سأرى المكان وأقابل المدير شخصياً. ثلاث دقائق على لوحة المفاتيح وسأعرف إن كان هو المطلوب. والباقي مسألة مال فحسب. أمل ذلك. أتصل بك غداً. يجب أن ترى السكاكين التي يمتلكها هؤلاء البدو هنا...".

بدت ضحكة أويستن جوفاء.

كان آخر شيء فعله هاري قبل أن يُظلم المكان هو رؤية الموسوعة.

كان سديم رأس الحصان سحابة داكنة لا يُعرف الكثير عنها، ولا عن الجوزاء أيضاً، باستثناء أنها تُعدُّ واحدة من أجمل الأبراج الفلكية. كان

الجوزاء شخصية أسطورية إغريقية، تيتان (أحد أفراد أسرة الجبابرة التي حكمت العالم القديم قبل أسياذ الأوملب) وصياداً ماهراً. أغوته إيوس (سيدة الفجر عند الإغريق) مما أغضب آرميس (سيد القمر والصيد عند الإغريق) فقتله. آوى هاري إلى النوم وهو يشعر أن شخصاً يفكر فيه. عندما فتح عينيه في صباح اليوم التالي شعر بأن أفكاره مبعثرة تماماً، وتمثل لمحات وأجزاء ممزقة من مشاهد شبه منسية. بدا الأمر كأن شخصاً قد فتش ذهنه، والمحتويات التي كانت مرتبة بعناية في أدراج وخزائن منثورة في كل مكان. لا بدّ من أنه كان يحلم. رنّ الهاتف في الردهة وقتاً طويلاً. أرغم هاري نفسه على الخروج من السرير. كان أويستن مجدداً: في مكتب في الطور.

قال: "لدينا مشكلة".

1 السديم: سديم الظلام في كوكبة الجوزاء. المحرر.

ساو باولو

شكّل فم راسكول وشفته ابتسامة لطيفة، ولهذا كان من المستحيل معرفة إن كانت ابتسامة لطيفة حقاً أم لا. خمّن هاري أنها ليست كذلك. قال راسكول: "إذاً، لديك صديق في مصر يبحث عن رقم هاتف". لم يتمكن هاري من معرفة إن كانت النبوة تهكّمية أم واقعية.

قال هاري، وهو يفرك راحة يده على ذراع كرسيه: "الطور". شعر بانزعاج شديد؛ لا لأنه كان يجلس في غرفة الزوّار النظيفة مجدداً، لكن بسبب ما سيقوله. كان قد فكّر في كل الخيارات: الحصول على قرض شخصي، إيداع بيارني مولر سرّه، بيع الفورد إسكورت للمرأب الذي يقوم بإصلاحها فيه دائماً. لكن تلك كانت الفرصة الواقعية الوحيدة، والطريقة المنطقية الوحيدة للمضي قدماً. كان ذلك جنوناً.

قال هاري: "رقم الهاتف ليس رقماً ببساطة. سيقودنا إلى الزبون الذي أرسل البريد الإلكتروني إليّ. الرسائل الإلكترونية التي تثبت أنه يعرف تفاصيل عن موت آنا لم يكن ليعرفها لو لم يكن موجوداً قبل وفاتها بوقت قصير". "ويقول صديقك إن مالكي مزود خدمة الإنترنت طلبوا 60.000 جنيه مصري. وهذا كل شيء؟".

"120.000 كرون تقريباً".

"التي تظن أنني يجب أن أمنحك إياها؟".

"لا أظن شيئاً. أقول لك فحسب كيف يبدو الوضع. هم يريدون المال وأنا لا أملكه".

مرّر راسكول إصبعاً على شفته العليا وقال: "لماذا يجب أن تكون تلك مشكلتي يا هاري؟ عقدنا اتفاقاً والتزمت بجانبني منه".

"سأنفذ جانبني، لكن الأمر سيستغرق وقتاً أطول من دون مال".

هزّ راسكول رأسه، ثمّ فتح ذراعيه وتمتم شيئاً بلغة افترض هاري أنها غجرية. كان أويستن شديد الإلحاح عبر الهاتف. لم يكن هناك شك في أنهم قد عثروا على المخدّم المطلوب، كما قال، لكنه كان قد تخيل شيئاً عتيقاً صدناً في سقيفة، يئز لكنه يعمل، وتاجر خيول يعتمر عمامة ويريد ثلاثة جمال وعلبة من لفائف تبغ أميركية. بدلاً من ذلك، ذهب إلى مكتب مكيف حيث كان المصري الشاب خلف طاولة قد نظر إليه عبر نظارة إطارها فولاذي وأخبره أن الثمن غير قابل للتفاوض، والدفع بأوراق نقدية لا يمكن تعقبها، والعرض قائم لمدة ثلاثة أيام.

"أفترض أنك فكّرت في العواقب إذا تسرب أنك كنت تتلقى أموالاً من شخص مثلي وأنت في الخدمة؟".

قال هاري: "لست في الخدمة الآن".

ضرب راسكول أذنيه براحتي كفيه وقال: "يقول صن تزو إنك إذا لم تتحكم بالأحداث، فإنها ستتحكم بك. ليست لديك أي سيطرة على الأحداث أيها السيوني. هذا يعني أنك قد أخطأت. لا أحب الأشخاص الذين يقترفون أخطاء. لهذا، لدي اقتراح. سنجعل هذا بسيطاً لكلا الطرفين. تعطيني اسم هذا الرجل وسأتكفل بالباقي".

"لا!". ضرب هاري يده بقوة على الطاولة وتابع: "لا أريد أن يهاجمه أحد أشقيائك. أريده أن يبقى بأمان تام".

"تدهشني أيها السيوني. إذا كنت قد فهمتك على نحو صحيح، فأنت في موقف حسّاس الآن. لماذا لا تدع العدالة تأخذ مجراها بأسهل طريقة ممكنة؟".

"لا تآر. كان ذلك اتفاقنا".

ابتسم راسكول وقال: "أنت أحمق عنيد يا هول. أحب ذلك. وأحترم الاتفاقيات. لكنك بدأت تخفق الآن. كيف أثق أنه الرجل المطلوب؟".

"لقد حظيت بفرصة التوثق من أن المفتاح الذي وجدته في الشاليه مطابق لمفتاح آنا".

"وجئت إلي تطلب العون مجدداً. لهذا يجب أن تمنحني شيئاً إضافياً".

ابتلع هاري ريقه وقال: "عندما وجدت آنا، كانت هناك صورة في حذائها".

"تابع".

"أظن أنها استطاعت وضعها هناك قبل أن يطلق القاتل النار عليها. إنها صورة أسرة القاتل".

"هل ذلك كل شيء؟".

"نعم".

هزّ راسكول رأسه، ثمّ نظر إلى هاري وهزّ رأسه مجدداً.

"لا أعرف من الأشدّ غباءً هنا: أنت؛ لأنك تسمح لصديقك أن يخدعك. صديقك، الذي يظن أن بمقدوره الاختباء بعد أن يسرق المال منك...". تنهّد وعمق وتابع: "أم أنا؛ لأنني سأمنحك المال".

اعتقد هاري أنه سيشعر بسعادة أو ارتياح على الأقل، لكن بدلاً من ذلك، شعر بغصة شديدة وقال: "إذاً، ماذا تريد أن تعرف؟".

"فقط اسم صديقك والمصرف في مصر حيث يريد المال".
"ستحصل على ما تريده بعد ساعة". وقف هاري على قدميه.
فرك راسكول معصميه كأنه قد نزع الأغلال عنهما، ثم قال بصوت
منخفض من دون أن ينظر إليه: "أمل ألا تظن أنك تفهمني أيها
السيبوني".

توقف هاري. "ماذا تعني؟".
"أنا غجري. هل تعرف أن عالمي قد يكون مقلوباً؟".
"لا".

"غريب، أليس كذلك؟ عندما تبيع روحك، فمن الأفضل أن تعرف إلى
من تبيعها أيها السبوني".

* * *

ظنّ هالفورسن أن هاري يبدو مجهداً.
قال هاري وهو يسترخي على كرسي مكتبه: "عرّف مجهد، أو في الواقع
لا تفعل".

عندما سأل هالفورسن هاري كيف تجري الأمور وطلب هاري منه أن
يعرّف تجري، تنهّد هالفورسن وخرج من المكتب ليجرّب حظه مع إلمار.
اتصل هاري بالرقم الذي كان قد تلقاه من راكيل، لكنه سمع مجدداً
الصوت الروسي الذي افترض أنه يخبره أنه يخطئ الهدف عادة. لهذا اتصل
ببيارني مولر وحاول منح مديره الانطباع أنه لم يضلّ السبيل، لكن مولر لم
يبدُ مقتنعاً.

"أريد أخباراً جيدة يا هاري، لا تقارير عن الطريقة التي كنت تُمضي
فيها وقتك".

دخلت بتي وقالت إنها قد شاهدت الفيديو عشر مرات إضافية ولم
يعد لديها شك في أن المسرّع وشتاين غريت كانا يعرفان بعضهما بعضاً.
"أظن أن آخر شيء قاله لها هو إنها ستموت. يمكن رؤية ذلك في عينيها.
تحذّر وخوفٌ في الوقت نفسه، مثل أفلام الحرب تماماً حيث ترى المقاتلين
مصطفين ومستعدين للموت".

توقفت عن الكلام.

"مرحباً؟"، لوّحت بيدها أمام عينيه، "تبدو مجهداً".

اتصل بأون.

"أنا هاري. كيف يتصرف الناس حين يعرفون أنهم سيُعدمون؟".
ضحك أون بصوتٍ خافت وقال: "إنهم يركّزون على الوقت".

"ويخافون؟ يصابون بالذعر؟".

"ما نوع الإعدام الذي نتكلم عنه؟".

"إعدام علني، في مصرف".

"فهمت. سأتصل بك مجدداً بعد دقيقتين".

أمعن هاري النظر إلى ساعته وانتظر. استغرق الأمر 120 ثانية.

قال أون: "عملية الموت، مثل عملية الولادة تماماً، مسألة جوهريّة. ما يجعل أشخاصاً في مثل تلك المواقف يرغبون في التواري عن الأنظار فطرياً ليس أنهم يشعرون بأن لا حول لهم ولا قوة فقط. الموت أمام أنظار آخرين، في عملية إعدام علنية، عقاب مضاعف؛ لأنه إهانة لاحتشام الضحية بأقصى طريقة ممكنة. كان ذلك أحد الأسباب التي تجعل عمليات الإعدام العلنية أكثر تأثيراً في العامة في منع الإجرام من الإعدام في زنزانة معزولة. هناك بعض الأمور التي تؤخذ في الحسبان، بأي حال، مثل إلزام الجلاد وضع قناع. لم يكن ذلك يهدف، كما ظن كثيرون، إلى إخفاء هوية الجلاد؛ كان الجميع يعرفون أنه الجزّار أو الحبال المحلي. كان القناع مراعاة للشخص المدان، حتى لا يشعر بأن غريباً قريباً منه في لحظة الموت".

"مم. كان سارق المصرف يضع قناعاً أيضاً".

"استخدام القناع حقلاً كاملاً من أبحاث علم النفس. مثلاً، يمكن قلب النظرية الحديثة التي تفيد بأن وضع قناع يحرمنا من الحرية رأساً على عقب. يمكن للأقنعة أن تجرد الشخص من هويته مما يجعله يشعر بالحرية. إلى ماذا تعزو بخلاف ذلك ميزة شيوع حفلات التنكر في العصر الفيكتوري؟ لدى سارق مصرف، من ناحية أخرى، أسباب أكثر واقعية لوضع قناع طبعاً".

"ربما".

"ربما؟".

تنهد هاري: "لا أعرف".

"تبدو...".

"متعباً. أراك لاحقاً".

تحرك موقع هاري على الأرض ببطء مبتعداً عن الشمس وأصبح الأصيل أكثر حلّة. لمع الليمون خارج متجر علي مثل نجوم صفراء صغيرة، وهطل رذاذ خفيف من المطر بصمت حين كان هاري يمشي إلى بوابة صوفي. كان الأصيل قد انقضى في ترتيب تحويل المال إلى الطور. لم تكن تلك مهمة صعبة. كان قد تحدث إلى أويستن، أخذ رقم جواز سفره إضافة

إلى عنوان المصرف بجانب الفندق الذي يقيم فيه، ونقل المعلومات عبر الهاتف إلى صحيفة نزل السجن ريتورنغ فانطوم (الشبح العائد)، حيث كان راسكول يعمل على كتابة مقال عن صن تزو. ثم أضحى الأمر ببساطة مسألة انتظار.

كان هاري قد وصل إلى الباب الأمامي وعلى وشك أن يبحث عن المفاتيح حين سمع وقع خطوات على الرصيف خلفه، لكنه لم يستدر. ليس حتى سمع الهرير (صوت الكلب عندما يكشّر عن أنيابه من دون أن ينبج) خلفه. في الواقع، لم يتفاجأ. إذا سخّنت قدر ضغط، تعرف أن شيئاً يجب أن يحدث عاجلاً أم آجلاً.

كان وجه الكلب أسود مثل الليل ويتناقض مع بياض الأنياب المكشوفة. أظهر الضوء الخافت من المصباح فوق الباب الأمامي وشلاً (خيلاً ربيعاً) من لعاب يسيل من ناب ضخّم لامع. قال صوت مألوف من الظلال عند مدخل المرأب على الطرف الآخر من الشارع الضيق الهادئ: "اجلس!". وضع الروتويلر بتردد الجزء الخلفي من جسده العريض القوي على الإسمنت الرطب، لكن عينيه البنيتين اللامعتين، البعيدتين كل البعد عن عيني الجرو اللطيف اللتين يمكن أن تتخيلهما، لم تفارقا هاري قط.

غطى ظل القبعة وجه الرجل الذي اقترب منه. "مساء الخير يا هاري. أتخاف من الكلاب؟". نظر هاري نحو الأسفل إلى الفك الأحمر أمامه. وطفّت معلومة صغيرة على السطح: كان الرومان قد استخدموا أسلاف الروتويلر في غزو أوروبا، ثم ردّ عليه: "لا، ماذا تريد؟".

"أقدم لك عرضاً. عرضاً... ما العبارة مجدداً؟". "لا بأس بذلك، قدّم العرض يا ألبو". "هدنة". رفع آرنيه ألبو طرف قبعته، وحاول أن يرسم ابتسامته الصبانية على وجهه، لكن ذلك لم ينجح كما في المرة السابقة، وأضاف: "تبقى بعيداً عني وأبقى بعيداً عنك".

"مثير للاهتمام. وماذا ستفعل لي يا ألبو؟". "أوماً ألبو نحو الروتويلر، الذي لم يكن يجلس وإنما يجثم مستعداً للقفز وقال: "لدي أساليبي. ولا أفترق تماماً إلى المصادر". "مم". ربت هاري على جيب سترته بحثاً عن لفائف التبغ، لكنه

توقف حين أصبح الهرير مخيفاً، وقال: "تبدو مجهداً يا أبو. هل كل ذلك الهروب يتعبك؟".

هزّ أبو رأسه وقال: "ليس أنا من يهرب يا هاري. إنما أنت من يفعل ذلك".

"أوه؟ تهديدات مبطنّة ضد رجل شرطة في مكان عام. أدعو تلك علامات إرهاق. لماذا لم تعد تريد أن تلعب؟".
"ألعب؟ هل ترى الأمر على تلك الحال؟ أتراه نوعاً من اللعب بمصير البشر".

رأى هاري الغضب في عيني آرنيه أبو، وشيئاً آخر أيضاً. كان فكّاه يتحرّكان وقد برزت الأوعية الدموية في صدغيه وجبينه. كان ذلك يأساً. همس من دون أن يحاول الابتسام: "هل تدرك ما كنت قد فعلته؟ لقد هجرتني. لقد... أخذت الأولاد معها ورحلت. بسبب علاقة بائسة. لم تكن أنا تعني شيئاً لي".

وقف آرنيه أبو قريباً من هاري وأضاف: "التقيت بآنا حين كان أحد أصدقائي يصطحبني في جولة في أرجاء معرضه وكان لديها بالمصادفة لوحات خاصة هناك. اشتريت اثنتين من لوحاتها، ولا أعرف حقاً السبب. قلت إنهما للمكتب. بالطبع لم تُعلّقاً قط في أي مكان. عندما ذهبت لأجلب اللوحتين في اليوم التالي، تبادلت وأنا أطراف الحديث ودعوته فجأة إلى الغداء، ثم العشاء بعد ذلك. وبعد أسبوعين كانت رحلة العطلة الأسبوعية إلى برلين. خرجت الأمور عن السيطرة. كنت عالماً ولم أقم حتى بمحاولة لتخليص نفسي. ليس حتى اكتشفت فيغديس ما كان يجري وهدّدت بهجري".
كان صوته قد بدأ يرتعش.

"وعدتُ فيغديس أنها كانت مرة واحدة فقط، وأن الافتنان الأحمق هو الذي يجعل رجالاً في مثل عمري يفعلون ذلك أحياناً حين يلتقون بامرأة شابة. ذكّرني بما كان الأمر عليه سابقاً؛ أن تكون يافعاً وقويّاً ومستقلاً. لكن أنت لم تعد كذلك؛ مستقلاً على أقل تقدير. عندما يكون لديك أبناء، ستعرف...".

اختفى صوته وكان يتنفس بصعوبة. دسّ يديه في جيبي معطفه وتابع:
"كانت أنا حبيبة عاطفية. خرجت العلاقة عن نطاق المألوف. بدت وكأنها لا تستطيع التخلي عني. اضطرتت إلى الهرب منها بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ومزّقت إحدى ستراي حين كنت أحاول الخروج من الباب. أظن أنك تعرف ما أعنيه. أخبرتني مرة كيف كانت حالتها بعد أن

تركتها. كادت تنهار".

تفاجأ هاري جداً ولم يستطع الرد.

تابع آلبو: "لكنني شعرت على الأرجح بالأسى عليها. وإلا ما كنت قد وافقت على لقائها مجدداً. قلت بكل وضوح إن العلاقة انتهت بينما، لكنها أرادت أن تعيد إلي بضعة أشياء، كما قالت. لم أكن أعرف أنك ستأتي وتفسد كل شيء. بدا أننا قد... عدنا من حيث توقفنا"، أحنى رأسه ثم تابع: "فيغدس لا تصدقني. تقول إنها لن تستطيع أن تثق بي مجدداً، ليس بعد الآن".

رفع وجهه ورأى هاري يأساً في عينيه، ثم تابع قائلاً: "أخذت الشيء الوحيد الذي أملكه يا هاري. إنهم كل ما بقي لي. لا أعرف إن كان بمقدوري استعادتهم". اختلجت قسمات وجهه ألماً.
فكر هاري في قدر الضغط. أي لحظة الآن.
"الفرصة الوحيدة أمامي هي إذا... إذا لم...".

تصرف هاري بشكل فطري حين رأى يد آلبو تتحرك في جيب معطفه. ركل بقدمه فأصاب ركبة آلبو ما جعله يجثو على الرصيف. أدار هاري ساعده نحو وجه الروتويلر حين هاجمه، سمع صوت القماش يتمزق وشعر بالأسنان تخترق جلده، وتصل إلى اللحم. تمنى أن يعلق فكاه، لكن الوغد القاسي أفلته. سدّد هاري قدماً إلى الكتلة السوداء من العضلات العارية وأخطأها. سمع مخالبه تصرُّ على الإسفلت حين دفع نفسه نحوه ورأى الفكين مفتوحين للقاءه. كان أحدهم قد أخبره أن الروتويلر يعرف قبل أن يبلغ عمره الثلاثة أسابيع أن الطريقة الأكثر فاعلية في قتل شخص ما هي تمزيق الحنجرة، وكانت آلة العضلات التي يبلغ وزنها سبعين كيلوغراماً آنذاك قد تجاوزت ذراعيه. استفاد هاري من الزخم الذي منحته إياه الركلة ودار حول نفسه. أطبق الكلب فكّيه على عنقه، لا حول حنجرتة. لم يعن ذلك أن مشكلاته قد انتهت. مدّ يديه إلى الخلف وأمسك الفك الأعلى بيد والأسفل بالأخرى وسحب بكل قوته. بدلاً من أن يُفتح، بأي حال، أطبق الفكّان مليمترات أخرى إضافية في عنقه. كانت أوتار فكّي الكلب وعضلاته مثل فولاذ. اندفع هاري إلى الخلف ورمى بنفسه على الجدار. سمع أضلاع الكلب تتحطم، لكن الفكّين لم يفتحا، ولذلك شعر بفزع رهيب. كان قد سمع عن إطباق الفكين، عن الضبع الذي بقي فكاه مشدودين حول عنق الأسد بعد وقت طويل من قيام اللبوة بتمزيقه إلى قطع صغيرة. شعر بالدم الحار يسيل على عنقه داخل قميصه، واكتشف أنه قد خرّ على

ركبتيه. هل بدأ كل شيء يبدو غير منطقي؟ أين الجميع؟ كانت بوابة صوفي شارعاً هادئاً، لكن هاري لم يكن قد رآها مقفرة مثل ذلك الوقت، كما فكّر. خطر له كيف أن كل شيء قد حدث بصمت، من دون صرخات، أو نباح، وإمّا صوت اللحم على اللحم وتمزيق اللحم فقط. حاول أن يصرخ، لكنه لم يستطع أن يُخرج صوتاً. كان مجال رؤيته قد بدأ يصبح داكناً عند الأطراف، وعرف أن هناك ضغطاً على أحد الشرايين، وأن بصره يضعف؛ لأن دماغه لا يتلقى دماً كافياً. كان الليمون اللامع خارج متجر علي يفقد بريقه. ظهر شيء أسود وباهت ورطب وارتطم بوجهه. تذوق الحصى. بعيداً، استطاع سماع صوت آلبو: "أفلته!".

خُفّ الضغط حول عنقه. تحرك موقع هاري على الأرض ببطء مبتعداً عن الشمس وحل ظلام دامس حين سمع شخصاً يقول: "هل أنت حي؟ هل يمكنك سماعي؟".

ثم سمع طقطقة فولاذية قريبة من أذنه. أجزاء بندقية... سحب زناد. "تب...". سمع تأوهاً عميقاً وصوت قيء ينزل على الإسفلت. مزيد من الطقطقات الفولاذية. تحرير قفل أمان... بعد بضع ثوانٍ سينتهي كل شيء. كان ذلك ما شعر به. ليس اليأس - ليس الخوف - ولا حتى الأسى؛ راحة فقط. لم يكن هناك شيء يتركه خلفه. كان آلبو يستنفد وقته؛ وقتاً كي يدرك هاري أن هناك شيئاً بالمحصلة، شيئاً كان يتركه خلفه. ملأ رثيته هواءً. امتصت شبكة الشرايين الأوكسجين ودفعتها إلى الدماغ.

شرع الصوت يقول: "الآن..."، لكنه توقف فجأة حين ضربت قبضة هاري الحنجرة.

نهض هاري على ركبتيه. لم تكن قد بقيت لديه قوة كبيرة. حاول البقاء صاحباً حين كان بانتظار الهجوم الأخير. مرّت ثانية، ثانيتان، ثلاث... وقد ملأت رائحة القيء أنفه. ظهرت مصابيح الشارع فوقه، وبدأت الطريق خالية، مقفرةً، إلا من رجل يستلقي بجانبه يرتدي سترة زرقاء مخططة وما بدا أنها ياقة ثوب نوم تبرز من العنق، يقرقر. لمع الضوء على معدن. لم تكن بندقية، وإمّا ولاعة. رأى هاري عندها فقط أن الرجل لم يكن آرنيه آلبو، وإمّا تروند غريت.

جلس هاري، يحمل كوباً من الشاي الساخن جداً في يده، إلى طاولة المطبخ قبالة تروند، الذي كان لا يزال يتنفس بصعوبة ويصفر، وعيناه المتورمتان المدعورتان تجحطان من جمجمته. بالنسبة إليه، كان يشعر بدوار وغثيان، والألم في عنقه ينبض مثل حروق.

قال هاري: "اشرب. يوجد كثير من الليمون فيه. إنه يخدر العضلات ويرخيها حتى تستطيع التنفس بسهولة أكبر".
أطاع تروند. لاندهاش هاري العارم، بدا أن الشراب يجدي نفعاً. بعد بضع رشقات ونوبتي سعال عاد بعض اللون إلى وجنتي تروند الشاحبتين.
صفر: "تبدو فزيعاً".
"عفواً؟". استرخى هاري على كرسي المطبخ الآخر.
"تبدو فطيحاً".

ابتسم هاري وتحسس المنشفة التي كان قد ربطها حول عنقه. كانت مبللة بالدم آنذاك. "ألهدا السبب تقيأت؟".
قال تروند: "لا أتحمل منظر الدم. حاولت...". حرّك عينيه.
"حسنأ، كان يمكن أن يصبح الأمر أسوأ. أنقذتني من الموت".
هزّ تروند رأسه وقال: "كنت بعيداً حين رأيتك. صرخت فحسب. لست واثقأ إن كان ذلك ما جعله يطلب من الكلب الابتعاد. آسف لأنني لم أحصل على رقم اللوحة، لكنني رأيت الجيب الشيروكي التي الذي هربا فيه".

أنهى هاري ذلك بأن لوّح بيده: "أعرف من هو".
"أوه؟".

"إنه مشتبه فيه. لكن ربما من الأفضل أن تخبرني ماذا كنت تفعل هنا يا غريت".

نقر تروند على كوب الشاي بعصبية وقال: "يجب أن تذهب إلى المستشفى بالتأكد لمعالجة ذلك الجرح".
"سأفكر في ذلك. هل أمعنت التفكير في الأمر منذ تكلمنا آخر مرة؟".
أوماً تروند ببطء.
"وإلى أي نتيجة توصلت؟".

"لم يعد بمقدوري مساعدته". كان صعباً على هاري أن يحدد إن كان التهاب الحنجرة فقط هو الذي جعل تروند يهمس الجملة الأخيرة أم لا.
"إذاً، أين شقيقك؟".
"أريدك أن تقول له إنني أنا من أخبرك، وهو سيفهم".
"حسنأ".

"بورتو سيغورو".

"أين؟".

"إنها بلدة في البرازيل".

تغصن أنف هاري وقال: "لا بأس. كيف سنجده هناك؟".
"أخبرني فقط أن لديه منزلاً هناك. رفض أن يعطيني عنواناً، واكتفى
برقم هاتف".

"لماذا؟ ليس رجلاً مطلوباً؟".
"لست واثقاً أن ذلك صحيح". تناول تروند رشفة أخرى وتابع: "بأي
حال، قال إنه من الأفضل ألا يكون لدي عنوانه".
"هل هي بلدة كبيرة؟".
"نحو مليون، وفقاً لما قاله ليف".
"حسناً. ليس لديك شيء آخر؟ أشخاص آخرون يعرفونه وقد يكون
لديهم عنوانه؟".

تردد تروند قبل أن يهز رأسه.
قال هاري: "قلها".
"ذهبت وليف لتناول القهوة آخر مرة التقينا فيها في أوصلو. قال إن
مذاقها أسوأ من المعتاد، وإنه اعتاد على تناول كافزينهو (قهوة تقليدية
برازيلية) في مقهى محلي؟".
"مقهى؟ حيث يحتسون القهوة العربية؟".

"صحيح. كافزينهو نوع من الإسبرسو البرازيلي القوي. يقول ليف إنه
يذهب إلى هناك يومياً. يشرب قهوة، ويدخن نرجيلة، ويلعب دومينو مع
المالك السوري الذي كان قد أصبح صديقه نوعاً ما. أتذكر اسمه؛ محمد
علي، مثل اسم الملاك".
"وخمسون مليون عربي آخر. هل قال شقيقك أي مقهى هو؟".
"على الأرجح، لكنني لا أتذكر. لا يمكن أن تكون هناك مقاهٍ كثيرة في
بلدة برازيلية، أليس كذلك؟".

"ربما لا". أمعن هاري التفكير. إنه بالتأكيد شيء ملموس يمكن العمل
عليه. كان على وشك أن يضع يداً على جبينه، لكن عندما حاول أن يرفع
يده ألمه عنقه.

"سؤال أخير يا غريت. ما الذي جعلك تقرر أن تخبرني بهذا؟".
أدار تروند كوب الشاي مرات عدّة ثم قال: "عرفت أنه كان هنا في
أوصلو".

شعر هاري أن المنشفة مثل حبل ثقيل ملتف حول عنقه وقال:
"كيف؟".

حكّ تروند ذقنه وقتاً طويلاً قبل أن يجيب: "لم نكن قد تكلمنا منذ

أكثر من سنتين. اتصل بي فجأة وقال إنه في البلدة. التقينا في مقهى
وتحدثنا مطولاً. هكذا جاء ذكر القهوة".
"متى كان ذلك؟".

"قبل ثلاثة أيام من سرقة المصرف".
"ما الذي تحدثتما حوله؟".

"كل شيء، ولا شيء. عندما تعرف شخصاً وقتاً طويلاً مثلنا، تصبح
الأشياء الكبيرة معروفة جيداً ولا تتكلم إلا في ما يتعلق بأشياء صغيرة.
عن... ورود الرجل العجوز... وغير ذلك".
"ما نوع الأشياء الكبيرة؟".

"أشياء حدثت كان من الأفضل ألا تحدث، وأشياء قيلت كان من
الأفضل ألا تُقال".

"إذاً، تكلمتما عن الورد بدلاً من ذلك؟".

"اعتنيت بالورد حين بقيت مع شتاين في المنزل. كان ذلك حيث
ترعرعنا أنا وليف". عض شفته السفلى، وكانت نظرتة ثابتة على المشمّع
البنّي والأبيض، وهو الشيء الوحيد الذي كان هاري قد أخذه حين توفيت
والدته.

"لم يقل شيئاً عن السرقة؟".

هزّ تروند رأسه نافياً.

"أنت تدرك أن السرقة قد حُطط لها في ذلك الوقت، وأن مصرف
زوجتك كان سيتعرض للسطو؟".

تنهد تروند بعمق وقال: "لو كانت تلك هي الحال، لربما كنت عرفت
وحاولت منع ما حدث. كان ليف يستمتع بإخباري عن سرقاته للمصارف،
كما تعرف. حصل على نسخ من أفلام الفيديو، التي كان يحتفظ بها في
العلية في ديزنغرندا، ويصرُّ بين الحين والآخر على أن نشاهدها معاً؛ لأرى
ذكاء شقيقي الأكبر. عندما تزوجت شتاين وبدأت أعمل، أوضحت بجلاء
أنني لن أستمع إلى أيّ من خططه، وقد وضعني ذلك في موقف صعب".
"إذاً، لم يكن يعرف أن شتاين تعمل في المصرف؟".

"كنت قد أخبرته أنها تعمل في نوردي، لكن ليس الفرع. لا أظن
ذلك".

"لكنهما كانا يعرفان بعضهما؟".

"كانا قد التقينا مرات عدّة، نعم. بضعة اجتماعات أسرية. لم يكن ليف
يحب تلك اللقاءات كثيراً".

"كيف كانت علاقتهما؟".

"حسناً، يستطيع ليف أن يكون فاتناً حين يريد"، ابتسم تروند ابتسامة ساخرة وأضاف: "كما قلت، نتشاطر مجموعة واحدة من المورثات. كنت سعيداً؛ لأنه أزعج نفسه بإظهار الجانب الطيب لها. وشعرت هي بالحبور؛ لأنني كنت قد أخبرتها كيف يمكن أن يتصرف مع أشخاص لا يعجبونه. أخذها أول مرة جاءت إلى منزلنا في جولة في حيننا وأراها كل الأماكن التي كنت قد لعبت أنا وهو فيها حين كنا صغيرين".

"ولكن ليس إلى جسر المشاة كما أظن؟".

"لا، ليس ذلك"، رفع تروند يديه مكتئباً ونظر إليهما وتابع: "لكنك لن تصدق أنه فعل ذلك من أجل نفسه. كان ليف يشعر بسعادة عارمة حين يتكلم عن كل الأشياء السيئة التي سبق وفعلها، لكنه كان يعرف أنني لا أريدها أن تعلم أن لدي شقيقاً مثله".

"مم. ألا تظن أنك ترسم لوحة لشقيقك أكثر نبلاً مما يستحق؟".

هزّ تروند رأسه وقال: "لدى تروند جانب مظلم وآخر مشرق. مثلنا جميعاً. سيموت من أجل أولئك الذين يحبهم".

"لكن ليس في السجن؟".

فتح تروند فمه، لكنه لم ينبس ببنت شفةٍ وبدلاً من ذلك اختلج جلده تحت عينه. تنهّد هاري ووقف بصعوبة، ثمّ قال: "يجب أن أستقل سيارة أجرة إلى متجر آيه. آند إي".

قال تروند: "لدي سيارة".

* * *

دار المحرك بهدوء، وبدأ هاري يحدّق إلى مصابيح الشارع التي يمرّان بجانبها تحت سماء الليل المظلمة، ولوحة القيادة والخاتم الماسي الذي يتلألأ حول إصبع تروند الصغرى وهو يمسك المقود.

همس هاري: "كذبت بشأن الخاتم الذي تضعه. الماسة أصغر من أن تكلف ثلاثين ألفاً. أظن أنها تكلف نحو خمسة آلاف وأنت اشتريتها لشتاين من تاجر مجوهرات هنا في أوصلو. هل أنا محق؟".

أوماً تروند.

"التقيت ليف في ساو باولو، أليس كذلك؟ كان المال من أجله".

أوماً تروند مجدداً.

قال هاري: "مالٌ كافٍ لجعله يستمر في عمله. كافٍ لتذكرة طائرة حين يقرر العودة إلى أوصلو للقيام بعمل آخر".

لم يردّ تروند.

همس هاري: "ليف لا يزال في أوسلو. أريد رقم هاتفه الخلوي."
"هل تعرف أمراً؟..."، انعطف تروند بحرص يميناً بجانب ألكسندر
كيلاندز بلاس وتابع: "حلمت الليلة الماضية أن شتاين جاءت إلى غرفة النوم
لتتحدث إليّ. كانت ترتدي ملابس جميلة، من نوع الثياب التي ترتديها في
الاحتفالات. قالت إن مكانها ليس هناك. وعندما استيقظت، فكّرت في ليف.
فكّرت فيه يجلس على حافة سطح المدرسة وساقاه تتدليان إلى الأسفل
ونحن في طريقنا إلى الدرس التالي. كان نقطة صغيرة، لكنني أتذكر ما كنت
أفكر فيه".

بقشيش

كان ثلاثة أشخاص يجلسون في مكتب إيفارسون: إيفارسون، خلف الطاولة المرتبّة، وكلّ من بتي وهاري على كرسي منخفض قليلاً. خدعة الكراسي المنخفضة تقنية سيطرة معروفة جيداً ويمكن للمرء أن يُعذر إذا ظنّ أنها لم تعد تستخدم، لكن إيفارسون كان بارعاً. كانت خبرته تفيد بأن التقنيات الأساسية لا تصبح عتيقة أبداً.

كان هاري قد دفع كرسيه إلى الخلف حتى يستطيع أن ينظر إلى خارج النافذة. كان المنظر يطل على فندق بلازا. طافت غيوم دائرية فوق البرج الزجاجي والبلدة من دون أن يهطل منها أي مطر. لم ينم هاري، بالرغم من أنه قد تناول مسكّنات بعد حقنة الكزاز التي تلقاها في المستشفى. كان التوضيح الذي قدّمه لزملائه عن كلب وحشي شارد مُقنعاً كفاية ليكون موثوقاً وقريباً كفاية من الحقيقة؛ كي يستطيع المضي به قدماً ببعض القناعة. كان عنقه متورماً وضمانة الفخذ تثير حكة في جلده. كان هاري يعرف تماماً كم سيؤلمه رأسه إذا أداره نحو إيفارسون، الذي كان يتكلم، ويعرف أيضاً أنه لم يكن ليدير رأسه، حتى إذا لم يكن يتألم. قال إيفارسون، وهو يمسح الطاولة ويتظاهر بكم ابتسام: "إذاً، تريدان تذكّرتي طيران إلى البرازيل للبحث هناك؟ في حين أن المسرّع مشغول جداً بسرقة مصارف هنا في أوصلو؟".

قالت بتي: "لا نعرف أين هو في أوصلو، أو إن كان في أوصلو. لكننا نأمل أن نجد المنزل الذي قال شقيقه إنه يسكن فيه في بورتو سيغورو. إذا عثرنا عليه، فسنجد أيضاً بصماته. وإذا كانت تطابق البصمات التي لدينا على قارورة الكوكا كولا، فسيكون لدينا دليل قاطع. سيجعل ذلك الرحلة تستحق العناء".

"حقاً؟ وأي بصمات تلك التي لا يعرف أحد آخر سواكما عنها

شيئاً؟".

كافحت بتي عبثاً أن تلفت انتباه هاري، وابتلعت ريقها وقالت: "نظراً إلى أن المبدأ هو أن نعمل مستقلين عن بعضنا بعضاً، قرّرنا نحن الاحتفاظ بذلك لأنفسنا. حتى إشعار آخر".

شرع إيفارسون يقول وهو يغمزها بعينه اليمنى: "عزيزتي بتي. أنت

تقولين نحن لكنني لا أسمع هاري هول. أقدر اهتمام هول بالالتزام

بأسلوبي، لكن يجب ألا ندع المبادئ تقف في طريق النتائج التي يمكننا

تحقيقها معاً. لهذا أكرّر: أي بصمات؟".

رمقت بتي هاري بنظرة يائسة.

قال إيفارسون: "هول؟".

قال هاري: "تلك هي طريقة إدارتنا العملية، حتى إشعار آخر".

قال إيفارسون: "كما تحب. لكن انس الرحلة. يجب أن تتحدّث إلى

الشرطة البرازيلية وتطلب مساعدتك على الحصول على البصمات".

تتحنّحت بتي وقالت: "لقد توثقت من الأمر. يجب أن نرسل طلباً

مكتوباً عبر قائد الشرطة في إقليم باهيا ونطلب من محامي المقاطعة

البرازيلية البحث في القضية، وسينجم عن هذا في النهاية إصدار مذكرة

تفتيش. قال الشخص الذي تحدّثت إليه إن التجربة أثبتت أن ذلك

سيستغرق، من دون علاقات مع الإدارة البرازيلية، بين شهرين وستين".

قال هاري وهو يعن النظر إلى ظفر: "حجزنا مقعدين على متن

الطائرة التي تغادر مساء الغد. ما القرار؟".

ضحك إيفارسون قائلاً: "ماذا تظن؟ جئت تطلب مني مالاً ثمن تذكريّ

طيران إلى النصف الآخر من الكرة الأرضية من دون أن تزعج نفسك

بإيضاح أسباب مثل هذه الرحلة. تخطط لتفتيش منزل من دون مذكرة.

حتى إذا وجدت دليلاً شرعياً، فستكون المحكمة على الأرجح مرغمة على

رفضه؛ لأنك استخدمت أساليب غير قانونية في الحصول عليه".

قال هاري بهدوء: "خدعة الأجر القديمة".

"عفواً؟".

"شخص مجهول يرمي قطعة آجر عبر نافذة. تكون الشرطة بالمصادفة

في الجوار ولا تحتاج إلى مذكرة للدخول. يظنون أن هناك رائحة ماريجوانا

في غرفة المعيشة. مبادرة ذاتية، لكنه سبب مبرر لإجراء تفتيش فوري. ترفع

دليلاً شرعياً، مثل البصمات، من المكان. قانوني جداً".

أسرعت بتي بالقول: "باختصار، لقد فكّرنا في ما تقوله. إذا عثرنا على

المنزل، فسنحصل على البصمات بوسائل قانونية".

"آه، نعم؟".

"من دون الأجر كما نأمل".

هزّ إيفارسون رأسه وقال: "ليس جيداً كفاية. الجواب لا عاليةً

ومدويةً". نظر إلى ساعته ليشير إلى أن الاجتماع قد انتهى، وأضاف بابتسامة

ساخرة باهتة: "حتى إشعار آخر".

قالت بتي، وهي تغادر مكتب إيفارسون وتمشي في الرواق: "ألم يكن

بمقدورك منحه عظمة؟".

قال هاري وهو يدير عنقه بحرص: "مثل ماذا؟ لقد حزم أمره سلفاً".
"لم تمنحه حتى فرصة أن يعطينا التذكريتين".
"منحته فرصة ألا تُقوّض سلطته".
"ماذا تعني؟". توقف أمام المصعد.
"ماذا أخبرتك. نتمتع في هذه القضية بمساحة معينة من الحرية".
استدارت بتي نحوه وحدّقت إليه ثمّ قالت بهدوء: "أظن أنني أفهم.
إذًا، ماذا سيحدث الآن؟".

"سيأتيه أمر من فوق. لا تنسي ألا تصرخي". استقلّ المصعد.
أخبر بيارني مولر هاري في وقت لاحق ذلك اليوم أن إيفارسون تقبّل
قرار المشرف العام السماح لهاري وبتي الذهاب إلى البرازيل، وقيد تكاليف
السفر والإقامة على حساب وحدة السرقات على نحو سيئ جداً.
قالت بتي لهاري قبل أن يذهبا إلى المنزل: "سعيد بنفسك الآن؟".
بأي حال، عندما تجاوز هاري بلازا وانهمر المطر أخيراً، لم يشعر على
نحو غريب بأي ارتياح على الإطلاق؛ إحراج فقط، وإرهاق من الأمل وقلة
النوم.

* * *

صرخ هاري عبر الهاتف: "بقشيش؟ ما البقشيش بالله عليك؟".
قال أويستن: "رشوة. لا أحد يرفع إصبعاً في هذا البلد من دون
رشوة".

"تّباً!". ركل هاري الطاولة أمام المرأة. انزلق الهاتف عن الطاولة وشدّت
السّماعة من يده.

"مرحباً؟ هل أنت هناك يا هاري؟". خشخش الهاتف على الأرض. شعر
هاري أن عليه تركه حيث هو والذهاب بعيداً، أو تشغيل أسطوانة ميتالिका
(فرقة أميركية) بأعلى صوت. أحد التسجيلات القديمة.
أزّ الصوت: "لا تتداع الآن يا هاري!".

انحنى هاري إلى الأسفل وعنقه مشدود والتقط السّماعة: "آسف يا
أويستن. كم قلت إنهم يريدون؟".

"عشرين ألف جنيه مصري. أربعين ألفاً نرويجية. ثم سأحظى بالزبون
على طبق من فضة، كما قالوا".
"إنهم يبتزوننا يا أويستن".

"بالطبع يفعلون ذلك. هل تريد الزبون أم لا؟".

"المال في الطريق. توثق من حصولك على وصل استلام، اتفقنا؟".
استلقى هاري على السرير يحدّق إلى السقف في أثناء انتظاره أن يبدأ
مفعول الجرعة الثلاثية من المسكّنات. كان آخر شيء رآه قبل أن يغلفه
الظلام هو فتى يجلس في مكانٍ عالٍ، يدلي ساقيه وينظر نحو الأسفل إليه.

القسم الرابع

داجودا

كان فريد بوغستاد يعاني آثار الإفراط في الشراب. رجلٌ في الحادية والثلاثين من عمره، ومطلق، ويعمل على منصة نفط ستاتفورد بي. بصفته عامل حفر. كان عملاً شاقاً، ومن غير المسموح احتساء الشراب في وقت العمل، لكن المردود جيد، ولديه تلفاز في غرفته، والطعام شهى، والأفضل من كل ذلك: ثلاثة أسابيع عمل، وأربعة أسابيع راحة. يعود بعضهم إلى منازلهم وزوجاتهم ويحدقون ببلاهة إلى الجدران، ويقود بعضهم سيارات أجرة أو يعملون في بناء منازل حتى لا يجنّوا من الملل، ويفعل بعضهم ما يفعله فريد: يذهبون إلى بلد حار ويحاولون أن يشربوا حتى الثمالة. أحياناً، يكتب بطاقة بريدية إلى كارموي ابنته أو الطفلة كما يدعوها، بالرغم من أنها بلغت العاشرة من عمرها، أو الحادية عشرة؟ بأي حال، كانت تلك العلاقة الوحيدة التي لا تزال قائمة مع برّ القارة الرئيس، وهي كافية. اشتكى والده في آخر مرة كان قد تحدّث إليه فيها من اعتقال والدة فريد؛ لسرقته بسكويتاً من متجر ريمي مجدداً. كان والده قد قال: "دفعت من أجلها"، وتساءل إن كان لدى فريد كتاب مقدس نرويجي حيث يوجد. كان فريد قد أجاب: "لا يمكن الاستغناء عن الكتاب مثل الإفطار تماماً". كان ذلك صحيحاً؛ لأن فريد لم يأكل قط قبل الغداء حين كان في داجودا، إلا إذا كنت تعدّ كايبيرينهاس طعاماً. أصبح ذلك موضع تساؤل؛ لأنه اعتاد سكب أربع ملاعق من السكر على الأقل في كل كوكتيل. كان فريد بوغستاد يشرب كايبيرينهاس؛ لأنها سيئة جداً. على أي حال، يتمتع الشراب في أوروبا بسمعة حسنة لا يستحقّها. كان كلا جدّي فريد مدمنين على الشراب، ومع مثل ذلك النوع من خليط المورثات ظنّ أنه من الأفضل أن يضلّ على الطريق الآمن ويشرب شيئاً سيئاً جداً حتى لا يتعوّد عليه.

كان قد جرّ نفسه في ذلك اليوم إلى مقهى محمد علي عند الثانية عشرة، وتناول الإسبرسو والشراب قبل أن يعود ببطء في الحرّ الشديد على طول الدرب الضيق المفروش بالحصى بين المنازل الصغيرة المنخفضة البيضاء نوعاً ما. كان المنزل الذي استأجره مع روجر أحد البيوت الأقل بياضاً: الجص متقشّر، والجدران الرمادية في الداخل تنخرها الرطوبة التي تحملها الرياح من الأطلسي، حتى أضحى بمقدورك تمييز رائحة الجدار اللاذعة بمدّ لسانك. لكن، لماذا تفعل ذلك كما يحلو لفريد أن يقول. كان المنزل جيداً

كفاية؛ ثلاث غرف نوم، وفرشتان، وثلاجة واحدة، وفرن واحد. إضافة إلى أريكة وغطاء مائدة فوق صندوقين خشبيين في الحجرة التي يعدّها غرفة معيشة؛ لأن فيها فتحة مربّعة تقريباً يدعوانها نافذة. صحيح أن عليهما العناية بالنظافة أكثر - كان المطبخ موبوءاً بنمل النار الأشقر الذي يستطيع أن يعض على نحو فظيع - لكن فريد لم يعد يدخل المكان كثيراً بعد أن نقل الثلاجة إلى غرفة المعيشة. كان يستلقي على الأريكة يخطط ما سيفعله لاحقاً في اليوم حين دخل روجر.
سأل فريد: "أين كنت؟".

قال روجر بابتسامة غطّت وجهه العريض الممتلئ بالبثور: "عند الصيدلاني في بورتو. لن تصدّق أبداً ما يبيعونه على النضد هناك. يمكنك الحصول على أشياء لا تستطيع أن تحظى بها حتى بوصفة طبية لها في النرويج". أفرغ محتويات الكيس وبدأ يقرأ بصوت عالٍ. "ثلاثة ملليغرامات من بنزوديازيبين. ملليغرامان من فلونيترازبام. تبا، نتكلم عملياً عن روهيبينول!".

لم يرد فريد.

قال روجر منفعلاً: "سيئ؟ ألم تجلب شيئاً نأكله بعد؟".
"لا. تناولت القهوة فقط في مقهى محمد علي. بالمناسبة، كان هناك شخص مجهول يسأل محمد عن ليف".
ارتفع رأس روجر بسرعة عن المواد الصيدلانية وسأل: "عن ليف؟ كيف كان يبدو؟".

"طويلاً. أشقر. عيناه زرقاوان. يبدو نرويجياً".
"تبا لي، لا تخفني على هذا النحو يا فريد". تابع روجر قراءته.
"ماذا تعني؟".

"دعني أقول ذلك على النحو الآتي: لو أنه كان طويلاً وداكن البشرة، ورفيعاً، لكان الوقت قد حان لمغادرة داجودا. ونصف الكرة الغربي أيضاً.
هل كان يبدو مثل شرطي؟".
"كيف تبدو الشرطة؟".

"إنهم... انس الأمر يا رجل النفط".

"بدا مثل سكّير. أعرف كيف يبدو".

"لا بأس. ربما صديق ليف. هل نساعد؟".

هزّ فريد رأسه وقال: "قال ليف إنه يعيش هنا مستتراً... تماماً...
استخدم كلمة لاتينية تعني سري. تظاهر محمد أنه لم يسمع قط بليف.

سيعثر الرجل على ليف إذا أراد ليف ذلك".
"كنت أمزح. بالمناسبة، أين ليف؟ لم أره منذ بضعة أسابيع".
قال فريد، وهو يرفع رأسه ببطء: "آخر ما سمعت أنه كان سيذهب
إلى النزويج".

قال روجر: "ربما سرق مصرفاً وألقى القبض عليه"، وابتسم من الفكرة؛
لا لأنه أراد أن يُلقى القبض على ليف، وإنما لأن فكرة سرقة مصارف
كانت تجعله يبتسم دائماً. كان هو نفسه قد فعلها ثلاث مرات، وقد جعله
ذلك يشعر بمتعة كبيرة في كل مرة. صحيح أنهم اعتقلوا في أول مرتين،
لكنهم قاموا بالعمل على أكمل وجه في المرة الثالثة. عندما وصف الضربة
الموفقة غير المتوقعة، حذف ذكر الفرصة المواتية المتمثلة بتعطل آلات
تصوير المراقبة مؤقتاً، لكن بالرغم من ذلك كان المردود قد سمح له
بالاستمتاع بحياته - وممنوعات بين الحين والآخر - هنا في داجودا.
تقع القرية الصغيرة الجميلة إلى الجنوب من بورتو سيغورو، وقد
احتضنت حتى وقت قريب أكبر مجموعة من الأفراد المطلوبين في القارة
جنوبي بوغوتا. كان ذلك قد بدأ في السبعينيات حين أصبحت داجودا نقطة
تجمع للهيبيين، والمسافرين الذين عاشوا على الرهان، وبيع مجوهرات منزلية
الصنع، ورسم أشكال على الجسد في أوروبا في أثناء شهور الصيف. كان
هؤلاء يجلبون دخلاً إضافياً مرحباً به في داجودا، ولم يزعجوا أحداً عموماً،
لهذا توصلت الأسرتان البرازيليتان اللتان تمتلكان من حيث المبدأ كل التجارة
والصناعة في القرية إلى تفاهم مع قائد الشرطة المحلية، التي غصت الطرف
نتيجة ذلك عن تدخين الماريجوانا على الشاطئ، وفي المقاهي، والعدد المتزايد
من المشارب؛ وبمرور الوقت، في الشوارع وكل مكان آخر.

كانت هناك مشكلة واحدة، بأي حال: تمثل الغرامات التي يجري
تحصيلها من السياح لتدخينهم الماريجوانا وخرق قوانين أخرى غير معروفة،
كما في أماكن أخرى، مصدر دخل مهم للشرطة، التي كانت الدولة تعطيها
حصّة صغيرة منها. ومع تعايش عمل السياحة المربح والشرطة في انسجام،
كان على الأسرتين أن تقدما للشرطة مكتسبات آمنة بديلة. بدأ ذلك مع
متخصص أميركي بعلم الاجتماع وصديقه الأرجنتيني، اللذين كانا مسؤولين عن
إنتاج الماريجوانا وبيعها محلياً، وأرغما على دفع عمولة إلى قائد الشرطة
بهدف حمايتهما وضمان احتكارهما المادة: بعبارة أخرى، اعتقل منافسون
محتملون فوراً ونُقلوا إلى سجن اتحادي بكل المراسم والإجراءات المعتادة.
تدفقت الأموال إلى جيوب رجال الشرطة المحليين القلائل وبقي كل شيء

رائعاً، إلى أن عرض ثلاثة مكسيكيين دفع عمولة أعلى. وفي صباح يوم أحد
سُلم الأميركي والأرجنتيني إلى الشرطة الاتحادية بكل المراسم والإجراءات
المعتادة في ساحة السوق أمام مكتب البريد. بالرغم من ذلك، استمر نظام
ضبط السوق الفاعل في شراء الحماية بالازدهار وبيعها، وسرعان ما أصبحت
داجودا ممتلئة بمجرمين مطلوبين من كل أصقاع العالم الذين يمكنهم التوثق
من عيش حياة آمنة نسبياً مقابل ثمن يقل كثيراً عما يجب أن يدفعوه في
باتايا أو أماكن عدة أخرى. بأي حال، اكتشفت في الثمانينيات جوهرة
الطبيعة الجميلة التي لم تمسّ تقريباً حتى ذلك الوقت بشواطئها الطويلة،
مناظر غروب الشمس الحمراء والماريجوانا الممتازة من قبل نسور السياحة؛
حملة حقائب الظهر. تقاطروا إلى داجودا بأعداد كبيرة، مصممين على
الاستهلاك، مما كان يعني اضطراب أفراد الأسرتين في البلدة إلى إعادة تقويم
الجدوى الاقتصادية لداجودا على أنها ملاذ للهاربين من القانون. مع تحوّل
المشارب الأنيقة المعتمدة إلى متاجر لتأجير معدّات الغوص، وقيام المقاهي
التي كان السكان المحليون يرقصون فيها اللامبادا بالطريقة القديمة بإحياء
حفلات ليلية صاخبة، كان على الشرطة تنظيم غارات مفاجئة على المنازل
البيضاء الصغيرة بتواتر متزايد واقتياد المعتقلين المحتجين إلى الساحة. لكن
إقامة مجرم في داجودا بقيت أكثر أمناً من أماكن أخرى عديدة في العالم،
بالرغم من أن الارتياح قد سيطر على الجميع، لا على روجر فقط.
لذلك السبب، كان هناك مكان أيضاً لرجل مثل محمد علي في سلسلة
غذاء داجودا. كان المسوّغ الرئيس لوجوده أن لديه موقعَ مراقبة استراتيجياً
في الساحة حيث محطة التوقف الأخيرة للحافلة من بورتو سيغورو. يستطيع
محمد من خلف النضد في مقهاه المكشوف رؤية كل ما يحدث في الساحة
الوحيدة المرصوفة بالحجارة التي تلفحها الشمس في داجودا. عندما تصل
حافلات جديدة يتوقف عن تقديم القهوة ووضع تبغ برازيلي - بديل سيئ
للمعسل الذي يُنتج في وطنه - في النرجيلة؛ كي يتوثق من الوافدين الجدد
ويكتشف رجال شرطة محتملين أو صيادي مكافآت. إذا وضع أنفه الذي لا
يخطئ أي شخص في الخانة الأولى، يطلق الإنذار فوراً. كان الإنذار نوعاً
من اتفاقية مشترك يجري بموجبها الاتصال هاتفياً بأولئك الذين يدفعون
المبلغ الشهري أو قيام بول الصغير السريع بتثبيت رسالة بدبوس على
بابهم. كان لدى محمد سبب شخصي أيضاً لمراقبة الحافلات القادمة. عندما
هرب مع روزاليتا من زوجها وريو، لم يكن لديه أدنى شك عمّا ينتظرهما
إذا عثر الطرف الآخر على مكانهما. يمكن أن تجعل شخصاً ينفذ جرائم

بسيطة مقابل بضع مئات من الدولارات إذا ذهبت إلى فافيلاس (مدينة الصفيح) في ريو أو ساو باولو، لكن، حتى قاتل محترف خبير لا يأخذ أكثر من ألفين إلى ثلاثة آلاف دولار إضافة إلى النفقات لتنفيذ مهمة بحث وقتل، وقد كانت الأسعار منخفضة في السنوات العشر الأخيرة. بالإضافة إلى كل ذلك، كان هناك خصم كبير على قتل شخصين معاً.

أحياناً كان أشخاص يتعرف إليهم محمد بوصفهم صيادي مكافآت يدخلون فوراً مقهاه. كانوا يطلبون قهوة من أجل المظاهر، وفي اللحظة المناسبة يضعون فنجان القهوة جانباً، وي طرحون السؤال المحتم: هل تعرف أين يعيش صديقي فلان الفلاني؟ أو هل تعرف الرجل في هذه الصورة؟ أدين له ببعض المال. في مثل تلك الحالات، يتلقى محمد أجراً إضافياً إذا نتج عن جوابه الجاهز ("رأيتَه يستقل الحافلة إلى بورتو سيغورو يحمل حقيبة كبيرة قبل يومين يا سنيور") مغادرة صياد المكافآت على متن أول حافلة.

عندما وضع الرجل الأشقر الطويل، الذي يرتدي بزّة كتانية مجعّدة، ويلف ضمادة بيضاء حول عنقه، حقيبة وكيساً يحمل علامة بلاي ستيشن على النضد، مسح العرق عن جبينه وطلب قهوة بالإنكليزية، استطاع محمد أن يشم رائحة بضعة ريالات (العملة البرازيلية) إضافية إضافة إلى المبلغ الثابت. لم يكن الرجل الذي أثار شكوكه، وإنما المرأة التي معه. كان بمقدورها أن تكتب أيضاً شرطة على جبينها.

نظر هاري في أرجاء المكان. كان هناك ثلاثة أشخاص في المقهى إضافة إليه، وبتي والعربي خلف النضد. اثنان من حملة حقائب الظهر وسائح من النوع الأكثر ابتذالاً يعاني، كما هو واضح، آثار الإفراط في الشراب. كان عنق هاري يؤلمه كثيراً. نظر إلى ساعته، وكانت قد انقضت عشرون ساعة منذ غادرا أوصلو. اتصل أوليغ، وأخبره أنه قد تغلب على سجل التيترس واستطاع هاري شراء نامكو دجي. كون 45 من متجر ألعاب الحاسوب في هيثرو (مطار لندن) قبل أن تقلع طائرتهما إلى ريسيبي (مدينة برازيلية). كانا قد استقلا طائرة مروحية إلى بورتو سيغورو، وتفاوض خارج المطار بشأن ما بدا على الأرجح سعراً جنونياً مع سائق سيارة الأجرة، الذي أقلّهما إلى معدّية نقلتهما إلى الطرف الذي توجد داجودا عليه حيث هزّتهما حافلة في الكيلومترات القليلة الأخيرة.

كانت قد انقضت أربع وعشرون ساعة منذ كان يجلس في غرفة الزوّار يشرح لراسكول أنه يحتاج إلى 40.000 كرون أخرى للمصريين. كان

راسكول قد شرح له أن مقهى محمد علي ليس في بورتو سيغورو وإنما في قرية قريبة منها.

كان راسكول قد سأل بابتسامة كبيرة: "داجودا. أعرف بعض الرجال الذين يعيشون هناك".

نظر العربي إلى بتي، التي هزّت رأسها قبل أن تضع فنجان القهوة أمام هاري. كانت قوية ومرة. قال هاري: "محمد"، ورأى الرجل خلف النضد يتجمّد. "أنت محمد، صحيح؟".

ابتلع العربي ريقه وقال: "من يسأل؟".

"صديق". وضع هاري يده اليمنى داخل سترته ورأى الذعر على الوجه الأسمر وقال: "يحاول شقيق ليف الأصغر معرفة مكانه". سحب هاري إحدى الصور التي كانت بتي قد عثرت عليها في منزل تروند ووضعا على النضد. أغمض محمد عينيه برهة، وبدا أن شفثيه تتمتمان شكراً صامتاً. أظهرت الصورة ولدين صغيرين، أطولهما يرتدي سترة حمراء مخططة، يضحك وقد وضع ذراعه بلطف حول الآخر الذي يتسم بخجل لآلة التصوير.

قال هاري: "لا أعرف إن كان ليف قد ذكر شقيقه الأصغر. اسمه تروند".

أمسك محمد الصورة وأمعن النظر فيها.

قال وهو يحك لحيته: "لم أرَ أيّاً منهما قط. ولم أسمع قط بشخص يدعى ليف أيضاً. أعرف معظم الناس هنا".

أعطى الصورة إلى هاري، الذي أعادها إلى جيبه الداخلي وتجرّع باقي القهوة وقال: "سنعثر على مكان نقيم فيه يا محمد، ثم سنعود. فكّر قليلاً في الوقت الحالي".

هزّ محمد رأسه، وسحب ورقة العشرين دولاراً التي كان هاري قد وضعها تحت فنجان القهوة وأعادها إليه قائلاً: "لا أقبل أوراقاً نقدية كبيرة".

هزّ هاري كتفيه وقال: "سنعود بأي حال يا محمد".

* * *

حصل كل منهما على غرفة كبيرة في الفندق الصغير المسمى فيتوريا؛ لأنهما وصلا في موسم الركود. حصل هاري على المفتاح رقم 69، بالرغم من أن الفندق مؤلف من طابقين وعشرين غرفة فقط. عندما سحب درج

الطاولة الصغيرة بجانب السرير الأحمر على شكل قلب ووجد واقبين مع تحيات الفندق، افترض أنه قد حصل على جناح شهر العسل. كان باب الحمام كله مكسواً بمرآة يمكن أن ترى نفسك فيها من السرير. وجد في خزانة كبيرة وعريضة جداً، وهي قطعة الأثاث الوحيدة في الغرفة باستثناء السرير، ثوبي حمام معلقين يصلان إلى الفخذ ورثين قليلاً، وعلى ظهريهما نقوش شرقية.

ابتسمت موظفة الاستقبال وهزت رأسها حين رأت صور ليف غريت. حدث الشيء نفسه في مطعم مجاور وفي مقهى الإنترنت الأبعد قليلاً في الشارع الرئيس الهادئ على نحو غريب. كان يمتد، بالطريقة التقليدية، من دار العبادة إلى المقبرة، لكنه يحمل اسماً جديداً: برودواي. في متجر البقالة الصغير، حيث اشتريا ماءً وزينة شجرة الميلاد، والمكتوب سوق كبيرة فوق بابه، عثرا أخيراً على امرأة خلف صندوق النقود. أجابت "نعم" على كل ما سألاها عنه، وراقبتهما بعينين خاويتين حتى استسلما وغادرا. شاهدا في طريق عودتهما شخصاً بمفرده، شرطياً شاباً يستند إلى جيب، ذراعاه فوق بعضهما وقراب بارز يتدلى على وركيه، يراقب حركاتهما بتثاؤب.

شرح الفتى النحيل خلف النضد في مقهى محمد أن المدير قد قرّر فجأة أخذ ذلك اليوم إجازة وذهب في نزهة. سألت بتي متى سيعود، لكن الفتى هزّ رأسه مرتبكاً، وأشار إلى الشمس قائلاً: "ترانكوسو".

قالت موظفة الاستقبال في الفندق إن المسافة البالغة ثلاثة عشر كيلومتراً على طول الامتداد المتواصل من الرمل الأبيض إلى ترانكوسو هي أحد أروع معالم داجودا. لم تكن هناك أي دار عبادة في ذلك المكان باستثناء دار العبادة الكاثوليكية في الساحة.

سأل هاري: "لماذا لا يوجد عدد كبير من الناس في هذه الأرجاء يا سنيورة؟".

ابتسمت وأشارت إلى البحر.

* * *

كان ذلك هو المكان الذي يتواجدون فيه. على الرمل الساخن اللاذع الذي يمتد في كلا الاتجاهين على امتداد النظر في سديم الحرارة. كان هناك أشخاص يستلقون من دون حراك يعرضون أجسامهم للشمس، وباعة متجولون على الشاطئ يمشون مجهدين على الرمل الناعم، يئنون تحت ثقل المبردات وأكياس الفاكهة، وسقاة يتسمون من مشارب مؤقتة حيث تصدح مكبرات صوت بموسيقى السامبا تحت سقوف من قش، وراكبو أمواج بثوب

السباحة الوطني الأصفر، وشفاهم محاطة باللون الأبيض من أكسيد الزنك، وشخصان يمشيان جنوباً ونعلاهما في يديهما؛ أحدهما يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً رقيقاً ويعتمر قبعة من القش، والآخر لا يزال عاري الرأس في بزته الكتانية المجدّدة.

قال هاري، وهو ينفخ على قطرة العرق التي وقفت على أرنبه أنفه: "هل قالت ثلاثة عشر كيلومتراً؟".

قالت بتي وهي تشير: "سيحل الظلام قبل أن نعود. انظر، كل من سوانا يعود أدراجه".

كان هناك شريط أسود على طول الشاطئ، يكون قافلة لا تنتهي على ما يبدو من الناس في طريقهم إلى منازلهم وشمس الأصيل خلفهم. قال هاري معدلاً نظارته الشمسية: "ما طلبناه بالتحديد. صف من داجودا برمتها. يجب أن نُبقي عيوننا مفتوحة. إذا لم نرَ محمداً، فرما يحالفنا الحظ ونصادف ليف نفسه".

ابتسمت بتي. "أراهنك مئة أننا لن نحظى به".

مرّت وجوه بهما تتموج في وهج الحرارة؛ وجوه سوداء، بيضاء، يافعة، طاعنة في السن، جميلة، بشعة، متجهمة، بشوشة، مبتسمة، عابسة. كانت المشارب وأكشاك تأجير ألواح ركوب الأمواج قد اختفت. كل ما استطاعا رؤيته كان الرمل والبحر إلى اليسار، وطبقة نباتية كثيفة إلى اليمين. هنا وهناك، كان أشخاص يجلسون جماعات تفوح منها رائحة الشواء التي لا يخطئها الأنف.

قال هاري: "كنت أفكر أكثر في شأن نظيرتنا عن المسافة الحميمة والشخص من الداخل. هل تظنين أن ليف وشتاين غريت كانا يعرفان بعضهما بعضاً أكثر من شقيق وزوجة شقيق؟".

"تعني أنها كانت متورطة في التخطيط، ثم أطلق النار عليها ليخفي آثاره؟"، نظرت بتي إلى الشمس ثم قالت: "حسناً، لِمَ لا؟".

بالرغم من أن الساعة تجاوزت الرابعة، إلا أن الحرارة لم تكن قد انخفضت على نحو ملحوظ. نزعا حذاءيهما ليعبرا بعض الصخور، وعلى الطرف الآخر وجد هاري غصناً سميكاً وجافاً كان البحر قد لفظه على الشاطئ. ثبّت الغصن في الرمل وأخرج محفظته وجواز سفره من سترته قبل أن يعلّقها على المشجب المؤقت.

استطاعا رؤية ترانكوسو من بعيد آنذاك، وقالت بتي إنها تجاوزا للتو رجلاً كانت قد رأته في فيلم فيديو. ظن هاري في البداية أنها تعني ممثلاً

مشهوراً قليلاً إلى أن قالت إنه يدعى روجر بيرسون، وإنه إضافة إلى تهم ممنوعات عدّة، كان قد أمضى وقتاً في السجن لسرقته مكتب البريد في غاملباين وفيتفيت، وكان مشتبهاً فيه أيضاً في سرقة مكتب البريد في أولفال. كان فريد قد تجرّع ثلاثة كايبيرينهاس في مطعم على الشاطئ في ترانكوسو، لكن بقي يظنُّ بالرغم من ذلك أنها فكرة غير سديدة أن يسير ثلاثة عشر كيلومتراً، كما قال روجر: لتهوية جلدهما قبل أن يبدأ بالتعفن أيضاً.

تذمّر فريد من صديقه، الذي كان يثب أمامه على أصابع قدميه وركبته مرفوعتان: "مشكلتك أنك لا تستطيع الجلوس ساكناً بسبب تلك الحبوب الجديدة".

"إذاً، ماذا؟ يجب أن تحرق بضع سعرات حرارية قبل أن تعود إلى الطعام الاسكندينا في بحر الشمال. أخبرني ماذا قال محمد عبر الهاتف بشأن الشرطين".

تنهّد روجر وبحث على مضمض في ذاكرته قصيرة الأمد وقال: "تكلم عن امرأة صغيرة الحجم وشاحبة جداً إلى درجة أنها بدت شفافة تقريباً، وعن ألماني ضخم وسكّير".

"ألماني؟".

"كان محمد يخمّن. قد يكون روسياً، أو هندي إنكا أو...".

"غريب جداً. هل كان واثقاً أنهما شرطيان؟".

"ماذا تعني؟". توقف روجر وكاد فريد يصطدم به.

قال روجر: "أقول فقط إنني لا أحب ذلك. وفقاً لما أعرفه، لم يسرق ليف مصارف خارج النرويج. والشرطة النرويجية لا تأتي إلى البرازيل لتعتقل سارق مصارف واحداً. شرطة روسية على الأرجح. تباً. نعرف من أرسلهما، وهما لا يسعيان خلف ليف".

تأوه فريد وقال: "لا تبدأ كل ذلك الهراء الغجري مجدداً، أرجوك".

"تظن أنه ارتياب، لكنه شقيّ. لا يفكر مرتين قبل أن يقضي على أشخاص أخذوا منه كروناً واحداً. لم أظن قط أنه سيكتشف الأمر. أخذت فقط بضع آلاف مصروف جيب من أحد الأكياس، أليس كذلك؟ لكنه المبدأ، كما تعرف. إذا كنت قائد المجموعة، يجب أن تحظى بالاحترام وإلا...".

"روجر! إذا أردت سماع كل هذا الهراء عن المافيا، يمكنني استئجار

فيديو".

لم يرد روجر.

"مرحباً؟ روجر؟".

همس روجر: "اخرس. لا تستدرِ إلى الخلف وتابع السير".
"مهلاً".

"لو لم تكن مشغولاً جداً، لكنك قد رأيت أننا تجاوزنا للتو امرأة شاحبة وأنف سكير".

"هل تلك حقيقة؟". مدّ فريد عنقه. "روجر...".
"نعم؟".

"أظنك محقاً". استدارا حول نفسيهما.

تابع روجر السير من دون أن ينظر إلى الخلف وقال: "تباً!".
"ماذا نفعل؟".

عندما لم يحصل على إجابة، نظر فريد إلى الخلف واكتشف أن روجر قد اختفى. نظر إلى الرمال ذاهلاً - آثار الخطوات العميقة التي كان روجر قد تركها - ولحق بصره الآثار التي انعطفت فجأة إلى اليسار. بعيداً، رأى عقبي روجر يتحرّكان بسرعة. ثم بدأ فريد يجري نحو الطبقة النباتية الخضراء الكثيفة أيضاً.

استسلم هاري مباشرة تقريباً.

صرخ على بتي: "لا فائدة"، فخففت سرعتها وتوقفت.

لم تكن المسافة تبعد إلا بضعة أمتار عن الشاطئ، لكن بدا وكأنهما في عالم آخر. حرٌّ شديد ساكن بين جذوع الأشجار في الظلام الدامس تحت السقف المكسو بالأوراق. وأياً تكن الأصوات التي تصدر عن رجلين يفرّان من المكان فقد طغت عليها صرخات الطيور وهدير البحر خلفهما.

قالت بتي: "يبدو أن الشخص في الخلف ليس عداءً جيداً".

قال هاري: "يعرفان الدروب أفضل منا. ليست لدينا أي أسلحة، لكن ربما لديهما".

"إذا لم يكن ليف قد حُدّر سابقاً، فإنه سيعرف الآن. إذاً، ماذا

نفعل؟".

حكّ هاري ضمادة عنقه المملخة بالدماء، حيث كان البعوض قد

استطاع آنذاك التسلل إليها ببضع لسعات وقال: "نتحول إلى الخطة البديلة".
"أوه؟ وهي؟".

نظر هاري إلى بتي وتساءل كيف يعقل أنه لا يستطيع رؤية قطرة

عرق واحدة على جبينها، في حين يسيل العرق منه مثل مزراب نتن.

"سنذهب لصيد الأسماك".

كان الغروب قصيراً لكنه عرضٌ لكل ظلال الطيف من اللون الأحمر. كان محمد، إضافة إلى بضعة أشخاص آخرين، يشير إلى الشمس التي كانت قد ذابت خلف الأفق مثل قطعة زبدة على مقلاة ساخنة. لم يكن الألماني الواقف أمام النضد مهتماً بالغروب، بأي حال. كان قد قال إنه سيتمنح ألف دولار إلى أي شخص يمكن أن يساعده على العثور على ليف غريت أو روجر بيرسون. هل يمانع محمد في نشر العرض؟ يمكن للمخبرين المهتمين الاتصال بالغرفة 69 في فندق فيتوريا، كما قال الألماني قبل أن يغادر المقهى مع المرأة الشاحبة.

اندفعت السنونو مسعورة حين خرجت الحشرات لتؤدي رقصتها المسائية القصيرة. كانت الشمس قد تحولت إلى عصيدة حمراء سائلة على سطح الماء وحلّ الظلام بعد عشر دقائق.

عندما ظهر روجر بعد ساعة، يطلق الشتائم، كان شاحباً جداً. تمتم لمحمد: "مبلغ مغرٍ"، وقال إنه قد سمع بالمكافأة الدسمة في مشرب فريدو فغادره على الفور. في طريقه كان قد أطل برأسه على السوق، حيث أخبرته بترا أن الألماني والمرأة الشقراء قد زارا المكان مرتين. اشترى آخر مرة خيط صنارة صيد أسماك، ولم يكونا قد طرحا أي أسئلة. سأل وهو يلقي نظرات عابرة حوله ومحمد يسكب القهوة: "لماذا أراداك ذلك؟ للصيد ربما؟".

قال محمد مشيراً نحو الفنجان: "إليك هذا. مفيد للارتياب". صرخ روجر: "ارتياب؟ هذا تعقّل جيد. ألف دولار! سيكون الناس هنا سعداء ببيع أمهاتهم مقابل عُشر ذلك المبلغ". "إذاً، ماذا ستفعل؟".

"ماذا يجب أن أفعل. أسبق الألماني".
"حقاً؟ كيف؟".

تذوق روجر القهوة حين كان يسحب مسدساً أسود بفوهة حمراء - بنية قصيرة من حزامه. "رحّب بتوروس بي. تي. 92 سي. من ساو باولو". قال محمد: "لا، شكراً لك. أبعد هذا الشيء حالاً. أنت مجنون. هل تظن أن بمقدورك القضاء على الألماني وحدك؟". هزّ روجر كتفيه وأعاد المسدس إلى حزامه. "فريد في المنزل يرتعش. قال إنه سيبقى ثملاً أبد الدهر".

"هذا الرجل محترف يا روجر".

تنشق روجر الهواء وقال: "وأنا؟ لقد سرقت بضعة مصارف. وهل

تعرف ما أهم شيء يا محمد؟ عنصر المفاجأة. إنه يعني كل شيء"، أفرغ روجر فنجان قهوته وأضاف: "وأشك في أن يكون محترفاً إذا كان يتجول في أرجاء المكان يخبر كل من هبّ ودبّ في أي غرفة يقيم".
تمتم روجر: "الله يراك يا محمد"، ونهض.

رأى روجر المرأة الشقراء حين دخل منطقة الاستقبال. كانت تجلس مع مجموعة من الرجال يشاهدون مباراة كرة قدم على التلفاز فوق النضد. كانت فلافلو ستقام تلك الليلة، وهي المنافسة المحلية التقليدية بين فلامينغو وفلومينز في ريو. لقد كان فريديو مكتظاً جداً لذلك السبب. تجاوزهم بسرعة، على أمل ألا يكون أحد قد رآه. أسرع بالصعود على السلم المغطاة بالسجاد وتابع سيره على طول الرواق. كان يعرف جيداً مكان الغرفة. عندما يخرج زوج بترا من البلدة لبعض أعماله، يحجز روجر الغرفة 69.

وضع روجر أذنه على الباب، لكنه لم يسمع شيئاً. نظر عبر ثقب المفتاح، لكن الظلام كان حالكاً في الداخل. إما أن الألماني قد خرج أو أنه نائم. ابتلع روجر ريقه. كان قلبه يخفق، لكن جرعة العقار المنشط التي كان قد تناولها أبقته هادئاً. تحقّق أن المسدس محشو ورتاج الأمان مرفوع قبل أن يضغط مقبض الباب برفق إلى الأسفل. فُتح الباب! انسلّ روجر إلى الغرفة وأغلق الباب بهدوء خلفه. وقف في الظلام يحبس أنفاسه، ولم يرَ أو يسمع أحداً: لا حركات، أو أنفاس؛ وإنما دورات مروحة السقف الهادئة فقط. لحسن الحظ، كان روجر يعرف الغرفة عن ظهر قلب. وجّه المسدس إلى حيث يعرف أن السرير على شكل قلب موجود، وبدأت عيناه تألفان الظلام. ألقى شريط ضيق من ضوء القمر لمعاناً خافتاً على السرير حيث كان اللحاف مطويّاً جانباً. إنه فارغ. فكّر بسرعة: هل يعقل أن يكون الألماني قد خرج ونسي أن يوصد الباب؟ إذا كان الأمر كذلك، يستطيع روجر الجلوس والانتظار حتى يعود الألماني ويصبح هدفاً في المدخل. بدا كل شيء أفضل من أن يكون حقيقياً، مثل مصرف كان موظفوه قد نسوا تشغيل القفل الزمني. لم يكن ذلك معقولاً. مروحة السقف.

قفز روجر حين سمع الصوت المفاجئ لتدفق المياه من الحمام. كان الرجل يجلس على كرسيّ المراوض! أمسك روجر المسدس بكلتا يديه وصوّبه بذراعيه الممدودتين إلى حيث يعرف أن باب الحمام موجود. انقضت خمس ثوانٍ. ثمانية. لم يستطع روجر حبس أنفاسه وقتاً أطول. ما الذي كان الرجل ينتظره بالله عليه؟ لقد جعل الماء يتدفق. اثنتا عشرة ثانية. ربما

كان قد سمع شيئاً؛ ربما كان يحاول الهرب، إذ تذكر روجر أن هناك نافذة صغيرة في أحد الجدران. تبا! كانت تلك فرصته، ولم يكن يستطيع ترك الرجل يهرب. تقدم روجر ببطء متجاوزاً خزانة الملابس التي تحتوي على ثوب الاستحمام الذي بدا جميلاً جداً على بتر، وقف أمام باب الحمام ووضع يده على المقبض، ثم أخذ نفساً عميقاً. كان على وشك أن يضغط إلى الأسفل حين شعر بنسمة علية، ليس من المروحة أو نافذة مفتوحة؛ كان شيئاً آخر.

قال أحدهم خلفه مباشرة: "مكانك!". وبعد أن رفع رأسه ونظر إلى باب الحمام المنعكس على المرأة، فعل روجر ما أمر به. تجمّد في مكانه بقوة جعلت أسنانه تصطك. كان باب خزانة الملابس قد فُتح واستطاع أن يتبين داخلها - بين أثواب الاستحمام البيضاء - شخصاً قوي البنية. لكن ذلك لم يكن سبب نوبة التجمّد المفاجئة. لا تخفف معرفتك بالأسلحة من التأثير النفسي لاكتشاف أن شخصاً يحمل سلاحاً يسدده نحوك أكبر كثيراً من السلاح الذي تحمله أنت. على العكس، تعرف كيف تفتك رصاصات من عيار كبير وفاعلية أفضل جسد إنسان. كان بي. تي. 92 سي. الذي مع روجر مسدساً مصغراً مقارنة بالوحش الأسود الكبير الذي ملحه في ضوء القمر خلفه. جعل صريراً روجر ينظر إلى الأعلى. ملح ما بدا أنه خيط صنارة صيد أسماك. كان يمتد من الشق فوق باب الحمام إلى خزانة الملابس.

همس روجر: "غتن أبند". (مساء الخير).

بعد ست سنوات، عندما دخل روجر بالمصادفة إلى مشرب في باتايا، ليجد فريد وقد أطلق شاربه ولحيته، تفاجأ في البداية كثيراً ووقف هناك من دون حراك حتى سحب فريد كرسيّاً له. طلب فريد كأسّي شراب وأخبره أنه لم يعد يعمل في بحر الشمال، وأنه يتقاضى بدل إعاقة. جلس روجر متردداً وشرح، من دون الخوض في التفاصيل، أنه كان طوال السنوات الست السابقة يدير عملاً لمرافقة السياح من تشانغ راي. بعد بضع كووس تنحنح فريد وسأل عما كان قد حدث فعلاً في الأمسية التي هرب فيها فجأة من داجودا.

حدّق روجر إلى كأسه، ثم أخذ نفساً عميقاً وقال إنه لم يكن لديه خيار. كان الألماني، الذي لم يكن بالمناسبة ألمانياً، قد خدعه وعلى وشك إرساله إلى المجهول. بأي حال، كان روجر قد عقد اتفاقاً معه في اللحظة الأخيرة. حظي روجر بثلاثين دقيقة للخروج من داجودا، مقابل أن يخبره

أين يعيش ليف غريت.

سأل فريد: "ما نوع السلاح الذي قلت إن الرجل كان يحمله؟".
"كان الظلام الحالك قد منعني من الرؤية. لم يكن سلاحاً معروفاً، بأي حال. يمكنني القول إنه كان يستطيع نسف رأسي ونثر الأشلاء حتى فريدو".
ألقى روجر نظرة خاطفة باتجاه الباب.

قال فريد: "لقد وجدت شقة هنا. هل لديك مكان تقيم فيه؟".
نظر روجر إلى فريد كأنه لم يفكر في ذلك لحظة واحدة ثم فرك شعر ذقنه وقتاً طويلاً قبل أن يرد: "في الواقع، ليس لدي مكان أقيم فيه".

إدوارد غريغ

كان منزل ليف في نهاية كول - دو - ساك (طريق مسدودة)، ومثل معظم البيوت في الجوار، بناءً بسيطاً، والاختلاف الوحيد أن هناك زجاجاً فعلاً في نوافذ ذلك المنزل. كان عمود إنارة واحد يلقي مخروطاً أصفر من الضوء على مجموعة متنوعة من حيوانات المنطقة تتقاتل على مساحات العيش، والخفافيش الشرهة تنقض في الظلام وتخرج منه.

همست بتي: "لا يبدو أن أحداً في المنزل".

قال هاري: "ربما يوفر الكهرباء".

وقفا أمام بوابة حديدية منخفضة وصدئة.

سألت بتي: "إذاً، كيف نفعل هذا؟ نذهب إلى هناك ونقرع الباب؟".

"لا. تشغلين هاتفك الخلوي وتنتظرين هنا. عندما ترين أنني أصبحت

تحت النافذة، اتصلي بهذا الرقم". أعطاه ورقة ممزقة من دفتر ملحوظات.

"لماذا؟".

"إذا سمعتُ هاتفاً خلويًا يرنُّ داخل المنزل، يمكن أن نفترض أن ليف

في البيت".

"صحيح. وكيف تفكر في إلقاء القبض عليه؟ بذلك؟". أشارت إلى الشيء

الضخم الأسود الذي يحمله هاري في يده اليمنى.

قال هاري: "لم لا؟ نجح مع روجر بيرسون".

"كان في غرفة معتمة ورآه في مرآة كبيرة فقط يا هاري".

"حسناً، نظراً إلى أننا لا نستطيع حمل أسلحة في البرازيل، يجب أن

نستخدم ما لدينا".

"مثل خيط صنارة صيد سمك مربوط بالمرحاض ودمية؟".

"هذه ليست أي دمية يا بتي. إنها نامكو دجي. كون 45". مسّ

المسدس البلاستيكي ضخّم الحجم.

قالت بتي وهي تهز رأسها: "انزع لصاقة بلاي ستيشن على الأقل".

حلّ هاري شريط حذائه وجرى منحنيًا على الأرض الجافة المتشققة

التي كانت تُعدُّ سابقاً مرجاً. وصل، ثم جلس وظهره إلى الجدار تحت

النافذة وأشار بيده إلى بتي. لم يستطع رؤيتها، لكنه عرف أنها تراه عند

الحائط الأبيض. نظر إلى السماء حيث الكون ظاهر للعيان. بعد ثوانٍ،

تردّدت أصداء نغمة رنين هاتف خلوي خافتة لكن مميزة في المنزل: في

قصر ملك الجبال. بيير غينت. كان الرجل يتمتع بروح دعابة.

رگز هاري على إحدى النجوم وحاول استبعاد كل الأفكار من ذهنه باستثناء ما سيقوم به، ولكنه لم يستطع ذلك. كان أون قد سأل مرة لماذا نستغرب وجود حياة في الفضاء الخارجي، ونحن نعرف أن هناك شمساً في مجرتنا وحدها أكثر من حبات الرمال على شاطئ عادي؟ يجب أن نسأل أنفسنا إن كان هناك احتمال أن يكونوا محبي سلام، ثم نقوم ما إذا كان الأمر يستحق مجازفة الاتصال بهم. ضغط هاري على مقبض المسدس، وكان يطرح على نفسه السؤال نفسه آنذاك.

كان الهاتف قد توقف عن الرنين، فانتظر هاري، ثم أخذ نفساً ومشى على رؤوس أصابعه إلى الباب. أصغى، لكن كل ما استطاع سماعه هو أصوات صراخ. وضع يده حول مقبض الباب، متوقعاً أن يكون موصداً؛ وكان بالفعل هكذا.

أطلق شتيمَةً في قرارة نفسه. كان قد عقد العزم سلفاً أنه إذا كان موصداً وفقدنا عنصر المفاجأة، سينتظران حتى اليوم التالي ويشتريان بعض الأدوات الحديدية قبل أن يعودا. كان واثقاً أن شراء مسدسين حقيقيين في مثل ذلك المكان لن يكون مشكلة. لكن انتابه شعور أيضاً أن ليف سيعرف قريباً أحداث اليوم وأنه لم يعد لديهما متسع من الوقت. قفز هاري حين شعر بألم في قدمه اليمنى، فسحب تلقائياً قدمه بعيداً ونظر إلى الأسفل. في الضوء الخافت من النجوم استطاع تمييز خط أسود أسفل الجدار المطلي بماء الكلس، يمتد من الباب، عبر السلام حيث كانت قدمه، وتحت الدرجة حيث يختفي عن الأنظار. بحث في جيبه عن مصباح يدوي صغير واستعمله. فمل كبير، وأشقر، وشبه شفاف يكوّن صفتين؛ أحدهما أسفل الدرجات والآخر تحت الباب. كان النمل بالتأكيد من نوع مختلف عن النمل الأسود في الوطن، ويستحيل رؤية ما ينقله، لكن هاري كان يمتلك معلومات وافية عن النمل - أشقر أم لا - ليعرف أن هناك شيئاً ما.

أوقف هاري المصباح اليدوي عن العمل، وفكر في الأمر قليلاً، ثم غادر المكان نزولاً على الدرجات نحو البوابة. توقف في منتصف الطريق، ثم استدار وبدأ يجري. خلع الباب الخشبي البسيط المتهاك عن الإطار من كلا الجانبين حين ارتطم هاري هول بوزنه البالغ خمسة وتسعين كيلوغراماً به، بسرعة أقل من ثلاثين كيلومتراً في الساعة. طوي أحد مرفقيه تحته حين ارتطم بالباب المخلوع بقوة على الأرض الحجرية واندفع الألم في ذراعه وصولاً إلى عنقه. مستلقياً على الأرض في الظلام، انتظر طقطقة زناد خافته.

عندما لم يسمعها، وقف وأعاد تشغيل المصباح اليدوي. وقع شريط الضوء الضيق على صف من النمل على طول الجدار. استطاع هاري أن يشعر من الحرارة تحت الضمادة أنه كان ينزف مجدداً. تبع الأجساد المتلائة من النمل على سجادة قذرة إلى الغرفة التالية. هناك، انعطفت الرتل بحدة إلى اليسار وتابع طريقه صعوداً على الجدار. وقع الضوء على صورة كاما سوترا في طريقه إلى الأعلى. تشعبت قافلة النمل وتابعت طريقها عبر السقف. مال هاري إلى الخلف، فألمه عنقه كما لم يفعل من قبل. كان النمل آنذاك فوقه تماماً، وكان عليه أن يستدير. نقل الضوء في الأرجاء حتى عثر على النمل مجدداً. هل كان ذلك حقاً أقصر طريق لها؟ كانت تلك آخر أفكار هاري قبل أن يحدق إلى وجه ليف غريت. تدلت جثة ليف فوق هاري، الذي ألقى المصباح اليدوي وتراجع إلى الخلف. ربما كان دماغه قد أشار إليه أن الوقت قد فات، لكن، بدأت يدها تبحثان بمزيج من الصدمة والغباء عن نامكو دجي. كون 45 ليتشبث به.

لافا بي

لم تستطع بتي تحمّل الرائحة الكريهة أكثر من بضع دقائق واندفعت إلى الخارج. كانت تتحني كثيراً حين خرج هاري متمهلاً وجلس على الدرجات ليدخن لفافة تبغ. تأوهت بتي، واللعب يسيل من فمها والمخاط من أنفها: "ألا تشم الرائحة؟".

"خلل شم"، أمعن هاري النظر إلى وهج لفافة تبغه وتابع: "فقدان جزئي لحاسة الشم. هناك بعض الأشياء التي لا يمكنني شمّها بعد الآن. يقول أون إن السبب هو أنني قد شممت كثيراً من الجثث. صدمة عاطفية وما إلى ذلك".

تجشأت بتي مجدداً. تأوهت وقالت: "أعتذر. كان النمل. أعني، لماذا كان على تلك المخلوقات المثيرة للاشمئزاز أن تستخدم المنخرين كطريق بمسارين؟". "حسناً، إذا كنت تصرّين، أستطيع أن أقول لك أين يمكن العثور على أغنى مصادر البروتين في جسم الإنسان". "لا، شكراً لك!".

"آسف". نقر هاري لفافة التبغ إلى الأرض الجافة ثمّ قال: "تدبّرت أمرِك جيداً هناك يا لون. هذا لا يشبه ما ترينه في الفيديو". وقف وعاد إلى الداخل.

كان ليف غريت يتدلى من قطعة حبل صغيرة مربوطة إلى خطّاف المصباح في السقف، ويتأرجح على ارتفاع نحو نصف متر عن الأرض والكرسي المقلوب، ولهذا السبب، كان الذباب قد استمتع باحتكار الجثة قبل النمل الأشقر، الذي تابع سيره صعوداً وهبوطاً على الحبل. كانت بتي قد وجدت الهاتف الخلوي مع الشاحن على الأرض بجانب الأريكة، وقالت إن بمقدورها معرفة توقيت آخر محادثة أجراها. ذهب هاري إلى المطبخ وأثار المكان. وقف صرار أزرق لامع على ورقة قياس أيه. 4، يهزُّ قرني استشعاره نحوه، ثم تراجع بسرعة إلى القدر. رفع هاري الورقة؛ كانت بخط اليد. كان قد قرأ كل أنواع رسائل الانتحار، وقليل منها يعدُّ أدباً ربيعاً. بدت الكلمات الشائعة الأخيرة مثل هذيان مشوّش، أو صرخات يائسة للمساعدة، أو تعليمات مملة عمّن يجب أن يرث محمصة الخبز وأداة جزّ العشب. كان أحد أفضل معاني الرسائل التي رآها هاري

تلك التي كتبها مزارع من ماريدالن بالطباشير على جدار الحظيرة: لقد شق رجل نفسه هنا. اتصل بالشرطة رجاء. أعتذر. في ضوء ذلك، كانت رسالة ليف غريت استثنائية على الأقل، إن لم تكن فريدة:

عزيزي تروند

كثيراً ما تساءلت كيف يكون شعور المرء حين يختفي جسر المشاة من تحته فجأة. عندما تُفتح الهاوية ويعرف أن شيئاً خالياً تماماً من أي معنى على وشك أن يحدث، سيموت من دون هدف. ربما كانت لا تزال لديه أشياء يريد فعلها. ربما كان شخص ما يجلس وينتظره ذلك الصباح. ربما ظن أن ذلك اليوم سيكون بداية شيء جديد. بطريقة ما، كان محقاً بشأن ذلك...

لم أخبرك قط أنني زرتة في المستشفى. أخذت باقة كبيرة من الورود معي وأخبرته أنني قد رأيت ما حدث من نافذة شقتي، اتصلت بالإسعاف وزوّدت الشرطة بأوصاف الفتى ودراجته. كان يستلقي هناك على السرير، ضعيفاً وشاحباً جداً، وشكرني. ثم طرحت عليه سؤالاً معلقاً رياضياً سخيفاً: "كيف كان شعورك؟".

لم يرد. كان يستلقي هناك مع كل الأنابيب والمحاقن، ويراقبني. ثم شكرني مجدداً، وقالت ممرضة إنني يجب أن أغادر. من ثمّ لم أعرف قط كيف يكون ذلك الشعور، حتى فُتحت الهاوية يوماً ما تحتي أنا أيضاً. لم يحدث ذلك حين كنت أجري في إندوستريغاتا بعد السرقة. أو حين كنت أعدُّ المال بعدئذ، أو حين كنت أشاهد الأخبار. حدث ذلك بالطريقة نفسها التي حدثت للرجل العجوز. كنت أمشي سعيداً في صباح أحد الأيام، غافلاً عن أي خطر. كانت الشمس مشرقة، وقد عدت بأمان إلى داجودا، ويمكنني أن أسترخي وأبدأ التفكير. لقد أخذت من الشخص الذي أحببته حباً جماً أعزّ ما لديه. لدي مليوناً كرون أعيش بهما، لكن لا شيء أعيش من أجله. كان ذلك هذا الصباح. لا أتوقع أن تفهم هذا يا تروند. سرقت مصرفاً، عرفت أنها تعرّفت إليّ، وكنت عالماً في لعبة لها قواعدها الخاصة، ليس لأني منها مكان في عالمك. لا أتوقع أن تفهم ما أفعله الآن، لكن قد تفهم أنه يمكن أن تتعب من هذا أيضاً؛ من العيش.

ليف

ملحوظة: لم يخطر ببالي في ذلك الوقت أن الرجل العجوز لم يتسم حين شكرني. فكّرت في ذلك اليوم يا تروند. ربما لم يكن لديه شيء أو

شخص ينتظره بالمحصلة. ربما شعر بالراحة حين فُتحت الهاوية وظنّ أنه ليس مضطراً إلى فعل ذلك بنفسه.
كانت بتي تقف على كرسي بجانب جثة ليف حين دخل هاري. كانت تكافح لتفتح إحدى أصابع ليف حتى تستطيع ضغط طرفها داخل علبة معدنية صغيرة لامعة.
قالت: "تبا! لقد كانت علبة الحبر تحت الشمس في الفندق وقد جفّت".

"إذا لم تتمكني من الحصول على بصمة جيدة، فسنضطر إلى استخدام أسلوب الإطفائي".
"وما هو؟".

"يستخدم الناس الذين يعلقون في حريقٍ أيديهم تلقائياً. قد يبقى الجلد على أطراف الأنامل سليماً حتى في أجساد متفحمة، ويمكنك الاستفادة من البصمات لتحديد هوية الجثث. أحياناً، لأسباب عملية، يقطع رجال الإطفاء إصبعاً ويأخذونها إلى الطبيب الشرعي".
"ذلك يدعى تدنيساً لجثة".

هزّ هاري كتفيه وقال: "إذا نظرت إلى يده الأخرى، فستبين أنه يفتقر إلى أحد أصابعه سلفاً".

قالت: "يمكنني رؤية ذلك. يبدو أنها قد بُترت، ماذا يعني ذلك؟".
اقترب هاري وقال: "يعني أن الإصبع قد بُترت بعد وقت طويل من قيامه بشنق نفسه. ربما جاء شخص إلى هنا ورأى أنه قد قام بالعمل نيابة عنهم".
"من؟".

قال هاري: "حسناً، يعاقب الغجر، في بعض الدول، اللصوص ببتير أصابعهم. أعني إذا سرقوا من الغجر".
قالت بتي، وهي تمسح العرق عن جبينها: "أظن أنني قد حصلت على بصمة جيدة. هل يجب أن نقطع الحبل وننزله؟".
قال هاري: "لا. بعد أن نلقي نظرة في الجوار، سنرتّب كل شيء خلفنا ونخرج من هنا. رأيت كشك هاتف في الشارع الرئيس. سأتصل من هناك بالشرطة مدّعياً أنني مجهول وأبْلُغ عن الوفاة. عندما نصل إلى أوسلو، يمكن أن تتصلي بالشرطة البرازيلية وتطلبي منهم إرسال التقرير الطبي إلينا. لا أشك في أنه مات شنقاً، لكنني أريد وقت الوفاة".
"ماذا عن الباب؟".

"لا يسعنا فعل الكثير بهذا الشأن".
"وعنقك؟ الضمادة كلها حمراء".
"انسيها. ذراعي تؤلمني أكثر. وقعت عليها حين خلعت الباب".
"ما مدى سوء الحالة؟".
رفع هاري ذراعه بحذر شديد وكشّر. "إنها بخير، طالما أنني لا
أحرّكها".

"اعتبر نفسك محظوظاً؛ لأنك لست مصاباً بارتعاش ستسدال".
ضحك اثنان من الثلاثة في الغرفة، لكن الضحك تلاشى بسرعة.

* * *

في طريق عودتهما إلى الفندق، سألت بتي هاري إن كان ذلك كله
يبدو منطقياً له.
"من وجهة نظر تقنية، نعم. بخلاف ذلك، لا أظن أن الانتحار يبدو
منطقياً على الإطلاق".
نقر لفافة تبغته بعيداً، حيث رسمت مساراً قوسياً متوهجاً في الليل
المظلم تقريباً وتابع: "لكن، هذا أنا".

فُتحت النافذة بعنف.

قالت بصوت يرتعش: "تروند سيسافر". كان واضحاً أن شعرها الأبيض قد تلقى جرعة أخرى من موادّ كيميائية منذ زيارتهما الأخيرة، وفروة رأسها تلمع عبر الشعر الباهت ثم قالت: "هل كنتما في الجنوب؟".

رفع هاري وجهه الذي لفحته الشمس ونظر إليها.

"نوعاً ما. هل تعرفين أين هو؟".

قالت، وهي تشير إلى الطرف الآخر من المنازل: "إنه يضع الأمتعة في

سيارته. أظن أنه سيسافر، ذلك الرجل المسكين".

"مم".

أرادت بتي أن تغادر المكان، لكن هاري بقي مكانه وسأل المرأة: "لقد

عشت هنا وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم. أعيش هنا منذ اثنتين وثلثين سنة".

"يمكنك على الأرجح أن تتذكري ليف وتروند منذ كانا صغيرين،

صحيح؟".

"طبعاً. تركا بصمتهما على ديزنغرندا"، ابتسمت وانكأت على إطار

النافذة وقالت: "خاصة ليف. إنه فاتن حقيقي. كنا نعرف دائماً أنه سيكون

خطراً على السيدات".

"خطراً، نعم. ربما تعرفين قصة الرجل الذي سقط عن جسر المشاة؟".

اكفهر وجهها وهمست بصوت مأساوي: "أوه، نعم. عمل مروّع. سمعت

أنه لم يستطع قط المشي على نحو طبيعي مجدداً، ذلك الرجل المسكين.

تبيّست ركبته. هل يمكن أن تتخيّل ولداً صغيراً يفكر في مثل تلك الخدعة

الشريرة؟".

"مم. لا بدّ من أنه كان صبيّاً شقيّاً حقاً".

"صبيّاً شقيّاً؟"، حجبت عيناها عن الشمس وأضافت: "لن أقول ذلك

بالتحديد. كان فتى مهذباً حسن التربية، وأثار ذلك صدمة كبيرة".

"وعرف كل شخص هنا أنه قد فعل ذلك؟".

"الجميع. لقد رأيته من النافذة. سترة حمراء تنطلق على درّاجة. كان

يجب أن أعرف أن هناك خطباً ما حين عاد. أضحى وجه الفتى شاحباً

تماماً". ارتعشت في عصفه ريح باردة، ثم أشارت عبر الطريق.

كان تروند يمشي نحوهما وذراعاها متدلّيتان إلى جانبيه. أبطأ أكثر فأكثر

حتى أصبح يتحرك بصعوبة في النهاية.
قال حين وصل إليهما أخيراً: "إنه ليف، أليس كذلك؟".
قال هاري: "نعم".

"هل مات؟".

رأى هاري بطرف عينه الوجه الذي فغر فمه عند النافذة وقال:
"نعم، لقد مات".

قال تروند: "جيد"، ثم انحنى وأخفى وجهه بين يديه.
وقف بيارني مولر يحدّق عبر النافذة، وتعبير متجهّم قد ظهر على
وجهه حين نظر هاري عبر الباب نصف المغلق.
حين طرق هاري الباب، استدار مولر وأشرق وجهه قائلاً: "أوه، مرحباً".
"إليك التقرير أيها المدير". قذف هاري المغلّف أخضر اللون على
طاولته.

تهاوى مولر على كرسیه، واستطاع بعد جهد دفع ساقيه الطويلتين جداً
تحت الطاولة ووضع نظارته.

تمتم حين فتح المغلّف المكتوب عليه لائحة بالوثائق: "آها". كانت
هناك ورقة وحيدة قياس أيه. 4 في الداخل.

قال هاري: "لم أظن أنك تريد معرفة كل التفاصيل".
قال مولر وعيناه تنظران إلى السطور المتباعدة: "إذا كنت تقول ذلك،
فأنا واثق أنك محق".

نظر هاري من فوق كتف مديره خارج النافذة. لم يكن هناك شيء
يمكن رؤيته، باستثناء ضباب رطب كثيف يمتد مثل قطعة قماش مستعملة
فوق البلدة. وضع مولر الورقة.

"إذاً، ذهبت إلى هناك، أخبرك شخص أين يعيش الرجل، ووجدت
المسرّع متديلاً من حبل؟".

"باختصار شديد، نعم".

هزّ مولر كتفيه وقال: "ذلك يناسبني طالما أن لدينا دليلاً لا لبس فيه
أنه الرجل الذي كنا نبحث عنه".

"توثق ويبر من البصمات هذا الصباح".
"و؟".

جلس هاري على الكرسي.

"تتطابق مع تلك التي عثرنا عليها على قارورة الكولا كولا التي كان
السارق يحملها قبل أن يشرع في عمله".

"هل يمكننا أن نتوثق أنها القارورة نفسها...؟".

"استرخِ أيها المدير. لقد عثرنا على القارورة والرجل في الفيديو. قرأت في التقرير أن لدينا رسالة انتحار مكتوبة بخط اليد يعترف فيها ليف غريت بما فعله، أليس كذلك؟ ذهبنا إلى ديزنغندا هذا الصباح وأعلمنا تروند غريت. سألنا إن كان بمقدورنا استعارة بعض كتب ليف المدرسية القديمة من العلية، وأخذتها بتي إلى خبير الخطوط الشرعي. يقول إنه لا يوجد شك في أن رسالة الانتحار كتبها الشخص نفسه".

"نعم، نعم، نعم، أردت فقط أن أكون واثقاً تماماً قبل أن نعلن هذا يا هاري. إنها أخبار الصفحة الأولى، كما تعرف".

"حاول أن تكون أكثر سعادةً أيها المدير"، نهض هاري على قدميه وتابع: "لقد حللنا قضيتنا الكبرى في وقت قصير. يجب أن نزيّن المكان بأشرطة ملونة وبالونات".

تهنّد مولر قائلاً: "أنا واثق أنك محق"، سكت قليلاً قبل أن يسأل: "إذاً، لماذا لا تبدو أكثر سعادة؟".

"لن أشعر بالسعادة حتى نحل القضية الأخرى، كما تعرف..."، ذهب هاري نحو الباب وأضاف: "أقوم وهالفورسن بتنظيف طاولتنا اليوم، وسنبداً العمل على قضية إيلين غيلت غداً".

توقف هاري عند المدخل حين سمع مولر يتنحنح: "نعم أيها المدير؟". "كنت أتساءل كيف اكتشفت أن ليف غريت هو المسرع". "حسناً، النسخة الرسمية أن بتي تعرّفت إليه في الفيديو. هل تود سماع النسخة غير الرسمية؟".

قال مولر وهو يدلّك ركلة متييسة، وقد عاد التعبير المتجهّم إلى وجهه: "لا، على الأرجح".

قال هاري واقفاً عند مدخل دار الأمل: "مم".

قالت بتي، وهي تستدير على كرسيها وتنظر إلى الصور التي تظهر على الشاشة: "مم".

"أفترض أنني يجب أن أشكركِ على عمل الفريق الرائع".
"الشكر نفسه لك".

وقف هاري يعبث بمجموعة مفاتيحه وقال: "بأي حال، لا أظن أن إيفارسون سيبقى منزعجاً وقتاً طويلاً. بالمحصلة، استمتع ببعض المجد كأنها كانت فكرته أن يجعلنا فريقاً".

ابتسمت بتي ابتسامة باهتة وقالت: "لم يدُم ذلك طويلاً".

"لا تنسي ما قلته عن تعرفين مَنْ".

"لا". ومضت عيناها.

دفع هاري كتفيه إلى الأمام وقال: "إنه وغد. سأكون عديم ضمير إذا لم أخبرك".

"سرت بالتعرف إليك يا هاري".

خرج هاري تاركاً الباب يُغلق خلفه.

فتح هاري باب شقته، وضع حقيبته وكيس البلاي ستيشن في وسط أرضية الردهة وذهب إلى السرير. استيقظ بعد ثلاث ساعات نوم من دون أحلام على رنين الهاتف. استدار ونظر إلى الساعة؛ إنها 19:03. أخرج ساقيه من السرير، ثم مشى متثاقلاً إلى الردهة، ورفع السماعة قائلاً: "مرحباً أويستن" قبل أن يتمكن الشخص الآخر حتى من التعريف عن نفسه. قال أويستن: "مرحباً، أنت في أوسلو، وأنا في مطار القاهرة. قلنا إننا سنتكلم الآن، أليس كذلك؟".

قال هاري متثائباً: "أنت شخص دقيق في مواعيدك، وثل".

تلعثم أويستن ساخطاً: "لست ثملاً، لا. تناولت بضع كؤوس من شراب الشعير فقط. يجب أن تراقب سوائلك في الصحراء، كما تعرف. أنا صافي الذهن وصاحٍ يا هاري".

"سماع ذلك أمر جيد. أمل أن يكون لديك مزيد من الأخبار الجيدة".
"كما يقول الأطباء، هناك أخبار جيدة وأخرى سيئة. سأقول لك الأخبار الجيدة أولاً...".
"حسناً".

تبع ذلك صمت طويل، استطاع هاري في أثنائه سماع صوت طقطقة علت على ما بدا أنها أنفاس ثقيلة.
"أويستن؟".

"نعم؟".

"أنا أقف هنا، وأشعر بإثارة مثل طفل في الميلاد".

"ماذا؟".

"الأخبار الجيدة؟".

"أوه، نعم. مم، حسناً، حصلت على رقم الزبون يا هاري. لا مشكلة، كما يقولون هنا. إنه رقم هاتف خلوي نرويجي".
"خلوي؟ هل ذلك ممكن؟".

"يمكنك إرسال بريد إلكتروني لاسلكي إلى كل أنحاء العالم. تقوم فقط

بإيصال حاسوبك إلى هاتف خلوي يتصل بدوره بالمدّم. تلك أخبار قديمة يا هاري".

"لا بأس، لكن، هل لهذا الزبون اسم؟".

"آه... طبعاً، لكنه ليس لدى الرجال في الطور. يرسلون فقط فاتورة إلى مشغّل الهاتف النرويجي، تيلينور في هذه الحال، الذي يصدر بالمقابل فواتير للزبون النهائي. لهذا، اتصلت بالاستعلامات في النرويج وحصلت على الاسم".

"نعم؟". كان هاري مستيقظاً تماماً آنذاك.

"لقد وصلنا الآن إلى الأخبار التي ليست جيدة تماماً".

"لا بأس؟".

"هل تفقّدت فاتورة هاتفك مؤخراً يا هاري؟".

تطلّب الأمر بضع ثوانٍ قبل أن يفهم وقال: "هاتفني الخلوي. هل

يستخدم الوغد هاتفني الخلوي؟".

"لم يعد لديك، كما أفترض".

"لا، أضعته في تلك الأمسية... مع أنا. تباً!".

"ولم يخطر لك قط أن إلغاء الاشتراك ربما يكون فكرة سيّدة؟".

تأوه هاري: "يخطر لي؟ لم يخطر لي شيء معقول منذ بدأ هذا الأمر

القدر يا أويستن. آسف، أنا أستشيط غضباً. الأمر بسيط وواضح جداً. لهذا

السبب لم أعثر على هاتفني في شقة أنا، ولهذا يضحك".

"أعتذر لإفسادي يومك".

قال هاري، وقد ارتفعت روحه المعنوية فجأة: "انتظر لحظة. إذا

استطعنا إثبات أن لديه هاتفني، يمكننا أن نثبت أيضاً أنه كان في شقة أنا

بعد أن غادرتها أنا!".

زعق صوت عبر سماعة الهاتف: "مرحى!". ثم بحذر أكبر: "إذاً، كان

هذا يعني أنك سعيد بأي حال؟ مرحباً؟ هاري؟".

"لا أزال هنا. أنا أفكّر".

"جيد أن تفكر. تابع التفكير. لدي موعد مع ستيل. حسناً، مواعيد

عدّة في الواقع. وإذا كنت سألحق برحلة أو سلو...".

"تحياي يا أويستن".

وقف هاري والسماعة في يده، يفكّر إن كان يجب أن يرميها بقوة

على المرأة أم لا. عندما استيقظ صباح اليوم التالي، تمنّى أن يكون قد

حلم بالحديث إلى أويستن. في الواقع، هذا ما حدث. ست أو سبع نسخ

منه.

جلس راسكول مطأطئ الرأس وهو يسنده إلى يديه حين تكلم هاري.
لم يتحرك أو يقاطع حديثه حين وصف كيف كانا قد عثرا على ليف
غريت، وأن هاتفه الخلوي كان السبب في عدم حصولهم على دليل ضد
قاتل آنا. عندما أنهى هاري كلامه، بسط راسكول ذراعيه ورفع رأسه ببطء
قائلاً: "إذاً، لقد حللت قضيتك، لكن قضيتي لم تُحل".
"لا أراهما قضيتي وقضيتك يا راسكول. مسؤوليتي...".
قاطعته راسكول: "أنا أراهما كذلك أيها السيوني. أنا أدير منظمة
عسكرية".

"مم. ما الذي تعنيه بالتحديد؟".
أغمض راسكول عينيه وقال: "هل أخبرتك سابقاً عن الوقت الذي دعا
فيه الملك وو صن تزو ليعلم سيدات البلاط فنون الحرب أيها السيوني؟".
"حسناً، لا".

ابتسم راسكول وقال: "كان صن تزو مثقفاً، وبدأ يشرح بدقة ومنهجية
تعليمات المسير للنساء. عندما قُرعت الطبول، لم يسرن، وإنما قهقهن
وضحكن فحسب. قال صن تزو: إنه خطأ القائد إذا لم تُفهم التعليمات،
وشرح مرة أخرى. لكن الشيء نفسه حدث حين أصدر أمر السير. قال: إنه
خطأ الضابط إذا فهم الأمر لكنه لم يُنفذ، وأمر اثنين من رجاله بانتقاء
اثنتين من النساء. أوقفوهما وقطعوا رأسيهما أمام النساء الأخريات
المذعورات. عندما سمع الملك أن اثنتين من خليلاته المفضلات قد أُعدمتا،
مرض ولزم سريره أياماً عدّة. وعندما نهض مجدداً، عين صن تزو قائداً
لقواته المسلحة". فتح راسكول عينيه وتابع: "ماذا تعلمك هذه القصة أيها
السيوني؟".

لم يرد هاري.
"حسناً، تعلمنا أنه في تنظيم عسكري يجب أن يكون المنطق كاملاً
وراسخاً تماماً. إذا تهاونت في أوامرك، فستجد نفسك مع نساء بلاط
يقهقهن. عندما جئت تطلب 40.000 كرون، حصلت عليها؛ لأنني صدقت
قصة الصورة في حذاء آنا؛ لأن آنا غجرية. عندما نساfer نحن العجر، نترك
علامات عند مفارق الطرقات؛ وشاحاً أحمر مربوطاً حول غصن، قطعة عظم،
ولكل منها معنى مختلف. الصورة تعني أن شخصاً قد مات، أو سيموت.
لم تكن تعرف ذلك، لهذا وثقت بما قلته". وضع راسكول يديه على
الطاولة، جاعلاً راحتي كفيه إلى الأعلى وقال: "لكن الرجل الذي قتل ابنة
شقيقي حر، وعندما أنظر إليك الآن أرى غانية تقهقه أيها السيوني. رسوخ

تام. أخبرني اسمه أيها السبيوني".
أخذ هاري نفساً. كلمتان. أربعة مقاطع صوتية. إذا كشف اسم آلبو،
فما الحكم الذي سيناله آلبو؟ جريمة قتل مع سبق الإصرار بدافع الغيرة.
تسع سنوات، ويخرج بعد ست؟ والعواقب على هاري؟ سيكشف التحقيق
من دون شك معلومة أنه، بصفته شرطياً، قد أخفى الحقيقة لمنع توجيه
إصبع الاتهام إليه. كان في موقف حرج. كلمتان، أربعة مقاطع صوتية.
ستحل كل مشكلات هاري. سيكون آلبو الشخص الذي يواجه العاقبة
الأخيرة.

كان جواب هاري مقطعاً واحداً.
أوما راسكول ونظر إلى هاري بعينين حزينتين وقال: "كنت أخشى أن
تقول ذلك. إذاً، لا تمنحني أي خيار أيها السبيوني. هل تتذكر ما أجبتك به
حين سألتني عن سبب ثقتي بك؟".
أوما هاري.

"الجميع لديهم شيء يعيشون من أجله. أليس ذلك صحيحاً أيها
السبيوني؟ شيء يمكن حرمانهم منه. حسناً، هل ترن في الغرفة 316 أي
أجراس؟".

لم يرد هاري.

"إذاً، دعني أخبرك. 316 هو رقم غرفة في فندق إنترناشيونال في
موسكو. يخضع أوليغ للرقابة في ذلك الطابق. ستتقاعد قريباً وستود تمضية
عطلة لطيفة طويلة بجانب البحر الأسود. هناك ثلاثة سلام ومصعد إلى
اليسار. إضافة إلى مصعد الموظفين. كما يوجد في الغرفة سرير مزدوج".
غص هاري.

وضع راسكول جبينه على يديه المفتوحتين: "الصغير ينام قرب النافذة".
نهض هاري، ثم ذهب إلى الباب وضربه بقوة. استطاع سماع الصدى
يتردّد في الرواق في الخارج. استمر يدق على الباب حتى سمع المفتاح في
القفل.

وضع الاهتزاز

قال أويستن، وهو يركن سيارة الأجرة بجانب الرصيف خارج متجر إلمار للفاكهة والتبغ: "آسف، لكنني جئت في أسرع وقت ممكن".
قال هاري، متسائلاً إن كان سائق الحافلة القادمة من اليمين قد أدرك أن أويستن لا ينوي التوقف: "أهلاً بعودتك".
"نحن ذاهبان إلى سلمدال، أليس كذلك؟". تجاهل أويستن أصوات البوق الصاخبة من الحافلة.
"بيورنترأكت. تعرف أن عليك إفساح الطريق هنا؟".
"قررت ألا أفعل ذلك".
نظر هاري إلى صديقه، واستطاع أن يميّز عينين محتقنتين خلف الشقّين الضيقين.

"متعب؟".

"وعشاء السفر".

"فرق التوقيت بين هنا ومصر ساعة واحدة يا أويستن".

"على الأقل".

نظراً إلى أن ممتص الصدمات والنوابض في مقعده لم تعد تعمل آنذاك، شعر هاري بكل حجر وتغير في مستوى الشارع في أثناء انطلاقهم عبر المنعطفات في طريقهم صعوداً إلى منزل آلبو، لكنه لم يهتم لذلك إطلاقاً آنذاك. استعار هاتف أويستن الخلوي، اتصل بفندق إنترناشيونال والغرفة 316، فأجاب أوليغ على الهاتف، حيث استطاع هاري سماع السعادة في صوته حين سأله أوليغ عن مكانه.

"في السيارة. أين أمك؟".

"في الخارج".

"لم أكن أظن أن عليها الذهاب إلى المحكمة حتى الغد".

قال بصوت راشد: "يجتمع كل المحامون في كوزنتسكي موس. ستعود

بعد ساعة".

"اسمع يا أوليغ، هل يمكنك نقل رسالة إلى أمك؟ أخبرها أن تغير

الفندق، فوراً".

"لماذا؟".

"لأنني... قلت ذلك. أخبرها فحسب، اتفقنا؟ سأصل مجدداً لاحقاً".

"حسناً".

"فتى مطيع. يجب أن أنهي المكاملة الآن".
"أنت...".

"ماذا؟".

"لا شيء".

"لا بأس. لا تنس أن تخبر أمك ما قلته لك".

ضغط أويستن على المكابح وتوقف بجانب الرصيف.

قال هاري وهو يخرج: "انتظر هنا. إذا لم أعد بعد عشرين دقيقة،

فاتصل بغرفة العمليات، بالرقم الذي زوّدتك به. أخبرهم...".

"المفتش هول من شعبة الجريمة يريد سيارة دورية مع شرطين

مسلحين هنا فوراً. فهمت يا هاري".

"جيد. إذا سمعت إطلاق نار، فاتصل فوراً؟".

"حسناً. ما هذا الفيلم مجدداً؟".

نظر هاري إلى المنزل، لكنه لم يسمع نباحاً. تجاوزتهما بي. أم. أف.

زرقاء داكنة ببطء، وتوقفت بعيداً عنهما في الشارع. بخلاف ذلك كان كل

شيء هادئاً.

تنفّس هاري: "معظمها".

كشّر أويستن. "رائع!". ثم ظهر تغصن اهتمام بين عينيه وقال: "الوضع

مقبول، أليس كذلك؟ ليس خطراً على نحو جنوني؟".

* * *

فتحت فيغديس أبو الباب. كانت ترتدي كنزة بيضاء وتنورة قصيرة

مكويتين حديثاً، لكن بدت بعينيها المشوّشتين أنها قد خرجت للتو من

السريّر.

قال هاري: "اتصلت بمكتب زوجك. أخبروني أنه في المنزل اليوم".

قالت: "ربما. لم يعد يعيش هنا الآن أيها المفتش. كنت أنت من

كشفت كل هذه العلاقة ب... ب...". أومأت كأنها تبحث عن الكلمة المناسبة،

لكنها أرغمت نفسها بابتسامة فاترة على الاقتناع أنه لا وجود لكلمة أخرى:

"... الساقطة".

"هل أستطيع الدخول يا سيدة أبو؟".

دفعت كتفيها إلى الأمام، وارتعشت لتعبّر عن اشمئزازها ثم قالت:

"ادعني فيغديس أو أي شيء، لكن ليس ذلك".

"فيغديس"، سكت هاري ثم قال: "هل يمكنني الدخول الآن؟".

تقوَس الحاجبان الرفيعان المشدّبان. تردّدت، ثم مدّت يدها: "لِمَ لا؟".

ظنَّ هاري أن بمقدوره تمييز رائحة شراب خفيفة، لكن ربما كان ذلك عطرها. لم يكن شيء في المنزل يوحي بأي أمر غير معتاد؛ كان نظيفاً، تفوح منه رائحة شذا، ومرتباً. كانت هناك ورود نضرة في زهرية على المائدة. لاحظ هاري أن غطاء الأريكة أصبح أبيض ناصعاً مقارنة بالقماش المصفر الذي جلس عليه آخر مرة، وسمع موسيقى كلاسيكية خافتة تصدر من مكبر صوت لم يره.

سأل هاري: "ماهلر؟ (غوستاف: موسيقي ألماني)".

قالت فيغديس: "أفضل الأعمال. لا يشتري آرنيه إلا مجموعات كاملة.

كان يقول دائماً إن أي شيء باستثناء الأفضل لا يستحق العناية".

"جيد أنه لم يأخذ المجموعات معه. أين هو بالمناسبة؟".

"أولاً، لا يمتلك شيئاً مما تراه هنا. ولا أعرف أو أرغب في أن أعرف

أين هو. هل لديك لفافة تبغ أيها المفتش؟".

مرّر هاري العلبة لها، وحين شاهدها تحاول إشعال ولاعة مصنوعة من

الخشب والفضة، انحنى عبر الطاولة بولاعته العادية.

"شكراً. إنه في الخارج، كما أخمن. في مكان ما حار. أخشى أنه ليس

حارقاً كما أودّ أن يكون".

"مم. ماذا تعنين بأنه لا يملك شيئاً هنا؟".

"ما قلته تماماً. المنزل، والأثاث، والسيارة... كلها لي"، نفخت الدخان

بقوة وتابعت: "اسأل محامي".

"ظننت أن زوجك يمتلك المال...".

"لا تدعه هكذا!". بدا أن فيغديس تحاول استهلاك كل التبغ في

اللفافة. "نعم، آرنيه يمتلك مالاً. لديه ما يكفي لشراء هذا المنزل، والأثاث،

والسيارات، والبزات، والشاليه، والمجوهرات التي أهداني إياها فقط ليتفاخر

أمام أصدقائه المزعومين. الشيء الوحيد الذي يهم آرنيه هو رأي الآخرين به.

أسرته، أسرتي، الزملاء، الجيران، أصدقاء الدراسة". جعل الغضب صوتها قاسياً

وأجش كأنها تتكلم عبر مكبر صوت. "كان الجميع يشاهد حياة آرنيه ألبو

الرائعة. كان يُفترض أن يصفقوا حين تكون الأمور على ما يرام. لو أن

آرنيه كان قد استثمر في إدارة الشركة الطاقة نفسها التي استنفدها لنيل

استحسان الآخرين، لربما لم تكن أعمال مؤسسة ألبو قد تدهورت كما

حدث".

"وفقاً لداجنز نيرينغسليف، كانت مؤسسة ألبو مشروعاً ناجحاً".

"كانت ألبو مؤسسة أسرية، لا شركة مسجلة في سوق الأسهم يجب أن

تنشر تفاصيل عن حساباتها. جعلها آرنيه تبدو رابحة لبيع أصولها"، سحقت نصف لفافة التبغ التي لم تدخنها بعد في صحن السجائر، وتابعت: "عانت الشركة قبل بضع سنين أزمة سيولة حادة. ولأن آرنيه كان مسؤولاً شخصياً عن الدين، جعل المنزل وكل ممتلكاتنا الأخرى ملكاً لي وللأولاد".

"نعم، لكن الشارين دفعوا مبلغاً كبيراً؛ ثلاثين مليوناً، كما ذُكر في الصحيفة".

أطلقت بتي تنهيدة مريرة وقالت: "إذاً، صدّقت قصة رجل الأعمال الناجح الذي تقاعد لتمضية مزيد من الوقت مع أسرته، أليس كذلك؟ آرنيه بارع في العلاقات العامة، أقرّ بذلك. دعني أصف لك الأمر بالطريقة التالية: كان لدى آرنيه خيار إما خسارة الشركة أو الإفلاس. وطبعاً اختار الأول".

"والثلاثون مليوناً؟".

"يستطيع آرنيه أن يبدو فاتناً حين يرغب في ذلك؛ والناس يصدّقون ذلك. يعدُّ لهذا السبب بارعاً في المفاوضات، خاصة في مواقف ضاغطة. هذا ما جعل المصرف والمورد يحافظان على استمرار العمل أطول مدة ممكنة. فاوض آرنيه على بندين في العقد مع المورد في ما يجب أن يكون استسلاماً غير مشروط. سُمح له الاحتفاظ بالشاليه، الذي كان لا يزال ملكه، وأقنع الشاري أن يسجّل مبلغ الصفقة بثلاثين مليوناً. لم يكن ذلك يعني الكثير لهما؛ لأنهما يستطيعان شطب المبلغ كله مقابل دين مؤسسة آلبو. جعل إفلاساً يبدو مثل صفقة مبيعات ناجحة. ليس عملاً سيئاً، أليس كذلك؟".

أعدت رأسها إلى الخلف وضحكت، واستطاع هاري رؤية الندبة الصغيرة تحت الذقن التي خلفها شدّ الوجه.

سأل: "ماذا عن أنا بيثسن؟".

"خيلته؟"، وضعت ساقاً على ساق، وأبعدت شعرها عن وجهها بإصبعها وحدّقت إلى الخواء من دون مبالاة، ثم قالت: "كانت مجرد دمية، وغلطته الشنيعة هي رغبته المتقدمة في لفت أنظار الشباب إلى محبوبته الغجرية. لم يكن كل من يعدّهم آرنيه أصدقاء يكتّون له أي ولاء خاص، كما يسعني القول. باختصار، وصل الأمر إلى مسامعي".

"و؟".

"منحته فرصة أخرى، من أجل الأولاد. أنا امرأة عاقلة"، نظرت إلى هاري عبر جفنين ثقيلين وتابعت: "لكنه لم يستغلّها".

"ربما اكتشف أنها أكثر من مجرد دمية؟".

لم ترد، لكن الشفتين الرقيقتين أصبحتا أكثر رقة.
سأل هاري: "هل كان لديه مكتب أو شيء من هذا القبيل؟".
أومأت فيغديس ألبو.

تقدمت الطريق على السلام. "كان يوصد الباب على نفسه ويجلس
هنا نصف الليل". فتحت الباب إلى غرفة في العلية تطلّ على سطوح
الجيران.
"يعمل؟".

"يتصفّح الإنترنت. كان مدمناً تماماً. قال إنه يشاهد سيارات، لكن الله
وحده يعلم ماذا كان يفعل".

ذهب هاري إلى الطاولة وفتح أحد الأدراج. "أفرغها؟".
"أخذ كل ما لديه هنا معه. ملاً كيساً واحداً".
"الحاسوب أيضاً؟".

"كان حاسوباً محمولاً".
"كان يصله إلى هاتف خلوي؟".
رفعت حاجباً وقالت: "لا أعرف شيئاً عن ذلك".
"كنت أتساءل فحسب".

استدار هاري حول نفسه. كانت فيغديس تستند إلى إطار الباب
واضعةً ذراعاً حول رأسها والأخرى على حجرها. كان الشعور بأن ذلك منظر
مألوف غامراً.

"لديّ سؤال واحد أخير يا سيّدة... فيغديس".
"أوه، هل أنت على عجلة من أمرك أيها المفتش؟".
"الوقت ينقضي في سيارة الأجرة في الخارج. السؤال بسيط. هل تظنين
أنه قد قتلها؟".

أمعنت النظر إلى هاري وقتاً طويلاً، في حين كانت تنقر بكعب
حذاءها برفق على عتبة الباب وهاري ينتظر ردّها.
"هل تعرف أول شيء قاله حين أخبرته عن خليلته؟ عديني أنك لن
تخبري أحداً يا فيغديس. ما كان يجب أن أخبر أحداً! بالنسبة إلى آرنيه،
كانت نظرية أن الآخرين يعدّوننا سعيدين أكثر أهمية مما إذا كنا كذلك
حقاً. جواي أيها المفتش أنه ليست لدي فكرة عمّا يستطيع فعله. لا أعرف
الرجل".

أخرج هاري بطاقة من جيبه الداخلي وقال: "أود منك الاتصال بي إذا
اتصل بك أو اكتشفت مكانه. على الفور".

نظرت فيغديس إلى بطاقته وابتسامه صغيرة تلعب على شفيتها
الزهريتين الشاحبتين وقالت: "فقط عندها أيها المفتش؟".
لم يرد هاري.

استدار إليها على الدرجات في الخارج وسألها: "هل أخبرت أحداً؟".
"أن زوجي غير مخلص؟ ماذا تظن؟".
"أظن أنك امرأة عملية".
ابتسمت ابتسامه عريضة.

* * *

قال أويستن: "ثماني عشرة دقيقة. تبا، كان قلبي قد بدأ يخفق بقوة".
"هل اتصلت بهاتفي الخلوي القديم حين كنت هناك؟".
"طبعاً، لقد اتصلت مراراً وتكراراً".
"لم أسمع شيئاً. لم يعد هناك الآن".
"آسف، لكن هل سمعت بالاهتزاز؟".
"ماذا؟".

حاكى أويستن نوبة صرع وقال: "مثل تلك. وضع الاهتزاز. هاتف
صامت".

"هاتفي يكلف كروناً واحداً ويرن فقط. لقد أخذه معه يا أويستن.
ماذا حدث لسيارة البي. أم. أف. الزرقاء في آخر الشارع؟".
"ماذا؟".

تنهد هاري وقال: "لنذهب من هنا".

ماغلايت

صرخت راكيل عبر الهاتف: "هل تقول لي إن معتوهاً يلاحقنا؛ لأنك لم تستطع العثور على الشخص الذي قتل أحد أفراد أسرته؟".
أغمض هاري عينيه؛ كان هالفورسن قد ذهب إلى متجر إلمار ولا أحد سواه في المكتب وقال: "باختصار، نعم. لقد عقدت اتفاقاً معه، ونفّذ جانبه منه".

"ولهذا السبب نحن مطاردان؟ لهذا يجب أن أغادر الفندق مع ابني، الذي سيكتشف بعد بضعة أيام إن كان سيُسمح له بالبقاء مع والدته أم لا؟ ذلك... ذلك...". أصبحت نبرة صوتها عالية وغازبة ومنتقطة. تركها تسترسل من دون أن يقاطعها: "لماذا يا هاري؟".
قال: "أقدم سبب في العالم. انتقام الدم. الثأر".
"ما علاقة ذلك بنا؟".

"كما قلت: لا شيء. أنتِ وأوليغ لستما الغاية، إنما الوسيلة فقط. يرى هذا الرجل أن من واجبه الثأر من القتل".
"واجبه؟". كادت صرختها تثقب طبلة أذن هاري. "الثأر هو أحد تلك الأعمال الخاصة التي تحبونها أنتم الرجال كثيراً. هذا ليس واجباً، إنه دافع الإنسان القديم".

انتظر حتى أنهت كلامها وقال: "آسف بشأن هذا، لكن لا يمكنني فعل شيء الآن".

لم ترد.

"راكيل؟".

"نعم".

"أين أنتِ؟".

"إذا كان ما تقوله صحيحاً، وأنه عثر علينا في منتهى السهولة، فأنا لست واثقة أنني سأخاطر بإخبارك عبر الهاتف".
"لا بأس. هل أنتِ في مكان آمن؟".
"أظن ذلك".

"جيد".

صدر صوت روسي ثم اختفى، كما يحدث في محطة إذاعية تبث على موجة قصيرة.

"لماذا لا يمكنك أن تطمئنني أننا لسنا في خطر يا هاري؟ أخبرني أنه

خيالك، أنهم يخادعون..."، كان صوتها قد أصبح منهكاً عند النهاية، "... أي شيء...".

استغرق هاري وقتاً كي يرد، ثم قال بصوت هادئ وواضح: "يجب أن تخافي يا راكيل، أن تذعري كفاية لتفعلي الشيء الصحيح".
"وهو؟".

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال: "سأصحح الأمور. أعدك. سأصوّب الأمور".
اتصل هاري بفيغديس عندما أنهت راكيل المكالمة، وأجابت بعد الرنة الأولى.

"أنا هول. هل تجلسين بجانب الهاتف بانتظار شخص ما يا سيدة ألبو؟".

"ماذا تظن؟". عرف هاري من الحديث المتلعثم أنها قد تناولت بضعة كؤوس على الأقل منذ غادر منزلها.
"لديّ فكرة، لكنني أودُّ منك أن تتقدمي بشكوى عن اختفاء زوجك".
"لماذا؟ لا أشتاق إليه". أطلقت ضحكة قصيرة وحزينة.
"حسناً، أحتاج إلى سببٍ لإطلاق عملية البحث عنه. يمكنك أن تختاري: إما أن تتقدمي بشكوى عن اختفائه، أو أعلن أنا أنه يخضع لتحقيق في جريمة قتل".

تبع ذلك صمت طويل ثمّ قالت: "لا أفهم أيها الشرطي".
"ليس هناك كثير لفهمه يا سيدة ألبو. هل يمكنني القول إنك قد بلّغتي عن اختفائه؟".

صرخت: "انتظري!", سمع هاري كأساً يُحطّم على الطرف الآخر، "ما الذي تتكلم عنه؟ آرنيه خاضع لتحقيق سلفاً".
"من قبلي، نعم، لكنني لم أبلغ أحداً بعد".
"أوه؟ وماذا عن أفراد الشرطة الثلاثة الذين جاءوا إلى هنا بعد أن غادرت أنت؟".

شعر هاري أن إصبعاً باردة تمر على عموده الفقري وقال: "ثلاثة أفراد من الشرطة؟".

"ألا تتواصلون في سلك الشرطة؟ لم يرغبوا في أن يرحلوا. شعرت بالخوف تقريباً".

قال هاري وهو ينهض عن كرسيه المكتبي: "هل وصلوا في سيارة بي. أم. أف. زرقاء يا سيدة ألبو؟".

"هل تتذكر ما قلته لك بشأن السيدة يا هاري؟".

"ماذا أخبرتهم؟".

"ليس الكثير. لا شيء لم أخبرك به، على ما أظن. ألقوا نظرة على بعض الصور و... حسناً، لم يكونوا مهذبين تماماً، لكن...".

"ماذا أعطيتهم حتى غادروا؟".

"غادروا؟".

"لم يكونوا ليغادروا لو لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه. صدقيني يا سيدة ألبو".

"هاري، لقد تعبت الآن من تذكيرك...".

"فكرّي! هذا مهم".

"يا الله، أقول لك إنني لم أخبرهم شيئاً. أنا... نعم، شغلت رسالة مسجلة تركها آرنيه على المجيب الآلي قبل يومين. ثم غادروا".

"قلت إنك لم تتكلمي معه".

"لم أفعل. قال فقط إنه سيأخذ غريغور، وكان ذلك صحيحاً. استطعت

سماع غريغور ينبح".

"من أين كان يتصل؟".

"كيف لي أن أعرف؟".

"عرف زوارك ذلك بأي حال. هذه مسألة..."، حاول هاري أن يفكر في طريقة أخرى لقول ذلك، ثم قال: "... حياة أو موت".

كان هناك كثير مما لا يعرفه هاري عن الطرقات والاتصالات. لم يكن يعرف أن الحسابات قد أظهرت أن بناء نفقين في فينتربرو وتوسيع الطرقات العامة ستخفف ازدحام السير الخانق على إي 6 جنوب أوسلو. لم يكن يعرف أن القول الفصل لمصلحة هذا الاستثمار بمبلغ مليار كرون لم يكن للناخبين الذين ينتقلون بين موس ودروباك، وإنما لسلامة حركة المرور.

استخدمت سلطات الطرقات صيغةً لحساب الفوائد الاجتماعية، بناءً على تقويم حياة إنسان واحد بمبلغ 20.4 مليون كرون، وتتضمن سيارات إسعاف، وتغيير اتجاه حركة السير، والخسائر المستقبلية من ضريبة الدخل. لم يكن هاري يعرف - متجهاً جنوباً - على إي 6 في سيارة أويستن المرسيدس، في ازدحام شديد - القيمة التي يمكن أن يضعها لحياة ألبو. لم يكن يعرف بالتأكيد ما يمكن أن يكسبه من إنقاذه. كل ما كان يعرفه هو أنه لا يستطيع أن يخسر ما يوشك على خسارته. ليس تحت أي ظروف. لهذا لم يكن الأمر يتطلب إمعان التفكير فيه.

كانت الرسالة المسجلة التي شغلتها فيغديس ألبو له عبر الهاتف قد

استمرت خمس ثوانٍ، واحتوت معلومة قيّمة واحدة فقط، ولكنها كانت كافية. لم يكن هناك شيء في الكلمات الثماني القصيرة التي قالها آرنيه آلبو قبل أن ينهي المكالمة: أخذت غريغور معي. أقول هذا فقط كي تعرفي. لم يكن غريغور هو الذي ينبح مسعوراً.

كانت تلك صرخات باردة: صرخات طيور النورس.

كان الليل قد خيم حين ظهرت لافتة منعطف لاركولن.

كان الجيب الشيروكي خارج الشاليه، لكن هاري تابع طريقه إلى

الساحة. لم تكن هناك سيارة بي. أم. أف. قاد السيارة وركنها بمحاذاة

الشاليه مباشرة. لم تكن هناك فائدة من محاولة التسلل إليه، وكان قد

سمع آنذاك النباح حين أنزل النافذة في طريقه إلى المكان.

أدرك هاري أنه كان يجب أن يحمل سلاحاً معه، إذ لم يكن هناك

طبعاً أي سبب لافتراض أن آرنيه آلبو مسلح، ولم يكن يعرف إن كان

شخص ما قد طلب حياته، أو ليكون أكثر دقة، موته. لكنهما لم يكونا

الممثلين الوحيديين في هذه المسرحية في ذلك الوقت.

خرج هاري من السيارة، ولم يرَ أو يسمع أي طيور نورس آنذاك؛ ربما

لا تصدر أصواتاً إلا في وضح النهار، كما فكر.

كان غريغور مقيداً بسلسلة إلى الدرابزين بجانب الدرجات الأمامية.

لمعت أنيابه في ضوء القمر، مما جعل رعشات باردة تسري في عنق هاري

الذي لا يزال يؤلمه، لكنه أرغم نفسه على الاقتراب من الكلب الذي ينبح

ببطءٍ وبشكل متواصل.

همس هاري حين أصبح قريباً جداً حيث يستطيع مسّ أنفاس الكلب

الرمادية: "هل تتذكرني؟". اهتزت السلسلة المشدودة خلف غريغور، وجثم

هاري أرضاً، ولاندهاشه خفّ النباح. أوحى الصوت الخشن أنه كان ينبح

منذ بعض الوقت. دفع غريغور قائمته الأماميتين إلى الأمام، خفض رأسه

وتوقف تماماً عن النباح. أمسك هاري مقبض الباب الذي كان موصداً. هل

يمكنه سماع صوت في الداخل؟ كان هناك ضوء في غرفة المعيشة.

"آرنيه آلبو!"

لا جواب.

انتظر هاري وحاول مجدداً.

لم يكن المفتاح في المصباح. عثر على حجر كبير مناسب، قفز فوق

درابزين الشرفة، حطّم أحد الألواح الخشبية الصغيرة في باب الشرفة، ثم مدّ

يده عبر الفتحة وفتح الباب.

لم تكن هناك إشارة على نزاع في الغرفة، وإنما رحيل مفاجئ. وجد هاري كتاباً مفتوحاً على الطاولة، فأمسك به: ماكبث شكسبير. كان أحد سطور النص محاطاً بخط أزرق. نفذت كلماتي، صوتي في سيفي. جال ببصره في أنحاء الغرفة لكنه لم يرَ قلماً في أي مكان.

وحده السرير في أصغر غرف النوم كان قد استُخدم، وهناك نسخة من مجلة للرجال على طاولة بجانب السرير.

كان مذياع صغير، يلتقط بث محطة بي 4 الإخبارية، يثرثر بهدوء في المطبخ فأوقفه هاري عن العمل. كان على نضد المطبخ شريحة لحم ذاب عنها الثلج وقتبيط لا يزال مغلفاً بالنايلون. أمسك هاري قطعة اللحم وذهب إلى الرواق. كان الكلب يחדش بمخالبه الباب، ففتحه. حدقت عينا كلب بنيتان إليه، أو ليكون أكثر دقة، إلى شريحة اللحم التي ما إن ارتطمت بالدرجة حتى مُزقت إلى قطع صغيرة.

راقب هاري الكلب المتوتر، في حين كان يفكر ملياً في ما سيفعله؛ إذا كان هناك شيء يمكن أن يفعله. لم يقرأ آرنيه ألبو شكسبير، بكل تأكيد. عندما اختفت آخر قطعة من اللحم، بدأ غريغور ينبح بحيوية متجددة نحو الطريق. مشى هاري إلى الدرايزين، فكّ السلسلة ووجد صعوبة في البقاء واقفاً على قدميه على الأرضية الرطبة حين انطلق غريغور. جرّه الكلب على الدرب، عبر الطريق ونزولاً على المنحدر حيث استطاع هاري رؤية أمواج سوداء تتكسر على صخور مصقولة تلمع بيضاء في ضوء الهلال. خاضا عبر أعشاب طويلة ورطبة علقت بساقي هاري كأنها لا تريد أن تفارقه، لكن غريغور لم يتوقف حتى صرّ الحصى والرمل تحت حذاء هاري. دار غريغور مرتبكاً وذيله مرفوع إلى الأعلى. كانا يقفان على الشاطئ، البحر في حالة مد، والأمواج تصل تقريباً إلى الأعشاب اليابسة وتفور كأن هناك ثاني أوكسيد الكربون في الزبد الذي يبقى على الرمل حين تتراجع المياه. وبدأ غريغور ينبح مجدداً.

سأل هاري، غريغور ونفسه في الوقت ذاته: "هل استقل قارباً؟ هل كان وحيداً أم بصحبة آخرين؟".

لم يحصل على جوابٍ عن أيٍّ من السؤالين. بالرغم من ذلك، كان واضحاً أن الأثر ينتهي هناك. عندما شدّ هاري الطوق، رفض الروتويلر الضخم أن يتزحزح. لهذا، شغل هاري المصباح اليدوي الصغير ووجه شعاعه إلى البحر. كان كل ما استطاع رؤيته صفوفاً من أمواج بيضاء، مثل خطوط ممنوعات على مرآة سوداء. كان واضحاً وجود منحدر صغير تحت الماء. شدّ

هاري الطوق مجدداً، لكن الكلب نبج يائساً وبدأ يحفر الرمال تحته.
تنهد هاري، أوقف عمل المصباح اليدوي ومشى عائداً إلى الشاليه.
حضر لنفسه فنجان قهوة في المطبخ واستمع إلى النباح البعيد. بعد أن
غسل الفنجان، عاد إلى الشاطئ ووجد ثغرة بين الصخور يجلس فيها
ويحتمي من الريح. أشعل لفافة تبغ وحاول أن يفكر، ثم شدّ معطفه
حواله بقوة وأغمض عينيه.

* * *

كانا في إحدى الليالي في سريرها وقد قالت أنا شيئاً. لا بدّ من أن
ذلك كان قرب نهاية الأسابيع الستة، ولا بدّ من أنه كان صاحباً أكثر من
المعتاد؛ لأنه يتذكر ذلك. كانت قد قالت إن سريرها سفينة، وأنها وهاري
ناجين من الغرق، شخصان وحيدان يجرفهما البحر، مذعوران ويرغبان في
رؤية اليابسة. هل كان ذلك ما حدث لاحقاً؟ هل شاهدت اليابسة؟ لم يتذكر
الأمر على تلك الحال. شعر أنه قد قفز من السفينة، إلى البحر. ربما كانت
ذاكرته تخدعه.

أغمض عينيه وحاول أن يستعيد صورة لها. ليس من الوقت الذي
كانت الأمواج تتقاذفهما فيه، لكن من آخر مرة كان قد رآها. كانا قد
تناولا الطعام معاً، على ما يبدو. قامت بملء كأسه؛ هل كان شراباً فرنسياً؟
هل تذوقه؟ كما يبدو. ملأت كأسه مجدداً. كان قد فقد السيطرة على زمام
الأمر. أوقع كأسه وضحكت عليه. قبّلته ثم رقصت له. همست كلماتها
الغريبة العذبة المعتادة في أذنه. كانا قد تكوّرا في السرير. هل كان ذلك
سهلاً جداً لها حقاً؟ أو له؟
لا، ليس الأمر كذلك.

لكن هاري لم يكن يعرف ذلك حقاً. لم يكن بمقدوره أن يقول بثقة
تامة إنه لم يكن مستلقياً في السرير في سورجنفريغاتا وابتسامة سعادة على
شفتيه. كان قد التقى مجدداً بحبيبة سابقة، في حين أن راكيل تستلقي
تحديق إلى سقف فندق في موسكو، يجافيتها النوم خوفاً من فقدان ابنها.
تكور هاري على نفسه. هبت ريح باردة قاسية عبرته مباشرة كأنها
شبح. كانت تلك أفكاراً استطاع إبعادها عنه، لكنها تحتشد الآن ضده: إذا
لم يكن يعرف إن كان استطاع خيانة المرأة التي أحبها حباً جمماً، فكيف
يمكن أن يعرف ما قد فعله غير ذلك؟ قال أون إن الشراب والممنوعات
تقوي قدرات كامنة فينا أو تضعفها فقط. لكن من يعرف بالتأكيد ماذا
يوجد داخله؟ البشر ليسوا آليين، وكيمياء الدماغ تتغير بمرور الوقت. من

لديه لائحة كاملة بكل الأشياء - مع الأخذ في الحسبان الظروف المناسبة والمعالجة الخطأ - التي يمكننا فعلها؟

ارتعش هاري وأطلق الشتائم. كان يعرف أنذاك السبب الذي يُوجب عليه العثور على آرنيه أبو والحصول على اعتراف قبل أن يُسكته آخرون. لم يكن ذلك؛ لأن مهنته تجري في عروقه أو أن القانون قد أصبح مسألة شخصية؛ وإما لأنه يجب أن يعرف. وكان آرنيه أبو الشخص الوحيد الذي يستطيع إخباره بذلك.

أغمض هاري عينيه مجدداً، وتمكّن من سماع صفير الريح الخافت يعلو على هدير الأمواج المتواصل الذي ينومه مغناطيسياً. عندما فتح عينيه، لم يكن الظلام حالكاً. كانت الريح قد ساقت السحاب بعيداً، والنجوم الخافتة تومض فوقه، والقمر قد تحرك. ألقى هاري نظرة على ساعته، ووجد نفسه قد بقي جالساً هناك نحو ساعة تقريباً. كان غريغور ينبح بجنون على البحر. متيسساً، وقف على قدميه ومشى متثاقلاً نحو الكلب. كانت نقطة جذب القمر قد تغيّرت، ومستوى الماء قد انخفض، فمشى هاري ببطء على ما أصبح شاطئاً رملياً عريضاً. "تعال يا غريغور. لن نعثر على شيء هنا".

نبح الكلب بوجهه حين أراد الإمساك بطوقه، وقفز هاري تلقائياً خطوة إلى الوراء. نظر عبر الماء حيث لمع ضوء القمر على سطح البحر الداكن، لكنه استطاع أن يتبين شيئاً لم يره حين كان البحر في حالة مدّ. بدا مثل طرفي عمودي مرسى فوق مستوى سطح البحر قليلاً. ذهب هاري إلى طرف المياه واستخدم المصباح اليدوي. همس: "يا الله!".

قفز غريغور إلى الماء، وخاض هاري خلف الكلب. كانت المسافة عشرة أمتار في البحر، لكن الماء لم يصل حتى إلى ركبتيه. حدّق هاري إلى الحذاء؛ مصنوع يدوياً وإيطالي، ووجه الضوء إلى الماء وانعكس عن ساقين عاريتين بيضاوين ضاربتين إلى الزرقة، تبرزان مثل عمودين باهتين. نقلت الريح صرخات هاري وأغرقها مباشرة هدير تكسر الأمواج على الشاطئ. لكن المصباح اليدوي كان قد سقط، لبيتلعه الماء، ويبقى على الأرضية الرملية ويضيء نحو أربع وعشرين ساعة. عندما وجده الصبي الصغير في الصيف التالي ونقله إلى والده، كان الماء المالح قد أفسد الغلاف الأسود ولم يربط أي منهما الماغلايت بالاكشاف الغريب لجثة. تناقلت ذلك كل الصحف السنة السابقة، لكن ذلك بدا في شمس الصيف بعيداً جداً.

القسم الخامس

ديفيد هاسلهوف

بزغ ضوء الصباح مثل عمود أبيض عبر شق في السماء، وألقى نوره على الفيورد البحري. كان عدد من الصور المتشابهة معلّقا على الجدران في المنزل. تخطى الشريط الحاجز الذي يحيط بمسرح الجريمة. سيقول أولئك الذين يظنون أنهم يعرفونه إنها طبيعته أن يقفز من فوق الحواجز، لا أن ينحني تحتها. كانوا محقين بشأن الأمر الأول. شكّ توم والر أن أحداً يعرفه، وعقد هو العزم على أن يبقى على تلك الحال.

رفع آلة تصوير رقمية إلى العدسات الزرقاء الداكنة لنظارة بوليس، التي كان لديه دزينة منها في المنزل. هدية عرفان من زبون شاكر، كما هي آلة التصوير أيضاً. أظهرت الصورة الثقب في الأرض والجتة بجانبه. كانت ترتدي سروالاً أسود وقميصاً أبيض سابقاً، لكنه كان آنذاك بنياً من الطين والرمل.

"صورة أخرى من أجل مجموعتك الخاصة؟"، قال ويير.

قال والر من دون أن ينظر إليه: "هذا جديد. يعجبني القتلة

المبدعون. هل تعرّفت إلى الرجل؟".

"آرنيه آلبو. اثنان وأربعون عاماً. متزوج. لديه ثلاثة أولاد. يبدو أنه موسر. لديه شاليه بالقرب من هنا".

"هل رأى أحد أو سمع شيئاً؟".

"إنهم ينتقلون من باب إلى آخر للسؤال الآن. لكن يمكنك أن ترى بنفسك أن المكان مقفر هنا".

"ربما شخص في الفندق هناك؟". أشار والر نحو مبنى خشبي أصفر كبير عند نهاية الشاطئ.

قال ويير: "أشك في ذلك. لن يكون هناك أحد في هذا الوقت من السنة".

"من وجد الجثة؟".

"اتصل مجهول من كشك هاتف في موس بشرطة موس".

"القاتل؟".

"لا أظن ذلك. قال إنه رأى ساقين بارزتين حين كان يصطحب كلبه في نزهة".

"هل سجّلوا المحادثة على شريط؟".

هزّ ويير رأسه وقال: "لم يتصل برقم الطوارئ".

"ماذا تفهم من هذا؟". أشار والر إلى الجثة.
"يجب على الأطباء إرسال تقريرهم، لكن يبدو لي أنه قد دُفن حياً.
لا علامات خارجية على استخدام العنف، لكن الدم في الأنف والفم وتمزق
الأوعية الدموية في العينين يشير إلى تجمع كمية كبيرة من الدماء في
الدماغ. إضافة إلى ذلك، وجدنا رملاً في حنجرته، وهذا يعني أنه كان
يتنفس حين دُفن".

"فهمت. أي شيء آخر؟".

"كان الكلب مربوطاً إلى الدرابزين خارج الشاليه هناك. روتويلر بشع
وضخم، في حال جيدة على نحو يثير الدهشة. لم يكن الباب موصداً. لا
علامات على نزاع داخل الشاليه، أيضاً".

"بكلمات أخرى، دخلوا المكان، هددوه بأسلحة، ربطوا الكلب، حفروا
حفرة له وطلبوا منه أن يرمي نفسه فيها".

"إذاً، كان هناك أشخاص عدّة".

"روتويلر ضخم، حفرة عمقها متر ونصف. أظن أن بمقدورنا أن نعد
ذلك أمراً واضحاً يا ويير".

لم يظهر على ويير أي ردّ فعل. لم يكن قد واجه مشكلة قط في
العمل مع والر. كان الرجل محققاً موهوباً، وأحد القلائل في مجاله؛
ونتائجه تبرهن ذلك. لكن ذلك لم يكن يعني أن ويير يجب أن يحبه،
بالرغم من أن كلمة كراهية ربما لم تكن الكلمة المناسبة. كان شيئاً آخر،
شيئاً يجعلك تفكر في صور اعرف الفرق. لا يمكنك أن تحدّد بدقة ماهية
الأمر، لكنّ هناك شيئاً يزعجك. مزعج، تلك هي الكلمة.

جثم والر بجانب الجثة. كان يعرف أنه لا يروق لويير، لكن ذلك لم
يكن يؤرّقه. كان ويير رجل شرطة قديماً يعمل في الطب الشرعي، لا يسعه
فعل شيء، ولا يمكنه التأثير في مهنة والر أو حياته بأي طريقة. لم يكن،
باختصار، شخصاً يريد منه أن يحبه.

"من تعرّف إليه؟".

أجاب ويير: "جاء بعض السكان المحليين. تعرّف إليه صاحب متجر
البقالة. اتصلنا بزوجته في أوصلو وأحضرناها إلى هنا، فأكدت أنه آرنيه آلبو".
"وأين هي الآن؟".

"في الشاليه".

هزّ ويير كتفيه.

قال والر، وهو ينحني إلى الأمام ويلتقط صورة قريبة للوجه: "أحب

أن أكون أول من يصل إلى الموقع".
"القضية اختصاص شرطة مقاطعة موس. لقد استُدعينا للمساعدة فقط".
قال والر: "نتمتع بالخبرة. هل شرح أحد ذلك بتهذيب لأغبياء
الريف؟".

قال أحدهم خلفه: "كان بعضُ منّا قد حقّقوا فعلاً في جرائم سابقاً".
نظر والر إلى رجل يبتسم مرتدياً سترةً شرطيةً جلدية سوداء. كان كل من
كتفي السترة تحمل نجمة وحوافها مذهّبة.
ضحك المفتش: "لم أعدّها إساءة. أنا بول سورنسن. لا بدّ من أنك
المفتش والر".

نظر والر إليه برهة وتجاهل حركات سورنسن لمصافحته. لم يكن يحب
التواصل الجسدي مع رجال لا يعرفهم، ولا حتّى مع رجال يعرفهم، في ما
يتعلق بذلك الأمر. كانت المسألة مختلفة مع النساء، طالما كان مسيطراً بأي
حال، وهو كذلك.

قال والر، وهو يفتح أحد جفني الجثة ويكشف عن مقلة حمراء من
الدماء: "لم تحقّق في أي شيء مثل هذا سابقاً يا سورنسن. هذه ليست
حادثة طعن في مشرب أو سكّير سيئ الحظ. لهذا استدعيتنا، صحيح؟".
قال سورنسن: "لا يبدو هذا مثل أي شيء محلي، لا".
"أقترح أن تبقى مع الشباب هنا وتحرسوا المكان، وسأذهب لأتحدث
إلى زوجة الفقيد".

ضحك سورنسن كأن والر ألقى دعابة جيدة، لكنه توقف حين رأى
الر يرفع حاجبيه فوق نظارته. نهض توم والر وبدأ يمشي نحو الشريط
الحاجز. عدّ ببطء إلى ثلاثة، ثم صرخ من دون أن يستدير: "وحرّك سيارة
الشرطة. أرى أنك قد أوقفتها في الساحة يا سورنسن. سيبحث مختصو
الطب الشرعي عن آثار عجلات سيارة القاتل. شكراً لك".
لم يكن يحتاج إلى أن يستدير كي يعرف أن الابتسامة قد اختفت عن
وجه سورنسن البشوش، وأن شرطة أوصلو قد وضعت يدها على مسرح
الجريمة.

سأل والر حين دخل غرفة المعيشة: "السيدة ألبو؟". كان قد قرّر أن
ينتهي من ذلك في أسرع وقت ممكن. كان لديه موعد غداء مع شابة
واعدة، وينيوي الالتزام به.
رفعت فيغديس ألبو بصرها عن ألبوم الصور الذي كانت تقلّب
صفحاته. "نعم؟".

أعجب والر ما رآه؛ الجسد الممشوق الرشيق، والطريقة الواثقة بالنفس التي تجلس بها، والملابس الأنيقة التي ترتديها عادة المحاورات على المحطات التلفازية، والزر الثالث المفتوح في كنزتها. أعجبه ما سمعه أيضاً؛ الصوت الرقيق الذي ينطق الكلمات الخاصة التي يحب أن تقولها نساؤه. وأعجبه الفم الذي كان يأمل أن يسمع الكلمات تخرج منه.

قال وهو يجلس قبالتها: "المفتش توم والر. أفهم أن تلك كانت من دون شك صدمة كبيرة لك. إنها بالطبع عبارة متكررة، وأشك في أن يكون لها أي معنى لك في هذا الوقت، لكنني أودّ أن أعبر عن تعاطفي معك. لقد فقدت أيضاً شخصاً مقرباً جداً مني".

انتظر، حتى اضطرت إلى أن تنظر إليه، حتى استطاع أن ينظر إلى عينيها. كانتا مشوّشتين، وظنّ والر في البداية أنهما مغرورقتان بالدموع. لم يدرك أنها ثملة حتى أجابت: "هل لديك لفافة تبغ أيها المفتش؟".

"ادعيني توم. لا أدخن. آسف".

"إلى متى سأبقى هنا يا توم؟".

"سأرتب الأمر حيث تغادرين في أسرع وقت ممكن. أريد فقط أن أ طرح بضعة أسئلة، اتفقنا؟".

"اتفقنا".

"جيد. هل لديك أي فكرة عمّن قد يرغب في قتل زوجك؟".

وضعت فيغدس ألبو ذقنها على يدها وحدّقت إلى خارج النافذة.

وقالت: "أين الشرطي الآخر يا توم؟".

"عفواً؟".

"ألا يجب أن يكون هنا؟".

"أي شرطي يا سيدة ألبو؟".

"هاري. إنه يعمل على القضية، أليس كذلك؟".

كان السبب الرئيس الذي جعل توم والر يتقدم عبر الصفوف أسرع من أي شخص آخر من خريجي السنة نفسها هو أنه كان يتوتّق أن لا أحد غيره، ليس حتى محامي الدفاع، يعرف كيف يحصل على الأدلة التي تدين المتهم. كان السبب الثاني أن لديه ما يمكن وصفه بقرني استشعار حساسين. بالطبع، لم تكن هذه الحاسة فعّالة أحياناً حين يكون ذلك ضرورياً. لكنها لا تعمل قط حين يجب ألا تعمل. وقد كانت تعمل آنذاك.

"هل تشيرين إلى هاري هول يا سيدة ألبو؟".

"يمكن أن تتوقف هنا".

كان توم والر لا يزال معجباً بالصوت. توقف عند الرصيف، انحنى إلى الأمام ونظر إلى منزل وردي يتناول فوق التلة. تلاًأت شمس الصباح على شيء يشبه الحيوان في الحديقة. قالت فيغديس آلبو: "كان ذلك لطفاً منك. إقناع سورنسن أن أغادر، وأن تقلني إلى المنزل".

ابتسم والر ابتسامة دافئة لها، وكان يعرف أنها دافئة. كان أشخاص كثر قد قالوا إنه يشبه الممثل الأميركي ديفيد هاسلهوف في مسلسل بايووتش الشهير، وإن لديه الذقن والجسد والابتسامة نفسها. كان قد شاهد بايووتش ويعرف ماذا يقصدون. قال: "يجب أن أشكرك أنت".

كان ذلك صحيحاً، فقد عرف في أثناء القيادة من لاركولن أشياء عدّة مثيرة للاهتمام، مثل أن هاري هول حاول العثور على دليل أن زوجها قد قتل أنا بيثسن التي كانت - وفقاً لما يتذكره - المرأة التي انتحرت في سورجنفريغاتا قبل وقت قصير. كانت القضية قد أُغلقت. واستنتج هو نفسه أنه انتحار وكتب التقرير. إذًا، ما الذي كان ذلك المعتوه هول يسعى إليه؟ هل كان يحاول أن يثار لنفسه من نزاعات قديمة؟ هل كان هول يحاول أن يثبت أن أنا بيثسن كانت ضحية عمل إجرامي ليخرجه... توم والر؟ سيكون من شيم ذلك المدمن المجنون أن يبحث عن أشياء مماثلة، لكن لم يكن يبدو منطقياً لوالر أن يعمل هاري بكل ذلك النشاط على قضية كانت ستؤدي، في أسوأ سيناريو، إلى إثبات أن والر كان قد استعجل في استنتاجاته. نبذ تماماً فكرة أن يكون دافع هاري ببساطة توضيح ملابسات القضية. وحدهم ضباط الشرطة في الأفلام يمضون وقت فراغهم في القيام بذلك النوع من الأشياء.

كانت حقيقة أن المشتبه فيه وفقاً لهاري ميت آنذاك تعني على نحو طبيعي أن هناك عدداً من الحلول البديلة الممكنة. لم يكن والر واثقاً أيّاً منها سيكون البديل؛ لكن لأنه شعر فطرياً أن هاري هول متورط، كان مهتماً أن يكتشف ذلك. لهذا، عندما سألت فيغديس آلبو والر إن كان يودُ الدخول لتناول فنجان من القهوة، لم تكن فكرة التعرّف إلى أرملة حديثاً فقط هي ما جعلته يوافق. قد تكون تلك هي الفرصة للتخلص من الرجل الذي يلاحقه مثل ظلّه؛ كم مضى على ذلك؟ أكثر من سنة؟

أكثر من سنة، نعم، بالفعل. أكثر من سنة منذ كانت إيلين غيلتن - بفضل أحد أخطاء سفير أولسن الفادحة - قد اكتشفت أن توم والر هو

الرجل الرئيس وراء تنظيم تهريب السلاح في أوصلو. عندما أصدر الأمر إلى أولسن أن يقتلها قبل أن تنشر ما تعرفه، كان يدرك تماماً أن هول لن يستسلم قط حتى يجد من قتلها. لهذا، كان حريصاً على أن يجد أحدهم قبعة أولسن في مسرح الجريمة، حتى يستطيع إطلاق النار على المشتبه فيه بالجريمة دفاعاً عن النفس في أثناء اعتقاله. لم يكن هناك شيء يجرّمه، إلا أن والر كان ينتابه شعور بغيض على نحو غريب أن هول يضيق الخناق عليه؛ وأنه يمكن أن يصبح خطراً.

قالت فيغديس ألبو وهي تفتح الباب: "المنزل فارغ جداً حين يكون الجميع بعيدين".

سأل والر، وهو يتبعها على الدرجات إلى غرفة المعيشة: "منذ متى أنت... مم... وحدك؟". كان لا يزال معجباً بما رآه.

"الأولاد مع والديّ في نورديباي. كانت الفكرة أن يبقوا هناك حتى تعود المياه إلى مجاريها"، تنهّدت وألقت بنفسها على أحد الكراسي المريحة وأضافت: "يجب أن أتناول شراباً، ثم سأصل بهم".

وقف توم والر يراقبها. لقد أفسدت كل شيء بما قالته آنذاك. لم يعد يشعر بوخز الإثارة الخفيف. بدت فجأة أكبر سناً؛ ربما لأن تأثير الشراب بدأ يزول، الذي كان قد أخفى التعضّات ولينّ فمها، الذي أصبح آنذاك قاسياً مثل صدعٍ زهري ملتوٍ.

"اجلس يا توم. سأحضّر بعض القهوة لنا".

ألقي بنفسه على الأريكة، في حين اختفت فيغديس في المطبخ. باعد بين ساقيه ولاحظ البقعة الباهتة على القماش. ذكّرته بالبقعة على أريكته، التي خلّفها دم طمّث.

ابتسم من تلك الفكرة.

التفكير في بتي لون.

بتي لون الحلوة البريئة، التي كانت قد جلست إلى الطرف المقابل من الطاولة الصغيرة وابتلعت كل كلمة قالها كأنها قطع سكر في فنجان قهوتها، شراب الشابة اليافعة. أظن أنه ضروري أن يتحلّى المرء بالشجاعة ليكون على سجيته. أهم شيء في أيّ علاقة هو الصدق، ألا تظنين ذلك؟ كان صعباً أن يعرف ما يختاره من عبارات فكرية مكرّرة زائفة مع نساء يافعات، لكن كان واضحاً أنه أصاب الهدف مع بتي. كانت قد تبعته طواعية إلى المنزل بعد أن مزج لها شراباً لا يمكن أن تتحمّله فتاة يافعة. جعله ذلك يضحك. حتى في اليوم التالي، كانت بتي لون قد ظنّت أن

إغماءها مرتبط بالتعب، والحقيقة أن الشراب كان أقوى مما اعتادت عليه.
كان السر في الحصول على الجرعة المناسبة.

كان أفضل جزء حين ذهب إلى غرفة المعيشة في الصباح ووجدها
تفرك قطعة قماش رطبة على الأريكة حيث كانا، في الأمسية السابقة، قد
فعلنا الأشياء الأساسية قبل أن يُغْمَى عليها وتبدأ المتعة الحقيقية.
قالت وهي تكاد تبكي: "آسفة. لقد رأيتها للتو. هذا محرج جداً. لم
أكن أظن أنني سأراها حتى الأسبوع القادم".
كان قد أجاب وهو يداعب وجنتها: "لا يهم، طالما أنك تبذلين قصارى
جهدك للتخلص منها".

كان عليه أن يندفع بعد ذلك إلى المطبخ، يفتح الصنبور ويحرك باب
الثلاجة لإخفاء ضحكته. كانت بتي لون تفرك بقعة الدم التي خلفتها ليندا.
أم كانت كارين؟

نادت فيغديس من المطبخ: "هل تحب الحليب في قهوتك يا توم؟".
بدا صوتها قاسياً، وفيه نبرة الطرف الغربي من أوصلو. بأي حال، كان قد
اكتشف ما يريده.

قال: "لقد تذكرت الآن أن لديّ اجتماعاً في المدينة". استدار ورآها
تقف عند باب المطبخ حاملةً فنجان قهوة، وقد اتسعت عيناها الكبيرتان
دهشاً؛ كأنه قد صفعها. وقد أمعن التفكير في ذلك.
قال وهو ينهض: "تحتاجين إلى وقت تمضيته بمفردك. أعرف. لقد فقدتُ
أخيراً صديقة حميمة، كما قلت".

قالت فيغديس مرتبكة: "آسفة لسماع ذلك. لم أسأل حتى من كانت".
"كان اسمها إيلين. زميلة. كنت أحبها كثيراً". أمال توم والر رأسه إلى
الجانب وراقب فيغديس، التي رددت بابتسامة مترددة.
سألت: "ما الذي تفكر فيه؟".

"قد أعرج في أحد الأيام وأرى كيف تبلين". أغدق عليها ابتسامة دافئة
جداً، أفضل من ديفيد هاسلهوف حتى، وفكر كم سيكون العالم فوضوياً إذا
تمكّن الناس من قراءة أذهان بعضهم بعضاً.

خلل الشم

كان ازدحام حركة سير الأصيل قد بدأ، وفي غرونلاندسليرت تجاوز عمال كادحون محمولين في سيارات مقر قيادة الشرطة. حطّ سيّاج (مغنّ متحوّط) على غصن وشاهد آخر ورقة تسقط، طار ورفرف متجاوزاً نافذة غرفة الاجتماعات في الطابق الخامس.

شرع بيارني مولر: "لست خطيباً فصيحاً"، وأوماً أولئك الذين كانوا قد سمعوا خطاباته السابقة موافقين.

انتظرت قارورة من شراب أوبرا الفوار ثمنها تسعة وسبعون كروناً، وأربع عشر كأساً بلاستيكية - لا تزال في رزمة واحدة - وكل من شارك في قضية المسرّع أن ينتهي مولر من كلامه.

"أولاً، أودُّ أن أنقل تحيات حارة من مجلس مدينة أوسلو، والعمدة والمشرف العام، وأشكركم جميعاً على إنجاز العمل كما ينبغي. كنا، كما تعرفون، تحت ضغط شديد حين أدركنا أننا نتعامل مع سارق مصارف متسلسل...".

صرخ إيفارسون: "لم أكن أعرف أن هناك نوعاً آخر!"، وقوبل بموجة من الضحك. كان قد جلس في آخر الغرفة بجانب الباب حيث يمكنه رؤية رجال الشرطة المجتمعين.

ابتسم مولر: "أفترض أن بمقدورك قول هذا. ما أردت قوله هو... مم... كما تعرفون... نحن سعداء أن الأمر قد انتهى. قبل أن نتناول كأس شراب، أودُّ أن أتقدم بشكر خاص إلى الشخص الذي يعزى إليه معظم الفضل...".

شعر هاري أن الآخرين ينظرون إليه. كان يكره هذا النوع من المناسبات؛ خطاب المدير، والأحاديث مع المدير، وشكر المهرجين، ومسرح الابتذال.

"رون إيفارسون، الذي قاد التحقيق. تهانينا يا رون".
موجة من الإطراء.

"هل توذُّ قول بضع كلمات يا رون؟".

تمتم هاري بين أسنانه التي تصطك: "لا".

قال إيفارسون: "نعم، أودُّ ذلك". مدّ رجال الشرطة المجتمعون رؤوسهم

نحوه، تنحنح وقال: "لسوء الحظ، ليس لديّ الحق لأقول، كما فعلت يا بيارني، إنني لست خطيباً فصيحاً؛ لأنني كذلك"، مزيد من الضحك، "ومن خبرتي بصفتي متحدثاً عند انتهاء قضايا أخرى نجحنا فيها، أعرف أنه يجب

أن أشكر الجميع من دون استثناء. عمل الشرطة، كما تعرفون جميعاً، جماعي. حظيت بتي وهاري بشرف تسجيل الهدف، لكن الفريق قام بواجبه".

شاهد هاري، غير مصدق، الجميع يُومنون موافقين. "لهذا، شكراً لكم جميعاً". نقل إيفارسون بصره بين رجال الشرطة، ينوي بكل وضوح أن يجعل كل فردٍ منهم يشعر بأنه محطّ اهتمام وشكر. ثم صرخ ببهجة أكبر: "لنفتح قارورة الشراب فوراً، هيا بنا!". مرّر أحدهم القارورة له، وبعد أن هزّها جيداً بدأ ينزع سدادة الفلين.

همس هاري لبتى: "لن أزعج نفسي بهذا. سأغادر المكان". رمقته بنظرة مؤنبة.

"احذراً!". اندفعت السدادة بقوة وطارت إلى السقف. "ليحمل كل منكم كأساً!".

قال هاري: "آسف، أراك غداً".

دخل المكتب وارتدى سترته. داخل المصعد في طريقه إلى الأسفل، اتكأ على الجدار. لم يكن قد نام إلا بضع ساعات فقط في شاليه آلبو الليلة الماضية. عند السادسة صباحاً، كان قد ذهب إلى محطة السكة الحديدية في موس، حيث عثر على كشك هاتف ورقم شرطة موس وبلغ عن الجثة في البحر. كان يعرف أنهم سيطلبون المساعدة من شرطة أوسلو. عندما وصل إلى أوسلو عند الثامنة، جلس في كافبرنيت في أولفالسفين وشرب الإسبرسو حتى توثق أن القضية أصبحت في أيدي أشخاص آخرين، ويمكنه الذهاب إلى مكتبه بأمان.

فُتح المصعد وخرج هاري من الباب الدوّار، إلى هواء خريف أوسلو البارد والنقي، الذي يقال إنه أكثر تلوثاً من الهواء في بانكوك. قال في قرارة نفسه إنه لا داعي للعجلة، وأرغم نفسه على السير ببطء. لم يكن يريد أن يفكر في أي شيء ذلك اليوم، وإنما أن ينام ويأمل ألا يحلم. يأمل أن تكون كل الأبواب خلفه قد أُغلقت في اليوم التالي.

كلها باستثناء واحد. الباب الذي لم يُخلق قط، والذي لا يريده أن

يُغلق. لم يكن سيفكر في ذلك حتى اليوم التالي. عندها سيمشي مع هالفورسن على طول نهر أكرسلفا، يتوقفان بجانب الشجرة حيث عثرا عليها. يمثلان ما حدث للمرة المئة؛ ليس لأنهما قد نسيا شيئاً، لكن ليستعيدا الشعور، والرائحة. كان يخشى ذلك سلفاً.

سلك الدرب الضيق عبر المرح - الطريق المختصرة - ولم ينظر إلى مبنى السجن الرمادي إلى اليسار، حيث كان راسكول قد وضّب على ما يبدو رقعة الشطرنج في ذلك الوقت. لن يجدوا أبداً شيئاً في لاركولن أو أي مكان آخر يشير إلى الغجري أو أيّ من أتباعه، حتى إذا توّلى هاري القضية بنفسه. كان الأمر سيبقى على تلك الحال ما دام ذلك ضرورياً. كان المسرّع ميتاً، وأرنيه أبو كذلك. قالت إيلين مرة: العدالة مثل الماء؛ تجد طريقاً دائماً. كانا يعرفان أن ذلك ليس صحيحاً، لكن على الأقل كانت كذبة يمكن أن يجدا فيها السلوان بين الحين والآخر.

سمع هاري صفارات الإنذار. كان قد سمعها منذ بعض الوقت. تجاوزته السيارات البيضاء التي تحمل أضواء زرقاء دوّارة واختفت في غرونلاندسليرت، والتي حاول ألا يفكر في سبب استدعائها، إذ لم يكن لذلك علاقة به على الأرجح. إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن ينتظر؛ حتى اليوم التالي.

* * *

أدرك توم والر أنه جاء باكراً جداً. يفعل سكان المبنى الأصفر الباهت أشياء أخرى غير الجلوس في المنزل في أثناء النهار. كان قد ضغط آنذاك على الزر السفلي في اللوحة، ثم استدار ليمشي مبتعداً حين سمع الصوت الرنّان: "مرحباً؟".

استدار والر. "مرحباً، هل أنتِ...؟". نظر إلى اللوحة الاسمية بجانب الزر. "أستريد مونسن؟".

أصبح بعد عشرين ثانية في الرواق ينظر إلى وجه منمّش مذعور يحدّق إليه من خلف سلسلة أمان. سأل، وهو يكشف عن أسنانه بطريقة الممثل ديفيد هاسلهوف الخاصة: "هل يمكنني الدخول يا آنسة مونسن؟".

"أفضل ألا تفعل". لم تكن قد رأّت بايووتش على الأرجح. وهنا أظهر هويّته وقال: "لقد جئت لأسأل إن كان هناك شيء يجب أن نعرفه عن موت أنا بيثسن. لم نعد واثقين أنه كان انتحاراً. فهمت أن زميلاً لي كان يقوم بتحقيق خاص، وتساءلت إن كنت قد تحدّثت إليه". كان توم والر قد سمع أن الحيوانات، خاصة الضواري، يمكن أن تستشعر الخطر. لم يفاجئه ذلك. ما أدهشه أنه ليس كل شخص يمكن أن يشعر بالخطر. تفوح من الخوف الرائحة اللاذعة المؤقتة نفسها التي تصدر عن بول الأبقار.

"ما الذي تخافين منه يا آنسة مونسن؟".
اتسع بؤبؤها أكثر. كانت حاسة والر في ذروة عملها آنذاك.
قال والر: "مهم جداً أن تساعدنا. أهم سمة في العلاقة بين الشرطة
والعامّة هي الصدق، ألا توافقيني على ذلك؟".
شردت عيناها، وجازف بالقول: "أظنّ أن زميلي قد يكون متورطاً في
القضية بطريقة ما".

تراجعت السلسلة ورمقته بنظرة يائسة. جيد!
جلسا في المطبخ. كانت الجدران البنية مغطاة بصور أطفال. خمّن والر
أنها كانت خالة لعدد كبير من الأولاد. وبدأ بتسجيل الملحوظات حين
تكلّمت.

"سمعت صوتاً حاداً في الرواق، وعندما خرجت وجدت رجلاً جاثياً على
يديه وركبتيه في الفسحة خارج بابي. كان واضحاً أنه قد وقع، لهذا سألته
إن كان يحتاج إلى أي مساعدة، لكنني لم أحصل بالفعل على جواب
مناسب. صعّدت إلى الأعلى وضغطت زر جرس أنا بيثسن، لكن لم يجب
أحد هناك أيضاً. عندما عدت إلى الأسفل ساعدته على الوقوف. كانت كل
الأشياء من جيوبه متناثرة في المكان. وجدت محفظته مع اسمه وعنوانه،
ثم ساعدته على الوصول إلى الشارع، أوقفت سيارة أجرة شاعرة وزوّدت
السائق بالعنوان. هذا كل ما أعرفه".
"وأنت واثقة أنه الشخص نفسه الذي زارك لاحقاً؟ هاري هول، أليس
كذلك؟".

غصّت، وأومأت.

"لا بأس بذلك يا أستريد. كيف عرفت أنه كان في شقة أنا؟".
"سمعته يصل".

"سمعته يصل وسمعته يذهب إلى شقة أنا؟".

"مكتبي بجانب الرواق مباشرة. يمكنني سماع كل ما يجري هناك. هذا
المبنى هادئ، ولا يحدث الكثير هنا".

"هل سمعت أي حركات أخرى قرب شقة أنا؟".

تردّدت ثمّ قالت: "أظن أنني سمعت شخصاً يتسلل إلى شقة أنا بعد
أن غادرها الشرطي. لكن بدا أنها امرأة. كانت تنتعل حذاءً ذا كعب عالٍ،
كما تعرف، يُصدر صوتاً مختلفاً. لكن أظن أنها كانت السيدة غندرسن في
المرّة الثالثة".

"أوه؟".

"تتسلل عادة حين تتناول بضع كؤوس في المشرب".
"هل سمعتِ أي طلقات نارية؟"
هزّت أستريد رأسها وقالت: "الجدران بين الشقق عازلة تماماً".
"هل تتذكرين رقم سيارة الأجرة؟".
"لا".

"ما الوقت الذي سمعت فيه السقوط في الرواق؟".
"الحادية عشرة والربع".
"هل أنتِ واثقة تماماً يا أستريد؟".
أومأت ثم أخذت نفساً عميقاً.
دُهِش والر من النبوة الحازمة المفاجئة في صوتها حين قالت: "قتلها".
شعر بنبضه يتسارع قليلاً وقال: "ما الذي يجعلك تقولين هذا يا
أستريد؟".

"عرفت أن هناك خطباً ما حين سمعت أن أنا قد انتحرت تلك
الليلة. كان هناك ذلك الشخص يستلقي فاقداً وعيه من الثمالة على
السلام، ولم تفتح الباب حين طرقت. فكّرت في الاتصال بالشرطة، لكنه جاء
إلى هنا...". نظرت إلى توم والر كأنها تغرق وهو عامل إنقاذ وتابعت: "كان
أول شيء سألني عنه إذا كنت أعرفه أو رأيته قبل ذلك. وبالطبع أعرف
ما كان يعنيه بذلك".

"ما الذي كان يعنيه بذلك يا أستريد؟".
ارتفع صوتها وقالت: "يسأل الشاهدة الوحيدة إذا تعرّفت إليه، ماذا
تظن؟ جاء ليحدّثني مما سيقع إذا تكلمت عنه. فعلت ما أرادته. أخبرته
أنني لم أره قط".

"لكنك قلتِ إنه جاء لاحقاً ليسألك عن آرنه ألبو؟".
"نعم، أراد مني إلقاء اللوم على شخص آخر. يجب أن تفهم كم
كنت خائفة. تظاهرت أنني لم أعرفه ووافقت على ما يقوله...". استطاع
سماع نشيج يبدأ إحكام قبضته على وتريها الصوتيين.
"لكن هل أنتِ مستعدة الآن لتخبرينا عن ذلك؟ في محكمة، وتحت
القسم أيضاً؟".

"نعم، إذا... إذا عرفت أن حياتي بأمان".
سمعا صوت وصول رسالة إلكترونية من غرفة أخرى. توثق والر من
ساعته: 4:30. يجب أن يتحرك بسرعة، وهذا المساء إذا كان ذلك ممكناً.
عند الساعة 4:35، فتح هاري باب شقته وأدرك فوراً أنه نسي قيامه

وهالفورسن بحجز دراجتين في القاعة الرياضية. خلع حذاءه، ذهب إلى غرفة المعيشة وضغط على زرّ تشغيل المجيب الآلي الذي يومض. كانت راكيل. "تصدر المحكمة قرارها الأربعاء. لقد حجزت تذكريتين الخميس. سنكون في غاردمون عند الحادية عشرة. سأل أوليغ إن كان بمقدورك المجيء لاصطحابنا".

كانت قد قالت إن القرار سيدخل حيز التنفيذ على الفور. إذا خسرا، فلن يُقَلَّ كليهما، وإنما سيُقَلَّ شخصاً واحداً فقد كل شيء. لم تكن قد تركت له رقماً يتصل به، ليخبرها أن كل شيء قد انتهى ولا داعي للحيطة والحذر بعد ذلك. تنهّد وجلس على الكرسي الأخضر ذي الذراعين. أغمض عينيه ورآها هناك. راكيل. الملاءة البيضاء التي كانت شديدة البرودة، والستائر التي لم تكد تتحرك أمام النافذة المفتوحة، وسمحت بدخول شريط من ضوء القمر سقط على ذراعها العارية. مرّ أطراف أنامله برفق كبير على عينيها، ويديها، وكتفيها الصغيرتين، وعنقها النحيل الطويل. شعر بأنفاسها الهادئة الدافئة على عنقه، سمع إيقاع التنفّس من الجسد النائم يتغير على نحو لإرادي حين قبّل بلطف ظهرها. عند الخامسة، رفع رون إيفارسون سماعة الهاتف في منزله في أوستراس ليخبر المتصل أن أسرته قد جلست للتو لتناول الطعام. كانت الوجبات مَبَجَلَة في منزلهم، فهل يمانعون الاتصال في وقت لاحق؟ "أعتذر عن الإزعاج يا إيفارسون. أنا توم والر".

قال إيفارسون، وهو يلوك قطعة بطاطا في فمه: "مرحباً توم. اسمع...". "أريد مذكرة لاعتقال هاري هول. إضافة إلى مذكرة لتفتيش شقته، مع خمسة رجال للقيام بذلك. لدي سبب للظن أن هول متورط في جريمة قتل بطريقة مؤسفة".

انزلقت قطعة البطاطا في المسلك الخطأ. قال والر: "الأمر عاجل. هناك خطر أن يُتلف الدليل". كل ما استطاع إيفارسون أن ينطقه بين نوبات السعال: "بيارني مولر". قال والر: "صحيح، أعلم تماماً أن هذه مسؤولية مولر، لكنني أظن أنك توافقني الرأي أنه متحيّز له. كان قد عمل مع هاري مدّة عشر سنوات".

"لديك وجهة نظر. لكن لدينا مهمة أخرى ننجزها اليوم، لهذا، رجالي مشغولون جداً".

"رون...". كانت تلك زوجة إيفارسون. لم يكن يرغب في إغضابها، فقد

وصل إلى المنزل متأخراً عشرين دقيقة بعد حفلة الشراب، ثم انطلق الإنذار في فرع مصرف دن نورسك في غرنسن.
"سأعود إليك يا والر. سأتصل بمحامي الشرطة وأرى ما يمكنني فعله".
تنحنح وأضاف بصوت عالٍ كفاية لتسمعه زوجته: "بعد أن نكون قد تناولنا طعامنا".

استيقظ هاري على سماع ضربات شديدة على الباب. استنتج دماغه مباشرة أن الشخص كان يقرع منذ بعض الوقت وأنه واثق أن هاري في المنزل. نظر إلى ساعته: 5:55. كان يحلم براكيل. تمطى ونهض عن الكرسي. تواصل القرع بقوة.

صرخ هاري وهو يمشي إلى الباب: "حسناً، حسناً". استطاع رؤية شكل إنسان عبر الزجاج الممتوج في الباب. لا بدّ من أنه أحد الجيران - كما فكّر هاري - لأنه لم يستخدم جهاز الاتصال البيني.
كان قد وضع آنذاك يده على مقبض الباب حين شعر أنه يتوقف، وقد شعر بوخزة في عنقه، ورأى بقعاً أمام عينيه، فتسارع نبضه. هراء.
فتح الباب.

كان علي، وقد تقطّب حاجباه عبوساً.
قال: "وعدت أن تزيل كل شيء من غرفتك في القبو بحلول اليوم".
صفع هاري جبينه بيده.

"تبا! آسف يا علي. أنا مهمل لا أصلح لشيء".
"لا بأس بذلك يا هاري. يمكن أن أساعدك إذا كان لديك وقت هذا المساء".

نظر هاري إليه مندهشاً وقال: "تساعدني؟ يمكنني نقل ما لدي في عشر ثوانٍ. لأكون صادقاً، لا أتذكر أنني وضعت شيئاً هناك في الأسفل، لكن لا بأس بذلك".
"إنها أشياء ثمينة يا هاري"، هزّ علي رأسه ثم تابع: "أنت مجنون كي تحتفظ بأشياء مثل تلك في القبو".
"لا أعرف شيئاً عما تتكلم. سأذهب إلى شرودر بعض الوقت لآكل. سأرى ذلك بعدئذ يا علي".

أغلق هاري الباب، استرخى على الكرسي وضغط جهاز التحكم عن بُعد. الأخبار بلغة الإشارة. عمل هاري على قضية جلب فيها أشخاص عدّة صمّ للاستجواب وقد تعلّم بضع إشارات. حاول مطابقة إيماءات المذيع بالسطور التي ظهرت على التلفاز. كل شيء هادئ على جبهة الشرق

الأوسط. كان ثمة أميركي سيخضع لمحكمة عسكرية؛ لأنه قاتل مع طالبان. توقف هاري عن المتابعة، وفكّر في لائحة طعام شرودر ذلك اليوم، قهوة، لفافة تبغ. ينزل إلى القبو ثم يأوي مباشرة إلى السرير. أمسك جهاز التحكم عن بُعد وكان على وشك أن يوقف التلفاز عن العمل حين رأى المذيع يشير بأصابع ممدودة ويرفع إبهاماً له. كانت تلك إشارة يتذكرها. تعرض شخص إلى إطلاق نار. فكّر هاري تلقائياً في آرنه ألبو، لكنه مات اختناقاً. تحرك بصره نحو الأسفل إلى العناوين. تجمّد في كرسيه، وبدأ يضغط مسعوراً على جهاز التحكم. كان ذلك سيئاً؛ ربما خبر سيئ جداً. لم تكن خدمة بث المعلومات تنقل أكثر من العناوين:

إطلاق النار على موظفة مصرف في عملية سطو. أطلق السارق النار على أمينة صندوق في فرع مصرف دن نورسك في غرنسن هذا الأصيل. حالة موظفة المصرف حرجة.

ذهب هاري إلى غرفة نومه وشغل الحاسوب. كانت سرقة المصرف العنوان الرئيس على صفحته الرئيسة. نقر مرتين:

كان الفرع على وشك إغلاق أبوابه اليوم حين دخل شخص مقنّع يحمل بنديقية وأمر مديرة الفرع بإفراغ جهاز الصراف الآلي. عندما لم يحدث ذلك في الوقت المحدد، أطلق النار على موظفة المصرف التي يبلغ عمرها 34 عاماً. يُقال إن حالة المرأة المصابة حرجة، كما يقول مدير وحدة السرقات رون إيفارسون إن الشرطة ليس لديها أدلة في الوقت الراهن، ولن تعلّق على آراء تشير إلى أن عملية السطو تمت بطريقة تشبه عمليات أخرى نفّذها الرجل الملقّب بالمسرّع. أبلغتنا الشرطة هذا الأسبوع أنه قد وُجد ميتاً في داجودا، البرازيل.

ربما هي مصادفة. طبعاً قد تكون، لكنها ليست كذلك، هذا مستحيل. مرّر هاري يده على وجهه. كان ذلك ما يخشاه طوال الوقت. لقد سرق ليف غريت مصرفاً واحداً فقط. نفّذ شخص آخر السرقة التالية، شخص أنجز عمله على أكمل وجه آنذاك. فعل ذلك على أفضل ما يرام ويمكنه أن يتباهى بتقليد المسرّع الأصلي في أدق التفاصيل المثيرة.

حاول هاري إخراج قطار أفكاره عن سكّته. لم يكن يريد إمعان التفكير في أي سرقات مصرف آنذاك، أو موظفة مصرف تعرضت لإطلاق نار، أو عواقب اكتشاف وجود مسرّعين. كان ذلك ينطوي على خطر أن يضطر إلى العمل تحت إدارة إيفارسون وتأجيل قضية إيلين مجدداً. توقف. لا مزيد من التفكير اليوم. غداً.

لكنّ قدميه حملتاه بالرغم من ذلك إلى الردهة حيث ضغطت أصابعه على رقم هاتف ويبر من تلقاء نفسها. "أنا هاري. هل حالكم الحظ؟".
"بالتأكيد"، بدا ويبر مبتهجاً على نحو مفاجئ، "يحالف الحظ الرجال والنساء الطيبين في النهاية".

قال هاري: "خبر جديد بالنسبة إليّ. إذًا، قل لي ما لديك".
"اتصلت بتي لون بي من دار الأم حين كنا في المصرف. كانت قد بدأت آنذاك تنظر إلى أشرطة الفيديو ورأت شيئاً مثيراً للاهتمام. كان الرجل يقف قريباً من لوح بلاستيك شفاف فوق النضد حين كان يتكلم. اقترحت أن نتوثق من وجود بصاق. كانت قد انقضت نصف ساعة فقط بعد السرقة، ولهذا لا تزال هناك فرصة حقيقية للعثور على شيء ما".
سأل هاري نافذ الصبر: "و؟".

"لا بصاق على الزجاج".

تأوه هاري.

"لكن نقطة مجهرية من نَفَس مكثّف".
"حقاً؟".

"نعم، بالفعل".

"لا بدّ من أن أحدهم كان يتلو تضرّعاته المسائية حديثاً. تهانينا يا ويبر".

"أظن أننا سنحصل على صيغة الحمض النووي الريبي بعد ثلاثة أيام. ثم يمكننا البدء بعملية المطابقة. أظن أننا سنعرفه قبل نهاية الأسبوع".
"آمل أن تكون محقاً".

"أنا كذلك".

"حسنًا، شكرًا لإنقاذك شهيتي".

أنهى هاري المكالمة وارتدى سترته. كان على وشك أن يغادر حين تذكر أنه لم يوقف الحاسوب عن العمل وعاد إلى غرفة النوم. عندما أوشك على ضغط زر إيقاف التشغيل، رآها. تباطأت دقات قلبه وتكثّف الدم في عروقه. لقد تلقى بريدًا إلكترونيًا. بالطبع كان بمقدوره إيقاف الحاسوب عن العمل بأي حال. كان يستطيع فعل ذلك، فليست هناك حالة طارئة. قد يكون من أي شخص. كان هناك شخص واحد لا يمكن أن يأتي منه. كان هاري سيحب أن يكون في طريقه إلى شرودر فوراً؛ يتهادى بمشيته في دوفرغاتا، ويتساءل عن النعلين القديمين المعلقين بين السماء والأرض، ويستمتع بالصور من حلمه مع راكيل. ذلك النوع من الأشياء. كان الأوان

قد فات آنذاك، فقد تحرّكت أصابعه مجدداً. طنّت الأجزاء الداخلية في الجهاز. ظهرت الرسالة الإلكترونية، وكانت طويلة.
مرحباً هاري،

لماذا أنت متجهم؟ ربما ظننت أنك لن تسمع مني مجدداً. حسناً، الحياة مملوءة بالمفاجآت يا هاري. شيء سيكون آرنيه آلبو قد اكتشفه في الوقت الذي تقرأ فيه هذا البريد. أنت وأنا، لقد جعلنا الحياة لا تُطاق بالنسبة إليه، أليس كذلك؟ إذا لم أكن مخطئاً، أراهن أن زوجته قد أخذت الأولاد وهجرته. قسوة، أليس كذلك؟ إبعاد أسرة رجل عنه، خاصة حين تعرف أنه أهم شيء في حياة شخص. لكن لا يمكنه إلا لوم نفسه. لا يمكن عقاب الخيانة الزوجية بقسوة كافية، ألا توافقني الرأي يا هاري؟ بأي حال، ثأري الصغير يتوقف هنا.

لكن نظراً إلى تورطك في هذا وأنت شخص بريء، ربما أدين لك بتفسير. الشرح بسيط نسبياً. أنا أحببت آنا. حقاً. ما كانت عليه وما منحني إياه.

لسوء الحظ، لم تحبّ ما منحها إياه. إيتش. الضخم. العلاقة الجيدة. هل كنت تعرف أنها مدمنة نسب؟ الحياة، كما قلت، مملوءة بالمفاجآت. قدّمت لها ممنوعات بعد إحدى - لتتحدث بصراحة - معارضها الفنية الفاشلة. وكان الاثنان مناسبين لبعضهما بعضاً، وأحبا بعضهما من أول طعنة. كانت آنا زبونتي وحببتي السرية طوال أربع سنوات. كان مستحيلاً فصل الشيين، إذا جاز القول.

محتار يا هاري؟ لأنك لم ترّ أي علامات حِقْنٍ حين نزعت ثيابها، أليس كذلك؟ نعم، حسناً، كان الحبّ من أول طعنة أسلوباً في الكلام. لم تكن آنا تتحمل الحقن، كما تعرف. تنشّقنا ممنوعاتنا عن الورقة الفضية للشوكولا الكوبية. إنها أغلى ثمناً من أن نحقن أنفسنا بها. من ناحية أخرى، حصلت آنا عليها بسعر الجملة طالما كانت معي. كنا - ما الكلمة؟ - متلازمين؟ لا تزال عيناى تذرّفان دموعاً حين أفكر في تلك الأوقات. فعلت كل ما تستطيع امرأة أن تفعله لرجل: أقامت معي علاقة، وأطعمتني، وأسقنتني، وأمتعتني، وواستني. وتوسّلت إلي. أساساً، كان الشيء الوحيد الذي لم تفعله هو أن تحبني. كم قد يكون ذلك صعباً يا هاري؟ بالمحصلة، أحبّتك ولم تفعل شيئاً لها.

استطاعت حتى أن تحب آرنيه آلبو. وكنت أنا هناك أفكر في أنه مجرد شخص حقير تستغله ليدفع ثمن نفاياتها بأسعار السوق، والابتعاد عني

بعض الوقت.

لكنني اتصلت بها في إحدى أمسيات أيار. كنت قد أمضيت ثلاثة شهور منزعجاً جداً منها، ولم نكن أنا وأنا قد تكلمنا منذ وقت طويل. قلت إننا يجب أن نحتفل. كنت قد حصلت على أنقى شراب في العالم من المعمل في تشانغ راي. عرفت مباشرة من صوتها أن هناك خطباً ما. قالت إن الأمر انتهى. سألت إن كانت تعني إيتش. أم أنا، وردت أنها تعني كليهما. كما ترى، كانت قد بدأت ذلك العمل الفني الذي سيخلد ذكراها، كما قالت، وتحتاج إلى ذهنٍ صافٍ. كما تعرف، كانت أنا شقيةً عنيدة حين تركّز فكرها على شيء ما، لهذا سأراهن أنك لم تجد أي شيء في دمها، صحيح؟

أخبرتني عندها عن ذلك الرجل، آرنيه ألبو. كانا يواعدان بعضهما ويخططان للعيش معاً. أولاً، كان عليه أن يرتب الأمور مع زوجته. سمعت بذلك الشيء من قبل يا هاري؟ حسناً، أنا أيضاً. أليس غريباً كيف يمكن أن يركّز ذهنك حين ينهار العالم من حولك؟ عرفت ما يتطلبه الأمر قبل أن أضع السماعه: انتقاماً، بدائياً؟ لا، إطلاقاً. الانتقام هو رد فعل الإنسان المفكّر، ومزيج معقد من العمل والمثابرة لا تملكه أي أنواع أخرى من الحيوانات نجحت في التطور حتى الآن. بمناسبة الحديث عن التطور، كان قد تبين أن فعل الانتقام فاعل جداً، وأن الأكثر تآراً بيننا هم الذين نجوا. انتقام أو موت. يبدو مثل عنوان فيلم سينمائي، صحيح، لكن تذكر أن منطق الثأر هو الذي أنشأ الدولة الدستورية. الودع المبعجل أن العين بالعين، والآثم يحترق في جهنم أو على الأقل يتدلّى من المشنقة. الانتقام أساس الحضارة يا هاري. لهذا جلست تلك الأمسية نفسها أستنبط خطة. جعلتها بسيطة.

حصلت على مفتاح شقة أنا من تريوفينغ - لن أخبرك كيف - بعد أن غادرت شقتها، دخلت أنا. كانت أنا قد خلدت آنذاك إلى السرير. دار بيني وبينها وبين بريتا 92 حديث تنويري طويل. طلبت منها أن تجد شيئاً كان آرنيه ألبو قد أعطاها إياه: بطاقة، رسالة، بطاقة عمل، أي شيء. كانت الخطة أن أتركه على جسدها؛ لأساعدك على ربط الجريمة به، لكن كل ما كان لديها هو صورة لأفراد أسرته في الشاليه، التي كانت قد أخذتها من ألبومه. ظننت أن ذلك ربما كان غامضاً جداً وأنت قد تحتاج إلى مزيد من العون. وهكذا خطرت لي فكرة. أقنعها بريتا 92 أن تخبرني كيف أدخل

شاليه آلبو. كان المفتاح في المصباح الخارجي.
بعد أن أرديتها قتيلة - لن أخوض في التفاصيل؛ لأن تلك كانت خيبة
أمل مريرة (لا علامة على خوف أو أسف) - وضعت الصورة في حذائها
وغادرت مباشرة إلى لاركولن. وضعت - أتق أنك قد أدركت ذلك الآن -
مفتاح أنا الإضافي في الشاليه. فكّرت في لصقه داخل خزّان الماء في
المرحاض، ذلك هو مكاني المفضّل. لكن ربما لم يكن لديك الخيال لتبحث
هناك ولا فائدة ترجى من ذلك بأي حال. لهذا وضعته في درج الطاولة
بجانب السرير. سهل، أليس كذلك؟
كان المسرح قد أُعدّ، ويمكنك مع الدمى الأخرى الظهور في المكان.
أمل، بالمناسبة، ألا تكون قد انزعجت من الوخزات الصغيرة التي وجهتها
إليك على الطريق. المستوى الفكري لرجال الشرطة ليس مبهراً تماماً. أعني
ليس عالياً على نحو يثير الإعجاب.
انتهى عملي هنا. شكراً على الصحبة والمساعدة. كان من دواعي
سروري العمل معك يا هاري

S2MN

زقزاق مصري

وقفت سيارة شرطة بجانب باب مبنى هاري السكني، وسدّت أخرى مدخل دوفرغاتا إلى بوابة صوفي.

كان توم والر قد أصدر تعليمات بعدم استخدام صفارات إنذار أو أضواء زرقاء.

عبر اللاسلكي الصغير، توّثق أن كل شخص في مكانه وتلقى تأكيداً سريعاً جداً بصوت يخشخش بالمقابل. كانت الكلمة من إيفارسون أن الورقة الزرقاء - وثيقة الاعتقال ومذكرة التفتيش - من محامي الشرطة قد وصلت قبل أربعين دقيقة بالتحديد. كان والر قد قال بوضوح تام إنه لا يريد مجموعة دلتا، وإنه سيقود العملية بنفسه، ولديه سلفاً الأشخاص الذين يحتاج إليهم مستعدين للقيام بذلك. لم يكن إيفارسون قد اعترض على شيء.

فرك توم والر يديه، ظاهرياً بسبب الريح الباردة مثل الثلج التي تعصف بالشارع من ناحية استاد بيسلت، لكن باطنياً على الأغلب فرحاً بما سيحصل. كان تنفيذ عمليات اعتقال أفضل جزء في العمل. تذكّر آنذاك أنه عندما كان صغيراً، اعتاد أن يستلقي مع يواكيم في بستان والديهما في أمسيات الخريف يحرسانه من لصوص يتسللون إليه لسرقة التفاح. وجاء هؤلاء في مجموعات من ثمانية إلى عشرة أشخاص عادة. لم يكن عددهما يمثل فرقة بأي حال؛ لأن الفوضى تصبح عارمة حين ينير ويواكيم مصباحيهما ويصرخان عبر مكبّر الصوت منزلي الصنع. كانا يعملان وفقاً للمبادئ نفسها التي تتبّعها الذئاب في اصطياد الغزلان: يختاران الأصغر والأضعف. لكن الاعتقال - تضيق الخناق على الفريسة في الزاوية - هو الذي كان يفتن توم، في حين كان العقاب اختصاص يواكيم، الذي كان إبداعه في هذا المجال قد تقدم كثيراً، حيث كان توم يضطر إلى إيقافه بين الحين والآخر؛ ليس لأن توم يشعر بأي تعاطف مع اللصوص، لكن لأنه وبخلاف يواكيم يستطيع الاحتفاظ برباطة جأشه وتقويم العواقب. كثيراً ما ظنّ توم أن ما جمعه ويواكيم على تلك الطريق لم يكن المصادفة وحدها. كان الأخير يعمل آنذاك نائب قاضٍ في محكمة أوسلو وينتظره مستقبل مهني لامع. عندما تقدم توم بطلب انضمام إلى سلك الشرطة، كان ما جذبته إلى ذلك هو فكرة الاعتقالات. كان والد توم يريد منه أن يدرس الطب، أو اللاهوت كما كان قد فعل هو. حقق توم أفضل الدرجات في دراسته، فلم

لا يرغب في أن يصبح شرطياً؟ كان مهماً لاحترام الذات أن تحظى بتعليم جيد، كما قال والده، وأخبره عن شقيقه الأكبر سناً الذي عمل تاجر خردوات يبيع مفكّات ويكره الجميع؛ لأنه يشعر بأنه ليس جيداً مثلهم. كان توم قد أصغى إلى النصائح بابتسامة مصعّرة (مميلاً خدّه تهاوناً وتكبراً) كان يعرف أن والده يشمئز منها. لم يكن والده يقلق بشأن احترام والر لذاته، وإنما ما سيظنه الجيران والأقرباء حين يصبح ابنه مجرد شرطي. لم يفهم والده قط أنك قد تكره الناس حتى إن كنت أفضل منهم؛ لأنك أفضل.

تفقدّ ساعته، إنها السادسة وثلاث عشرة دقيقة. ضغط على أحد الأزرار في الطابق الأرضي.

قالت امرأة: "مرحباً".

قال والر: "نحن الشرطة. هل يمكن أن تفتحي الباب لنا؟".

"كيف أعرف أنكم من الشرطة؟".

خمن والر أنها باكستانية وطلب منها أن تنظر من النافذة إلى

سيارات الشرطة. ثم فُتح الباب.

قال عبر جهاز الاتصال البيني: "وابقي داخل منزلك".

وضع والر رجلاً في آخر المبنى بجانب سلم الحريق. بعد أن نظر إلى

مخططات المبنى السكني على الإنترنت، كان قد حفظ عن ظهر قلب أين

تقع شقة هاري، واكتشف أنه لا توجد سلام خلفية يقلق بشأنها.

كان كلُّ منهم يحمل بندقية أم. بي. 5 على كتفه، وصعد والر

ورجلان آخران بهدوء على السلم الخشبية البالية. في الطابق الثاني، توقف

الر وأشار إلى الباب الذي لم يكن عليه - ولم يكن بحاجة إلى - لوحة

اسمية. نظر إلى الآخرين، اللذين كان صدراهما يتحرّكان تحت بزّتيهما؛ خوفاً

وليس بسبب السلام.

وضع كلُّ منهم قناعاً. كانت الكلمات الرئيسة هي السرعة، والفاعلية،

والعزم. تعني الأخيرة في الواقع التصميم على استخدام القسوة، والقتل إذا

كان ذلك ضرورياً. قلماً كان ذلك ضرورياً. عموماً، يصبح مجرمون عتاة

مشلولين تماماً حين يدخل رجال مسلّحون ومقنّعون عليهم من دون سابق

إنذار. باختصار، يستخدمون التكتيكات نفسها التي يلجأ إليها سارقو المصارف.

هدأ والر من روعه وأوماً إلى أحد الشخصين الآخرين، الذي مسّ

بهدوء الباب بمفصلين. كان ذلك من أجل أن يكتب في التقرير أنهم قد

قرعوا أولاً. حطم والر اللوح الزجاجي بأخمص سلاحه، ثم مدّ يده وفتح

الباب في حركة واحدة. صرخ حين اقتحموا الشقة. مقطّع أو أول حرف من كلمة، لم يكن واثقاً. كان يعرف فقط أنه الشيء نفسه الذي كان يصرخ به حين ينير ويواكيم مصباحيهما. كان ذلك أفضل جزء. قالت ماجا، وهي تأخذ الطبق وترمق هاري بنظرة مؤنبة: "وجبة البطاطا. لم تمسّها".

قال هاري: "آسف. لا شهية لي. انقلي تحياتي إلى الطاهي وأخبريه أنها لم تكن غلطته؛ هذه المرة".

ضحكت ماجا بصوت عالٍ واتجهت نحو المطبخ.
"ماجا...".

استدارت ببطء. كان هناك شيء في صوت هاري؛ نبرته التي تنذر بما سيأتي.

"أحضري لي شراب شعير، هل تفعلين؟".

تابعت طريقها نحو المطبخ. وقالت في نفسها: إن ذلك ليس من شأني. أخدم الزبائن فحسب، ولا علاقة لي بذلك.

"ما الأمر يا ماجا؟". سأل الطاهي حين أفرغت الطبق في المغسلة. قالت: "هذه ليست حياتي. إنها حياته، ذلك الأحمق".

رَنُّ الهاتف في مكتب بتي بصوتٍ قصيرٍ وخافتٍ فرفعت السماعة. سمعت أصواتاً، وضحكاتٍ، ورنين كؤوس، ثم صدر الصوت:
"هل أزعجك؟".

لم تتعرّف إلى صاحب الصوت ثانية واحدة، إذ بدا صوته غريباً. لكن لا يمكن أن يكون شخصاً آخر فقالت: "هاري؟".
"ما الذي تفعلينه؟".

"أنا... أنا أعمل على شبكة الإنترنت بحثاً عن أدلة. هاري...".
"إذاً، فقد وضعت فيديو سرقة مصرف غرنسن على الإنترنت؟".
"نعم، لكن أنت...".

"هناك بضعة أشياء يجب أن أخبرك بها يا بتي. آرنيه آلبو...".
"لا بأس، لكن أصغ إليّ الآن".
"تبدين مجهدة قليلاً يا بتي".

"أنا كذلك!". خشخش صوتها عبر الهاتف. ثم... بهدوء: "إنهم يسعون خلفك يا هاري. حاولت الاتصال بك وتحذيرك بعد أن غادروا، لكن لم يرد أحد في المنزل".

"ما الذي تتكلمين عنه؟".

"توم والر. أصدر مذكرة اعتقال بحقك".

"ماذا؟ هل سيجري اعتقالني؟".

كانت بتي تعرف آنذاك ما المختلف في صوت هاري. لقد كان يشرب.

قالت: "أخبرني أين أنت يا هاري، وسأتي لأصطحبك، ثم يمكننا القول إنك

سلّمت نفسك. لا أعرف ما الذي يجري، لكنني سأساعدك يا هاري. أعدك.

هاري؟ لا تفعل أي شيء غبي، مفهوم؟ مرحباً؟".

جلست تستمع إلى الأصوات، والضحكات، ورنين الكؤوس، ثم وقع

خطوات وصوت امرأة أجش: "هذه ماجا من شرودر".

"أين...؟".

"غادر المكان".

استغاثة

استيقظت فيغديس ألبو على نباح غريغور في الخارج. كان المطر ينهمر غزيراً على السقف. نظرت إلى ساعتها: إنها السابعة والنصف. لا بد من أنها قد غفت. كان الكأس أمامها فارغاً، والمنزل خالياً، وكل شيء خاوياً. لم تكن قد خططت لتؤول الأمور إلى تلك الحال.

نهضت، ثم ذهبت إلى باب الباحة وراقبت غريغور. كان يواجه البوابة وأذناه وذيله ترتفع إلى الأعلى. ماذا يجب أن تفعل؟ تطلقه؟ تجعله ينام؟ لم يكن حتى الأولاد يكونون أي مشاعر قوية تجاه هذا المخلوق العصبي مفرط النشاط. الخطة، نعم. ألفت نظرة على قارورة الشراب النصف فارغة على الطاولة الزجاجية. حان وقت استنباط خطة جديدة.

مرّق نباح غريغور السكون. نباح، نباح! كان آرنيه قد قال إنه يجد الصوت المزعج مطمئناً، وإنه يمنحك شعوراً مبهماً أن أحداً على أهبة الاستعداد. قال إن الكلاب يمكن أن تشم رائحة الأعداء؛ لأنها تفوح من الأشرار رائحة تختلف عن تلك التي تفوح من الأصدقاء. قرّرت أن تتصل بطبيب بيطري في اليوم التالي، فقد سئمت من دفع نفقة كلب ينبح كلما دخلت الغرفة.

فتحت باب الباحة قليلاً وأرهفت السمع. استطاعت أن تسمع بالرغم من نباح الكلب وهطول المطر الحصى تصرّ. مرّرت مشطاً في شعرها ومسحت شريط ماسكارا تحت عينها اليسرى قبل أن يرنّ جرس الباب. عرفت تقريباً من يكون، وكانت محقة، تقريباً.

قالت مدهوشة حقاً: "حضرة الشرطي؟ هذه مفاجأة سارة". كان الرجل على الدرجة مبللاً تماماً، وقطرات ماء تسيل من حاجبيه. وضع إحدى يديه على إطار الباب ونظر إليها من دون أن يرد. فتحت فيغديس ألبو الباب على مصراعيه وأغمضت عينيها بشكل جزئي وقالت: "ألن تدخل؟".

مشت أمامه وسمعت حذاه يخض خلفها. عرفت أنه أحب ما رآه. جلس على كرسي ذي ذراعين من دون أن يخلع معطفه. لاحظت أن القماش يصبح داكناً مع تسرب الماء إليه.

"شراب أيها الشرطي؟".

"هل لديك أي جيم بيم؟".

"لا".

"لا بأس".

جلبت كأسين من الكريستال - هدية زفاف من أقرباء - وسكبت
لكليهما شراباً. قال الشرطي: "تعازي"، ونظر إليها بعينين حمرابين لامعتين
أوحتا إليها أنه ليس الشراب الأول ذلك اليوم.

قالت: "شكراً لك. نخبك".

عندما وضعت كأسها رأت أنه قد شرب نصف محتويات كأسه وأخذ
يحرّكها بعصية ثم قال فجأة: "أنا قتلتك".

وضعت فيغديس يدها تلقائياً على القلادة حول عنقها. هدية الصباح.
قال: "لم أرغب في أن ينتهي الأمر على ذلك النحو، لكنني كنت غيباً
وغير مبالٍ. قدت القتلة مباشرة إليه".

وضعت فيغديس الكأس على فمها حتى لا يرى أنها على وشك أن
تنفجر ضحكاً.

قال: "إذاً، أنتِ تعرفين الآن".

همست: "أعرف الآن يا هاري". ظنّت أنها رأت لمعان مفاجأة في

عينيه.

"كنت تتحدّثين إلى توم والر". بدا ذلك تصرّيحاً أكثر منه سؤالاً.
"تعني المحقق الذي يظن أنه ملك جمالٍ. همم. تحدّثت إليه. أخبرته
كل ما أعرف بالطبع. هل كان ينبغي لي ألاّ أفعل يا هاري؟".
هزّ كتفيه.

"هل وضعتك في خانة اليك يا هاري؟". كانت قد طوت ساقها تحتها
على الأريكة وتنظر إليه بتعبير اهتمام من خلف كأسها.
لم يرد.

"شراب آخر؟".

أوماً موافقاً وقال: "على الأقل، لدي خبر جيد لك"، نظر إلى يديها
بإمعان حين ملأت كأسه وتابع: "تلقيت رسالة إلكترونية هذا المساء من
شخص يعترف بقتل أنا بيثسن. جعلني الشخص المعني أظن أن آرنيه هو
الفاعل".

قالت: "ذلك رائع". بصقت بعض الشراب على الطاولة. "يا الله، إنه
قوي جداً".

فرك هاري عنقه وقال: "لا عليكِ. لدي الآن دليل أن أنا بيثسن
قُتلت. أرسلت الاعتراف إلى زميلة لي قبل أن أغادر المنزل هذا المساء،
إضافة إلى كل الرسائل الإلكترونية الأخرى التي تلقيتها. ذلك يعني أنني

وضعت كل أوراقى على الطاولة فى ما يتعلق بدورى. كانت أنا حبيبتى السابقة. مشكلتى أنى كنت معها فى الأمسية التى لقيت حتفها فيها. كان يجب أن أردّ دعوتها مباشرة، لكننى كنت غيباً وغير مبالي، وظننت أن بمقدورى حل القضية وحدي وفى الوقت نفسه التوتق من عدم التورط فيها. كنت...".

"غيباً وغير مبالي. لقد قلت ذلك"، راقبته مستغرقة فى أفكارها حين مرّ يده على وسادة الأريكة بجانبه ثم تابعت كلامها: "بالطبع، يفسر ذلك الكثير. بأي حال، لا أفهم حتى الآن لماذا تُعدّ تمضية وقت مع امرأة تحب أن... تمضي وقتاً معها جريمة. لقد أوضحت ما لديك يا هاري".
"حسناً..."، تجرّع السائل الصافي وقال: "استيقظت فى اليوم التالى ولم أذكّر شيئاً".

"فهمت"، نهضت عن الأريكة، ذهبت إليه ووقفت بجانبه، "هل تعرف من هو؟".

وضع رأسه على ظهر الأريكة ونظر إليها قائلاً: "من قال إنه هو؟". كانت كلماته متلعثمة قليلاً.

مدّت يداً نحيلة، ورمقها بنظرة ساخرة.

قالت: "المعطف، ثم اذهب مباشرة إلى الحمام واغتسل بماءٍ ساخن. سأحضّر القهوة وأجد بعض الملابس الجافة لك فى أثناء ذلك. لا أظن أنه سيمانع. كان رجلاً منطقياً بطرائق عديدة".
"أنا...".

"تعال. الآن".

جعل العناق الحار الذى حصل بين جسده والماء يرتعش سعادة. استمر الماء يدغدغ جسده صعوداً إلى شفثيه وجعله يشعر بقشعريرة. تأوه، ثم غطس باقى جسده فى الماء الساخن واسترخى إلى الخلف. استطاع سماع المطر فى الخارج وأصغى لىسمع حركات فيغدس ألبو، لكنها كانت قد شغلت أسطوانة بوليس (فرقة روك). أفضل الأعمال على الإطلاق. ثمّ أغمض عينيه.

كان ستنخ (غوردن توماس: مغنٌ إنكليزي) يصدح بأغنية أس. أو. أس. (استغاثة). بالحديث عن ذلك، قدّر أن بتي قد قرأت البريد الإلكتروني بحلول ذلك الوقت، ولا بدّ من أنها قد مرّرت البريد مما أدّى إلى إيقاف عملية صيد الثعلب. كان الشراب قد جعل جفنيه ثقيلين، لكن كلما كان يغمض عينيه يرى ساقين ونعلين إيطاليين مصنوعين يدوياً يبرزان من ماء

الحمام الساخن الذي يتصاعد البخار منه. تحسس خلف رأسه بحثاً عن الكأس التي كان قد وضعها على حافة الحوض. عندما اتصل ببتي من شرودر لم يكن قد تناول إلا كأسى شراب شعير كبيرتين، ولم يكن ذلك قريباً إطلاقاً من المقدار الذي يجعله خدرًا. لكن أين كانت الكأس؟ تساءل إن كان توم والر سيطارده للنيل منه بأي حال. كان هاري يعرف أنه متشوق إلى القيام بهذا الاعتقال. لكن هاري لم يكن ليسلم نفسه حتى يضع كل الأمور في نصابها الصحيح. من الآن فصاعدًا، لا يمكنه أن يثق بأحد. سيكشف كل شيء، لكنه يحتاج إلى بعض الوقت أولاً. شراب آخر، ينام على الأريكة هنا الليلة، ذهنٌ صافٍ. غدًا.

ضربت يده كأس الكريستال الثقيلة فسقطت على الأرضية وتحطمت بصوتٍ مكتوم.

أطلق هاري شتيمة ووقف. كاد يقع لكنه أمسك بالجدار في آخر لحظة. ربط منشفة مخملية سميكة حول خصره وذهب إلى غرفة المعيشة. كانت قارورة الشراب لا تزال على الطاولة الصغيرة. وجد كأساً في خزانها وملاًها حتى الحافة. استطاع سماع آلة تحضير القهوة، وصوت فيغديس من الردهة. عاد إلى الحمام ووضع الكأس بحرص بجانب الملابس التي كانت فيغديس قد أخرجتها له؛ بزة بيورن بورغ كاملة باللونين الأزرق الفاتح والأسود. نظف المرأة بالمنشفة وواجه عينيه في المكان الخالي من الرطوبة.

همس: "أيها الأبله".

جلس على الأرض. سأل وشلّ (مجرى هزيل) فوق الرواسب بين آجر الأرضية إلى مصرف المياه. تبع الوشل عائداً إلى قدمه اليمنى حيث كانت دماء جديدة تقطر من بين أصابعه. وقف في وسط الزجاج المكسور، الذي لم يكن قد لاحظته سابقاً - لم يكن قد لاحظ شيئاً - ونظر إلى المرأة مجدداً وضحك.

أعدت فيغديس السماعة إلى مكانها. لقد أرغمت على الارتجال، بالرغم من أنها تكره ذلك فهو يجعلها تشعر أن جسدها متوعك حين لا تسير الأمور وفقاً للخطة. كانت قد أدركت منذ نعومة أظفارها أن لا شيء يحدث من تلقاء نفسه، وأن التخطيط كل شيء. كان لا يزال بمقدورها أن تتذكر انتقال أسرتها إلى سلمدال من سكاين حين كانت في الصف الثالث. أمام صفها الجديد، كانت قد وقفت وعرفت بنفسها، في حين كانوا يجلسون ويحدقون إليها، إلى ملابسها والحقيبة البلاستيكية الغريبة التي كانت بعض الفتيات قد قهقهن وأشرن إليها. في آخر درس، كانت قد

كُتبت لائحة طويلة تصف فيها الفتيات في الصف اللواتي سيكنّ صديقاتها، وأولئك اللواتي سيتلقين معاملة غير وديّة، والفتيان الذين سيقعون في حبها، والمدرّسين الذين سيختارونها طالبتهم المفضّلة. كانت قد علّقت اللائحة فوق سريرها حين عادت إلى المنزل ولم تقم بإزالتها حتى الميلاد، وبحلول ذلك الوقت كانت هناك علامة بجانب كل اسم.

لكن الأمر كان مختلفاً آنذاك، فهي تحت رحمة آخرين إذا أرادت أن تعود حياتها إلى مجراها الطبيعي.

نظرت إلى ساعتها: إنها العاشرة إلا عشرين دقيقة. قال توم والر إنهم سيصلون بعد اثنتي عشرة دقيقة. كان قد وعد بإيقاف صفّارات الإنذار قبل وصولهم إلى سلمدال، وهكذا لن تقلق بشأن الجيران. لم تكن قد ذكرت ذلك.

جلست في الردهة تنتظر. تمثّت أن يكون هول قد ذهب لينام في الحمام. نظرة أخرى إلى ساعتها. استمعت إلى الموسيقى. لحسن الحظ، كانت أغاني بوليس الصاخبة قد انتهت وستنخ يصدح آنذاك بأغانٍ من ألبومه المنفرد بصوته الرائع الهادئ. عن المطر... مثل دموع من السماء. كان ذلك جميلاً جداً حتى إنها أرادت أن تبكي.

ثم سمعت نباح غريغور الأَجَش. أخيراً.
فتحت الباب وخرجت إلى الدرجة وفقاً للاتفاق. رأت شكلاً يجري عبر الحديقة نحو الباحة وآخر إلى خلف المنزل. توقف رجلان مقتنعان يرتدي كل منهما بزّة سوداء ويحمل مسدساً صغيراً أمامها.
همس أحدهما من خلف القناع الأسود: "ألا يزال في الحمام؟ إلى اليسار بعد السلام؟".

همست: "نعم يا توم. وشكراً لمجيئكم...".
لكنهما كانا قد أصبحا في الداخل.
أغمضت عينيها وأرهفت السمع؛ أقدام تصعد جرياً على السلام، وزمجات غريغور القوية من الباحة، وأغنية ستنخ، وصوت تحطيم باب الحمام بعد ركله.

استدارت ودخلت المنزل، صعدت السلام، نحو الصراخ؛ بحاجة إلى شراب. رأت توم في أعلى السلام وقد نزع القناع، لكن وجهه بدا متجهماً جداً لدرجة أنها لم تعرفه بسهولة. كان يشير إلى شيء ما، على السجادة. نظرت إلى الأسفل، نحو آثار دماء. تبعثها عيناها عبر غرفة المعيشة إلى باب الباحة المفتوح. لم تستطع سماع ما كان الأحمق في الزي الأسود

يصرخ به. كانت الخطة كل ما استطاعت التفكير فيه. لم تكن تلك هي الخطة.

فالس مع ماتيلدا

جری هاري، وكان نباح غريغور المتقطّع مثل إيقاعات غاضبة في الخلفية، وبخلاف ذلك بقي كل شيء هادئاً. انزلت قدماه الحافيتان على العشب الرطب. مدّ ذراعيه أمامه حين اندفع نحو وشيع (حاجز من شجيرات) آخر، ولم يكد يشعر بالأشواك تثقب راحتي كفيّيه وبزّة بيورن بورغ. لم يكن قد عثر على ملابسه وحذائه، وظنّ أنه ربما يكون قد أخذها إلى الأسفل حيث كانت تجلس وتنتظر. في أثناء بحثه عن زوجٍ آخر من الأحذية، كان قد سمع غريغور يعوي، واضطر إلى أن يلوذ بالفرار في حاله تلك؛ بالسروال والقميص. هطل المطر على عينيه، والمنازل، وأشجار التفاح، والأجمة التي بدت مشوشة أمام عينيه. ظهرت حديقة أخرى من الظلام. جازف وقفز من فوق السياج المنخفض، لكنه فقد توازنه. الجري وشراب في دمك. ظهر مرج مشدّب وضربه في وجهه. بقي أرضاً، يُرهب السمع.

ظنّ أن بمقدوره سماع عدد من الكلاب تنبح آنذاك. هل وصل فيكتور إلى هناك؟ بتلك السرعة؟ لا بدّ من أن والر جعلهم يتأهبون. نهض هاري على قدميه وجال ببصره في أرجاء المكان. كان على قمة تلة اتجه إليها. ابتعد متعمداً عن الطرقات المضاعة التي ستسير عليها الشرطة قريباً دوريات وحيث يمكن رؤيته بسهولة. استطاع أن يرى منزل آلبو في الأسفل بجانب بيورنترأكت. كانت هناك بضع سيارات بجانب البوابة الأمامية، اثنتان منها تحملان أضواء زرقاء دوّارة. نظر نحو الأسفل إلى الطرف الآخر من التلة - أم تكن تدعى هولمن، أم غرسبانين؟ شيء من ذلك القبيل - حيث كانت سيارة مدنية متوقفة على الرصيف بجانب تقاطع الطرقات وأضواؤها تعمل. كان هاري سريعاً، لكن والر كان أسرع. وحدهم رجال الشرطة يركنون سياراتهم على تلك الحال.

فرك وجهه بقوة محاولاً التخلص من الخدر الذي كان قد اشتاق إليه أخيراً. ومض ضوء أزرق بين الأشجار في ستاسجونسفين. كان قد وقع في الشبكة والخناق يضيق عليه آنذاك. لن يهرب. كان والر بارعاً؛ لكنه لم يفهم تماماً. لم يكن ذلك عرضاً منفرداً. لا بدّ من أن أحدهم قد أقرّ استخدام تلك الموارد الضخمة لاعتقال رجل واحد. ماذا حدث؟ ألم تتلقّ بتي البريد الإلكتروني الذي أرسله إليها؟

أرهب السمع. كانت هناك مزيد من الكلاب، بالتأكيد. نظر في الأرجاء،

إلى المنازل المنفصلة المضاءة والمبعثرة على التلة الغارقة في الظلام. فكَرَّ في
الغرف المريحة الدافئة خلف النوافذ. يحب النزويجيون الضوء، ولا يطفئون
الأنوار إلا حين يكونون في عطلة الأسبوعين في الجنوب. وأخذ ينقل بصره
من منزل إلى آخر.

حدَّق توم والر نحو الأعلى إلى المنازل المنفصلة التي تزيّن الأرض مثل
أضواء الميلاد: حدائق سوداء كبيرة، زخرفة، ثم وضع قدميه على لوحة
القيادة في شاحنة فيكتور الخاصة بالعمليات. كان لديهم أفضل معدّات
اتصالات متوافرة، لهذا نقل إدارة العملية إلى هناك. كان متصلاً لاسلكياً
بكل الوحدات التي تضرب طوقاً حول المنطقة. نظر إلى ساعته. كانت
الكلاب قد أُطلقت، وستنقضي قريباً عشر دقائق منذ انسلت إلى الظلام مع
مدرّبيها، تتحرك عبر الحدائق.

خشخش اللاسلكي: "ستاسجونسفين إلى فيكتور واحد. لدينا سيارة هنا
يستقلّها ستيج أنطونسن في طريقه إلى 17 ريفهيفن. يقول إنه عائد من
العمل. هل...؟".

قال والر: "توثق من هويته، وعنوانه، واسمح له بالعبور. الأمر نفسه
ينطبق على الآخرين هناك، مفهوم؟ استخدموا عقولكم".
أخرج والر قرصاً مدمجاً من جيبه العلوي ووضعه في المشغّل. أصوات
عدّة عالية. غنى الأمير ثندر (رعد). رفع الرجل في مقعد السائق بجانبه
حاجبه، لكن والر تظاهر أنه لم يلاحظ ورفع الصوت. بيت شعر، لازمة،
بيت شعر، لازمة. الأغنية التالية: بوب داداي (بابا بوب). تفقّد والر ساعته
مجدداً. تبأ، يا له من وقت طويل تستغرقه الكلاب. ضرب لوحة القيادة،
ما أكسبه نظرة أخرى ممّن يجلس إلى جانبه.

قال والر: "لديهم آثار دماء جديدة يلحقونها. ما مدى صعوبة ذلك؟".
قال الرجل: "إنها كلاب، وليست آلات. استرخ، سيجدونه قريباً".
كان الفنان المعروف إلى الأبد بالأمير في منتصف أغنية دايموندز آند
بيرلز (ألماس ولآلئ) حين جاء التقرير: "فيكتور ثلاثة إلى فيكتور واحد. أظن
أننا نلنا منه. نحن خارج منزل أبيض...، يحاول إيريك اكتشاف اسم الطريق،
لكن هناك رقم 16 على الجدار، بأي حال".
خفض والر صوت الموسيقى وقال: "لا بأس. توثقوا من ذلك وانتظرونا.
ما صوت الرنين هذا الذي أسمعته؟".

"إنه يأتي من المنزل".

خشخش اللاسلكي: "ستاسجونسفين إلى فيكتور واحد. آسف للمقاطعة

لكن هناك شاحنة أمنية هنا. يقولون إنهم ذاهبون إلى هارلابن. سجّل مقسمهم الرئيس انطلاق جهاز إنذار ضد السرقة هناك. هل يجب...؟".
صرخ والر: "فيكتور واحد إلى كل الوحدات. تحرّكوا. هارلابن 16".
كان مزاج بيارني مولر سيئاً. في وسط برنامجه التلفزيوني المفضّل! وجد المنزل الأبيض، رقم 16، ركن سيارته في الخارج، دخل عبر البوابة ووصل إلى الباب الأمامي حيث كان شرطي يقف ممسكاً طوق كلب ألزاسي. سأل رئيس شعبة الجريمة: "هل مولر في الداخل". أشار الشرطي إلى الباب، ولاحظ مولر أن الزجاج في نافذة الردهة محطّم. وقف والر في الردهة يناقش غاضباً شرطياً آخر.

سأل مولر من دون استهلال: "ما الذي يجري هنا بالله عليك؟".
استدار والر وقال: "حسناً. ما الذي جاء بك إلى هنا يا مولر؟".
"اتصال هاتفي من بتي لون. من أقرّ هذه الحماقة؟".
"محمي الشرطة".

"لا أتكلم عن الاعتقال. أسأل عمّن منح الإذن ببدء الحرب العالمية الثالثة لأن أحد زملائنا قد - قد! - يكون لديه بضعة أشياء بحاجة إلى تفسير".

اهتز والر على كعبيه في حين كان يحدّق إلى مولر وقال: "رئيس وحدة السرقات إيفارسون. عثرنا على بضعة أشياء في منزل هاري تجعله أكثر من مجرد شخص نوّد التحدّث إليه. إنه مشتبه فيه في جريمة. هل من شيء آخر تتساءل عنه يا مولر؟".

رفع مولر حاجبه مندهشاً واستنتج أن والر منزعجٌ جداً. كانت تلك أول مرة على الإطلاق يسمعه فيها يتحدّث إلى شخص أعلى رتبة منه بتلك الطريقة الاستفزازية وقال: "نعم. أين هاري؟".

أشار والر إلى آثار الخطوات الحمراء على الأرضية الخشبية ثمّ أجاب: "كان هنا. اقتحم المكان، كما ترى. يبدو أن هناك الكثير مما يحتاج إلى تفسير، أليس كذلك؟".

"سألت أين هو الآن؟".

تبادل والر والشرطي الآخر نظرات ثمّ ردّ: "واضح أنه لا يمكن توقع تصرّفات هاري بسهولة. كان العصفور قد طار حين وصلنا".

"أوه؟ كان لدي انطباع أنك قد طوّقت المنطقة كلها".

قال والر: "فعلنا ذلك".

"إذاً، كيف هرب؟".

"باستخدام هذا". أشار والر إلى الهاتف على الطاولة. كانت السماعة ملطّخة بما بدا أنه دم.

"هرب باستخدام الهاتف؟". شعر مولر برغبة غير منطقية - مع الأخذ في الحسبان مزاجه السيئ وجدّية الموقف - في الابتسام. قال والر حين كان مولر يراقب العضلات القوية لفك ديفيد هاسلهوف تتوتر: "هناك سبب للظن أنه طلب سيارة أجرة".

قاد أويستن في الزقاق ببطء ووجهه سيّارة الأجرة إلى نصف الدائرة المرصوفة بالحجارة أمام سجن أوصلو. تراجع إلى الخلف بين سيارتين، فأضحى الجزء الخلفي من سيارته يواجه المتنزه الخالي وغرونلاندسليرت. أدار المفتاح لإيقاف المحرك عن العمل، لكنّ مسّاحتي الزجاج الأمامي استمرت في الحركة ذهاباً وجيئة. انتظر. لم يكن هناك أحد، لا في الساحة ولا في المتنزه. نظر إلى مقر قيادة الشرطة قبل أن يسحب المفتاح تحت المقود. كانت هناك طقطقة وارتفع غطاء الصندوق بسرعة إلى الأعلى.

صرخ وهو ينظر في المرآة: "اخرج!".

اهتزت السيارة، فُتح غطاء الصندوق عن آخره وأُغلق بقوة، ثم فُتح الباب الخلفي ووثب رجل بسرعة إلى الداخل. أمعن أويستن النظر إلى الراكب المبلل المرتعش في المرآة.

"تبدو رائعاً يا هاري".

"شكراً".

"ملابس جميلة أيضاً".

"ليست على مقاسي، لكنها بيورن بورغ. أعطني حذاءك".

"ماذا؟".

"لم أعثر إلا على خفّ من اللباد في الردهة. لا يمكنني الذهاب في زيارة إلى السجن وأنا أنتعله. وسترتك أيضاً".

حرك أويستن عينيه ونزع بصعوبة سترته الجلدية القصيرة.

سأل هاري: "هل واجهت أي صعوبة في اجتياز حواجز الطرقات؟".

"في طريق الذهاب فقط. كان عليهم أن يتوثقوا أن لدي اسم الشخص الذي أنقل الصندوق إليه وعنوانه".

"وجدت الاسم على الباب".

"في طريق عودتي، نظروا إلى داخل السيارة فقط ولوّحوا لي أن أتابع

طريقي. انقضت ثلاثون ثانية ثم سمعت جلبة كبيرة عبر اللاسلكي. استدعاء

كل الوحدات وما إلى ذلك. هيه، هيه".

"ظننت أنني سمعت شيئاً من الخلف. تعرف أن التقاط بث موجة لاسلكي الشرطة غير قانوني، أليس كذلك يا أويستن؟".
"حسناً، التقاط البث ليس مخالفاً للقانون، لكن استخدام الموجة مخالف. وأنا لم أستخدمها مطلقاً تقريباً".

عقد هاري شريط الحذاء ورمى الخف من فوق المقعد إلى أويستن وقال: "ستجازي خيراً على عملك. إذا أخذوا رقم سيارة الأجرة وقاموا بزيارتك، يجب أن تقول لهم ما حدث. تلقيت طلباً عبر هاتف خلوي وأصرّ الراكب على الاستلقاء في الصندوق".
"بالتأكيد، وتلك هي الحقيقة".

"أصدق شيء كنت قد سمعته منذ وقت طويل".
أخذ هاري نفساً عميقاً ورنّ الجرس. لم تكن المجازفة كبيرة في المرحلة الأولى، لكن كان من الصعب معرفة سرعة انتشار خبر أنه رجل مطلوب. بالمحصلة، كان رجال الشرطة يدخلون هذا السجن ويخرجون منه طوال الوقت.

قال أحدهم عبر جهاز الاتصال البيني: "نعم".
"المفتش هاري هول"، نطق هاري ذلك بوضوح شديد ونظر إلى آلة التصوير فوق المدخل بما تمنى أن يكون رباطة جأش، "من أجل راسكول باكست".

"لست على لائحتي".
قال هاري: "حقاً؟ طلبت من بتي لون الاتصال بكم وإدراج اسمي على اللائحة؛ الليلة الماضية، الساعة التاسعة. اسأل راسكول فحسب".
"إذا أردت الدخول خارج أوقات الزيارة، يجب أن يكون اسمك مدرجاً على اللائحة أيها المفتش. يجب أن تتصل في أثناء ساعات العمل غداً".
نقل هاري ثقله من قدم إلى الأخرى. "ما اسمك؟".
"بويغست. أخشى أنني لا أستطيع...".

"اسمع يا بويغست. هذه الزيارة للحصول على معلومات عن قضية مهمة للشرطة لا يمكنها الانتظار حتى الغد. أتخيل أنك قد سمعت صفارات الإنذار تنطلق حول مقر قيادة الشرطة هذا المساء، أليس كذلك؟".
"نعم، لكن...".

"حسناً، إذا لم تكن ترغب في الرد على أسئلة الصحف غداً بشأن لائحتك، أقترح أن تخرج من وضع الرجل الآلي وتضغط زر الرأي الحصيف. ذلك الموجود أمامك مباشرة يا بويغست".

حدّق هاري إلى عين آلة التصوير الخالية من الحياة. ألف وواحد وألف واثنان. فُتح الباب.

كان راسكول جالساً على كرسي في زنزانته حين دخل هاري. قال هاري، وهو ينظر في أرجاء زنزانة بُعدها أربعة أمتار ومتران: "شكراً لتأكيد الزيارة". سرير، طاولة، خزانتان، بضعة كتب. لا مذياع، أو مجلات، أو أشياء شخصية، وجدران خالية من أي شيء. قال راسكول رداً على أفكار هاري: "أفضّلها على هذا النحو. تجعلني أركّز تفكيري".

قال هاري وهو يجثم على حافة السرير: "إذاً، قدّر كيف يرّكّز هذا الذهن. لم يقتل آرنيه ألبو أنا بالمحصلة. نلت من الرجل الخطأ. هناك دماء بريئة على يديك يا راسكول". لم يكن هاري واثقاً، لكن بدا أنه لاحظ اختلافات دقيقة جداً في قناع الغجري الرقيق والجامد والبارد. خفض راسكول رأسه ووضع راحتي يديه على صدغيه.

قال هاري: "تلقيت بريداً إلكترونياً من القاتل. تبين أنه كان يتلاعب بي منذ أول يوم". مرّ يده ذهاباً وجيئة على الخطوط المتقاطعة للحاف حين كان يلخّص ما ورد في البريد الإلكتروني. وأتبع ذلك بمقتطفات من أحداث اليوم.

جلس راسكول ساكناً من دون حراك، يُرهب السمع حتى أنهى هاري كلامه، ثمّ رفع رأسه بعد ذلك وقال: "ذلك يعني أن هناك دماء بريئة على يديك أيضاً أيها السبيوني". أوماً هاري موافقاً.

"أنت هنا الآن لتخبرني أنني الشخص الذي لطّخ يديك. ولهذا أدين لك".

لم يرد هاري.

قال راسكول: "أوافق. أخبرني ما الذي أدين لك به".

توقف هاري عن مسّ اللحاف وقال: "ثلاثة أشياء. أولاً، أحتاج إلى مكان أختبئ فيه حتى أسبر أغوار هذا الأمر". أوماً راسكول.

"ثانياً، أريد مفتاح شقة أنا لأتحقق من بضعة أشياء".

"لقد أعدته سلفاً".

"ليس المفتاح الذي يحمل حرفي آيه. آيه، فهو في درجٍ في شقتي، ولا

يمكنني الذهاب إلى هناك الآن. وثالثاً...".

سكت هاري وأمعن راسكول النظر إلى وجهه بفضول.
"إذا سمعت راكيل تقول إن أحداً نظر إليهما شزراً، فسأسلم نفسي،
وأضع كل الأوراق على الطاولة وأشير إلى أنك أنت كنت وراء مقتل آرنيه
آلبو".

ابتسم راسكول له ابتسامة ودودة ومتسامحة؛ كأنه، نيابة عن هاري،
يأسف لشيء واحد كان كلاهما يعرفانه تماماً: حقيقة أن لا أحد سينجح
قط في إيجاد علاقةٍ أيّاً تكن بين راسكول والجريمة. ثمّ قال: "لا داعي
للقلق بشأن راكيل وأوليغ أيها السبيوني. تلقى رجلي تعليمات بإلغاء مهمته
في اللحظة التي كنا قد تعاملنا فيها مع آلبو. يقول رجلي إن الاحتمالات
لا تبدو واردة تماماً. فهمت أن أسرة الوالد لديها اتصالات معينة؟".
دفع هاري كتفيه إلى الأمام.

سحب راسكول درج الطاولة، وأخرج المفتاح اللامع وأعطى هاري إياه
ثمّ قال: "اذهب إلى محطة قطار الأنفاق في غرونلاند. انزل على أول
مجموعة من السلام وسترى امرأة تجلس خلف نافذة بجانب المراحيض.
تحتاج إلى خمسة كرونات لتدخل إلى هناك. أخبرها أن هاري قد وصل،
ادخل منطقة الحمّامات وأوصد الباب على نفسك في إحدى الحجيرات.
عندما تسمع شخصاً يقترب ويدندن فالس مع ماتيلدا، ستكون وسيلة نقلك
جاهزة. حظاً طيباً أيها السبيوني".

كان المطر يهطل غزيراً ورذاذ ماء يرتد عن الإسفلت، ولو أن أحداً
توقف قليلاً، لكان قد رأى أقواس قزح صغيرة في أضواء الشارع أسفل
القسم الضيق وحيد الاتجاه عند بوابة فيبوز. بأي حال، لم يكن لدى بيارني
مولر وقت. خرج من السيارة، رفع معطفه فوق رأسه وجرى عبر الشارع
إلى الباب الأمامي حيث كان إيفارسون وويبر ورجل، بدا واضحاً أنه من
أصول باكستانية، يقفون بانتظاره.

صافحهم مولر وعرف الرجل داكن البشرة عن نفسه بأنه علي نيازي،
جار هاري.

قال مولر: "سيكون والر هنا في أسرع وقت ممكن، فقد غادر
سلمدال. ماذا وجدتم؟".

قال إيفارسون: "أشياء مثيرة جداً للاهتمام، كما أخشى. أهم شيء الآن
هو معرفة كيف سنخبر الصحافة أن أحد ضباط شرطتنا...".
تذمر مولر: "مهلاً، ليس بهذه السرعة. ماذا عن إيجازٍ بالمعلومات".

ابتسم إيفارسون ابتسامة باهتة وقال: "تعال معي".
قاد رئيس وحدة السرقات الثلاثة الآخرين عبر باب منخفض نزولاً على
سلام متعرجة إلى القبو. أحنى مولر جسده الطويل والنحيل قدر استطاعته
ليتفادى مسّ السقف أو الجدران. لم يكن يحب الأقبية.

كان صوت إيفارسون صدى مكتوماً يتردد بين الجدران الآجرية حين
قال: "كما تعرف، تلقت بتي لون عدداً من الرسائل الإلكترونية المعاد
توجيهها من هول. يدّعي أنها أرسلت إليه من الشخص الذي اعترف بقتل
آنا بيثسن. لقد ذهبت إلى مقر قيادة الشرطة وقرأت الرسائل الإلكترونية
قبل ساعة. سأقول بكل فضاظة إنها عموماً ثرثرة مبهمّة غير مفهومة. لكنها
تحتوي فعلاً على معلومات لم يكن كاتبها ليمتلكها من دون معرفة عميقة
بما حدث ليلة موت آنا بيثسن. وبالرغم من أن المعلومات تضع هول في
الشقة تلك الأمسية، إلا أنها تمنحه على ما يبدو أيضاً صكّ براءة".

"على ما يبدو؟"، انحنى مولر تحت إطار باب آخر. في الداخل، كان
السقف أكثر انخفاضاً، ومشى منحنيّاً يحاول عدم التفكير في وجود أربعة
طوابق فوقه من مواد بناء متماسكة معاً بقضبان وطين عمره قرون، ثم
تابع قائلاً: "ماذا تعني يا إيفارسون؟ ألم تقل إن الرسائل الإلكترونية تحتوي
على اعتراف؟".

قال إيفارسون: "أولاً، فتّشنا شقة هول. شغلنا حاسوبه وفتحنا صندوق
الوارد ووجدنا كل الرسائل الإلكترونية التي كان قد تلقاها، تماماً كما أرسلها
إلى بتي لون. بمعنى آخر: وجدنا صكّ براءة واضحاً".
قال مولر بانزعاج واضح: "سمعت ذلك. هل يمكننا معرفة بيت
القصيد بسرعة؟".

"بيت القصيد هو، بالطبع، الشخص الذي بعث تلك الرسائل الإلكترونية
إلى حاسوب هاري".
سمع مولر أصواتاً.

قال الرجل الذي عرف عن نفسه بأنه جار هاري: "إنه عند تلك
الزاوية".

توقفوا أمام مخزن حيث كان رجلان يجثمان خلف الشباك المعدني،
أحدهما يوجّه مصباحاً إلى حاسوب محمول ويقرأ عدداً، والآخر يسجل. رأى
مولر سلكين كهربائيين يمتدان من مقبس في الجدار، أحدهما إلى الحاسوب
المحمول والآخر إلى هاتف نوكيا خلوي يخشخش، الذي كان متصلاً بدوره
بالحاسوب.

شدّ مولر قامته قدر استطاعته وقال: "وماذا يثبت ذلك؟".
وضع إيفارسون يده على كتف جار هاري وقال: "يقول علي إنه
وجده في القبو بعد بضعة أيام من مقتل آنا بيشن، وكانت تلك أول مرة
يرى فيها هذا الحاسوب المحمول مع الهاتف الخليوي المتصل به في مخزن
هاري. لقد توثّقنا سلفاً من الهاتف".
"و؟".

"إنه لهول. نحاول الآن اكتشاف من اشترى الحاسوب المحمول. لقد
تحققنا من الرسائل الصادرة بأي حال".

أغمض مولر عينيه إذ كان ظهره يؤلمه آنذاك.
"وهذه هي"، هزّ إيفارسون رأسه إثباتاً وتابع: "كل الرسائل الإلكترونية
التي يحاول هاري جعلنا نصدّق أن قاتلاً مجهولاً قد أرسلها إليه".
قال مولر: "همم. لا يبدو هذا جيداً".
"وجد ويير الدليل الحقيقي في الشقة".
نظر مولر مستفسراً إلى ويير الذي تجهم وجهه، ورفع كيساً شفافاً
صغيراً.

قال مولر: "مفتاح؟ يحمل الحرفين أيه. أيه.".
قال ويير: "وُجد في درج طاولة الهاتف. يطابق مفتاح شقة آنا".
حدّق مولر من دون أي انفعال إلى ويير. جعل الضوء القوي من
المصباح وجوههم شاحبة جداً مثل الجدران المطلية بماء الكلس، وانتاب
مولر شعور أنه في قبر، ثمّ تمتم: "يجب أن أخرج".

سبيوني جيرمان

فتح هاري عينيه ونظر إلى وجه فتاة مبتسمة الشجر وشعر بأول مطرقة ثقيلة تضرب.

أغمض عينيه مجدداً، لكن لم تختفِ ابتسامة الفتاة أو الصداق. حاول أن يعيد ترتيب أحداث الليلة.

راسكول، المرحاض في محطة قطار الأنفاق، رجل مربوع القامة يرتدي بزة أرمانى رثة يدندن، يد ممدودة حول أصابعها خواتم ذهبية، شعر أسود وظفر مدبب طويل. "مرحباً هاري، أنا صديقك سيمون". وفي تناقض صارخ للبزة البالية: مرسيدس جديدة لامعة مع سائق بدا أنه شقيق سيمون، وهو ذو عينين بنيتين مرحتين كعيني أخيه، ويد كثيفة الشعر مزينة بالذهب. كان الرجلان على المقعدين الأماميين في السيارة قد تحدثا بمزيج من نرويجية وسويدية ونبرة غريبة خاصة بعمال السيرك، وباعة السكاكين، والواعظين، ومغني فرق الرقص. لكنهما لم يقلوا الكثير. "كيف حالك يا صديقي؟"، "طقس سيئ، أليس كذلك؟". "ملابس أنيقة يا صديقي. هل نتبادل؟". ضحكة ودية وطققة ولاعة لفائف تبغ. "هل تدخن يا هاري؟ لفائف تبغ روسية. خذ واحدة من فضلك، قد تكون قوية بعض الشيء، لكنها جيدة بطريقتها، كما تعرف". مزيد من الضحك. لم يكن أحد قد ذكر اسم راكيل أو المكان الذي يقصدونه.

تبين أنه لم يكن بعيداً جداً.

انعطفت السيارة بعد متحف مونش (متحف الفنون) واهتزت فوق مطبات اصطناعية إلى ساحة لركن السيارات أمام ملعب كرة قدم موحل وخالٍ. كانت في نهاية الساحة ثلاث مقطورات؛ اثنتان جديدتان كبيرتان وواحدة قديمة صغيرة من دون عجلات، تقف على صناديق ليكا. فُتح باب إحدى المقطورتين الكبيرتين ورأى هاري ظل امرأة وقد أطلّ أولاد برؤوسهم من خلفها. عدّ هاري: إنهم خمسة.

قال إنه ليس جائعاً وجلس في الزاوية يراقبهم يأكلون. قدّمت أصغر المرأتين في المقطورة الطعام، وتناولوه بسرعة ومن دون كياسة. حدّق الأولاد إلى هاري وهم يقهقهون ويدفعون بعضهم بعضاً. غمزهم هاري وحاول أن يبتسم بعد أن شعر بالخدر يتسلل إلى جسده المتيبس ببطء. كان ذلك خيراً جيداً نظراً إلى وجود مترين منه وهو يشعر بالألم في كل سنتيمتر منه. بعدئذ كان سيمون قد أعطاه بطانيتين صوفيتين وربّت بوداً على كتفه،

وأوماً نحو المقطورة الصغيرة: "إنه ليس هيلتون، لكنك بأمان هنا يا صديقي".

اختفى أي دفة كان قد بقي في جسد هاري فور دخوله البراد على شكل بيضة المسمّى مقطورة. كان قد خلع حذاء أويستن الذي كان مقاسه أقل من مقاس قدميه، فركهما وحاول إيجاد مساحة لساقيه الطويلتين في السرير القصير. كان آخر شيء يتذكر فعله هو محاولة نزع سرواله الرطب. "هيه... هيه... هيه".

فتح عينيه، وكان الوجه البني الصغير قد اختفى والضحكة تصدر من الخارج آنذاك، عبر الباب المفتوح، الذي يدخل منه شريط من أشعة الشمس ويلمع على الجدار خلفه والصور المثبتة هناك. دفع هاري نفسه ليستند على مرفقيه، ونظر إلى مَنْ في الخارج. كان هناك صبيان يافعان يضعان ذراعيهما حول بعضهما بعضاً أمام المقطورة التي يستلقي فيها آنذاك. كانا يبدوان مسرورين. لا، أكثر من ذلك؛ فرحين. ربما لهذا السبب تعرّف هاري بصعوبة إلى راسكول صغير.

دفع هاري ساقه خارج السرير وقرّر أن يتجاهل الصداق. جلس بضع ثوانٍ ليتوثق أن معدته على ما يرام. كان قد مرّ بمحن أسوأ كثيراً مما حدث أمس، غاية في السوء. في أثناء الوجبة في الأمسية السابقة كان على وشك أن يسأل إن كان لديهم شيء قوي يشربه، لكنه نجح في إبقاء فمه مغلقاً. ربما سيتحمّل جسده الشراب على نحو أفضل الآن بعد أن بقي يشرب باعتدال مدة طويلة؟

أجيب عن سؤاله حين خطا إلى الخارج. حدّق الأولاد مندهشين حين أسند هاري نفسه على العارضتين وتقيأ على العشب البني. سعل وبصق مرات عدّة ثم مسح فمه بظاهر يده. عندما استدار، كان سيمون يقف وابتسامة عريضة ترتسم على شفثيه؛ كأن إفراغ المعدة هو البداية الطبيعية جداً لليوم. "طعام يا صديقي؟". ابتلع هاري ريقه وأوماً.

أعار سيمون هاري بزّة مجعّدة، وقميصاً نظيفاً بياقة عريضة ونظارة شمسية كبيرة. ركب المرسيديس وانطلقا إلى فينماركغاتا. عند الإشارة الضوئية في كارل برنرز بلاس أنزل سيمون زجاج النافذة وصرخ على رجل يقف خارج كشك يدخن سيجاراً. انتاب هاري شعور مبهم أنه قد رأى الرجل من قبل. عرف من خبرته أن هذا الشعور يعني دائماً أن للرجل سجلاً إجرامياً. ضحك الرجل وصرخ شيئاً لم يسمعه هاري.

سأل: "أحد معارفك؟".

قال سيمون: "صلة وصل".

كرّر هاري، وهو يراقب سيارة شرطة تنتظر عند الضوء الأخضر على الطرف الآخر من التقاطع: "صلة وصل".

انعطف سيمون غرباً نحو مستشفى أولفال.

قال هاري: "أخبرني، ما نوع الصلات التي يمتلكها راسكول في موسكو ويمكنها العثور على شخص في مدينة يسكنها عشرون مليون شخص مثل تلك؟"، طقطق هاري أصابعه وتابع: "هل هي المافيا الروسية؟".

ضحك سيمون وقال: "ربما. إذا لم تجد أحداً أفضل في العثور على

أشخاص".

"كيه. دجي. بي. (الاستخبارات السوفياتية)؟".

"إذا كنت أتذكر على نحو صحيح يا صديقي، فإنها لم تعد موجودة"،

قال سيمون هذا وضحك بصوتٍ أعلى.

"أخبرتني خبيرة روسية في الاستخبارات السرية أن رجال كيه. دجي. بي.

السابقين لا يزالون يديرون العرض".

هزّ سيمون كتفيه وقال: "خدمات، وخدمات مقابلة. ذلك هو الأمر،

كما تعرف".

ألقي هاري نظرة سريعة على الشارع حيث تجاوزتهما شاحنة مغلقة.

كان قد جعل تس - الفتاة ذات العينين البنيتين التي كانت قد أيقظته -

تذهب مسرعة إلى تويان وتشتري نسخة من صحيفة داجبلاديت وفيردنز

غانغ، لكن لم يكن هناك شيء عن رجل شرطة مطلوب في أيٍّ منهما. لم

يكن ذلك يعني أن بمقدوره إظهار وجهه في أي مكان لأنه يعرف، إن لم

يكن مخطئاً تماماً، أن صورة له ستكون موجودة في كل سيارة شرطة.

مشى هاري بسرعة إلى الباب، وضع المفتاح الذي أعطاه إياه راسكول

في القفل وأداره. حاول ألا يُحدث أي جلبة في الرواق. كانت هناك صحيفة

خارج باب أستريد مونسن. وعندما أصبح داخل شقة آنا، أغلق الباب

بهدوء خلفه وتنقّس الصعداء.

لا تفكّر في ما تبحث عنه.

كان الهواء في الشقة خانقاً. ذهب إلى أبعد غرفة. لم يكن شيء قد

مُسّ منذ كان آخر مرة هناك. تراقصت ذرات الغبار في ضوء الشمس الذي

يدخل من النافذة ويضيء اللوحات الثلاث التي وقف ينظر إليها. كان

هناك شيء مألوف على نحو غريب في الرؤوس المشوّهة. اقترب من الصور

ومرر أطراف أصابعه فوق كتل الطلاء الزيتي. لو أنها تتحدّث إليه، لم يكن ليفهم ما تقوله.

ذهب إلى المطبخ.

كانت رائحة النفايات والدهن الفاسد تفوح منه. فتح النافذة وفتّش الأطباق وأدوات المائدة في مغسلة المطبخ. كانت قد شُطفت لكنها لم تُغسل. نخس بقايا الطعام المتصلّبة بشوكة، وأخرج قطعة حمراء صغيرة من الصلصة، ووضعها في فمه. فلفل حار.

وجد كأسَي شراب كبيرتين خلف قدر ضخمة، وفي إحداهما راسب أحمر، في حين بدت أن الأخرى لم تُمسّ. قرّب هاري أنفه منها، لكنه لم يشم إلا رائحة زجاج دافئ. كانت بجانب كأسَي الشراب كأسا ماء عاديتان. وجد قطعة قماش لغسل الصحون فاستعملها لرفع الكأسين إلى الضوء من دون أن يترك بصمات. كانت إحداهما نظيفةً، وعلى الأخرى طبقة لزجة. حكّ الطبقة بظفره ومصّ إصبعه. سكر، مع نكهة قهوة. كوكا كولا؟ أغمض هاري عينيه. شراب فرنسي وكولا؟ لا. ماء وشراب فرنسي لشخص واحد. كولا وكأس لم يستخدمها الشخص الآخر. لف الكأس في قطعة القماش ووضعها في جيب سترته. فجأة، ذهب إلى الحمام، فتح غطاء خزان الماء وتحسّس داخله؛ لا شيء.

عاد هاري إلى الشارع، ورأى أن السحب قد اقتربت من الغرب، وهناك لسعة برد في الهواء. عضّ هاري شفته السفلى، إذ كان قد اتخذ قراراً وبدأ يمشي نحو بوابة فييز.

تعرفّ هاري فوراً إلى الشاب خلف النضد في محل صانع الأقفال. قال هاري، وهو يأمل ألا يسأل الفتى عن هويته، التي كانت في سترته في منزل فيغديس آلبو في سلمدال: "صباح الخير، أنا من الشرطة". وضع الفتى صحيفته جانباً وقال: "أعرف".

سيطر الذعر على هاري تلك اللحظة.

"أتذكر أنك جئت إلى هنا لتأخذ مفتاحاً"، ابتسم الفتى ابتسامة عريضة وتابع: "أتذكر كل زبائني".

تنحى هاري وقال: "حسناً، أنا لست زبوناً في الواقع".
"أوه؟".

"لا، لم يكن المفتاح لي. لكن ليس هذا هو سبب...".
قاطعته الفتى: "يجب أن يكون لك. كان مفتاحاً رئيساً، أليس كذلك؟".
أوماً هاري. استطاع أن يرى بطرف عينه سيارة دورية تمر في المكان

ببطء وقال: "كان المفتاح الرئيس هو ما أردت التكلم عنه. أتساءل كيف يمكن لدخيل أن يحصل على نسخة من مفتاح رئيس مثل هذا. مفتاح تريوفينغ، مثلاً".

قال الفتى بقناعة كاملة لشخص يقرأ مجلات علمية مصوّرة: "ذلك غير ممكن. وحدها تريوفينغ يمكن أن تصنع نسخة مطابقة تعمل. لهذا، فإن الطريقة الوحيدة هي الحصول على تفويض مزور مكتوب من لجنة البناء. لكن حتى ذلك يمكن اكتشافه حين تأتي لاستلام المفتاح؛ لأننا سنطلب رؤية هويتك وتوثق من أنك مسجل في لائحة مالكي الشقق في المبنى".

"لكنني حصلت على أحد تلك المفاتيح الرئيسة، وكان مفتاح شخص آخر".

عبس الفتى وقال: "لا، أتذكر بوضوح تام أنك أظهرت هويتك وتوثقت أنا من الاسم. مفتاح من الذي تظن أنك استلمته؟".

رأى هاري في الانعكاس على الباب الزجاجي خلف النضد سيارة الشرطة نفسها تمرّ في الاتجاه المعاكس.

"انس الأمر. هل هناك أي طريقة أخرى للحصول على نسخة؟".

"لا. تتلقى تريوفينغ، التي تصنع هذه المفاتيح، طلباتٍ من باعة معتمدين مثلنا فقط. وكما قلت، نتثبت من الوثائق ونراقب بعناية المفاتيح التي تُطلب لكل العقارات المشتركة ومرافق الأبنية. يجب أن يكون النظام آمناً جداً".

"يبدو كذلك، نعم"، فرك هاري وجهه بيده منزعجاً وأضاف: "اتصلت قبل بعض الوقت وقيل لي إن امرأة تعيش في سورجنفريغاتا قد استلمت ثلاثة مفاتيح لشقتها. عثرنا على أحدها في شقتها، وأعطت الثاني إلى كهربائي كان يُفترض أن يصلح شيئاً، ووجدنا الثالث في مكان آخر. المهم هو أنني لا أصدّق أنها طلبت المفتاح الثالث. هل يمكنك التوثق من ذلك من أجلي؟".

هزّ الفتى كتفيه وقال: "يمكنني بالتأكيد، لكن لماذا لا تسألها بنفسك؟".

"أطلق أحدهم النار على رأسها".

قال الفتى من دون أن يرف له جفن: "ياه!".

وقف هاري ساكناً من دون حراك، ثمّ شعر بشيء ما؛ ارتعاش بسيط؛ نفحة هواء من الباب ربما؟ ثمّ... سمع صوت تنحجٍ خافت. لم يكن قد سمع أحداً يدخل. ومن دون أن يستدير، حاول أن يرى من هو الشخص، لكن الأمر كان مستحيلاً من تلك الزاوية.

قال الشخص بصوتٍ حادٍّ وعالٍ خلفه: "الشرطة"، وهنا، ابتلع هاري ريقه بصعوبة.

قال الفتى، وهو ينظر من فوق كتف هاري: "نعم؟".
قال: "إنهم في الخارج. يقولون إن أحدهم اقتحم شقة السيدة العجوز رقم 14. تحتاج إلى قفل جديد فوراً، لهذا يتساءلون إن كان بمقدورنا إرسال أحد بسرعة".

"حسناً، يمكنك الذهاب معهم يا ألف. أنا مشغول كما ترى".
أصغى هاري السمع حتى أضحى وقع الخطوات بعيداً. سمع نفسه يهمس: "أنا بيثسن. هل يمكن أن تتحقق إذا استلمت بنفسها كل المفاتيح؟".

"لا داعي لذلك. لا بدّ من أنها استلمتها".
انحنى هاري فوق النضد وقال: "هل يمكنك التوثق من ذلك بأي حال؟".

أطلق الفتى تنهيدة عميقة واختفى في غرفة خلفية، ومن ثم عاد يحمل ملفاً يقلّب صفحاته وقال: "انظر بنفسك. هذه، وهذه، وهذه".
تعرف هاري إلى نماذج التسليم. كانت متطابقة مع النماذج التي وقّعها بنفسه حين جاء لاستلام مفتاح آنا. لكن، كل النماذج كانت بتوقيع آنا. كان على وشك أن يسأل أين النموذج الذي يحمل توقيعه حين وقع نظره على التواريخ.

قال: "سُجّل هنا أن آخر المفاتيح سُلم في آب، لكن ذلك كان قبل وقت طويل من مجيئي إلى هنا و...".
"نعم؟".

حدّق هاري في الخواء ثم قال: "شكراً لك. لقد وجدت ما كنت بحاجة إليه".

في الخارج، كانت سرعة الريح قد ازدادت. اتصل هاري من أحد أكشاك الهاتف في فالكيري بلاس. "بتي؟".
طار نورسان في الريح فوق برج مدرسة البحارة وحلّقاً هناك. كان تحت طائري النورس فيورد أوسلو البحري، الذي اصطبغ بلون أسود ضارب إلى الخضرة ينذر بالسوء، وإكبرغ حيث كان شخصان يجلسان على مقعد خشبي وقد بدواً مثل نقطتين صغيرتين.

كان هاري قد انتهى من الحديث عن آنا بيثسن: عن وقت لقائهما، والأمسية الأخيرة التي يذكر بعض ما حدث فيها، راسكول. كانت بتي قد

انتهت من إخباره أنهم استطاعوا تعقب الحاسوب المحمول. كان قد بيع قبل ثلاثة شهور في متجر إكسبرت بجانب دار عرض كولوسوم. كانت الكفالة باسم آنا بيثسن، والهاتف الخليوي المتصل به هو الذي ادعى هاري أنه قد فقده.

قال هاري: "أكره صرخات طيور النورس".

"هل ذلك كل ما لديك لتقوله؟".

"في هذه اللحظة بالذات... نعم".

نهضت بتي عن المقعد وقالت: "يجب ألا أكون هنا يا هاري. ما كان يجب أن تتصل بي".

"لكنك هنا"، تخلى هاري عن محاولة إشعال لفافة تبغ في الريح

وتابع: "هذا يعني أنكِ تصدقيني، أليس كذلك؟".

ردت بتي أن مدت ذراعيها غاضبة.

قال هاري: "لا أعرف أكثر مما تعرفينه. لست واثقاً حتى إنني لم

أقتل آنا".

افترق طائراً النورس ونقذا تحليقاً رشيقاً في مهب الريح.

قالت بتي: "أخبرني ما تعرفه مرة أخرى".

"أعرف أن هذا الرجل قد حصل بطريقة ما على مفاتيح شقة آنا،

مما سمح له أن يدخل ويخرج في ليلة مقتلها. عندما غادر، أخذ حاسوب

آنا المحمول وهاتفه الخليوي معه".

"ماذا كان هاتفك الخليوي يفعل في شقة آنا؟".

"لا بدّ من أنه قد وقع من جيب سترتي في أثناء تلك الأمسية. كنت

مفعماً بالحيوية كما أخبرتك".

"وبعدها؟".

"كانت خطته الأصلية بسيطة. القيادة إلى لاركولن بعد الجريمة وزرع

المفتاح الذي استخدمه في شاليه آرنيه ألبو، متصلاً باللوحة الاسمية التي

تحمل حرفي آيه. آيه؛ حتى لا ينتاب أحد أي شك. عندما وجد هاتفه

الخليوي، أدرك فجأة أن بمقدوره تعديل الخطة قليلاً. جعلها تبدو أنني قد

قتلت آنا أولاً ثم رتبت الأمور حتى يقع اللوم على ألبو. ثم استخدم

هاتفه الخليوي للاتصال بمخدّم في مصر، وبدأ يبعث رسائل إلكترونية بطريقة

يستحيل معها تعقب المرسل".

"وإذا اقتفى أحد أثره، سيقوده إلى...".

"إليّ. إضافة إلى ذلك، ما كان يجب أن أكتشف أن هناك خطباً ما

حتى أتلقى الفاتورة التالية من تيلينور. وعلى الأرجح ليس آنذاك أيضاً؛
لأنني لا أراجعها بعناية".

"أو توقف اشتراكك حين تفقد هاتفك".

"مم". قفز هاري من المقعد وبدأ يذرع المكان ذهاباً وإياباً، ثم قال:
"الشيء العصيُّ على الفهم هو كيف دخل إلى غرفتي في القبو. لم تعثروا
على أي علامات عن اقتحام، ولن يسمح أحد في مبنانا بدخول متطفل.
بكلمات أخرى، لا بدّ من أنه كان يمتلك مفتاحاً. في الواقع، كل ما كان
يحتاج إليه هو مفتاح واحد؛ لأننا نستخدم مفتاحاً رئيساً يفتح البوابة
الأمامية، والعلية، والقبو، والشقة، لكن ليس سهلاً الحصول على هكذا
مفتاح. وكان مفتاح شقة أنا يفتح أيضاً...".

سكت هاري ونظر جنوباً. كانت ناقلة خضراء عليها رافعتان كبيرتان
تشق طريقها إلى نهاية الفيورد البحري.
سألت بتي: "ما الذي تفكر فيه؟".

"أتساءل إن كنت سأطلب منك التحقق من بعض الأسماء من أجلي".
"أفضل ألا أفعل ذلك يا هاري. يجب ألا أكون هنا أصلاً، كما قلت".
"وأتساءل كيف أصبت بهذه الكدمات".

ارتفعت يدها مباشرة إلى حنجرتها وقالت: "التدريب. جودو. هل من
شيء آخر تتساءل عنه؟".

"نعم، كنت أتساءل إن كان بمقدورك إعطاء هذه إلى ويبر". أخرج
هاري الكأس الملفوفة بقطعة قماش من جيب سترته وقال: "اطلبي منه أن
يثبت من وجود بصمات ومقارنتها ببصماتي".
"هل لديه بصماتك؟".

"يملك قسم الطب الشرعي بصمات كل موظفي شعبة الجريمة. واطلبي
منه تحليل ما كان موجوداً في الكأس".
شرعت تقول بنبرة عتاب: "هاري...".
"أرجوك؟".

تنهدت بتي وأخذت الكأس.

قال هاري: "شركة لاسيسمدن".

"وماذا تعني بذلك؟".

"إذا غيرت رأيك بشأن التحقق من الأسماء، يمكنك البحث في لائحة
موظفي لاسيسمدن: إنها شركة صغيرة لصنع الأقفال".
ظهر على وجهها تعبير استكانة.

هزّ هاري كتفيه قائلاً: "إذا أعطيت ويبر الكأس، فسأكون سعيداً جداً".
"كيف أتصل بك حين يحصل ويبر على النتائج؟".
قال هاري مبتسماً: "هل ترغبين في أن تعرفي حقاً؟".
"أريد أن أعرف أقل ما يمكن. اتصل بي أنت، اتفقنا؟".
شدّ هاري سترته حوله بإحكام وقال: "هل نذهب؟".
أومات بتي، لكنها لم تتحرك، فما كان من هاري إلا أن رفع حاجبه استغراباً.

قالت: "ما كتبه. الجزء الخاص أن الأشد انتقاماً ينجون. هل تظن أنه صحيح يا هاري؟".

مدّ هاري ساقيه في السرير القصير في المقطورة. ذكّر ضجيج السيارات في فينماركغاتا هاري بطفولته في أوبسال؛ الاستلقاء في السرير والإصغاء إلى حركة السير. عندما كانوا يذهبون إلى جدّه في أندالسنز الوادعة في الصيف، كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يحنّ إليه: العودة إلى ضجيج السيارات المعتاد المنوم، الذي لا يعكّره إلا دراجة نارية، أو عادم يصدر ضجيجاً، أو صفارة شرطة بعيدة.

كان هناك قرع على الباب. سيمون، الذي قال وهو يدخل: "تودّ تس أن تقصّ عليها حكاية قبل النوم غداً أيضاً". كان هاري قد أخبرها كيف تعلّم الكنغر القفز، وكوفئ بعناق ما قبل النوم من كل الأولاد.
دخّن الرجلان بصمت، ثمّ أشار هاري إلى الصورة المعلقة على الجدار وقال: "ذلك راسكول وشقيقه، أليس كذلك؟ ستيفان، والد أنا".
أوماً سيمون.

"أين ستيفان الآن؟".

هزّ سيمون كتفيه، غير مهتم حقاً، وعرف هاري أن الموضوع ممنوع الحديث حوله.

قال هاري: "يبدو أن مثل صديقين جيدين في الصورة".
"كانا مثل توأم سيامي، كما تعرف. إنهما صديقان. أمضى راسكول حُكمين بالسجن بدلاً من ستيفان"، ضحك سيمون وأضاف: "أرى أنك قد دُهشت يا صديقي. إنه العرف. هل تفهم؟ إنه شرف أن تمضي عقوبة سجن عن شقيقك أو والدك، كما تعرف".
"لا ينتاب الشرطة الشعور نفسه تماماً".

"لا يمكنها التمييز بين راسكول وستيفان. شقيقان غجريان. ليس ذلك سهلاً على الشرطة النرويجية". كشر وعرض لفافة تبغ على هاري وقال:

"خاصة حين كانا يضعان قناعين".

أخذ هاري نفساً من لفافة التبغ وأطلق سهماً في الهواء، ثم سأل سيمون: "ماذا حدث بينهما؟".

"ماذا تظن؟". فتح سيمون عينيه على وسعهما في إشارة مثيرة وقال: "امرأة بالطبع".
"آنا؟".

لم يرد سيمون، لكن هاري عرف أنه يقترب من معرفة شيء ما، لذا، سأله مجدداً: "هل كان السبب أن ستيفان لم يرد أي علاقة بآنا لأنها التقت غادجو؟".

أطفأ سيمون لفافة التبغ ووقف، ثم قال: "لم تكن آنا، لكن آنا لها أم. عمت مساءً أيها السبيوني".
"مم. سؤال واحد أخير؟".
توقف سيمون.
"ماذا تعني كلمة سبيوني؟".

ضحك سيمون بصوتٍ خافتٍ وقال: "سبيوني جيرمان؛ جاسوس ألماني. لكن، استرخ يا صديقي، فلا يُقصد به أي إساءة. إنه اسم صبي في بعض الأماكن".

ثم أغلق الباب وذهب.

كانت سرعة الريح قد خفّت، وكل ما يمكن سماعه آنذاك هو طنين حركة السير في فينماركغاتا. بالرغم من ذلك، لم يستطع هاري أن يخلد إلى النوم.

استلقت بتي على السرير تُرهِفُ السمع إلى السيارات في الخارج. في طفولتها كانت تنام غالباً على صوته. لم تكن القصة التي يسردها لها موجودة في أي كتاب، وإنما يبتكرها في أثناء كلامه. لم تكن نفسها على الإطلاق، حتى إذا بدأت أحياناً بالطريقة نفسها وتضمنت الأشخاص ذاتهم: لصين شريرين، أباً ذكياً وابنته الشجاعة. وكانت تنتهي دائماً بوضع اللصين خلف القضبان.

لم تتذكر بتي قط أنها رأت والدها يقرأ. عندما كبرت، أدركت أن والدها عانى شيئاً يدعى عسر القراءة. لكن بالرغم من ذلك، كان سيصبح محامياً، كما قالت والدتها.

"تماماً كما نريدك أن تصبحي".

لكن القصة لم تكن عن المحامين، وعندما أخبرتها بتي أنها قد قُبلت

في كلية الشرطة، بكت والدتها.
أفاقت بتي فزعة. كان أحدهم قد رنّ الجرس. تأوهت ودفعت قدميها
خارج السرير.

قال أحدهم عبر جهاز الاتصال البيني: "هذا أنا".
قالت بتي، وهي ترتعش: "أخبرتكَ أنني لا أريد رؤيتك بعد الآن.
اذهب من هنا".

"سأذهب بعد أن أعتذر. لم أكن على سجيتي. أنا لست كذلك. لقد...
فقدت السيطرة فحسب. أرجوك يا بتي. خمس دقائق فقط".
تردّدت، وكان عنقها لا يزال متيبساً وقد لاحظ هاري الكدمات.
قال: "أحمل هدية معي".

تنهّدت وقد أقرّت أنها ستلتقي به في وقت ما مهما حدث، فمن
الأفضل توضيح الأمور هنا لا في العمل. ضغطت الزر، ثمّ شدّت ثوبها
حولها وانتظرت عند الباب ترهف السمع إلى وقع الخطوات على السلام.
قال حين رآها: "مرحباً"، وابتسم؛ ابتسامة ديفيد هاسلهوف البيضاء
العريضة.

تلايف دماغية

أعطاها توم والر الهدية، وكان حريصاً جداً ألا يمسه بعد أن استشعر خوفها من خلال لغة جسدها كأنها فريسة تستطيع الضواري أن تشمّها. بدلاً من ذلك، تجاوزها إلى غرفة المعيشة، وجلس على الأريكة، فتبعته وبقيت واقفة. نظر حوله؛ إذ كان يجد نفسه في شقق نساء يافعات في أوقات منتظمة وكلها مؤثثة تقريباً بالطريقة نفسها؛ شخصية لكن عادية، أنيقة لكن كئيبة.

سأل: "ألن تفتحيها؟". فعلت ما طلبه.

قالت محتارة: "قرص مدمج".

قال: "ليس أي قرص مدمج. بيربل رين (مطر أرجواني: فرقة موسيقية).

شغليه وستفهمين".

أمعن النظر إليها حين شغلت مسجلة بائسة تدعوها ستيريو. لم تكن الأنسة لون جميلة المحيا تماماً، لكن حلوة بطريقتها. لم يكن الجسد مثيراً؛ لا انحناءات كثيرة يمكن تمييزها، لكنه نحيل ورشيق. كانت قد أحبت ما فعله معها وأبدت حماسة معقولةً. على الأقل أول بضع مرات حين كان رقيقاً معها. نعم، في الواقع كانت العلاقة قد استمرت أكثر من مرة واحدة. مثير للدهشة حقاً؛ لأنها لم تكن من نوعه المفضل على الإطلاق.

كان في إحدى الأمسيات قد أراها الوجه الآخر، ولم تكن هي - مثل معظم النساء اللواتي التقى بهن - على الموجة نفسها، مما جعل الأمر كله أكثر إثارة له، لكن ذلك كان يعني عموماً أنها المرة الأخيرة التي يسمع فيها منهن؛ وهو ما لم يكن يزعجه إطلاقاً. كان يجب أن تشعر بتي بالسعادة؛ لأن الأمر قد يكون أسوأ كثيراً. قبل بضع ليالٍ، من دون سابق إنذار، كانت قد أخبرته أين رآته أول مرة.

كانت قد قالت: "في غرونلوكا. كان الوقت مساءً وتجلس في سيارة

حمراء. كانت الشوارع تعجّ بالناس ونافذتك مفتوحة. كان الوقت شتاءً،

السنة الماضية".

أصيب بذهول كبير، خاصة أن الأمسية الوحيدة التي يتذكر أنه ذهب فيها إلى غرونلوكا الشتاء الماضي كانت ليلة السبت، التي قد أرسلها فيها إيلين غيلتن إلى العالم الآخر.

كانت قد قالت بابتسامة مبتهجة حين رأت رد فعله: "أتذكر الوجوه.

تلايف دماغية. إنها الجزء من دماغك الذي يتعرّف إلى أشكال الوجوه،

وهو عندي غير اعتيادي. يجب أن أقدم فقرات في عرض".
قال: "فهمت. ماذا تتذكرين غير ذلك؟".
"كنت تتحدّث إلى شخص ما".

قام آنذاك بإسناد نفسه على مرفقيه، انحنى فوقها وداعب حنجرتها
بإبهامه. شعر بخفقان نبضها، وأضحت مثل أرنبٍ فزع، أم كان ذاك نبضه
الذي شعر به؟

سألها ودماعه في حال نشاطٍ محمومٍ آنذاك: "أفترض أنكِ تتذكرين
الوجه الآخر أيضاً، أليس كذلك؟". هل كان أحد يعرف أنها هناك تلك
الليلة؟ هل أبقت فمها مغلقاً بشأن علاقتهما، كما كان قد طلب منها؟ هل
كانت لديه أي أكياس قمامة تحت المغسلة؟".

كانت قد استدارت نحوه بابتسامة مرتبكة: "ماذا تعني؟".

"هل ستتعرفين إلى الشخص الآخر إذا رأيت صورة؟".

رمقته بنظرة طويلة، وقبّلته بحذر.

كان قد قال، وهو يرفع يده الأخرى من تحت اللحاف: "حسناً؟".

"مم. مم. لا. كان يدير ظهره لي".

"لكن يمكن أن تتذكري الملابس التي كان يرتديها؟ أعني إذا طلب
منك قول ذلك؟".

كانت قد هزّت رأسها قائلةً: "تميّز التلايف الدماغية الوجوه فقط.

باقي دماغي طبيعي تماماً".

"لكنكِ تتذكرين لون السيارة التي كنت فيها؟".

ضحكت وضمّته قائلةً: "لا بدّ من أن ذلك يعني أنني أحببت ما

رأيت، أليس كذلك؟".

رفع يده بهدوء عن عنقها.

جعلها تختبر الأمر كلّه بعد أمسيّتين، ولم تحب ما أرغمت على رؤيته،

أو سماعه، أو الشعور به.

صدحت السطور الافتتاحية من أغنية وين دوفز كرايز (عندما تبكي

الحمّام للأمير) عبر مكبّرات الصوت.

خفضت الصوت.

سألت، وهي تجلس على الكرسي ذي الذراعين: "ماذا تريد؟".

"كما قلت، أن أعتذر".

"لقد فعلت ذلك الآن. إذًا، دعنا نضع حداً لذلك، ممكن؟"، تظاهرت

بالتثاؤب وقالت: "كنت سأخلد إلى السرير يا توم".

شعر بأن غضبه يتصاعد. ليس السديم الأحمر الذي يشوّه الرؤية ويحجبها، وإنما الحرارة الشديدة التي تتوهج وتجلب الصفاء والطاقة، وقال: "لا بأس، لننتقل إلى العمل. أين هاري هول؟".

ضحكت بتي، بينما أطلق الأمير صرخة عالية. أغمض توم عينيه، إذ شعر أنه يصبح أقوى فأقوى من الغضب الذي ينتشر عبر عروقه مثل ماء جليدي عارم، ثم قال: "اتصل هاري بك ليلة اختفائه. أعاد توجيه الرسائل الإلكترونية إليك. أنت مصدره، والشخص الوحيد الذي يمكن أن يثق به في هذا الوقت. أين هو؟".

"أنا مرهقة يا توم"، وقفت وتابعت كلامها: "إذا كان لديك أي أسئلة أخرى لا يمكنني الإجابة عنها، أقترح أن نتعامل معها غداً".

لم يتحرك توم والر عندما أعلن: "أجريت حديثاً مثيراً للاهتمام مع المسؤول عن سجن بوتسن اليوم. كان هاري هناك الليلة الماضية، أمام أعيننا مباشرة، في حين كنا ونصف أفراد القسم بزيهم الرسمي في الخارج نبحث عنه. هل كنت تعرفين أن هاري كان متحالفاً مع راسكول؟". "ليست لدي فكرة عما تتكلم عنه أو عن علاقته بالقضية".

"ولا أنا، لكنني أقترح أن تجلسي يا بتي. واستمعي إلى القصة القصيرة التي أظن أنها ستغيّر رأيك بهاري وأصدقائه". "الجواب هو لا يا توم. اخرج".

"ليس حتى إن كان والدك في القصة؟". "لمح اختلاج فمها وعرف أنه قد أصاب الهدف. "لدي مصادر - كيف أقول هذا؟ - غير متوافرة لرجال شرطة عاديين، وأعني أنني أعرف ما حدث لوالدك حين أُصيب في ذلك الوقت في رين. وأعرف من أطلق النار عليه".

حدّقت فاغرة الفم. ضحك والر وقال: "لم تكوني مستعدة لذلك، صحيح؟".

"أنت تكذب".

"أُصيب والدك بنيران بندقية عوزي، ست رصاصات في الصدر. وفقاً للتقرير، دخل المصرف للتفاوض، بالرغم من أنه كان وحيداً وأعزل، ومن ثمّ لا شيء يساوم عليه. كل ما كان يأمل تحقيقه هو جعل السارقين عصبيّين وعدائيين. خطأ جسيم... غير مفهوم، خاصة أن والدك كان أسطورة في احترافه. في الواقع، كان معه زميل، شرطيّ شاب واعد يُتوقع منه الكثير، ونجم صاعد متوقع. لكنه لم يكن قد تعامل مع سرقة مصرف حقيقية من

قبل، وبالتأكيد ليس مع سارقين يحملان بندقيتين قويتين".
"كان مهتماً بالحفاظ على علاقة ودية برؤسائه، ويُفترض به ذلك اليوم
أن يُقلِّ والدك إلى المنزل بعد العمل. لهذا وصل والدك إلى رين في سيارة
فشل التقرير في ذكر أنها ليست سيارته؛ لأنها كانت في المرأب، في المنزل
معكِ يا بتي ومع والدتك، حين تلقيتما الخبر، أليس كذلك؟".
"تباً لك يا توم".

قال، وهو يربت على وسادة الأريكة بجانبه: "تعالى إلى هنا الآن
واستمعي إلى قصة بابا القصيرة؛ لأنني سأتكلم بصوت خافت جداً وأظن
حقاً أنكِ يجب أن تسمعي هذا".

بتردد، تقدمت خطوة إلى الأمام، لكن ليس أكثر.
قال توم: "لا بأس. في ذلك اليوم... متى كان ذلك يا بتي؟".
تنفّست وقالت: "حزيران".

"حزيران، نعم. سمعوا التقرير عبر المذياع، المصرف قريب، اتجها
بالسيارة إلى هناك واتخذنا موقعين في الخارج، مسلحين. الشرطي الشاب
والمفتش الخبير. التزما بالقواعد، انتظرا التعزيزات أو خروج السارقين من
المصرف. لم يحلما بدخول المصرف، حتى ظهر أحد الرجلين عند البوابة
يسدد بندقية إلى رأس موظفة مصرف. نادى اسم والدك. كان الرجل قد
رأهما في الخارج وتعرّف إلى المفتش لون. صرخ أنه لن يؤذي المرأة، لكنه
يحتاج إلى رهينة، ولا يمانع أن يحلّ لون مكانها. لكن كان عليه التخلي
عن سلاحه ودخول المصرف وحده لإنجاز التبادل. ووالدك، ماذا يفعل؟ يفكر.
يجب أن يفكر بسرعة. المرأة في حالة صدمة. الناس يموتون من الصدمة.
يفكر في زوجته، والدتك. يوم في حزيران، جمعة، قبل العطلة الأسبوعية.
والشمس... هل كانت الشمس مشرقة يا بتي؟".
أومات.

"يفكر كم الجو حار داخل المصرف. التوتر. اليأس. ثم يحسم أمره.
ماذا يقرر؟ ماذا يقرر يا بتي؟".
"يدخل". كانت الهمسة مثقلة بالعواطف.

"يدخل". خفض والر صوته: "يدخل المفتش لون وينتظر الشرطي
الشاب. ينتظر التعزيزات. ينتظر خروج المرأة. ينتظر أن يخبره أحدهم ما
يجب أن يفعله، أو أنه مجرد حلم أو تدريب، ويمكنه الذهاب إلى المنزل؛
لأنه يوم الجمعة والشمس مشرقة. بدلاً من ذلك يسمع..."، قلّد والر قعقعة
البندقية بتحريك لسانه على سقف حلقة، "سقط والدك على الباب الأمامي،

الذي فُتح، وتمدد على الأرض، نصفه في الداخل، ونصفه في الخارج. ست رصاصات في صدره".

انهارت بتي على كرسي.

"يرى الشرطي الشاب المفتش مستلقياً هناك ويعرف الآن أنه ليس تدريباً، أو حلماً. لدى السارقين عموماً حقاً أسلحة آلية ويطلقون النار فعلاً على رجال الشرطة بدم بارد. يشعر بخوف لم يختبره في حياته من قبل. قرأ عن ذلك، فقد حصل على علامة جيدة في علم النفس، لكن شيئاً تحطم. يتملكه الذعر الذي كتب عنه جيداً في الامتحان. يستقل سيارته وينطلق بها. يقودها إلى أن يصل إلى منزله، وتأتي زوجته الشابة للقاءه غاضبة؛ لأنه تأخر على وجبة العشاء. يقف متحملاً التأنيب، مثل فتى مدرسة، ويعد أن ذلك لن يحدث أبداً مجدداً، ويأكلان. بعد تناول الطعام، يشاهدان التلفاز. يقول مراسل إن شرطياً قد أُردى قتيلاً في أثناء سطو على مصرف. والدك مات".

أخفت بتي رأسها بيديها. عاد كل شيء إليها آنذاك. اليوم برمته. نظرة اندهاش فضولي إلى الشمس الدائرية في السماء الزرقاء الخالية من أي معنى. كانت قد ظنت أن ذلك مجرد حلم، أيضاً.

"من هما سارقا المصرف؟ من يعرف اسم والدك، وموقع المصرف كله، وأن المفتش لون هو الذي يمثل خطراً من بين رجلي الشرطة الواقفين في الخارج؟ من هو الشخص البارد جداً الذي يظن أن بمقدوره وضع والدك في معضلة ويعرف الخيار الذي سيتخذه؟ حتى يستطيع إطلاق النار عليه ويفعل ما يحلو له مع الشرطي الشاب الخائف؟ من هو؟ بتي؟".

كانت الدموع تسيل من بين أصابعها. تنشقت: "راس...".

"لم أسمع يا بتي".

"راسكول".

"راسكول، نعم. وهو وحده. غضب صديقه، وقال إنهما سارقان، وليسا قاتلين. كان غيباً كفاية ليهدد بتسليم نفسه والوشاية براسكول. لحسن حظه، استطاع أن يغادر النزويج قبل أن يمسكه راسكول".

كانت بتي تنشج، لذلك انتظر والر ليكمل كلامه.

"هل تعرفين ما المثير في هذا كله؟ أنكِ سمحت لنفسك أن يخدعك

قاتل والدك؟ مثل والدك تماماً؟".

رفعت بتي رأسها. "ماذا... ماذا تعني؟".

هزّ والر كتفيه وقال: "طلبتما من راسكول أن يحدد القاتل. إنه

يسعى خلف شخص هدد أن يشهد ضده في محكمة جنائية. لهذا ما الذي فعله؟ بالطبع، حدّد ذلك الشخص".

"ليف غريت؟". جففت دموعها.

"لم لا؟ حتى تستطيعا مساعدته على العثور عليه. قرأت أنكما وجدتما غريت يتدلى من حبل، وأنه قد انتحر. لن أراهن على ذلك. ولن أتفاجأ إذا وصل أحد إلى هناك قبلكما".

تتحننت بتي وقالت: "أنت تنسى بعض التفاصيل. أولاً، عثرنا على رسالة انتحار. لم يترك ليف كتابات كثيرة، لكنني تحدّثت إلى شقيقه، الذي أخرج بعضاً من كتب تدريبات ليف المدرسية القديمة من العلية في ديزنغرندا. أخذتها إلى جان هيو، خبير الخطوط في كريوس، الذي أكّد أن ليف هو من كتب الرسالة. ثانياً، راسكول في السجن أصلاً، بشحمه ولحمه. لا يتفق ذلك تماماً مع نية القتل لتفادي العقاب".

هزّ والر رأسه قائلاً: "أنت فتاة ذكية، لكنك مثل والدك تفتقرين إلى تبصّر نفسي. لا تفهمين كيف تعمل عقول المجرمين. راسكول ليس في السجن، وإنما رهن الاعتقال المؤقت في بوتسن. ستغير إدانة بجريمة قتل كل ذلك. في هذه الأثناء أنت تحمينه، وصديقه هاري هول".

انحنى إلى الأمام ووضع يده على ذراعها وقال: "أعتذر إذا كان ذلك مؤلماً، لكنك تعرفين الآن يا بتي. لم يفشل والدك. وهاري يعمل مع الرجل الذي قتله. إذًا، ماذا تقولين؟ هل نبحت عن هاري معاً؟".

أغمضت بتي عينيها، أنزلت منهما آخر دمعتين، ثم فتحتهما مجدداً. مدّ والر يده بمنديل، فأخذته منه.

قالت: "توم، يجب أن أشرح شيئاً لك".

"لا حاجة إلى ذلك"، ربت والر على يدها وتابعت: "أفهم. هناك نزاع ولاءات. تخيّلني ما كان والدك سيفعله. هذا ما يدعى احترافاً، أليس كذلك؟".

أمعنت بتي النظر إليه، ثم أومأت برأسها ببطء. أخذت نفساً عميقاً، وفي تلك اللحظة، رنّ الهاتف.

قال والر بعد ثلاث رنّات: "هل ستردين؟".

قالت بتي: "إنها والدتي. سأعاود الاتصال بها بعد ثلاثين ثانية".

"بعد ثلاثين ثانية؟".

"ذلك هو الوقت الذي سأستغرقه لأخبرك أنني إذا كنت أعرف مكان هاري، فستكون آخر شخص يعلم"، أعادت المنديل إليه وأضافت: "وكي تستطيع أن تنتعل حذاءك وتخرج من هنا".

شعر توم والر بالغضب الشديد وكان ماءً ساخناً يجري في عروقه.
انتظر لحظة ليستمتع بالشعور قبل أن يمسكها بإحدى ذراعيه ويضعها تحته
رغمًا عنها. لهتت وقاومته، لكنه كان يعرف أنها تشعر به وأن الشفتين
المغلقتين بإحكام شديد ستُفتحان قريباً.

وضع هاري السماعة مكانها بعد ست رنات وغادر كشك الهاتف
ليسمح لفتاةٍ خلفه بالدخول. أدار ظهره لكيولبرغاتا والريح، أشعل لفافة تبغ
ونفخ الدخان نحو موقف السيارات والمقطورات. كان ذلك غريباً حقاً؛ أن
يوجد في ذلك المكان على بعد رمية حجر من قسم الطب الشرعي في
اتجاهه، ومقر قيادة الشرطة في اتجاه آخر، والمقطورة في الثالث، يرتدي بزّة
غجري. رجل مطلوب. يمكن أن تموت من الضحك.

اصطكت أسنان هاري برداً، واستدار قليلاً حين مرّت سيارة شرطة في
الطريق العام المزدهم بالسيارات لكن الخالي من المارة. لم يكن هاري
يستطيع النوم، أو يصبح خمولاً والوقت يمر. سحق عقب لفافة التبغ
بحذائه، وكان على وشك أن يغادر حين رأى أن كشك الهاتف شاغر
مجدداً. تفقّد ساعته: إنه منتصف الليل تقريباً، غريب أنها ليست في المنزل.
ربما كانت نائمة ولم تصل إلى الهاتف في الوقت المناسب؟ اتصل بالرقم
مجدداً. أجابت فوراً وقالت: "بتي".

"أنا هاري. هل أيقظتك؟"

"أنا... نعم".

"آسف. هل أتصل غداً؟"

"لا، الوقت مناسب الآن".

"هل أنت وحدك؟"

صمتت هنيهةً وسألت: "لماذا تسأل؟"

"تبدين... لا، انسي الأمر. هل اكتشفت شيئاً؟"

سمع غصتها كأنها تحاول أن تلتقط أنفاسها.

"توثق ويبر من البصمات على الكأس. معظمها بصماتك. سينتهي تحليل

الراسب في الكأس بعد يومين".

"رائع".

"في ما يخص الحاسوب المحمول في مخزنك، تبين أن هناك برنامجاً

خاصاً يسمح لك بتحديد تاريخ إرسال بريد إلكتروني ووقته. حدث آخر

تغيير في الرسائل الإلكترونية في اليوم الذي ماتت فيه أنا بيثسن".

لم يعد هاري يشعر بالريح الباردة كالجليد.

قالت بتي: "لهذا كانت الرسائل الإلكترونية التي تلقيتها جاهزة وتنتظر حتى تُرسل تلقائياً وبشكل مبرمج. يفسّر ذلك كيف رآها جارك الباكستاني في غرفة مخزنك قبل وقت طويل".

"هل تقصدين أنه كان يعمل من تلقاء نفسه طوال الوقت؟".

"يختص الحاسوب المحمول والهاتف الخليوي بذلك وهما متصلان بالكهرباء".

"تبااً"، صفع هاري جبينه، "لكن ذلك يعني بالتأكيد أن الرجل الذي برمج الحاسوب توقع مسار الأحداث كله. كان كل شيء عرض دمي، ونحن كنا الدمى".

"يبدو كذلك. هاري؟".

"أنا هنا. أحاول فقط استيعاب ذلك. حسناً، من الأفضل أن أنسى الأمر بعض الوقت، فهذا كثير دفعة واحدة. ماذا بشأن اسم الشركة التي زوّدتك بها؟".

"الشركة، نعم. ما الذي يجعلك تظن أنني قد فعلت شيئاً بشأنها؟".

"لا شيء. حتى قلت ما قلته".

"لم أقل شيئاً".

"لا، لكن الطريقة التي تحدثت بها كانت مفرحة جداً".

"أوه، نعم؟".

"وجدت شيئاً، أليس كذلك؟".

"وجدت شيئاً".

"هيا!".

"اتصلت بالمحاسبين المتعاقد معهم صانع الأقفال وطلبت من سيدة أن ترسل إليّ أرقام التأمين الوطني للعاملين هناك. يعمل أربعة منهم بدوام كامل واثنان بدوام جزئي. توثقت من الأرقام في السجل الجنائي والأمن الاجتماعي. سجلات خمسة منهم لا تشوبها شائبة. لكن واحداً منهم...".

"نعم؟".

"اضطرت إلى تحريك النص لأحصل على كل شيء. معظمها ممنوعات.

أثم بيع هيروين ومورفين، لكنه لم يُدّن إلا باقتناء كمية صغيرة من الحشيش. أمضى حكماً بالسجن لاقتحام منزل واقتراف سرتين موصوفتين".

"عنف؟".

"استخدم سلاحاً في إحدى السرقتين. لم يطلق النار منه، لكنه كان

مذخراً".

"ممتاز. إنه رجلنا. أنت عبقرية. ما اسمه؟".
"آلف غزود. عمره ثلاثون عاماً، وأعزب. 9 بوابة ثور أولسنز. يبدو أنه يعيش وحده".

"كرّري الاسم والعنوان".

فعلت بتي ذلك.

"مم. إن حصول غزود على عمل لدى صانع أقفال بسجل مماثل أمر لا يُصدّق".

"بيرجر غزود هو المالك".

"حسناً. فهمت. واثقة أن كل شيء على ما يرام؟".

لم تُجب بتي.

"بتي؟".

"كل شيء بخير يا هاري. ماذا ستفعل؟".

"كنت أفكر في زيارة شقته. سأرى إن كنت أستطيع العثور على شيء مثير للاهتمام. إذا فعلت ذلك، فسأتصل بك من شقته حتى ترسلي سيارة وتصادري الدليل وفقاً للقانون".

"متى ستذهب؟".

"لماذا؟".

سكنت هنيهةً ثم أجابت: "لأتوثق من وجودي حين تتصل".

"الحادية عشرة غداً. أمل أن يكون في العمل آنذاك".

عندما أنهى هاري الاتصال، وقف يحدّق إلى سماء الليل الملبّدة بالغيوم فوق المدينة. بالكاد كان قد سمع الموسيقى خلفه؛ لكن ذلك كان كافياً. المطر الأرجواني للأمير.

دفع قطعة نقدية في الشق واتصل برقم 1881.

"أريد رقم آلف غزود...".

* * *

تهادت سيارة الأجرة مثل سمكة سوداء صامتة في الليل، وتجاوزت الإشارات الضوئية، تحت الأضواء الطرقية واللافتة التي تشير إلى مركز المدينة.

قال أويستن: "لا يمكن أن نلتقي هكذا باستمرار". نظر إلى المرأة

وشاهد هاري يرتدي كنزة سوداء كان قد أحضرها له من المنزل.

سأل هاري: "أحضرت العتلة؟".

"إنها في الصندوق. ماذا إن كان الرجل في المنزل؟".

"الناس يجيبون عادة على الهاتف إذا كانوا في منازلهم".

"لكن ماذا إن عاد وأنت في شقته؟".
"عندها افعل ما قلت: أطلق البوق مرتين".
"حسناً، حسناً، لكنني لا أعرف مظهر الرجل".
"في الثلاثين من عمره، كما قلت. إذا رأيت شخصاً في مثل ذلك العمر يدخل المبنى رقم 9، فأطلق البوق".

ركن أويستن السيارة بجانب لافتة كتبَ عليها ممنوع الوقوف في الشارع المتعرج الملوث المزدحم بحركة السير، الذي يُشار إليه في الصفحة 265 من كتاب يعلوه الغبار يدعى آباء المدينة؛ المجلد الرابع في المكتبة العامة المجاورة، أنه "الشارع الأبشع والأكثر هدوءاً الذي يحمل اسم بوابة ثور أولسنز"؛ لكنه كان يناسب هاري تماماً تلك الليلة. ستوقر له الضوضاء، والسيارات المارة، والظلام الغطاء الحامي وعدم لفت الأنظار، إضافة إلى سيارة الأجرة التي تنتظره.

وضع هاري العتلة تحت ردن سترته الجلدية وعبر الشارع بسرعة. رأى لارتياحه أن هناك عشرين جرساً على الأقل خارج المبنى رقم 9. كان ذلك سيمنحه بدائل جيدة كثيرة إذا لم تنجح خدعته بادئ الأمر. كان اسم ألف غرود الثاني من الأسفل إلى اليمين. نظر إلى الجانب الأيمن من المبنى؛ لم يكن هناك ضوء يظهر من نوافذ الطابق الرابع. رنَّ هاري جرس الطابق الأرضي، وأجابت امرأة بصوت ناعس.

قال هاري: "مرحباً، أحاول التحدث إلى ألف، لكن الموسيقى تصدح عندهم بصوت عالٍ ولا يمكنهم سماع الجرس. أعني عند ألف غرود، صانع الأقفال في الطابق الرابع. لا يمكنك أن تفتحي لي، أليس كذلك؟".
"تجاوز الوقت منتصف الليل".

"أعتذر. سأتوق أن يخفض ألف صوت الموسيقى".

انتظر هاري قليلاً، ثم فتحت له الباب.

صعد ثلاث درجات في كل خطوة. وصل إلى الطابق الرابع ووقف هناك ساكناً يُرهف السمع؛ لكنه لم يسمع إلا خفقان قلبه. كان هناك بابان عليه أن يختار واحداً منهما، ملصقٌ على أحدهما قطعة رمادية من ورقٍ مقوَّى مكتوب عليها أندرسن بقلم حبر، ولم يكن الآخر يحمل اسماً. كان ذلك الجزء الأهم في الخطة؛ لأنه يمكن على الأرجح فتح قفل واحد من دون إيقاظ سكان المبنى كلهم، لكن إذا كان ألف قد ثبت مجموعة أقفال من شركة لاسيسمدن، فسواجبه هاري مشكلة. نظر إلى الباب من الأعلى إلى الأسفل. لا لصقات من شركة أمنية أو مقسم مركزي.

لا أقفال أمنية مضادة للمثاقب. لا جهاز ضد السرقة مثبت بمسمارين. قفل ييل قديم فقط. في منتهى السهولة.

رفع ردن سترته وأمسك العتلة حين خرجت منه. تردّد قبل أن يدفع الطرف المُستدقّ داخل الباب تحت القفل. كان الأمر سهلاً جداً. لا وقت للتفكير، ولا خيار آخر. لم يحطم الباب ليفتحه، وإنما دفعه نحو المفصلات حتى يستطيع إدخال بطاقة أويستن المصرفية داخل الرتاج، ودفع القطعة المتحركة في العلبة إلى إطار الباب. ضغط، ليدفع الباب قليلاً إلى الخارج، ووضع نعل حذائه عند الحافة السفلية. طقطق الباب حين ضغط العتلة ودفع البطاقة في القفل. انسلّ إلى الداخل وأغلق الباب خلفه. كانت العملية كلها قد استغرقت ثماني ثوانٍ.

سمع صوت محرّك ثلاجة وضحكة هزلية صادرة من تلفاز الجار. حاول هاري أن يتنفس بعمق وانتظام حين أصغى السمع في الظلام الحالك. استطاع سماع سيارات في الخارج وشعر بتيارٍ بارد، مما يدل على أن النوافذ في الشقة قديمة. لكن الأهم: لا ضوضاء تشير إلى أن أحداً في المنزل.

وجد مفتاح الضوء. كانت الردهة بحاجة إلى ترميم، وغرفة المعيشة بحاجة إلى طبقة من الجص بالتأكيد. كان يجب تجديد المطبخ. أوضحت الحالة الداخلية للشقة سبب ضعف الإجراءات الأمنية، أو بكلام أكثر دقة: الافتقار إلى زخرفة داخلية. لم يكن آلف غنرود يمتلك شيئاً، ولا حتى ستيريو يمكن أن يطلب هاري منه خفض صوته. كان الدليل على أن شخصاً يعيش هناك وجود كرسيّ تخييم، وطاولة صغيرة خضراء، وملابس مبعثرة في كل مكان، وسرير مع لحاف من دون غطاء.

استعمل هاري قفاز الغسيل الذي كان أويستن قد أحضره له، وحمل أحد الكرسيين إلى الردهة. وضعه أمام صف الخزائن الجدارية التي ترتفع ثلاثة أمتار إلى السقف، وأبعد عن ذهنه الأفكار السابقة ووضعه بحرص قدماً على الذراع. في تلك اللحظة، رنّ الهاتف. تحرك هاري خطوة جانبية، أغلق كرسي التخيم بقوة ووقع على الأرض محدثاً صوتاً قوياً.

انتاب توم والر شعور سيئ. كان الموقف يفتقر إلى البنية الواضحة التي كافح من أجلها طوال الوقت. نظراً إلى أن احتمالات سيرته المهنية ومستقبله لم تكن بين يديه، وإنما في أيدي أولئك الذين تحالف معهم، كان العامل البشري يمثّل دائماً خطراً يجب أن يأخذه في الحسبان. نبغ الشعور السيئ من حقيقة أنه لم يعرف إن كان بمقدوره الاعتماد على بتي لون،

أو رون إيفارسون أو - وكان ذلك حاسماً - الرجل الذي كان أهم مصادر دخله: كنيف.

عندما وصل إلى مسامح توم أن مجلس المدينة قد بدأ يضغط على المشرف العام لإلقاء القبض على المسرّع بعد سرقة مصرف غرونلاندسليرت، كان قد أمر كنيف أن يتواري عن الأنظار. كانا قد اتفقا على مكان يعرفه كنيف من الماضي. تضم باتانيا أكبر مجموعة من المجرمين الغربيين المطلوبين في نصف الكرة الشرقي، وتبعد ساعتين فقط بالسيارة عن بانكوك. سيدوب كنيف على أنه سائح أبيض بين الحشود هناك، وقد سمى باتانيا سدوم آسيا أي مدينة قديمة. لهذا، لم يفهم والر لماذا ظهر فجأة في أوصلو، قائلاً إنه لم يعد يطيق ذلك المكان أكثر من ذلك.

توقف والر عند الإشارة الضوئية عند بوابة أولاندر وشغل الإشارة اليسرى. شعور سيئ. كان كنيف قد نفذ سرقة المصرف الأخيرة من دون أن يناقش الأمر معه أولاً، وذلك خرق خطر للقواعد. كان يجب أن يفعل شيئاً بشأن ذلك.

كان قد حاول الاتصال بكنيف، لكنه لم يتلقَ رداً. ربما يعني ذلك أي شيء على الإطلاق. قد يعني، مثلاً، أنه كان في الشاليه في تريفان يعمل على تفاصيل سرقة الشاحنة الأمنية التي كان قد تحدّث عنها؛ أو يتفحص المعدات: الملابس، الأسلحة، لاسلكي الشرطة، الرسومات. لكن قد يعني أيضاً أنه قد انتكس ويجلس في الزاوية يومئ، وحقنة تتدلى من ذراعه.

قاد والر سيارته ببطء على طول الشارع الصغير المتسخ المظلم حيث يعيش كنيف. كانت سيارة أجرة متوقفة قبالة مبناه. نظر والر إلى نوافذ شقته. غريب، كانت الشقة مضاءة. إذا كان كنيف قد عاد إلى الممنوعات مجدداً، فسيفتح ذلك أبواب العذاب. سيكون الدخول إلى شقته في منتهى السهولة؛ لأنه لا يوجد إلا قفل قديم على بابه. نظر إلى ساعته. كانت الزيارة إلى بتي قد أثارتها، وعرف أنه لن يستطيع النوم قريباً. سيكون عليه أن يتجول بسيارته بعض الوقت، يجري بعض الاتصالات ويرى ما حدث. رفع والر صوت الأمير عالياً، زاد السرعة واتجه إلى أولفالسفين.

جلس هاري على كرسي التخيم ورأسه بين يديه، وركه تؤلمه ولا دليل على أن ألف غزود هو الرجل المنشود. كان تفتيش المقتنيات القليلة في شقته قد استغرق عشر دقائق فقط، مما أثار الشك في أنه يعيش في مكان آخر. كان هاري قد عثر على فرشاة أسنان في الحمّام، وأنبوب معجون فارغ تقريباً، وقطعة صابون شبه ذائبة ملتصقة بصحن خزفي؛ إضافة

إلى منشفة ربما كانت بيضاء سابقاً. كان ذلك كل شيء؛ فرصته.
شعر هاري برغبة في الضحك، وفي ضرب رأسه بالجدار، في تحطيم
عنق قارورة جيم بيم وشرب الشراب الاسكتلندي مع قطع الزجاج. كان
يجب أن يكون - ينبغي أن يكون - غرود. من بين كل الأدلة الجرمية،
إحصائياً، كان أحدها يفوق الأخرى أهمية؛ اتهامات وإدانات سابقة. صرخت
القضية ببساطة اسم غرود. كانت هناك ممنوعات وأسلحة في سجله،
ويعمل عند صانع أقفال، ويستطيع طلب المفاتيح الرئيسية التي يريدها،
مثل مفتاح شقة أنا، أو شقة هاري.
اتجه نحو النافذة، وتساءل كيف كان يدور في حلقة مفرغة يتبع نص
رجل مجنون حتى آخر حرف. لكن لم يعد هناك مزيد من التعليمات
آنذاك، أو سطور في الحوار. ظهر القمر عبر ثغرة بين الغيوم، لكن حتى
ذلك لم ينعش ذاكرته.
أغمض عينيه وركّز. ما الذي كان قد رآه في الشقة ويمكن أن يمنحه
السطر التالي؟ ما الذي كان قد غفل عنه؟ تجول في الشقة في ذهنه،
خطوة بخطوة.

استسلم بعد ثلاث دقائق. كان الأمر قد انتهى. لم يكن هناك شيء.
تحقق أن كل شيء على حاله حين وصل وضغط على مفتاح الضوء
وعثّم غرفة المعيشة. ذهب إلى المرحاض، وقف أمام الكرسيّ وفكّ الأزرار.
انتظر. يا الله، لم يعد بمقدوره حتى فعل ذلك. ثم أفرغ أمعاءه وأطلق
تهيدة متعبة. ضغط المقبض، وتدفقت المياه وتجمّد في تلك اللحظة. ألم
يكن ذلك بوق السيارة الذي سمع صوته يعلو على الماء المتدفق؟ ذهب
إلى الردهة وأغلق باب المرحاض ليسمع على نحو أفضل. كان صوت بوق
قصير وثابت من الشارع. غرود في طريقه إليه! كان هاري يقف آنذاك
عند الباب عندما خطر له ذلك. بالطبع، يجب أن يخطر ذلك على باله،
بعد أن فات الأوان. الماء المتدفق... المسدس. ذلك هو مكاني المفضّل.
"تباً، تباً، تباً!"

جرى هاري عائداً إلى المرحاض، أمسك المقبض أعلى خزّان المياه وبدأ
يفكّه. خرجت الصامولة الحمراء الصدئة إلى مرمى البصر. همس: "أسرع".
تسارعت دقات قلبه وهو يدير المقبض، والقضيب اللعين يدور ويدور
محدثاً صريراً لكنه يرفض أن يخرج. سمع باباً يُغلق بعنف في بهو الدرج.
ثم خرجت الصامولة ورفع غطاء الخزّان. تردّد الصوت القوي للخزف في
العتمة واستمر الماء في الارتفاع. دفع هاري يده إلى الداخل وتحسّست

أصابه سطح الخزان اللزج. ماذا بحق الله؟ لا شيء؟ قلب غطاء الخزان ووجده هناك. مثبتاً بشريط لاصق في الداخل. أخذ نفساً عميقاً. كان كل ثلم، كل فجوة، كل حافة محززة في المفتاح تحت الشريط اللامع صديقاً قديماً، ويناسب بوابة مبنى هاري، وقبوه وشقته. كانت الصورة بجانبها معروفة تماماً أيضاً. الصورة المفقودة في المرأة. كانت شقيقته تبتسم وهاري يحاول أن يبدو صلباً. سُمره سيف وجاهل سعيد جداً. بأي حال، لم يكن هاري يعرف المسحوق الأبيض في الكيس الذي اتصلت به ثلاث قطع عريضة من شريط أسود، لكن كان مستعداً للرهان بمبلغ كبير على أنه ثاني أستيل المورفين، المعروف باسم الهيروين. كثير من الهيروين. ست سنوات كاملة، على الأقل. لم يمَسْ هاري شيئاً، وأعاد الغطاء إلى مكانه وبدأ يثبته ويصغي في الوقت نفسه إلى وقع الخطوات. كما أشارت بتي، لن يساوي الدليل شيئاً إذا اكتشف أحدهم أن هاري كان في الشقة من دون مذكرة. عاد المقبض إلى مكانه وجرى إلى الباب. لم يكن لديه خيار، فتح الباب وخرج إلى الرواق. كانت خطوات متثاقلة تصعد السلام. أغلق الباب بهدوء، ونظر من فوق الدرابزين ورأى كتلة شعر كثيفة وداكنة. سرى هاري بعد خمس ثوانٍ. كانت ثلاث خطوات واسعة إلى الطابق الخامس كافية لإبعاد هاري عن أنظاره.

توقف الرجل فجأة حين رأى هاري يجلس أمامه. قال هاري وهو ينظر إلى ساعته: "مرحباً يا ألف. لقد كنت أنتظرك". حدّق الرجل إليه بعينين كبيرتين. كان وجهه شاحباً منمشاً ومحاطاً بشعر دهني يصل إلى الكتفين ومشدّب على طريقة ليام غالاهر (موسيقي إنكليزي) حول أذنيه. لم يذكر هاري بقاتل متمرس وإنما بشاب يافع يخاف التعرض للضرب.

سأل الرجل بصوتٍ حادٍّ وعالٍ: "ماذا تريد؟".
"أريد منك أن ترافقني إلى مقر قيادة الشرطة".
تصرف الرجل تلقائياً. دار حول نفسه، أمسك الدرابزين وقفز إلى الرواق في الطابق الأسفل. صرخ هاري: "مهلاً!"، لكن الرجل كان قد اختفى آنذاك عن الأنظار. تردّد صدى وقع الخطوات الثقيلة وهو يقفز خمس درجات أو ستاً معاً.
"غزود!"

سمع هاري باب الطابق السفلي يُخلق بعنف رداً على صراخه. مدّ يده داخل جيب سترته وأدرك أنه لا يحمل أي لفائف تبغ. كان

دور الفرسان قد حان.

* * *

خفض توم والر صوت الموسيقى، أخرج هاتفه الخليوي الذي يطن من جيبه، ضغط الزر الأخضر ووضعت الهاتف على أذنه.
قال المتصل: "مرحباً؟ هل هذا أنت؟". كان كنيف، وبدا مذعوراً.
"ما الأمر يا كنيف؟".
"أوه يا الله، هذا أنت. يجب أن تساعدني. بسرعة".
"لست مضطراً إلى فعل شيء. أجب عن السؤال".
"لقد عثروا علينا. كان هناك شرطي على السلام ينتظر عودتي إلى المنزل".

توقف هاري على ممر المشاة أمام رينغفين. كان رجل عجوز يتحرك بخطوات قصيرة غريبة يعبر الطريق، وقد بدا ذاهلاً أهد الدهر.
سأل والر: "ماذا أراد؟".
"ما رأيك أنت؟ أن يعتقلني كما أفترض".
"ولماذا لم يعتقلك؟".
"ركضت مثل مجنون. ولّيت الأدبار هارباً فوراً. لكنهم يلاحقونني. لقد مرّت ثلاث سيارات شرطة من هناك. هل تسمع؟ سيقتلونني إن لم...؟".
"لا تصرخ عبر الهاتف. أين كان أفراد الشرطة الآخرون؟".
"لم أر أحداً آخر. لقد هربت فحسب".
"وهربت بتلك السهولة؟ هل أنت واثق أن الرجل شرطي؟".
"نعم، كان هو، بالتأكيد!".
"من؟".

"هاري هول كما أفترض. جاء إلى المتجر مؤخراً".
"لم تقل لي ذلك".
"إنه متجر صنع أقفال. الشرطة هناك طوال الوقت!".
تغير الضوء إلى الأخضر. أطلق والر البوق للسيارة أمامه وقال: "لا بأس، لتكلم عن ذلك لاحقاً. أين أنت الآن؟".
"أنا في كشك الهاتف أمام مم... دار القضاء"، ضحك بعصبية وأضاف:
"ولا أحب هذا المكان".
"هل هناك شيء في شقتك يجب ألا يكون فيها؟".
"إنها نظيفة. كل المعدات في الشاليه".
"وماذا عنك؟ هل أنت نظيف؟".

"تعرف جيداً أنني قد أقلعت عن تلك العادة. هل ستأتي أم ماذا؟
تباً لي، جسدي كله يرتعش".

"هدئي من روعك يا كنيف". حسب والر الوقت الذي سيستغرقه
للوصول إلى هناك؛ إلى مقر قيادة الشرطة؛ إلى مركز المدينة وقال: "فكر في
الأمر على أنه سرقة مصرف. سأعطيك قرصاً حين أصل إلى هناك".
"لقد أخبرتك أنني توقفت عن ذلك"، تردّد قليلاً ثمّ قال: "لم أكن
أعرف أنك تحمل الأقراص معك أيها الأمير".
"دائماً".

"ماذا لديك؟".

"مذر آرمز. روهينول. هل تحمل مسدّس جيريكو الذي أعطيتك إياه؟".
"دائماً".

"جيد. أصغ الآن جيداً. مكان لقائنا على المرسى شرقي محطة الحاويات.
أنا بعيد، لهذا لن أصل قبل أربعين دقيقة".

"ما الذي تتكلم عنه؟ يجب أن تأتي إلى هنا، حياً بالله! الآن!".
استمع والر إلى الأنفاس المتقطعة عبر الهاتف من دون أن يرد.
"إذا قبضوا علي، فستتورط معي. أمل أنك تفهم ذلك أيها الأمير.
سأفصح كل شيء إذا وقعت. لن أتحمل المسؤولية عنك إذا كنت...".
"يبدو ذلك خوفاً يا كنيف، ويجب ألا نخاف الآن. ما ضمانتي أنك لم
تُعتقل سلفاً وهذه ليست مكيدة للإيقاع بي؟ هل تفهم الآن؟ تعال وحدك
وقف تحت مصباح شارع حتى أستطيع رؤيتك بوضوح حين أصل".
تأوه كنيف: "تباً! تباً! تباً!".

"حسناً؟".

"حسناً. لا بأس. أحضر الأقراص. تباً!".

"محطة الحاويات بعد أربعين دقيقة. تحت مصباح شارع".
"لا تتأخر".

"لا تنه المكاملة، هناك المزيد. سأركن سيارتي في الطريق بعيداً عنك.
عندما أناديك، ارفع المسدس في الهواء حتى أستطيع رؤيته بوضوح".

"لماذا؟ هل ترتاب في شيء، أم ماذا؟".

"لنقل فحسب إن الموقف مبهم قليلاً في هذه اللحظة وأني لن
أجازف. افعل ما أقوله لك".

ضغط والر الزر الأحمر ونظر إلى ساعته. نقر مفتاح التحكم بالصوت
إلى اليمين. صوتٌ صافٍ جميل. غضب عارم جميل.

دخل بيارني مولر الشقة وجال ببصره في المكان وعلى وجهه تعبير استهجان.

قال ويير: "مكان مريح، أليس كذلك؟".
"معرفة قديمة، كما فهمت؟".

"آلف غرود. على الأقل الشقة باسمه. هناك بصمات كثيرة هنا. يجب أن أتوثق إن كانت له. غلاس"، أشار إلى شاب يمسح فرشاة رقيقة على النافذة وقال له: "تكون أفضل البصمات على الزجاج دائماً".
"نظراً إلى أنك تأخذ البصمات الآن، أفترض أنك قد عثرت على أشياء أخرى هنا؟".

أشار ويير إلى كيس موضوع على بساط مع عددٍ من الأشياء الأخرى. جثم مولر ودفح إصبعاً عبر شق في الكيس وقال: "همم. يبدو مثل هيروين. نصف كيلوغرام تقريباً. وما هذا؟".
"صورة لولدين. لا نعرف حتى الآن من هما. ومفتاح تريوفينغ ليس لهذه الشقة بالتأكيد".

"إذا كان مفتاحاً رئيساً، يمكن لتريوفينغ إبلاغنا على الفور عن مالكه. هناك شيء مألوف بشأن الفتى في الصورة".
"ظننت ذلك أيضاً".

قالت امرأة خلفه: "تلافيف دماغية".

قال مولر دهشاً: "آنسة لون. ماذا تفعل وحدة السرقات هنا؟".
"كنت أنا من تلقي المعلومة بشأن وجود هيروين هنا. طُلب مني الاتصال بك".

"إذاً، لديكم مخبرون في أسرة المدمنين أيضاً؟".

"سارقو مصارف، ومدمنون، إنهم أسرة واحدة كبيرة وسعيدة، كما تعرف".

"من كان المخبر؟".

"لا فكرة لدي. اتصل بي في المنزل بعد أن أويت إلى السرير. لم يذكر اسمه أو يقول كيف عرف أنني من الشرطة. لكن المعلومة كانت دقيقة وتفصيلية، ولهذا باشرت العمل وأيقظت أحد محامي الشرطة".
قال مولر: "همم. ممنوعات. إدانة سابقة. فرصة فقدان دليل ملموس. حصلت على الضوء الأخضر فوراً كما أتخيل".

"نعم".

"لا أرى جثة، لماذا اتصلت بي؟".

"أبلغني المخبر شيئاً آخر".

"أوه، نعم؟".

"يُفترض أن ألف غنرود كان يعرف أنا بيثسن جيداً. كان حبيبها ويزوودها باليمنوعات، حتى تخلّت عنه من أجل شخص آخر حين كان مسجوناً. ما رأيك بهذا أيها المدير مولر؟".

نظر مولر إليها وقال من دون أن يظهر عليه أي ردّ فعل: "أنا مسرور. أسعد مما يمكنك أن تتخيلي".

استمر في النظر إليها، وفي النهاية اضطر إلى أن يسيح ببصره بعيداً عنها.

قال: "ويبر. أريد منك ضرب نطاق حول هذه الشقة واستدعاء كل الأشخاص الذين يعملون تحت إمرتك. لدينا عمل يجب إنجازه".

غلوک

ظَلَّ شتین تومسن يعمل طوال سنتین شرطياً عادياً. كانت أعظم أمنياته أن يصبح محققاً، ويحلم أن يكون خبير شرطة يعمل ساعات محددة، لديه مكتبه الخاص ويحصل على راتب أفضل من مفتش. كل ذلك حتى يتمكن من العودة إلى تراين في المنزل ويخبرها عن مشكلة مثيرة للاهتمام كان يناقشها مع مختص من شعبة الجريمة، التي ستجدها مستعصية ومعقدة على نحو لا يمكن تخيُّله. كان يعمل آنذاك في مناوبات مقابل أجر زهيد، يستيقظ منهاكاً حتى بعد نوم عشر ساعات، وعندما قالت تراين إنها لن تعيش على ذلك النحو باقي حياتها، حاول أن يشرح لها ماذا يعنيه أن يمضي المرء ساعات عمله ينقل مراقبين تعاطوا جرعات زائدة إلى أیه. آند إي، يخبر أولاداً أن عليه اعتقال والدهم لأنه يضرب والدتهم، وسماع كل الهراء من أشخاص يكرهون البزة التي يرتديها. حرّكت تراين عينيها، فقد سمعت كل ذلك من قبل.

عندما دخل المفتش توم والر من شعبة الجريمة إلى غرفة المناوبة وسأل شتین تومسن إن كان بمقدوره الذهاب معه لجلب رجل مطلوب، كانت أول فكرة خطرت لتومسن أن والر سيزوده ببعض المعلومات التي تساعد على أن يصبح محققاً.

ذكر ذلك لوالر في السيارة في طريقهما من نيلاندسفين إلى المنطقة التجارية فابتسم الأخير، كتب بسرعة بضع كلمات على ورقة، وقال إن كل شيء سيكون على ما يرام. كان بمقدوره - والر - أن يزيّجه. "سيكون ذلك... رائعاً". تساءل تومسن إن كان يجب أن يقول شكراً لك، أم إن ذلك سيبدو تزلّفاً. بالمحصلة، لم يكن هناك شيء يشكره عليه بعد. نعم، كانت تلك بالتحديد الكلمة التي سيستخدمها: "مجسات". ثم لا شيء، يكتفم السر، حتى يسمع شيئاً.

سأل: "ما نوع الرجل الذي سنعتقله؟".

"كنت أقوم بجولة تفقدية وسمعت عبر اللاسلكي أنهم قد اكتشفوا كمية من الهيروين في بوابة ثور أولسنز. آلف غرود".
"نعم، سمعت ذلك. نصف كيلوغرام تقريباً".

"ثم أبلغني شخص أنه قد شاهد غرود في محطة الحاويات".

"لا بدّ من أن المخبرين على أهبة الاستعداد هذا المساء. كانت معلومة من مجهول هي التي قادت إلى حائز الهيروين أيضاً. قد تكون

مصادفة، لكن، من الغريب أن مجهولين اثنين...".
قاطعته والر: "قد يكون المخبر نفسه. ربما شخص تورط مع غنود،
تعرض للأذى أو شيء من هذا القبيل؟".
"ربما...".

قال والر: "إذاً، تريد أن تصبح محققاً، وظنّ تومسن أنه لاحظ نبرة
انزعاج في صوته. ابتعدا عن حركة السير نحو منطقة الأرصفة البحرية وقال
الر: "نعم، يمكنني رؤية ذلك. إنه تغيير، أليس كذلك؟ هل فكرت في
القسم؟".

قال تومسن: "شعبة الجريمة، أو وحدة السرقات. ليس الاعتداءات
الجنسية، لا أظن ذلك".
"لا، بالطبع لا. لقد وصلنا".

عبرا ساحة مكشوفة مظلمة فيها حاويات مكدسة فوق بعضها بعضاً
وفي نهايتها مبنى وردي كبير.
قال والر: "هناك شخص يقف تحت مصباح الشارع ينطبق عليه
الوصف".

قال تومسن وهو ينظر في الظلام: "أين؟".
"بجانب المبنى هناك".
"يا للهول! بصرك ثاقب".

سأل والر وهو يخفف السرعة: "هل أنت مسلح؟".
نظر تومسن إلى والر مدهوشاً. "لم تقل شيئاً عن...".
"لا بأس بذلك، أنا مسلح. ابق في السيارة حتى تستطيع استدعاء
الدعم إذا سبب أي مشكلة، اتفقنا؟".

"اتفقنا. هل أنت واثق أننا لسنا بحاجة إلى استدعاء...؟".

"لا وقت لذلك". أضاء والر مصابيح السيارة القوية وأوقفها. قدر
تومسن المسافة إلى الظل تحت المصباح بنحو خمسين متراً، لكن قياسات
لاحقة ستظهر أن المسافة الدقيقة كانت أربعةً وثلاثين متراً.
ذخّر والر مسدسه غلوك 20 - كان قد تقدّم بطلب وحصل على
رخصة خاصة لحمله - أمسك مصباحاً يدوياً كبيراً أسود من بين المقعدين
الأمامين، وخرج من السيارة. صرخ حين بدأ يمشي نحو الرجل. سيتبين
وجود تناقض كبير بشأن هذه النقطة تحديداً في تقرير الشرطيين. في
تقرير والر، كان قد صرخ: "شرطة! دعني أراهما!"; يعني: "ضع يدك فوق
رأسك". وافق المدعي العام أنه كان منطقياً افتراض أن مداناً سابقاً اعتقل

مرات عدّة سيعرف تلك اللغة، وأن المفتش والر قد أوضح بجلاء أنه من الشرطة. في تقرير تومسن الأصلي، صرخ والر: "مرحباً، هذا صديقك الشرطي. لنزهما". بعد بعض المشاورات بين والر وتومسن، بأي حال، قال الأخير إن نسخة والر للأحداث أقرب على الأرجح إلى الحقيقة.

لم يكن هناك اختلاف بشأن ما حدث لاحقاً. قام الرجل الواقف تحت المصباح بوضع يده داخل معطفه وأخرج مسدساً؛ اتضح في ما بعد أنه غلوك 23 مُحي رقمه المتسلسل ممّا يجعل اقتفاء أثره صعباً. صرخ والر، الذي كان وفقاً للهيئة المستقلة لمراقبة عمل الشرطة، أحد أفضل الرماة في السلك، وأطلق ثلاث رصاصات على التوالي. أصابت اثنتان ألف غرود؛ واحدة في الكتف اليسرى والثانية في الورك. لم تكن أي منهما قاتلة، لكنها أوقعت غرود الذي بقي على الأرض. جرى والر نحو غرود ومسدسه مرفوع ويصرخ: "شرطة! لا تمسّ المسدس وإلا سأطلق النار! لا تمسّ المسدس كما قلت!".

كانت هذه العبارة هي آخر ما سمعه تومسن لذلك لم يضيف في تقريره الكثير؛ لأنه كان بعيداً أربعة وثلاثين متراً، كان الظلام حالكاً؛ وإضافة إلى ذلك، كان والر يقف في مجال رؤيته. من ناحية أخرى، لم يكن هناك شيء في تقرير تومسن - أو في الأدلة في موقع الحادثة - يتناقض مع الأحداث كما وصفها والر: أمسك غرود المسدس، صوّبه باتجاهه بالرغم من التحذيرات، فأطلق والر النار عليه أولاً. كانت المسافة بين الاثنين بين ثلاثة وخمسة أمتار.

سأموت، ولا يبدو الأمر منطقياً. أهدق إلى ماسورة يتصاعد دخان منها. لم تكن تلك الخطة، ليست خطتي بأي حال. ربما كنت أسلك هذه الطريق طوال الوقت، لكنها لم تكن خطتي. كانت خطتي أفضل، ومنطقية. ضغط الحجرة ينخفض وقوة غير مرئية تضغط على طبلتي أذنيّ من الداخل. انحنى شخص نحوي وسألني إن كنت جاهزاً. نحن نهبط الآن. همست أنني كنت لصاً، وكاذباً، وانتهازياً، لكنني لم أقتل أحداً قط. كانت المرأة في غرنسن التي أذيتها من بين أولئك الأشخاص. تلمع النجوم تحتي عبر هيكل الطائرة.

همست: "إنها غلطة شنيعة... بحق المرأة التي أحببت. هل يمكن الصفح عنها أيضاً؟". لكن المضيعة كانت قد ابتعدت آنذاك وأضواء الهبوط تتوهج على كلا الجانبين.

كان ذلك في الأمسية التي قالت أنا فيها: "لا" أول مرة وقلت أنا:

"نعم"، ودفعت الباب ففتحته. كانت تلك أنقى ممنوعات لم أضع يدي عليها من قبل، ولم تكن سنفسد المتعة بتدخينها. احتجت لكنني قلت إنها هدية، وإني أعددت الحقنة. لم تكن قد حقنت نفسها بهيرون من قبل، ولهذا حقنتها بنفسني. كان القيام بذلك أصعب مع آخرين. بعد محاولتين فاشلتين نظرت إلي ومتمت: "بقي دمي خالياً من الممنوعات مدة ثلاثة شهور. كنت قد شفيت". قلت: "أهلاً بعودتك". ضحكت وقالت: "سأقتلك".

عثرت على الوريد في المرة الثالثة. اتسع بؤبؤها ببطء مثل وردتين سوداوين. سقطت قطرات دم من ذراعها على السجادة وأطلقت تنهيدات خافتة. ثم مال رأسها إلى الخلف. اتصلت بي بعد يوم وطلبت المزيد. العجلات تصرُّ على الإسفلت.

كان بمقدورنا أن نجعل حياتنا مثمرة، أنت وأنا. كانت تلك هي الخطة، التي تبدو منطقية. ليست لدي فكرة عن معنى ذلك.

وفقاً لتقرير فحص الجثة، أصابت رصاصة من عيار 10 ملليمتر عظم أنف ألف غزود وهمشته. اندفعت شظايا من العظم خلف المقذوف عبر النسيج الرقيق المحيط بالدماغ، وخرب الرصاص والعظم المهاد البصري في الدماغ، ومركز التحكم بالأطراف، والمخيخ، قبل أن تخترق الرصاصة القحف الخلفي. أخيراً، أحدثت ثقباً في الإسفلت الذي كان لا يزال مسامياً بعد أن أصلح عاملو الصيانة موقف السيارات قبل يومين.

بوني تايلر

كان يوماً كثيباً وقصيراً وأحداثه غير اعتيادية عموماً. اندفعت غيوم رمادية محملة بالأمطار فوق المدينة من دون أن تلقي قطرة واحدة، وعصفت الريح بين الحين والآخر بالصحف على المنصة خارج كشك إمار للفاكهة والتبغ. أشارت العناوين في الصحف إلى أن الناس قد بدأوا يسأمون مما يدعى الحرب على الإرهاب، التي كان لها آنذاك دلالة بغیضة في لغة الانتخابات، وقد فقدت لذلك السبب الزخم المطلوب؛ لأن أحداً لم يكن يعرف هوية المذنب الرئيس، وقد ظن بعضهم أنه مات. وهكذا بدأت الصحف تخصص مزيداً من مقالاتها لنجوم تلفاز الواقع، المشاهير الأجانب الذين كانوا قد تحدّثوا بالحسنى عن النرويجيين وخطط عطلة أصحاب السمو الملكي. كانت الدراما الوحيدة التي كسرت الرتابة هي حادثة إطلاق النار في محطة الحاويات، حيث رفع قاتل وتاجر ممنوعات مطلوب سلاحاً في وجه شرطي ولقي حتفه قبل أن يطلق رصاصة واحدة. قدّم رئيس وحدة المخدرات تقريراً عن اكتشاف كمية كبيرة من الهيروين في شقة القتل، في حين علّق رئيس شعبة الجريمة أن التحقيق لا يزال قائماً في الجريمة التي يُزعم أن الشخص البالغ من العمر ثلاثين سنة قد اقترفها. كانت الصحيفة التي نشرت افتتاحية متأخرة لرئيس التحرير قد أضافت، بأي حال، أن الدليل ضد الرجل الذي لم يكن من أصل أجنبي كان مقنعاً. والغريب جداً أن الشرطي الذي أطلق النار عليه كان الشخص نفسه الذي قتل النازي سفير أولسن في منزله في قضية مماثلة قبل سنة. أوقف الشرطي آنذاك عن العمل حتى تنتهي الهيئة المستقلة لمراقبة عمل الشرطة من تحقيقها، وكتابة التقرير، وإبلاغ المشرف العام، الذي قال إن ذلك إجراء روتيني في مثل تلك الحالات ولا علاقة له إطلاقاً بقضية سفير أولسن. كان حريقٌ قد شبّ في شاليه في تريفان قد وجد مساحة أيضاً في فقرة صغيرة؛ لأنه عُثر على علبة وقود صغيرة قرب موقع المنزل المحترق تماماً، ولهذا لم تستطع الشرطة التوثق من احتمال الحرق المتعمد. ما لم يظهر في الصحف كان محاولات الصحفيين الاتصال ببيرجر غنود لسؤاله عن مشاعره بشأن فقدان ابنه والشاليه في الليلة نفسها. حلّ الظلام باكراً، وبحلول الساعة الثالثة أنيرت مصابيح الشوارع. كان مشهدٌ من فيلم سرقة غرنسن يهتز على الشاشة في دار الأم حين دخل هاري.

سأل، وهو يومئ إلى الصورة التي تُظهر المسرّع: "هل توصلت إلى شيء؟".

هزّت بتي رأسها وقالت: "نحن ننتظر".

"أن يضرب مجدداً؟".

"إنه يجلس في مكان ما ويخطط لعملية سطو أخرى الآن. أقدر أن ذلك سيكون في وقت ما الأسبوع القادم".

"تبدين واثقة".

هزّت كتفيها قائلة: "الخبرة".

"خبرتك؟".

ابتسمت لكنها لم ترد.

جلس هاري وقال: "آمل أنك لم تأتي على ذكر أنني لم أفعل ما قلته عبر الهاتف".

عبست. "ماذا تعني؟".

"قلت إنني لن أفتش شقته حتى اليوم".

أمعن هاري النظر إليها وقد بدت محتارة تماماً حقاً. حسناً، لم يكن هاري يعمل للاستخبارات السرية. كان على وشك أن يتكلم، لكنه غير رأيه. بدلاً من ذلك قالت بتي: "هناك شيء يجب أن أسألك عنه يا هاري".

"تفضلي".

"هل كنت تعرف عن راسكول ووالدي؟".

"ماذا عنهما؟".

"أن راسكول كان... في المصرف ذلك الوقت، وأطلق النار على والدي".

أشاح هاري ببصره، وأمعن النظر إلى يديه، ثم قال: "لا، لم أكن

أعرف".

"لكنك خمنت ذلك".

رفع رأسه ونظر إلى عيني بتي وقال: "خطرت الفكرة لي. ذلك كل

شيء".

"ما الذي جعلك تفكر في ذلك؟".

"كفارة".

"كفارة؟".

أخذ هاري نفساً عميقاً ثم قال: "أحياناً تكون الجريمة بشعة جداً إلى درجة أنها تشوش رؤيتك؛ خارجياً أو داخلياً".

"ماذا تعني؟".

"الجميع بحاجة إلى التكفير عن ذنوبهم يا بتي. وأنت أيضاً. يعلم الله أنني أفعل ذلك، وراسكول كذلك. إنها حاجة أساسية، مثل الاغتسال، وتتعلق بالانسجام والتوازن الداخلي الأساسي. إنه التوازن الذي ندعوه الأخلاق".

رأى هاري بتي تشحب، ثم تتورّد، وفتحت فمها...

قال هاري: "لا أحد يعرف لماذا سلّم راسكول نفسه. أنا مقتنع أن

لذلك علاقة بتكفيره عن الذنب. بالنسبة إلى شخص حرّيته الوحيدة أن يتجول بحرية، فإن السجن هو العقاب الذاتي الأصعب. القتل يختلف عن السرقة. افترض أنه كان قد اقترف جريمة جعلته يخسر توازنه. لهذا اختار أن يكفّر عن ذلك سرّاً، من أجل نفسه".

تلعثمت بتي بالكلمات أخيراً: "قاتل... يتمتع... بأخلاق حميدة؟".

انتظر هاري، لكن لا شيء كان وشيكاً.

قال بلطف: "الشخص الذي يتمتع بأخلاق حميدة هو الذي يقبل

عواقب تصرفاته، لا تصرفات الآخرين".

قالت بتي بهرارة، وهي تفتح الدرج أمامها وتُخرج قراب مسدس:

"وماذا إن وضعت هذا على كتفي؟ ماذا إن أوصدت الباب على نفسي في إحدى غرف الزوّار مع راسكول وقلت بعدئذ إنه هاجمني وأطلقت النار دفاعاً عن النفس؟ أن أنتقم لوالدي بالطريقة نفسها التي تتعامل فيها مع طُفيليّ. هل ذلك أخلاقي كفاية لك؟". أَلقت قراب المسدس بقوة على الطاولة.

أرجع هاري ظهره إلى الخلف وأغمض عينيه حتى سمع أنفاسها

المتسارعة تهدأ ثمّ قال: "السؤال هو هل ذلك أخلاقي كفاية لك يا بتي؟ لا أعرف لماذا تحملين مسدسك معك، ولا أنوي منعك من القيام بأي شيء تريد أن تفعله".

نهض وتابع كلامه: "اجعلي والدك فخوراً بك يا بتي".

عندما أمسك مقبض الباب سمع بتي تنشج واستدار نحوها.

نشجت: "أنت لا تفهم! كنت أظن أنني... أظن أنه نوع من... تصفية

الحساب".

بقي هاري واقفاً من دون حراك، ثم دفع كرسياً بالقرب منها، جلس

ووضع يده على خدّها. كانت دموعها حارة وسالت على يده الخشنة حين

تكلّمت: "ينضم المرء إلى الشرطة؛ لأن لديه فكرة عن نظام يجب تطبيقه،

أشياء ينبغي أن تبقى متوازنة، أليس كذلك؟ الحساب والعدالة وكل تلك

الأمور. ثم يوماً ما تحظى بالفرصة التي حلمت بها كثيراً، لتصفية الحساب،

لنكتشف فقط أنك لم تكن تسعى خلف ذلك"، تنشقت ثم تابعت: "قالت والدي مرة إن هناك شيئاً واحداً فقط أسوأ من عدم إشباع رغبة، وهو ألا تشعر بأي رغبة. كراهية... إنها كل ما يبقى بعد أن تكون قد خسرت كل شيء، ثم تزول أيضاً".

قذفت قراب المسدس عن طاولتها بذراعها، فارتطم بالجدار محدثاً صوتاً مكتوماً.

كان الظلام حالكاً حين وقف هاري عند بوابة صوفي يبحث في جيب معطف اعتاد عليه عن مفاتيحه. كان أحد أول الأمور التي قام بها ذلك الصباح في مقر قيادة الشرطة هو استعادة ملابسه من كريمةكنيسك، بعد نقلها إلى هناك من منزل فيغديس آلبو. لكن أول شيء على الإطلاق كان زيارة مكتب بيارني مولر. كان رئيس شعبة الجريمة قد قال إنه في ما يتعلق بهاري، فإن كل شيء تقريباً يبدو رائعاً، لكن يجب أن ينتظروا ليروا إن كان أحد سيبلغ عن اقتحام الشقة في 16 هارلابن. سيُنظر في أثناء اليوم في إمكانية اتخاذ إجراء لامتناع هاري عن الإدلاء بأي معلومات تتعلق بوجوده في شقة آنا بيثسن ليلة مقتلها. ردّ هاري أنه في أثناء التحقيق في القضية سيكون مرغماً على ذكر حرية التصرف التي كان المشرف العام ومولر قد منحاه إياها للبحث عن المسرّع، إضافة إلى إقرار رحلة إلى البرازيل من دون إبلاغ الشرطة البرازيلية.

كان بيارني مولر قد كثر ساخراً وقال إنه يفترض أنهم سيستنتجون أن لا داعي لإجراء تحقيق، أو الحصول على أي جواب منه. كانت ردهة المدخل هادئة. مزق هاري الشريط الحاجز الذي وضعه رجال الشرطة أمام باب شقته. كانت قطعة خشب قد وُضعت فوق اللوح المكسور.

وقف يجول ببصره في غرفة المعيشة. شرح ويير أنهم قد التقطوا صوراً للشقة قبل أن يبدأوا التفتيش حتى يستطيعوا إعادة كل شيء إلى مكانه. بالرغم من ذلك، لم يكن بمقدوره التغاضي عن حقيقة أن أيادي وعيوناً غريبة كانت هناك من قبل. لم يكن لديه أشياء كثيرة يخفيها: بعض رسائل الحب العاطفية لكن القديمة، وعلبة واقيات مفتوحة انتهت مدة صلاحيتها، ومغلف يضم صوراً لجثة إيلين غيلتن. كان من المحتمل أن يُعَدَّ وجودها في المنزل فعلاً طائشاً. بخلاف ذلك: مجلة إباحية واحدة، وأسطوانة واحدة للمغني بوني تايلر، وكتاب للكاتبة النرويجية لين أولمان.

نظر هاري إلى الضوء الأحمر المتقطع على المجيب الآلي وقتاً طويلاً

قبل أن يضغط الزر. "مرحباً، هذا أنا. قرّروا اليوم. أمي تبكي، لهذا طلبت مني أن أقول...".

ثبّت هاري نفسه وأخذ نفساً.

"نحن سنغادر غداً".

حبس أنفاسه. هل سمع على نحو صحيح نحن سنغادر؟

"فزنا. كان يجب أن ترى وجوههم. قالت أمي إن الجميع ظنّوا أننا

سنخسر. أمي، هل تريدون... لا، إنها تبكي. سنذهب الآن إلى مكدونالد

لنحتفل. أمي تتساءل إن كنت ستأتي لتقلّنا؟ إلى اللقاء".

سمع أوليغ يتنفس عبر الهاتف، وصوت شخص ما ينظّف أنفه

ويضحك في الخلفية، ثم صوت أوليغ مجدداً، بهدوء أكبر: "سيكون رائعاً أن

تفعل ذلك يا هاري".

استرخى هاري على الكرسي وشعر بثقل في حنجرته وفاضت الدموع

من عينيه.

القسم السادس

لم تكن هناك سحابة في السماء، لكن الريح باردة جداً والشمس الشاحبة لا تعطي دفئاً كثيراً. كان هاري وأون قد رفعوا ياقتي سترتيهما ويمشيان بجانب بعضهما بعضاً في شارعٍ تحيط به أشجار البتولا، التي كانت تخلصت آنذاك من أوراقها استعداداً للشتاء.

قال أون: "قلت لزوجتي كم كنت تبدو سعيداً حين أخبرتني أن راكيل وأوليغ عائدتين إلى الوطن. سألت إن كان ذلك يعني أنكم أنتم الثلاثة ستعيشون معاً قريباً".

أجاب هاري بابتسامة.

حُثَّ أون: "على الأقل لديها مساحة كافية في منزلها ذاك".

قال هاري: "هناك مساحة كافية في المنزل. انقل تحياتي إلى كارولين واستشهد بأولا باور".

"انتقلت إلى شارع راحة البال؟".

"لكن ذلك لم ينفع كثيراً أيضاً".

ضحك كلاهما.

قال هاري: "بأي حال، ذهني يركز تماماً على القضية في هذا الوقت". قال أون: "القضية، نعم. لقد قرأت كل التقارير، كما طلبت. غريب، حقاً. استيقظت في شقتك، لا تتذكر شيئاً ونشيطاً، ووجدت نفسك عالقاً في لعبة آلف غزود ذاك. طبيعي أن يكون صعباً قليلاً إجراء تشخيص نفسي لشخص بعد الوفاة، لكنه يمثل قضية مثيرة حقاً للاهتمام. إنه رجل ذكي جداً ومبدع. فنان تقريباً. خطة متقنة تلك التي وضعها. هناك بعض الأشياء التي أتساءل عنها؛ قرأت نسخ الرسائل الإلكترونية التي أرسلتها؛ لقد أشار إلى حقيقة أنك قد فقدت وعيك. يعني ذلك بالتأكيد أنه رأى تغادر الشقة في حالة ثمالة وخمّن أنك لن تتذكر شيئاً في اليوم التالي؟".

"تلك هي الحال حين يساعد أحدهم رجلاً على ركوب سيارة أجرة.

سأخمن أنه كان واقفاً في الشارع في الخارج يتجسس علي، تماماً كما كتب في بريده الإلكتروني أن آرنيه آلبو كان يفعل. كان على اتصال بآنا على ما يبدو وعرف أنني سأتي ذلك المساء. لا بدّ من أن مغادرتي المنزل ثملاً كانت مكافأة غير متوقعة".

"إذاً، دخل الشقة بعد ذلك بمفتاح حصل عليه من المصنّع عبر شركة

لايسمدن. وأطلق النار عليها، مستخدماً مسدسه الخاص؟".

"على الأرجح. لقد مُحي الرقم المتسلسل. تماماً كما حدث مع رقم
المسدس الذي وجدناه في يد غزود في محطة الحاويات. يبدو أنه شخص
يدير عملية تهريب أسلحة غير قانونية على نطاق واسع. كان على غلوك
الذي عثرنا عليه في شقة سفير أولسن - قاتل إيلين - علامات محي الرقم
نفسها بالتحديد".

"إذاً، وضع المسدس في يدها اليمنى، بالرغم من أنها كانت عسراء".
قال هاري: "فخ. كان يعرف أنني سأتورط في القضية في مرحلة ما،
وأنه إذا لم يكن هناك سبب آخر، فإنني سأفعل ذلك حتى أضمن عدم
تعريض موقعي للخطر. وكان يعرف أنني سأدرك، بخلاف رجال شرطة
آخرين، أنها اليد الخطأ".

"ثم كانت هناك صورة السيدة آلبو وأولادها".

"كي تقودني إلى آرنه آلبو، آخر حبيب لها".

"وقبل أن يغادر، أخذ حاسوب أنا المحمول والهاتف الخليوي الذي

أوقعته في الشقة تلك الأمسية".

"مكافأة أخرى غير متوقعة".

"إذاً، استنبط هذا الدماغ خطة معقدة ومحكمة للطريقة التي سيعاقب
بها حبيبته الخائنة، والرجل الذي خانته معه حين كان في السجن، وصديقها
الذي تنوي العودة إليه؛ الشرطي أشقر الشعر. إضافة إلى ذلك، بدأ يرتجل.
استفاد مرة أخرى من عمله في شركة لاسيسمدن ليدخل شقتك ومخزنك.
زرع حاسوب أنا هناك، ووصله بهاتفك الخليوي، ثم أنشأ حساب بريد
إلكتروني عبر مخدّم لا يمكن تعقبه".

"لا يمكن تعقبه تقريباً".

"آه، نعم، اكتشفه صديقك خبير الحاسوب الغامض ذلك. لكن ما لم

يكتشفه هو أن الرسائل الإلكترونية التي تلقيتها كانت مكتوبة سابقاً

وأرسلت عبر بيانات جاهزة سلفاً من الحاسوب في مخزنك. بعبارة أخرى،

كان المرسل قد بعث كل شيء قبل وضع الحاسوب المحمول في ذلك

المكان. صحيح؟".

"مم. هل قرأت الرسائل الإلكترونية؟".

أوما أون: "بالفعل. عندما تفكّر في ذلك، ترى أنها تسرد سياقاً معيناً

للأحداث، إلا أنها مبهمة أيضاً. لكنها لن تبدو على ذلك النحو للشخص

الذي يعيش الأحداث، وسيبدو المرسل مُطلعاً على كل شيء ومتصلاً بالشبكة.

لكن بمقدوره فعل ذلك؛ لأنه كان بطرائق عديدة يدير العرض كله".

"حسناً، لا نعرف بعد إن كان غزود من خطط لقتل آرنيه آلبو. يقول زميل في محل صانع الأقفال إنه كان مع غزود في غامل ميجور يحتسيان الشراب وقت وقوع الجريمة".
فرك أون يديه. لم يكن هاري واثقاً إن كان ذلك بسبب البرد أو لأنه يستمتع بفكرة وجود نتائج عدّة ممكنة أو غير ممكنة من الناحية المنطقية. قال عالم النفس: "لنفترض أن غزود لم يقتل آرنيه آلبو، ما المصير الذي كان قد خططه له بدفعك في اتجاهه؟ أن آلبو سيُدان؟ لكنك ستكون حرّاً في تلك الحال، والعكس صحيح. لا يمكن إدانة رجلين باقتراف الجريمة نفسها".

قال هاري: "صحيح. يجب أن تسأل نفسك ماذا كان أهم شيء في حياة آلبو؟".

قال أون: "ممتاز. أبّ لثلاثة أبناء تخلى طواعية، أو كرهاً، عن طموحاته المهنية. الأسرة كما أفترض".
"وما الذي كان غزود قد حققه من كشف، أو السماح لي باكتشاف، أن آرنيه آلبو لا يزال يلتقي بآنا؟".
"أخذت زوجته الأولاد وهجرته".
"خسارة حياتك ليست أسوأ شيء يمكن أن يحدث لك. أسوأ شيء هو خسارة سبب العيش".

"اقتباس جيد"، أوما أون إقراراً بذلك وسأل: "من قال ذلك؟".

قال هاري: "نسيت".

"لكن السؤال التالي الذي يجب أن تطرحه هو ماذا أراد أن يأخذ منك يا هاري؟ ما الذي يجعل حياتك تستحق العيش؟".
كانا قد وصلا إلى المنزل الذي كانت آنا تعيش فيه. تحسّس هاري المفاتيح وقتاً طويلاً.

قال أون: "حسناً؟".

"كل ما كان غزود يعرفه عني على الأرجح هو ما أخبرته أنا به. وكانت تعرفني في الوقت الذي لم يكن لديّ فيه... أكثر من عملي".
"العمل؟".

"أرادني خلف القضبان، لكن أساساً أن أترد من السلك".

تكلما في أثناء صعودهما السلام.

داخل الشقة، كان ويبر ورجاله قد انتهوا من الفحص الشرعي. كان ويبر سعيداً وقال إنهم عثروا على بصمات غزود في أماكن عدّة، ومنها

خلفية السرير.

قال ويير: "لم يكن حريصاً تماماً".

قال هاري: "جاء إلى هنا كثيراً، وستجد بصماتٍ بعدد مرات وجوده هنا. إضافة إلى ذلك، كان مقتنعاً أنه لن يكون موضع شكٍّ أبداً".

قال أون، حين فتح هاري الباب المنزلق إلى غرفة اللوحات ومصباح غريمير: "كانت الطريقة التي لقي بها آبو حتفه مثيرة للاهتمام. دُفن رأساً على عقب. في شاطئ. بدا الأمر مثل شعيرة؛ كأن القاتل كان يحاول إخبارنا شيئاً عن نفسه. هل فكّرت في ذلك؟".

"ليست قضيتي".

"لم يكن ذلك ما سألت عنه".

"لا بأس. ربما أراد القاتل أن يقول شيئاً عن الضحية".

"ماذا تعني؟".

أنار هاري مصباح غريمير اليدوي وغمر الضوء اللوحات الثلاث وقال: "يذكرني ذلك بشيء في دراساتي القانونية: قانون غولاثنغ القديم عام 1100. إذ نصّ على ما يلي: يجب دفن كل من يموت في أرض مبدجة باستثناء رجال جلبوا العار إلى أنفسهم، والخائنين، والقتلة. يجب دفن هؤلاء حيث يلتقي البحر بالبر. لا يشير المكان الذي دُفن فيه آبو إلى جريمة بدافع الغيرة، كما ستكون عليه الحال لو أن غرود كان قد قتله. أراد أحدهم إظهار أن آبو مجرم".

قال أون: "مثير للاهتمام. لماذا يجب أن ننظر إلى هذه اللوحات مجدداً؟ إنها مريعة".

"هل أنت واثق تماماً أنك لا تستطيع رؤية شيء فيها؟".

"يمكنني ذلك بالتأكيد. أرى فنانة شابة مدّعية تمتلك إحساساً مبالغاً فيه بالدراما، لكنها تفتقر إلى الإحساس الفني تماماً".

"لدي زميلة تدعى بتي لون. لم تستطع المجيء اليوم؛ لأنها تلقي خطاباً في مؤتمر الشرطة في ألمانيا بشأن إمكانية التعرّف إلى المجرمين المقتنعين بمساعدة تصحيحات حاسوبية للصور والتلايف الدماغية. تتمتع بموهبة فطرية خاصة: يمكنها التعرّف إلى الوجوه التي كانت قد رأتها في كل حياتها".

أوما أون: "أعرف عن هذه الظاهرة".

"عندما أريتها هذه اللوحات تعرّفت إلى الأشخاص".

"أوه؟"، رفع أون حاجباً وقال: "أخبرني المزيد".

أشار هاري: "الشخص إلى اليسار هو آرنيه آلبو، وفي الوسط أنا،
والأخير هو آلف غزود".

حدّق أون إلى اللوحات، عدّل نظارته وحاول أن ينظر إليها من
مسافات مختلفة. تمتم: "مثير للاهتمام. ممتع جداً. لا يمكنني رؤية إلا
أشكال رؤوس".

"أردت أن أعرف فقط إذا كنت، بصفتك شاهداً خبيراً، تقرُّ أن هذا
النوع من التعرّف ممكن. سيساعدنا ذلك على إيجاد روابط أخرى بين
غزود وأنا".

لوّح أون بيده وقال: "إذا كان ما تقوله عن الأنسة لون صحيحاً،
يمكنها التعرّف إلى الوجه بالحد الأدنى من المعلومات".
في الخارج مجدداً، قال أون إنه مهتم جداً بلقاء بتي لون في اجتماع
مهني: "إنها محققة، أليس كذلك؟".

"في وحدة السرقات. عملت معها على قضية المسرّع".
"أوه، نعم. كيف تسير الأمور؟".

"حسناً. ليست هناك أدلة كثيرة. لقد كانوا يتوقعون أن يضرب مجدداً
قريباً، لكن لم يحدث شيء. أمر غريب في الواقع".
في بوغستادين، لاحظ هاري أولى رقائق الثلج تدور في الريح.
صرخ علي عبر الشارع إلى هاري وهو يشير إلى السماء: "الشتاء!". قال
شيئاً بالأردية لشقيقه، الذي تولى فوراً مهمة نقل صناديق الفاكهة إلى
داخل المتجر. ثم قطع علي الشارع متجهاً نحو هاري وقال: "أليس رائعاً
أنه انتهى؟".

قال هاري: "نعم، هذا صحيح".

"الخريف بغيض جداً. أخيراً قليل من الثلج".

"أوه، نعم. ظننت أنك تعني القضية".

"عن الحاسوب المحمول في مخزنك؟ هل انتهت؟".

"ألم يخبرك أحد؟ لقد وجدوا الرجل الذي وضعه هناك".

"آها. لهذا السبب أخبرتني زوجتي أنه لا داعي لذهابي إلى مخفر

الشرطة للاستجواب اليوم. ماذا كان الموضوع بأي حال؟".

"لأختصر حكاية طويلة، كان رجل يحاول تلفيق أنني متورط في جريمة

خطرة. ادعني إلى وجبة يوماً ما وسأخبرك بكل التفاصيل".

"لقد دعوتك سلفاً يا هاري!".

"لم تقل متي".

حرّك علي عينيه وقال: "لماذا تحتاج إلى تاريخ ووقت قبل أن تجرؤ على زيارتنا؟ اقرع الباب وسأفتحه لك. لدينا دائماً طعام لذيذ".
"شكراً يا علي. سأقرع بقوة".

"هل اكتشفتُم من هي السيدة؟ هل كانت مساعدته؟".
"ماذا تعني؟".

"المرأة الغامضة التي رأيتهَا أمام باب القبو ذلك اليوم. أخبرت توم، أو أياً كان اسمه، عنها".

وقف هاري يضع يده على مقبض الباب وقال: "ما الذي قلته له بالتحديد يا علي؟".

"سأل إن كنت قد رأيت شيئاً غير معتاد في القبو أو حوله، ثم تذكرت أنني شاهدت ظهر سيدة لم أتعرف إليها بجانب باب القبو حين دخلت المبنى. تذكرت ذلك؛ لأنني كنت على وشك أن أسألها عن هويتها، لكنني سمعت طقطقة قفل ولهذا افترضت أنه إذا كان لديها مفتاح، فلا بأس بذلك".

"متى كان ذلك وكيف تبدو؟".

فتح علي راحتي كفيه معتذراً وأجاب: "كنت مشغولاً ولم ألمح إلا ظهرها. قبل ثلاثة أسابيع؟ خمسة أسابيع؟ شعر أشقر؟ شعر داكن؟ لا فكرة".

"لكن أنت واثق أنها كانت امرأة؟".

"لا بدّ من أنني ظننت أنها كانت امرأة، بأي حال".

"كان آلف غزود متوسط الطول، هزيل الكتفين، وشعره كان داكناً يصل إلى كتفيه. هل ذلك ما جعلك تفكر أنها كانت امرأة؟".

أمعن علي التفكير في الأمر وقال: "نعم، هذا جائز. وربما كانت ابنة السيدة ملكيرسن تزور والدتها، مثلاً".

"إلى اللقاء يا علي".

قرّر هاري الاستحمام سريعاً قبل أن يغيّر ثيابه ويذهب لرؤية راكيل وأوليج، اللذين كانا قد دعواهُ إلى فطيرة محلاة ولعبة تيترس. لدى عودتهما من موسكو، كانت راكيل قد أحضرت معها مجموعة شطرنج جميلة مع حجارة مزخرفة ورقعة مصنوعة من خشبٍ وعرق اللؤلؤ. لسوء الحظ، لم تحب راكيل مسدس نامكو دجي. كون 45 الذي كان هاري قد اشتراه لأوليج، وصادرته مباشرة. شرحت أنها قد أخبرت أوليج مرات عدّة أنه غير مسموح له اللعب بأسلحة نارية حتى يبلغ الثانية عشرة، على الأقل. كان

هاري وأوليغ قد قبلا ذلك بخجل ومن دون أي نقاش، لكنهما عرفا أن راكيل ستنتهز الفرصة لتخرج للجري في حين يعتني هاري بأوليغ، وهمس أوليغ إلى هاري أنه يعرف أين كانت والدته قد خبأت مسدس نامكو دجي. كون 45.

أخرجت دفقات الماء الساخن البارد من جسد هاري في حين كان يحاول أن ينسى ما أخبره علي إياه. سيكون هناك دائماً متسع للشكوك في أي قضية، مهما كانت تبدو واضحة. وكان هاري مرتاباً بطبعه. في مرحلة ما، يجب أن تتحلى ببعض الثقة، إذا كنت ترغب في أن يكون للحياة أي شكل أو منطق.

جفف نفسه تماماً، حلق ذقنه وارتنى قميصاً نظيفاً. توثق من نفسه في المرأة وكشّر. كان أوليغ قد قال إن أسنانه صفراء، وضحكت راكيل بصوت عالٍ قليلاً. شاهد في المرأة الورقة المطبوع عليها أول رسالة إلكترونية من S2MN مثبتة على الجدار المقابل. سينزعها غداً ويضع مكانها الصورة التي تجمعه مع شقيقته. غداً. أمعن النظر إلى الرسالة الإلكترونية المنعكسة على المرأة. غريب أنه لم يكن قد أدرك ذلك في الأمسية التي وقف فيها أمام المرأة وشعر بأن هناك شيئاً مفقوداً. هاري وشقيقته الصغيرة. لا بدّ من أن ذلك يحدث؛ لأنك عندما ترى شيئاً على نحو متواصل يتطور لديك نوعٌ من غض البصر عنه، ولا تنتبه إليه. أمعن النظر إلى الرسالة الإلكترونية المنعكسة على المرأة، ثم طلب سيارة أجرة، انتعل حذاءه وانتظر. نظر إلى ساعته. كان يفترض أن تصل سيارة الأجرة في تلك اللحظة، ولا بدّ من أن يذهب. أدرك أنه قد أمسك السماعة مجدداً ويطلب رقماً. "أون".

"أريد منك أن تقرأ الرسائل الإلكترونية مرة أخرى وتخبرني إن كنت تظن أن من كتبها رجل أو امرأة".

كباب

ذاب الثلج في الليل. كانت أستريد مونسن قد خرجت للتو من المبنى السكني تشق طريقها على الإسفلت الأسود الرطب نحو بوغستادفين حين رأت الشرطي الأشقر على الرصيف المقابل. تسارع نبضها، مثل خطواتها، وحدقت إلى الأمام بتجهم، على أمل ألا يراها. كانت هناك صورة لآلف غنود في الصحف، وبقي المحققون طوال أيام يصعدون ويهبطون السلام ويزعجون روتين عملها الهادئ. لكن الأمر انتهى آنذاك، كما قالت في قرارة نفسها.

حُتَّ الخطى نحو ممر المشاة، إلى مخبز هانزن. إذا وصلت إلى هناك، فستكون بأمان. كوب من الشاي وكعكة محلاة إلى الطاولة خلف النضد، في نهاية المقهى الطويل والضيق. كل يوم عند الساعة 10:30 بالتحديد.

"شاي وكعكة محلاة؟". "نعم، من فضلك". "الثلثون 38 كرونًا". "تفضل". "شكرًا".

كانت تلك أطول محادثة تجريها مع أي شخص معظم الأيام. في الأسابيع الأخيرة، كان رجل عجوز يجلس إلى طاولتها عند وصولها، وبالرغم من وجود طاولات عدّة شاغرة، إلا أنها كانت الطاولة الوحيدة التي يمكنها الجلوس إليها بسبب... لا، لم تكن ترغب في أن تفكر في تلك الأشياء آنذاك. بأي حال، أرغمها ذلك على الوصول قبل ربع ساعة من الموعد المعتاد لتحصل على الطاولة أولاً. كان الأمر ممتازاً ذلك اليوم؛ لأنها بخلاف ذلك ستكون في المنزل حين يرنّ الجرس، وستضطر إلى أن تفتح الباب. كانت قد وعدت والدتها، وهي ترفض الرد على الهاتف أو جرس الباب منذ شهرين، وفي النهاية جاءت الشرطة وهدّتها أمها بالقطيعة. لم تكن تكذب على والدتها.

على الآخرين، نعم. كذبت عليهم طوال الوقت؛ عبر الهاتف على الناشرين، وفي المتاجر وعلى مواقع الدردشة الإلكترونية؛ خاصة على تلك المواقع؛ إذ كانت تتظاهر بأنها شخص آخر، إحدى الشخصيات في الكتب التي تترجمها، أو رامونا المرأة السيئة المشوّشة لكن الشجاعة، كما كانت مطلع حياتها. كانت أستريد قد اكتشفت رامونا في صغرها، وهي راقصة، شعرها أسود طويل وعيناها بنيتان لوزيتا الشكل. اعتادت أستريد أن ترسم رامونا، خاصة عينيها، لكنها كانت تفعل ذلك خفية؛ لأن والدتها قامت

بتمزيق اللوحات إلى قطع صغيرة ولم ترغب في أن ترى فتيات وقحات مثلها في المنزل. كانت رامونا قد اختفت سنوات طويلة، لكنها عادت وقد لاحظت أستريد كيف بدأت رامونا تسيطر عليها، خاصة حين تراسل كتاباً مترجم لهم. بعد الاستهلال بشأن اللغة والمراجع الثقافية، كانت تحب كتابة رسائل إلكترونية غير رسمية، وبعد أن تبعث عدداً منها يلتمس الكتاب الفرنسيون لقاءها حين يأتون إلى أوصلو لإطلاق الكتاب. إضافة إلى ذلك، كانت وحدها سبباً كافياً للقيام بالرحلة، لكنها تردّ دائماً بالرفض بالرغم من أن ذلك لم يكن يثبط عزيمة هؤلاء الرجال، وإنما على العكس. كوّن ذلك نشاطاتها الأدبية آنذاك، بعد الاستيقاظ من حلم نشر كتبها الخاصة قبل سنوات عدّة. كان مستشار نشر قد صرخ أخيراً عبر الهاتف وهسّ أنه لم يعد يطيق صبراً على إزعاجها الهستيري، وأنه لا يوجد قارئ سيدفع مالاّ ليشاطرها أفكارها، لكن عالم نفس قد يمنحها بعض المال.

"أستريد مونسن!".

شعرت بحنجرتها تضيق وذعرت لحظة. لم تكن تريد أن تصاب بمشكلات نفسية هناك في الشارع. أوشكت أن تعبر الطريق حين تغير الضوء إلى الأحمر. كان بمقدورها أن تفعل ذلك، لكنها لن تعبر أبداً والإشارة الضوئية حمراء.

"مرحباً، كنت في طريقي لرؤيتك". لحق هاري هول بها. كان لا يزال يتمتع بالتعبير المتجهّم، والعينين الحمراوين نفسهما. "اسمحي لي أولاً أن أقول إنني قرأت تقرير المفتش والر عن الحديث الذي أجراه معك. فهمت أنك كذبت علي؛ لأنك كنت خائفة".

شعرت أنها ستبدأ استنشاق الهواء بقوة قريباً.

قال الشرطي: "كانت حماقة كبيرة مني ألا أخبرك عن دوري في الأمر كله مباشرة".

نظرت إليه مندهشة إذ بدا آسفاً حقاً.

سمعت نفسها تقول: "وقد قرأت في الصحيفة أن الشخص المذنب اعتُقل".

وقفا ينظران إلى بعضهما بعضاً.

أضافت بصوت خافت: "أعني أنه مات".

قال بابتسامة مترددة: "حسناً، ربما لا تمنعني مساعدتي بالإجابة عن بضعة أسئلة بأي حال؟".

كانت تلك أول مرة لا تجلس فيها وحيدة إلى طاولتها في مخبز

هانزن. رmqتها الفتاة خلف النضد بنوع من ابتسامة الصداقة؛ كأن الرجل الطويل معها مرافق لها. نظراً إلى أن مظهره أوحى أنه قد خرج للتو من السرير، فرما ظنت الفتاة أيضاً... لا، لم تكن تريد التفكير في ذلك آنذاك. كانا قد جلسا وأعطاها نسخاً ورقية من رسائل إلكترونية عدة يريد منها أن تقرأها بإمعان. هل تستطيع، بصفتها كاتبة، أن تكتشف إن كان الذي كتبها رجلاً أم امرأة؟ كانت قد أمعت النظر فيها؛ بصفتها كاتبة، كما قال. هل تخبره الحقيقة؟ رفعت كوب الشاي حتى لا يستطيع رؤية ابتسامتها من تلك الفكرة. بالطبع لا، ستكذب.

قالت: "صعب تحديد ذلك. هل هذا أدب؟".

قال هاري: "نعم ولا. نظن أن الشخص الذي قتل أنا بيثسن كتبها".
"إذاً، لا بد من أن يكون رجلاً".

نظر هاري إلى الطاولة ورمقته بنظرة سريعة. لم يكن وسيماً، لكن فيه شيئاً محبباً. كانت قد لاحظت ذلك - بالرغم من أنه بدا احتمالاً بعيداً - حين رآته مستلقياً في الردهة خارج بابها. ربما لأنها تناولت كأساً واحدة من الشراب أكثر من المعتاد، لكنها كانت قد ظنت أنه يبدو مسالماً، وسيماً نوعاً ما، مستلقياً هناك مثل أمير نائم وضعه أحدهم أمام بابها. كانت محتويات جيوبه مبعثرة فوق السلام وقد التقطتها عن الأرض. كانت قد اختلست النظر إلى محفظته ووجدت اسمه وعنوانه.

نظر هاري إليها بينما أشاحت ببصرها بعيداً بسرعة. هل أعجبها؟

بالتأكيد. كانت المشكلة أنها لم تعجبه. إزعاج هستيري. مخاوف لا أساس لها. لم يكن ليحب ذلك. أراد نساءً مثل أنا بيثسن، أو رامونا.

سأل ببطء: "هل أنت واثقة أنك لا تستطيعين تمييز من كتبها؟".

رمقته بنظرة مروعة، ولاحظت حينها فقط أنه كان يرفع صورة. كان قد أراها تلك الصورة من قبل. امرأة وأولاد على الشاطئ.

"ليلة الجريمة، مثلاً".

قالت أستريد مونسن بحزم: "لم أرها قط في حياتي كلها".

كان الثلج قد بدأ يتساقط مجدداً. كسف كبيرة رطبة، أصبحت رمادية ومنتسخة قبل أن تحط رحالها على الأرض البنية بين مقر قيادة الشرطة وبوتسن. كانت رسالة من ويبر تنتظره في المكتب، وأكدت شكوك هاري التي كانت قد جعلته يرى الرسائل الإلكترونية من وجهة نظر مختلفة. بالرغم من ذلك، أثارت رسالة ويبر المختصرة صدمة؛ من النوع المتوقع. تكلم هاري عبر الهاتف باقي النهار، بين أشواط الجري إلى الفاكس

ومنه. في الاستراحات، أمعن التفكير في الأمر، وضع قطعة آجر فوق أخرى وحاول إبعاد تفكيره عما يبحث عنه. لكن كل شيء كان واضحاً. يمكن للأفغوانية (سكة حديد ملتوية في مدينة ملاه) أن ترتفع، وتنخفض، وتتلوى، وتستدير كما تحب، لكنها مثل كل الأفغوانيات الأخرى... تنتهي حيث بدأت. عندما انتهى هاري من التفكير وأضحت معظم الصورة واضحة، استرخى على كرسي مكتبه. لم يشعر بأي بهجة، وإنما بفراغ فحسب. لم تطرح راكيل أي أسئلة حين اتصل ليطلب منها ألا تنتظره. بعد ذلك السلام إلى المطعم الداخلي ثم إلى سطح الشرفة حيث كان بعض المدخنين يقفون ويرتعشون. تلالأت أضواء المدينة تحتهم في عتمة أول الأصيل. أشعل هاري لفافة تبغ، مرّر يده على طول الجدار وكوّن كرة ثلجية. كوّرها، وجعلها أقسى فأقسى، ضربها براحتي كفيّ، عصرها حتى سال الجليد الذائب بين أصابعه؛ ثم رماها إلى الأسفل نحو المدينة. تبع الكرة الثلجية اللامعة بناظره في أثناء سقوطها، أسرع فأسرع، حتى اختفت في الخلفية البيضاء والرمادية.

قال هاري بصوت عالٍ: "كان هناك فتى في الصف يدعى لودفيغ ألكسندر".

ضرب المدخنون أقدامهم بالأرض ونظروا إلى المفتش. "كانت لديه مشكلة لغوية ويدعوه الآخرون باسم كباب؛ لأنه كان غيباً كفاية في أحد دروس اللغة الإنكليزية ليقول للمدرّس إنه يحب أن يلفظ كلمة شواء ش...؛ لأنها ستصبح كباباً بعد ذلك. عندما كان الثلج يتساقط، ينشب قتال بكرات الثلج بين الصفوف في كل استراحة. لم يكن كباب يرغب في الاشتراك فيه، لكننا كنّا نرغمه على ذلك. كان ذلك الشيء الوحيد الذي نسمح له بالاشتراك فيه؛ كخط دفاع أول. كان لدى الصف الآخر رور، وهو فتى بدين يلعب كرة اليد في فريق أوبسال. كان يتصدى برأسه لكرات ثلج كباب من أجل المتعة ويوجه إليه ضربات موجعة تحت إبطيه. وضع كباب يوماً ما حجراً كبيراً في كرة ثلجية ورماها إلى أعلى ارتفاع ممكن. قفز رور مبتسماً وضربها برأسه. كان الصوت مثل حجر يضرب حجراً في ماء ضحل، قاسياً ورقيقاً في الوقت نفسه. كانت تلك المرة الوحيدة التي أرى فيها سيارة إسعاف في باحة المدرسة". سحب هاري بقوة نفساً من لفافة تبغه.

"تجادلوا في غرفة المدرّسين أياماً بشأن عقاب كباب. بالمحصلة، لم يكن قد رمى الكرة الثلجية على أحد، لهذا كان السؤال: هل يجب معاقبة

شخص لا يأخذ في الحسبان أحمق يتصرف مثل أحمق؟".
أطفأ هاري لفافة التبغ ودخل المبنى.

كانت الساعة الرابعة والنصف، وقد ازدادت سرعة الريح الباردة في المساحة المكشوفة بين أكرسلفا ومحطة قطار الأنفاق في غرونلاند تورف. كان تلاميذ ومتقاعدون يفسحون مجالاً لنساء ورجال وجوههم متجهمة ويضعون ربطات عنق يسرعون بالعودة إلى منازلهم من مكاتبهم. اصطدم هاري بأحدهم في أثناء نزوله السلام مسرعاً إلى الطابق تحت الأرض، وتردد صدى شتيمة بين الجدران خلفه. توقف أمام النافذة بين المراحيض. كانت السيدة العجوز نفسها التي شاهدها تجلس هناك آخر مرة.

"يجب أن أتكلم إلى سيمون فوراً".

نظرت بعينيها البنيتين الهادئتين إليه.

قال هاري: "إنه ليس في توين. لقد غادر الجميع".

هزّت المرأة كتفيها، مرتبكة.

"قولي إنه هاري".

هزّت رأسها ولوحت له أن يتعد.

انحنى هاري على الزجاج الذي يفصلهما. "قولي إنه سيبوني جيرمان".

قاد سيمون السيارة أسفل إنباكفين بدلاً من سلوك نفق إكبرغ الطويل.

شرح في أثناء صعودهما سفح الجبل بسرعة الحلزون في ساعة ازدحام

الأصيل: "لا أحب الأنفاق".

قال هاري: "إذًا، الشقيقان اللذان هربا من النزويج وترعرا معاً في

مقطورة اختلفا لأنهما أحبا الفتاة نفسها؟".

"تنحدر ماريا من أسرة لوفارا محترمة جداً. إنهم يعيشون في السويد

حيث كان والدها زعيماً. تزوجت ستيفان وانتقلت إلى أوصلو حين كانت في

الثالثة عشرة فقط من عمرها وهو في الثامنة عشرة. كان ستيفان يحبها

حباً جماً يجعله يموت من أجلها إذا تطلّب الأمر ذلك. في ذلك الوقت،

كان راسكول يختبئ في روسيا كما تعرف؛ ليس من الشرطة، وإنما من

بعض ألبان كوسوفو في ألمانيا الذين ظنّوا أنه قد غشّهم في عمل ما".

"عمل؟".

"عثروا على مقطورة فارغة بجانب ساحة قرب هامبورغ".

"لكن راسكول عاد؟".

"عاد في يوم من أيام شهر أيار المشمسة إلى توين. رأى وماريا

بعضهما بعضاً أول مرة آنذاك"، ضحك سيمون ثم تابع: "يا الله، كيف

حدّقا إلى بعضهما. كان يجب أن أنظر إلى السماء لأرى إن كان الرعد سيقصف؛ لأن الجو كان شديد التوتر".
"إذاً، فقد أعجبا ببعضهما؟".

"في ثوانٍ، حين كان الجميع يشاهدونهما. شعرت بعض النساء بالإحراج".
"لكن إذا كان ذلك واضحاً جداً، فلا بدّ من أن الأقرباء تدخّلوا، أليس كذلك؟".

"لم يظنوا أن الأمر خطر جداً. يجب ألاّ تنسى أننا نتزوج في سن أصغر مما تفعلون. لا يمكننا إيقاف الشبان. إنهم يقعون في الحب. ثلاث عشرة سنة، يمكنك أن تتخيل...".
"يمكنني". فرك هاري عنقه.

"لكن ذلك أمر خطر، كما تعلم. كانت متزوجة من ستيفان وأحبت راسكول من أول يوم رأته فيه. وبالرغم من أنها وستيفان عاشا في مقطورتهما الخاصة، إلا أنها التقت راسكول، الذي كان هناك طوال الوقت. وهكذا سلكت الأحداث الطريق التي يجب أن تسلكها. عندما ولدت أنا، وحدهما ستيفان وراسكول لم يعرفا أن الأخير هو الأب".
"فتاة مسكينة".

"وراسكول مسكين. الشخص الوحيد الذي شعر بسعادة كان ستيفان. تباهى بذلك كثيراً. قال إن أنا جميلة مثل والدها"، ابتسم سيمون بعينين حزينتين وقال: "ربما كان الأمر سيبقى على تلك الحال لو لم يقرر ستيفان وراسكول سرقة مصرف".

"ولم تجر الرياح بما تشتهي السفن؟".

تحرك صف السيارات نحو تقاطع رين.

"كان هناك ثلاثة منهم، وستيفان هو الأكبر سنّاً، ومن ثمّ هو أول من سيدخل وآخر من سيخرج. عندما ركض الآخرون مع المال لجلب سيارة الهروب، بقي ستيفان داخل المصرف رافعاً مسدسه حتى لا يتمكنوا من إطلاق جهاز الإنذار. كانوا يفتقرون إلى الخبرة، حتّى إنهم لم يعرفوا أن في المصرف نظام إنذار صامت. عندما عاد الاثنان بالسيارة لاصطحاب ستيفان، كان ممداً على غطاء محرك سيارة شرطة، وقد وضع شرطي أغلالاً في يديه. كان راسكول خلف المقود، ويبلغ من العمر سبعة عشر عاماً فقط. مع ثلاثة آلاف على المقعد الخلفي، قاد السيارة ببطء إلى جانب سيارة الشرطة حيث كان شقيقه يقاوم على غطاء المحرك. ثم نظر راسكول والشرطي إلى عيني بعضهما بعضاً. يا الله، كان الجو متوتراً جداً كما حدث حين التقى

ماريا. استمرا ينظران إلى بعضهما وقتاً طويلاً. كنت خائفاً أن يصرخ راسكول، لكنه لم ينبس ببنت شفة. تابع طريقه في السيارة. كانت تلك أول مرة يريان بعضهما".

"راسكول ويورغن لون؟".

أوماً سيمون. خرجا من الطريق الملتوية ودخلا المنعطف إلى رين. شغل سيمون الإشارة الجانبية ثم ضغط على المكابح بجانب محطة وقود. توقفا أمام مبنى مؤلف من اثني عشر طابقاً. ومض شعار مصرف دن نورسك بفعل مصابيح نيون زرقاء فوق المدخل القريب.

قال سيمون: "حكّم على ستيفان بالسجن أربع سنوات؛ لأنه كان قد أطلق النار من مسدسه في الهواء. لكن حدث شيء غريب بعد المحاكمة. زار راسكول ستيفان في بوتسن وقال أحد الحراس في اليوم التالي إنه يظن أن مظهر السجين الجديد قد تغير. قال المشرف عليه إن ذلك طبيعي في ما يتعلق بالسجناء أول مرة. أخبره عن زوجات لا يتعرّفن إلى أزواجهن في أول زيارة. اطمأن الحارس، لكن امرأة اتصلت بالسجن بعد بضعة أيام. قالت إنهم يحتجزون الشخص الخطأ. كان شقيق ستيفان باكست الصغير قد أخذ مكانه ويجب أن يطلقوا سراح السجين".

سأل هاري، وهو يُخرج ولاعته ويضعها عند نهاية لفافة تبغ: "هل ذلك حقيقي فعلاً؟". قال سيمون: "نعم، إنه كذلك. شيء طبيعي تماماً بين الغجر في جنوب أوروبا أن يقضي قريب أصغر سناً، أو الابن، حكماً بالسجن عن شخص مدان إذا كانت لديه أسرة يعيلها، كما كانت حال ستيفان. بالنسبة إلينا، هذه قضية شرف".

"لكن السلطات ستكتشف الخطأ سريعاً، أليس كذلك؟".

"ها!، فتح سيمون ذراعيه وقال: "بالنسبة إليكم، فإن الغجريّ غجري. إذا كان في السجن لذنّب لم يقترفه، فلا بدّ من أنه مذنب في شيء آخر". "من اتصل بهم؟".

"لم يكتشفوا ذلك قط، لكن ماريا اختفت في اليوم نفسه، ولم يروها مجدداً قط. نقلت الشرطة راسكول إلى توين في منتصف الليل وأُخرج ستيفان من المقطورة وهو يتعرّض للضرب ويطلق الشتائم. كان عمر آنا سنتين واستلقت على السرير تصرخ وتطلب أمها ولم يستطع أحد، لا رجل ولا امرأة، إيقاف عويلها؛ حتى دخل راسكول وحملها".

حدّقا إلى مدخل المصرف، ثمّ ألقى هاري نظرة سريعة على ساعته؛ لم تبقَ إلا بضع دقائق حتى يغلق أبوابه، ثم سأل: "ماذا حدث بعدها؟".

"عندما أنهى ستيفان مدة السجن، غادر البلاد فوراً. تحدث إليه عبر الهاتف بين الحين والآخر. سافر كثيراً".
"وأنا؟".

"كبرت في المقطورة، كما تعرف. أرسلها راسكول إلى المدرسة. أصبح لديها أصدقاء غادجو، وعادات غادجو. لم ترغب في أن تعيش معنا، وأرادت أن تفعل ما يفعله أصدقاؤها: تتخذ قراراتها وحدها، تكسب مالها وتمتلك مكاناً تعيش فيه. منذ ورثت شقة جدتها وانتقلت إلى سورجنفريغاتا، لم يعد لنا علاقة بها إطلاقاً. إنها... حسناً، اختارت أن تنتقل. كان الشخص الوحيد الذي بقيت على تواصل معه هو راسكول".

"هل تظن أنها كانت تعرف أنه والدها؟".
هزّ سيمون كتفيه وقال: "وفقاً لما أعرفه، لم يقل أحد شيئاً، لكنني واثق أنها كانت تعرف".
جلسا صامتين.

قال سيمون: "هذا هو المكان الذي حدث فيه ذلك".
قال هاري: "قبل موعد الإغلاق قليلاً. مثل الآن".
قال سيمون: "لم يكن ليطلق النار على لون لو لم يضطر إلى ذلك. لكنه فعل ما يجب عليه القيام به. إنه محارب، كما تعرف".
"لا محظيات يقهقهن".
"ماذا؟".

"لا شيء. أين ستيفان يا سيمون؟".
"لا أعرف".

انتظر هاري، ثمّ شاهد موظف مصرف يوصد الباب من الداخل، وبقي هاري ينتظر.
قال سيمون: "في آخر مرة تحدّثت إليه فيها، كان يتصل من بلدة في السويد. غوتنبرغ. هذا كل ما يمكنني أن أساعدك به".
"أنت لا تساعدني أنا".

تنهّد سيمون: "أعرف، أعرف".

وجد هاري المنزل الأصفر في فيتلاندسفين. كانت الأضواء في كلا الطابقين تعمل. أوقف السيارة، خرج منها ووقف ينظر إلى محطة قطار الأنفاق. كانوا قد التقوا هناك في أولى أمسيات الخريف المعتمدة للحصول على تفاح: سيح، تور، كريستين، توركيلد، أويستن، هاري. كان ذلك مكان لقاء المجموعة الدائم. كانوا ينطلقون على متن درّاجات هوائية إلى

نوردسترانده؛ لأن التفاح أكبر هناك وفرص أن يعرف أحد آباءهم أقل. تسلق سيح السياج أولاً وبقي أويستن يراقب. كان هاري الأطول ويمكنه الوصول إلى أكبر التفاحات. لم يشعروا في إحدى الأمسيات، بأي حال، برغبة في الذهاب بعيداً على دراجاتهم وخرجوا في جولة في حيهم المحلي. نظر هاري إلى الحديقة على الطرف الآخر من الطريق. كانوا قد ملأوا جيوبهم آنذاك حين اكتشفوا الوجه يحدق إليهم من النافذة المضاءة في الطابق الأول؛ من دون أن يقول كلمة. كان كباب. فتح هاري البوابة ومشى إلى الباب. كان اسما يورغن وكريستن ظاهرين على اللافتة الخفية فوق الجرسين. رنّ هاري الجرس في الأعلى. لم ترد بتي حتى ضغط مرتين. سألت إن كان يريد شايًا، لكنه هزّ رأسه وذهبت إلى المطبخ في حين كان يخلع حذاءه في الردهة.

سأل حين جاءت إلى غرفة الجلوس تحمل كوباً: "لماذا لا يزال اسم والدك على اللافتة؟ حتى يظن الغرباء أن هناك رجلاً يعيش في المنزل؟". هزّت كتفيها وجلست على كرسي مريح. "لم نتحدث مطلقاً عن فعل شيء بشأن ذلك. كان اسمه موجوداً هناك على الأرجح منذ وقت طويل حتى لم نعد نراه".

"مم". ضغط هاري راحتي كفيّ معاً وقال: "ذلك بالتحديد ما أردت أن أكلمك عنه".

"لافتة الباب؟".

"لا. خلل الشم. عدم القدرة على شم رائحة الجثث".

"ماذا تعني؟".

"كنت أقف في الردهة بالأمس أنظر إلى أول رسالة إلكترونية تلقيتها من قاتل أنا. حدث الأمر نفسه مع لافتة بابك. تلتقطها الحواس، لكن الدماغ لا يفسرها. هذا هو خلل الشم. كانت الورقة المطبوعة موجودة هناك منذ وقت طويل، حتى إنني لم أعد أراها، مثل الصورة التي تجمعني وشقيقتي. عندما سُرقت، لاحظت فقط أن هناك شيئاً مختلفاً، لكنني لم أعرف ما هو. هل تعلمين السبب؟".

هزّت بتي رأسها.

"لأنه لم يكن قد حدث شيء لي يجعلني أرى الأمور على نحو مختلف. رأيت فقط ما افترضت أنه موجود هناك. حدث شيء بالأمس. قال علي إنه رأى ظهر امرأة بجانب باب القبو. خطر لي فجأة أنني كنت

أفترض طوال الوقت أن قاتل أنا رجل، من دون أن أدرك الأمر. عندما تقترفين خطأ تخيل ما تظنين أنكِ تبحثين عنه، فلا ترين الأشياء الأخرى التي تجدينها. جعلني ذلك أرى الرسالة الإلكترونية بعينين جديدتين". شكّل حاجبا بتي علامتي استفهام وسألت: "هل تقصد القول إن ألف غرود لم يقتل أنا بيثسن؟". قال هاري: "تعرفين ما الجناس، أليس كذلك؟". "لعبة حروف...".

"ترك قاتل أنا باترين لي علامة شاهدها على صفحة المرأة. كانت الرسالة الإلكترونية موقعة باسم امرأة. بشكل معاكس. لهذا أرسلت البريد الإلكتروني إلى أون، الذي اتصل بمختص بعلم النفس المعرفي واللغة. استطاع من جملة واحدة في رسالة تهديد من مجهول تحديد الجنس والعمر وأصل الشخص. في هذه القضية، استطاع القول إن الرسائل الإلكترونية كُتبت من قبل شخص من أحد الجنسين بين العشرين والسبعين، وقد يكون من أي مكان في العالم. بكلمات أخرى، لم يكن ذلك نافعاً. باستثناء أنه ظنّ أنها ربما تكون امرأة، بسبب كلمة واحدة. تقول "أنتم رجال الشرطة" لا "أنتم الشرطة" أو اسم جمع غير محدد. يقول إن المرسل قد تكون اختارت تلك الكلمة لاشعورياً؛ لأنها تميّز بين جنسي المتلقي والمرسل". استرخى هاري إلى الخلف على الكرسي.

وضعت بتي كوبها جانباً وقالت: "لا يمكنني القول إنني مقتنعة تماماً يا هاري. امرأة غير معروفة على السلام، وشيفرة يتبين أنها اسم امرأة معكوس، وعالم نفس يظن أن ألف غرود اختار كلمة أنثوية للتعبير عن نفسه".

"مم"، أوماً هاري: "اتفقنا. أولاً، أريد أن أخبرك عن السبب الذي جعلني أسلك هذه الطريق. لكن قبل أن أخبرك من قتل أنا، أود أن أطلب منك أن تساعدني على العثور على شخص مفقود". "طبعاً. لكن لماذا تطلب مني؟ الأشخاص المفقودون ليسوا...". "بلى، هم كذلك"، ابتسم هاري حزيناً وقال: "الأشخاص المفقودون هم اختصاصك".

رامونا

وجد هاري فيغديس آلبو على الشاطئ، كانت تجلس على الصخرة المصقولة نفسها التي كان قد غفا عليها ويدها حول ركبتيه يحدّق إلى الفيورد البحري. كانت الشمس تشبه أثراً باهتاً عن نفسها في ضباب الصباح الرقيق. جرى غريغور إلى هاري يهزّ ذيله. كان البحر جَزْراً وتفوح منه رائحة أعشابٍ ونفط. جلس هاري على صخرة صغيرة خلفها وأخرج لفافة تبغ.

سألت من دون أن تستدير: "هل عثرت عليه؟". تساءل هاري منذ متى كانت تنتظره.

أجاب: "وجد أشخاص كثيرين آرنيه آلبو. كنت أنا واحداً منهم". أبعدت بيدها خصلة شعر كانت تتراقص أمام وجهها في الريح وقالت: "أنا أيضاً. لكن ذلك كان منذ وقت طويل جداً. قد لا تصدّقني، لكنني أحببته في ما مضى".

طقطق هاري بالولاعة وقال: "لماذا لا أصدّقك؟".

"يمكن أن تصدّق ما تشاء. لا يستطيع أي شخص أن يحب. نحن - وهم - قد نصدّق ذلك، لكن الأمر على تلك الحال. إنهم يتعلّمون الحركات والحدود والخطوات، وذلك كل شيء. يكون بعضهم بارعين حيث يستطيعون خداعنا بعض الوقت. لا يفاجئني أنهم ينجحون، وإنما أنهم يهتمون. لماذا يبذل شخص كل ذلك الجهد ليبادلك شعوراً لا يمكن أن تفهمه؟ هل تفهم أيها الشرطي؟".

لم يرد هاري.

قالت وهي تستدير إليه: "ربما هم خائفون فحسب؛ أن يروا أنفسهم في المرأة ويكتشفوا أنهم مقعدون".

"من الذي تتكلمين عنه يا سيدة آلبو؟".

استدارت مجدداً لتواجه الماء. "من يعلم؟ أنا بيثسن؟ آرنيه؟ أنا؟

الشخص الذي أصبحت عليه؟".

لعق غريغور يد هاري.

قال هاري: "أعرف كيف لقيت آنا حتفها"، أمعن النظر إلى ظهرها،

لكنه لم يميز أي ردّ فعل. اشتعلت لفافة التبغ في المحاولة الثانية. قال:

"حصلت في أصيل الأمس على نتائج تحليل أجراه كريمتكينسك على أربع

كوّوس كانت في حوض الجلي في شقة آنا بيثسن. كانت تلك بصماتي،

وواضح أنني كنت أشرب الكوكا كولا. لم أكن لأحلم قط بشربها مع الشراب الفرنسي. إحدى كأسى الشراب لم تُستخدم. الشيء المثير للاهتمام، على كل حال، هو العثور على آثار هيدروكلوريد المورفين في راسب الكوكا كولا. بعبارة أخرى، مورفين. تعرفين تأثير جرعات كبيرة، أليس كذلك يا سيدة ألبو؟".

نظرت إلى وجهه، وهزّت رأسها ببطء. قال هاري: "لا؟ انهيار وفقدان ذاكرة من اللحظة التي تتناولين فيها المخدّر يتبعه غثيان وصداع حاد حين تستفيقين. يشبه كثيراً تأثيرات تناول قارورة شراب. إنه مخدّر اغتصاب فاعل مثل الروهيبنول. ونحن تعرضنا لاغتصاب. جميعنا. أليس كذلك يا سيدة ألبو؟". صرخ طائر نورس بضحكة فوقهما.

قالت أستريد مونسن بضحكة قصيرة متوترة: "أنت مجدداً"، وسمحت له بالدخول. جلسا في المطبخ، حيث تحركت في المكان، وأعدت بعض الشاي، ثم أخرجت كعكة كانت قد اشترتها من مخبز هانزن تحسباً لزيارة أحدهم. تمت هاري أشياء عادية عن ثلج الأمس وكيف أن العالم الذي ظنّوا جميعاً أنه سينهار، مع البرجين التوأم على التلفاز، لم يكن قد تغيّر كثيراً. عندما سكبت الشاي وجلست، سألتها عن رأيها في أنا. فغرت فمها.

"كنت تكرهينها، أليس كذلك؟". في الصمت الذي تبع ذلك، سمعا أزيزاً إلكترونياً في غرفة أخرى. "لا. لم أكن أكرهها...". أمسكت أستريد بقوة بكوبٍ ضخيمٍ من الشاي الأخضر وتابعت: "كانت... مختلفة فحسب". "مختلفة بأي طريقة؟".

"الحياة التي عاشتها. أسلوبها. كانت محظوظة؛ لأنها كانت... على تلك الحال".

"ولم تحبي ذلك؟".
"أنا... لا أعرف. لا، ربما لم أفعل".
"لِمَ لا؟".

نظرت أستريد مونسن إليه وقتاً طويلاً. ظهرت الابتسامة في عينيها واختفت منهما مثل فراشة مضطربة. قالت: "ليس الأمر كما تظن. كنت أحسد أنا، ومعجبة بها. مرّت أيام تمنيت أن أكون مثلها. كانت على النقيض مني تماماً. أنا أجلس في الداخل

في حين...".

نظرت إلى النافذة وقالت: "كانت ترتدي ملابس مثيرة وتخرج إلى الحياة، أقصد أنا. جاء رجال وذهبوا، وكانت تعرف أنها لا تستطيع الحصول عليهم، لكنها أحببتهم بأي حال. لم تكن تجيد الرسم، لكنها عرضت لوحاتها حتى يستطيع باقي العالم رؤيتها بنفسه. تحدّثت إلى الجميع؛ كأن لديها ما يبرر اعتقادها أنهم يحبونها. ومعى أيضاً. مرّت أيام شعرتُ فيها أن أنا قد سرقت شخصيتي الحقيقية، وأنه لا يوجد حيز كافٍ لنا نحن الاثنتين، وأن عليّ انتظار دوري"، كتمت الضحكة العصبية نفسها، "لكنها ماتت، واكتشفت أن الأمر لم يكن على تلك الحال. لا يمكن أن أكون هي. لا أحد يستطيع. أليس ذلك محزناً؟"، نظرت إلى هاري وتابعت: "لا، لم أكرهها. لقد أحببتها".
شعر هاري بالألم في عنقه، ثم قال: "هل يمكنك إخباري ما حدث تلك الأمسية التي وجدتي فيها في الرواق؟".

ظهرت الابتسامة واختفت مثل ضوء نيون معطل؛ كأن شخصاً سعيداً يظهر في عينيها ويختفي بين الفينة والأخرى. انتاب هاري شعور أن سداً على وشك أن ينفجر.

همست: "كنت بشعاً، لكن بطريقة جذابة".

رفع هاري حاجبه وسأل: "مم. عندما ساعدتني على النهوض، هل لاحظت إن كانت تفوح مني رائحة شراب؟".
بدت ذاهلة؛ كأنها لم تكن قد فكّرت في ذلك من قبل وقالت: "لا، ليس تماماً. كانت رائحتك... لا شيء".
"لا شيء؟".

تورّدت وجنتاها خجلاً وقالت: "لا شيء... على وجه الخصوص".

"هل فقدت شيئاً على السلام؟".

"مثل ماذا؟".

"هاتفاً خلويّاً، مفاتيح؟".

"أي مفاتيح؟".

"ينبغي لك أن تجيبيني أنتِ".

هزّت رأسها وقالت: "لا هاتف خلوي. وأعدت المفاتيح إلى جيبك. لماذا

تسأل عن كل هذا؟".

"لأنني أعرف من قتل أنا. أردت فقط التوثق من التفاصيل أولاً".

باترين

كانت آخر بقايا الثلج الذي تساقط منذ يومين قد اختفت في اليوم التالي. في الاجتماع الصباحي في وحدة السرقات، قال إيفارسون إنهم إذا أرادوا إحراز أي تقدم في قضية المسرع، فإن أفضل أمل لهم هو وقوع سرقة مصرف أخرى، لكنه أضاف أن توقع بتي أن المسرع سيضرب عاجلاً لا آجلاً لم يكن صحيحاً. لدهشة الجميع، لم يبدو أن بتي تأثرت بذلك الانتقاد غير المباشر. هزت كتفيها وكررت بثقة أنها مسألة وقت فقط قبل أن يوجه المسرع ضربته.

في الأمسية نفسها دخلت سيارة شرطة الساحة أمام متحف مونش وتوقفت. خرج أربعة رجال منها، شرطيان يرتديان بزّين رسميتين، إضافة إلى رجلين بملابس عادية بدا من بعيد أنهما يمشيان يداً بيد. قال هاري وهو يشير برأسه نحو الأصفاد: "أعتذر عن الإجراءات الأمنية. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لأحصل على إذن للقيام بهذا". دفع راسكول كتفيه إلى الأمام وقال: "أظن أن تقييدنا معاً يزعجك أكثر مني يا هاري".

عبرت المجموعة موقف السيارات نحو ملعب كرة القدم والمقطورات. أشار هاري إلى رجلي الشرطة أن ينتظرا في الخارج في حين دخل وراسكول المقطورة الصغيرة.

كان سيمون ينتظر في الداخل، وقد أخرج قارورة شرابٍ وثلاث كؤوس. هزّ هاري رأسه، ثمّ فك الأصفاد وجلس على الأريكة. سأل هاري: "العودة جميلة؟".

لم يرد راسكول، وانتظره هاري حين تفحصت عيناه البنيتان المقطورة. رأهما هاري تتوقفان عند صورة الشقيقين فوق السرير. ظنّ أنه قد لاحظ اختلافاً بسيطاً في الفم الرقيق.

قال هاري: "لقد وعدت أننا سنعود إلى بوتسن بحلول الثانية عشرة، لهذا يجب أن نمعن النظر في الحقائق الأساسية. لم يقتل ألف غنود أنا بيثسن".

نظر سيمون إلى راسكول، الذي كان يحدّق إلى هاري. "ولم يفعل آرنه أبو أيضاً".

في الصمت، بدا أن هدير حركة السير في فينماركغاتا يزداد. هل كان راسكول يفتقد إلى وضوء السير حين يستلقي في زنزانته ليلاً؟ هل كان

يشتاق إلى الصوت من السرير الآخر، والرائحة، وصوت أنفاس شقيقه المنتظمة؟ استدار هاري إلى سيمون وقال: "هل تمنع أن تتركنا وحدنا؟". استدار سيمون صوب راسكول، الذي أشار إليه بإيماءة صغيرة، فخرج وأغلق الباب خلفه. طوى هاري يديه ونظر إلى عيني راسكول اللامعتين؛ كأنه يعاني حرارةً.

قال هاري بصوت خافت: "لقد عرفت منذ بعض الوقت، أليس كذلك؟".

ضغط راسكول راحتي كفيه معاً، وعلى وجهه علامة سكينه داخلية، لكن أطراف الأنامل البيضاء أظهرت قصة مختلفة.

قال هاري: "ربما كانت أنا قد قرأت صن تزو، وعرفت أن القاعدة الأولى في الحرب هي الخدعة. بالرغم من ذلك، زوّدتني بالحل. لم أستطع فك الشيفرة فحسب؛ S2MN. زوّدتني بدليل أيضاً، وقالت إن شبكية العين تعكس الأشياء، لهذا يجب أن أنظر إلى المرآة لأراها على حقيقتها". كان راسكول قد أغمض عينيه حتّى إنه بدا وكأنه يتضرّع، ثمّ همس قائلاً: "كانت والدتها جميلة ومجنونة. ورثت أنا كلتا الصفتين".

قال هاري: "حللت الشيفرة منذ وقت طويل، أعرف. كان توقيعها S2MN. يرمز رقم اثنين إلى حرف أس. ثانٍ، لكن في المرآة يصبح NMSS، أو مع حروف إضافية يصبح NeMeSiS؛ سيدة الانتقام. هي أخبرتني. كانت تلك تحفتها الفنية، التي أرادت أن تخلّد ذكراها".

قال هاري ذلك من دون أثرٍ لفرحٍ في صوته، كانت تلك حقيقة. بدا أن المقطورة الضيقة تصغر من حولهما.

تنفّس راسكول: "أخبرني الباقي".

"أفترض أن بمقدورك استنتاجه".

هسّ: "أخبرني!".

نظر هاري إلى النافذة الدائرية الصغيرة فوق الطاولة، التي تكثّف الماء عليها قليلاً - كوّة - وقد تخيل أنّهما إذا مسحوا الرطوبة عنها سيكتشفان أنّهما في الفضاء الخارجي، وأنهما رائدا فضاء وحيدان في سديم رأس الحصان على متن طائرة. لن يكون ذلك أكثر خيالاً مما كان على وشك أن يخبره به آنذاك.

فن الحرب

شدّ راسكول قامته وشرع هاري يقول:

"هذا الصيف، تلقى جاري علي نيازي رسالة من شخص يزعم أنه مدين بمالٍ للمبنى منذ عاش فيه قبل سنوات عدّة. لم يستطع علي العثور على اسمه في لائحة المستأجرين، لهذا كتب له يخبره أن ينسى الأمر. كان الاسم إريكسن. اتصلت بعلي بالأمس وطلبت منه العثور على الرسالة التي كان قد تلقاها، وتبين أن العنوان هو 17 سورجنفريغاتا. أخبرتني أستريد مونس أنه كان على صندوق بريد أنا لصاقة باسم شخص آخر بقيت بضعة أيام هذا الصيف. اسم إريكسن. ماذا كان هدف الرسالة؟ اتصلت بصانع الأقفال. كان قد تلقى، في الواقع، طلباً لصنع مفتاح لشقتي. طلبت منهم إرسال الأوراق عبر الفاكس إليّ. كان أول شيء لاحظته أن الطلب مؤرخ في الأسبوع الذي سبق موت أنا، وموقع من علي رئيس لجنة البناء والمسؤول عن المفاتيح. كان التوقيع المزور على الطلب مقبولاً، وقامت به رسامة عادية على رسالة قد تلقّتها سلفاً، مثلاً. لكنه كان جيداً كفاية لصانع الأقفال، الذي طلب فوراً مفتاح شقة هاري هول من تريوفينغ. وذهب هاري هول إلى هناك بنفسه، أظهر بطاقة هويته من أجل الحصول على المفتاح، وظنّ أنه يوقع على استلام مفتاح إضافي لآنا. يمكن أن تموت من الضحك، أليس كذلك؟".

لم يكن يبدو أن راسكول يعاني أي مشكلة في الاحتفاظ برباطة جأشه. "أعدت كل ذلك بين اجتماعنا والوجبة المسائية. أنشأت حساب بريد إلكتروني عبر مخدّم في مصر وكتبت الرسائل الإلكترونية على الحاسوب المحمول، وبرمجت سلفاً تواريخ الإرسال. في أثناء النهار، فتحت الباب إلى قبونا ووجدت مخزني. استخدمت المفتاح نفسه للدخول إلى شقتي للبحث عن شيء شخصي يمكن التعرف إليه بسهولة وتستطيع زرعه في شقة ألف غنرود، فاختارت الصورة التي تجمعي وشقيقتي. كان البند التالي على الجدول القيام بزيارة إلى حبيبها السابق والتاجر الذي يزودها بممنوعات. لا بدّ من أن ألف غنرود دُهِش قليلاً لرؤيتها مجدداً. ماذا كانت تريد؟ شراء مسدس أو اقتراضه ربما؟ لأنها كانت تعرف أن لديه أحد المسدسات التي يبدو أن أوصلو ممتلئة بها الآن، والتي مُحي الرقم المتسلسل عنها. أخرج لها مسدساً، بريتا أم. 92 أف، في حين ذهبت إلى المرحاض. ظنّ أنها بقيت هناك وقتاً طويلاً. وعندما خرجت أخيراً، أصبحت على عجلة من

أمرها واضطرت إلى مغادرة المكان. يمكننا أن نتخيل على الأقل أن ذلك ما حدث".

اصطك فكا راسكول بقوة كبيرة حتى استطاع هاري رؤية شفتيه تضيقان. انحنى هاري إلى الخلف وتابع حديثه: "كانت المهمة التالية اقتحام شاليه آلبو ووضع مفتاح شقتها فيه. كان ذلك في منتهى السهولة، فهي تعرف أن مفتاح الشاليه في المصباح الخارجي. عندما كانت هناك نزعت صورة فيغديس والأولاد من الألبوم وأخذتها معها. وهكذا أصبح كل شيء جاهزاً، وكل ما عليها فعله هو الانتظار؛ أن يأتي هاري لتناول الوجبة.

كانت اللائحة مؤلفة من وجبة شهية مع فلفل حار، وكوكا كولا وهيدروكلوريد المورفين. العنصر الأخير شائع على نحو خاص على أنه عقار اغتصاب؛ لأنه سائل ولا مذاق له تقريباً، وجرعته بسيطة وتأثيره فاعل. تستتيقظ الضحية بثغرة كبيرة في ذاكرتها، وتظن أن ذلك بسبب الشراب؛ لأنها تعاني كل أعراض الإفراط في الشراب. ويمكنك القول بطرائق عديدة أنني تعرضت لاغتصاب. كنت مشوشاً جداً، ولم تُعانِ مشكلة في إخراج هاتفي الخلوي من جيب سترتي قبل أن تدفعني خارج الباب. بعد أن خرجت، غادرت المكان أيضاً وذهبت إلى غرفتي في القبو، حيث ربطت الهاتف إلى الحاسوب المحمول. عندما عادت إلى المنزل، تسللت على السلام. سمعتها أستريد مونسن، لكنها ظنّت أنها السيدة غندرسن من الطابق الثالث. ثم أعدت نفسها للأداء الأخير قبل أن تترك باقي الأحداث تجري من تلقاء نفسها. كانت تعرف طبعاً أنني سأحقق في القضية، رسمياً أو بخلاف ذلك، لهذا تركت لي دليلين: أمسكت المسدس في يدها اليمنى؛ لأنها تعرف أنني أعلم أنها عسراء، ووضعت الصورة في الحذاء".

تحركت شفتا راسكول، لكن لم يخرج صوت من بينهما.
مرّر هاري يده على وجهه وأضاف: "كانت آخر ضربة فرشاة في العمل الفني هو ضغط زناد مسدس".

همس راسكول: "لكن لماذا؟".

هزّ هاري كتفيه ثم قال: "كانت أنا تمثّل الأفعال المتطرفة. أرادت أن تنتقم لنفسها من الأشخاص الذين ظنّت أنهم قد أخذوا منها ما تعيش لأجله؛ الحب. كان المذنبون آرنيه، وغنرود، وأنا؛ وأسرتك. باختصار: فازت الكراهية".

قال راسكول: "هراء!".

استدار هاري وأنزل صورة راسكول وستيفان عن الجدار، ثم وضعها

على الطاولة بينهما وسأل: "ألا تفوز الكراهية دائماً في أسرتك يا راسكول؟".
أرجع راسكول رأسه إلى الخلف وأفرغ الكأس، ثم ابتسم ابتسامة
عريضة.

تذكر هاري الثواني بعدئذ كأنها شريط فيديو يُعرض بسرعة. عندما
انتهى الأمر، كان يستلقي على الأرض، وراسكول ممسك به من رقبته، وتأثير
الشراب ظاهر في عينيه، ورائحة أنفاسه، وحافة القارورة المكسورة المحرّزة
على رقبته.

همس راسكول: "هناك شيء واحد فقط أكثر خطورة من ارتفاع ضغط
الدم الحاد أيها السبيوني، وهو انخفاضه الشديد. لهذا لا تتحرك".
ابتلع هاري ريقه وحاول أن يتكلم، لكن راسكول ضغط بقوة، فتحول
ذلك إلى تأوه.

"كان صن تزو واضحاً تماماً بشأن الحب والكراهية أيها السبيوني. يفوز
كل من الحب والكراهية في الحروب. إنهما متلازمان مثل توأم سيامي.
الغضب والشفقة هما الخاسران".

تأوه هاري: "إذاً، نحن الاثنان على وشك أن نخسر".
شدّ راسكول قبضته مجدداً وقال: "لم تكن أنا لتختار الموت أبداً...".
ارتعش صوته، "كانت تحب الحياة".

صفر هاري الكلمات: "كما... تحب... أنت... الحرية؟".
خفف راسكول قبضته متذمراً، واستنشق هاري الهواء بقوة إلى رئتيه
المتألمتين. خفق قلبه بقوة في صدره، لكن ضوضاء حركة السير في الخارج
عادت.

قال هاري: "اتخذت قرارك. سلّمت نفسك تكفيراً عن ذنبك. أمر غير
مفهوم للآخرين، لكنه كان قرارك. فعلت أنا الشيء نفسه".
ضغط راسكول القارورة على عنق هاري حين حاول أن يتحرك وقال:
"كانت لديّ أسبابي".

قال هاري: "أعرف. التكفير عن الذنب فطرة مثل قوة الأخذ بالثأر
تقريباً".

لم يرد راسكول.

"هل كنت تعرف أن بتي لون اتخذت قراراً أيضاً؟ أدركت أن لا شيء
سيعيد والدها إليها. لم تعد تشعر بالغضب. طلبت مني أن أنقل تحياتها
إليك وأقول إنها سامحتك". تحرّكت قطعة زجاج مدببة على عنقه. بدت
مثل ريشة قلم حبر سائل تكتب على ورقة خشنة، وترسم بتردد الكلمة

الأخيرة؛ لم يكن مفقوداً إلا النقطة. ابتلع هاري ريقه وقال: "حان الوقت الآن كي تختار أنت يا راسكول".

"أختار ماذا أيها السبيوني؟ إن كنت ستعيش أم تموت؟".

أخذ هاري نفساً، وحاول إبعاد الذعر عنه وقال: "إن كنت ستحرّر بتي لون أم لا. إن كنت ستخبرها ما حدث في اليوم الذي أطلقت فيه النار على والدها. إن كنت ستحرّر نفسك".
"أنا؟". أطلق راسكول ضحكته الخافتة.

قال هاري: "لقد وجدته. أعني أن بتي لون وجدته".

"وجدت من؟".

"يعيش في غوتبرغ".

توقّف راسكول عن الضحك فجأة.

تابع هاري: "إنه يعيش هناك منذ تسع عشرة سنة. منذ اكتشف أنك والد أنا الحقيقي".

صرخ راسكول: "أنت تكذب"، ورفع القارورة فوق رأسه.

شعر هاري بأن فمه يجف وأغمض عينيه. عندما فتحهما، رأى عيني راسكول اللامعتين. تنفّسا بتناسق، وارتفع صدراهما وانخفضا معاً.
همس راسكول: "و... ماريا؟".

كان على هاري أن يحاول مرتين قبل أن يتلفّظ بأي كلمة، ثم قال:
"لم يكن أحد قد سمع عنها أو منها شيئاً. أخبر شخص ستيفان أنهم قد رأوها مع مجموعة في نورماندي قبل بضع سنوات".
"ستيفان؟ هل تحدّثت إليه؟".

أوماً هاري.

"لماذا سيرغب في الحديث إلى سبيوني مثلك؟".

حاول هاري أن يهز كتفيه، لكنه لم يستطع حراكاً. "اسأله بنفسك...".
"أسأل...". حدّق راسكول إلى هاري غير مصدّق.

"ذهب سيمون لإحضاره بالأمس. إنه يجلس في المقطورة المجاورة. لدى الشرطة بعض الأشياء العالقة، لكن طُلب من أفراد الشرطة ألا يمسه. يريد أن يتحدث إليك. والباقي منوط بك".

وضع هاري يده بين القارورة وعنقه. لم يحاول راسكول منعه حين وقف، وسأل فقط: "لماذا فعلت ذلك أيها السبيوني؟".

هزّ هاري كتفيه وقال: "توثقت أنت من سماح القضاة في موسكو لراكيل الاحتفاظ بأوليغ. أمنحك فرصة التواصل مع الشخص الوحيد الذي

بقي لك". أخرج الأصفاد من جيب سترته ووضعتها على الطاولة وتابع: "أياً يكن قرارك، أظن أننا متعادلان الآن".
"متعادلان؟".

"سعيّت أن يعود الفتى إليّ، وقد فعلت الشيء نفسه لك".
"سمعت ما قلته يا هاري، لكن ماذا يعني ذلك؟".
"يعني أنني سأقول كل ما أعرفه عن جريمة آرنيه آلبو. وسنلاحقك بكل ما نملك".

رفع راسكول حاجباً وقال: "سيكون أسهل عليك إذا تركت الأمر يمر أيها السبيوني. تعرف أنك لن تحصل على شيء ضدي، لهذا، لماذا تحاول؟".
قال هاري: "لأننا الشرطة، ولسنا محظيات يقهقهن".
لم تفارقه عينا راسكول، ثم انحنى قليلاً.
استدار هاري عند الباب بينما كان الرجل النحيل يجلس منحنيّاً فوق الطاولة البلاستيكية والظلال تغطي وجهه.
"لديك حتى منتصف الليل يا راسكول، ثم سيعيدك الشرطيان".
صدحت صفّارة سيارة إسعاف في ضوضاء حركة السير في فينماركغاتا، واشتدت وخفتت كأنها نغمة صافية.

ميديا (2)

دفع هاري الباب بهدوء وفتحته. ظنّ أن بمقدوره شم عطرها، لكن الشذا كان خفيفاً جداً ولم يتوثق إن كان يأتي من الغرفة أم من ذاكرته. ظهر السرير الضخم في منتصف الغرفة مثل سفينة شراعية رومانية. جلس على الفراش، ووضع أصابعه على الملاءة البيضاء الباردة، ثم أغمض عينيه وتحسّسها. شعر بشيء عميق وبطيء. هل كانت أنا قد انتظرته - على تلك الحال - ذلك المساء؟ أزيز متواصل. نظر هاري إلى ساعته: إنها السابعة تماماً؛ لقد وصلت بتي. رنّ أون الجرس بعد بضع دقائق وكانت وجنتاه متورّدتين بعد صعوده السلام. ألقى التحيّة بأنفاس مجهدة على بتي، وذهب الثلاثة إلى غرفة المعيشة.

قال أون: "إذاً، يمكنكِ تحديد من تمثّل هذه الصور الثلاث؟".
 قالت بتي، وهي تشير إلى الصورة من اليسار: "آرنيه ألبو. هاري في الوسط وآلف غنرود إلى اليمين".
 قال أون: "مبهر".

قالت بتي: "حسناً. تستطيع نملة التمييز بين ملايين وجوه النمل الأخرى في كئيب نمل. مقارنة بوزن الجسم، لديها تلافيف دماغية أكبر كثيراً مما لدي".

قال أون: "إذاً، أخشى أن تلافيفي غير متطورة إطلاقاً. هل يمكنك رؤية شيء يا هاري؟".

"أرى بالتأكيد أكثر قليلاً مما أرتني إياه أنا ذلك الوقت. أعرف الآن أن هؤلاء الثلاثة هم الذين كانوا مُتهمين، من قبلها". أشار هاري نحو الشكل الأنثوي الذي يحمل المصايح الثلاثة: "نمسييس، سيدة العدل والانتقام".

قال أون: "التي أخذها الرومان من الإغريق. أبقوا على الميزان، واستبدلوا السوط بسيف، وعصبوا عينيها، وأسّموها جستيتيا"، اتجه إلى المصباح وأضاف: "عندما بدأوا، في سنة 600 قبل الميلاد، التفكير في أن نظام قصاص الدم لديهم غير فاعل وقرّروا انتزاع الانتقام من الشخص وجعله قضية عامة، كانت هذه المرأة بالتحديد هي التي أصبحت رمزاً للدولة الدستورية الحديثة"، ربت على المرأة البرونزية الباردة وأضاف: "عدالة عمياء. انتقام بدم بارد. حضارتنا تستقر بين يديها. أليست جميلة؟".
 قال هاري: "جميلة مثل كرسي كهربائي. لم يكن انتقام أنا بدم بارد

بالتحديد".

قال أون: "كان بدم باردٍ وساخنٍ في الوقت نفسه. كان متروياً وانفعالياً في آنٍ معاً. لا بدّ من أنها كانت حساسة جداً. متأذية نفسياً بالطبع، لكننا جميعاً كذلك. أساساً، إنها مسألة درجة التضرّر والتأثر فحسب".

"وكيف كانت أنا متضررة؟".

"لم ألتقِ بها قط، لهذا سيكون هذا محض تخمين".

قال هاري: "إذاً، قل".

"في ما يتعلق بالآسياد القدماء، أفترض أنكما سمعتما بالسيّد ناركيوسوس (نرجس)، السيّد الإغريقي الذي أصبح متيمماً جداً بانعكاس صورته حيث لم يستطع التوقف عن مواصلة النظر إليها؟ أدخل عالمُ النفس النمساوي فرويد سيغموند مفهوم النرجسية إلى علم النفس، ويشير إلى شخص يشعر بإحساس مبالغ فيه بالتفرد، ومهووس بحلم نجاح لا حدود له. بالنسبة إلى نرجسي، فإن الحاجة إلى الانتقام من أولئك الذين أهانوه أو أهانوها أكبر كثيراً من كل الحاجات الأخرى. هذا يدعى غضب النرجسي. كان عالم النفس الأميركي هاينز كوهت قد وصف الطريق التي سيسلكها مثل ذلك الشخص للثأر من الإهانة - التي قد تبدو مجرد شيء تافه لنا - بكل الوسائل التي يمتلكها. مثلاً، ما سيبدو على السطح رفضاً عادياً قد يؤدي إلى دفع النرجسي للعمل من دون كلل أو ملل، بتصميم وعزيمة كبيرة؛ على إصلاح خلل التوازن، مما قد يفضي إلى الموت أحياناً".

سأل هاري: "موت من؟".

"الجميع".

صرخت بتي: "ذلك جنون".

قال أون بجفاء: "في الواقع، ذلك ما أقوله".

ذهبوا إلى غرفة الطعام. مسّ أون أحد الكراسي الموجودة بمحاذاة طاولة السنديان الطويلة وغير العريضة وقال: "لم يعودوا يصنعونها هكذا الآن".

تأوهت بتي قائلةً: "لكن لماذا تقضي على حياتها... فقط لتحقيق تعادلاً؟ لا بدّ من أن هناك طرائق أخرى".

قال أون: "بالطبع، لكن الانتحار غالباً عمل انتقام بحدّ ذاته. تريدين أن يشعر أولئك الذين خذلوك بالذنب. رفعت أنا السقف قليلاً. إضافة إلى ذلك، كانت هناك أسباب عديدة للشك في أنها لم تعد تريد العيش. كانت

وحيدة، رفضها أحباؤها وأسرتها. كانت قد فشلت بصفحتها فنانةً ولجأت إلى الممنوعات، لكن ذلك لم ينفج. كانت، باختصار، شخصاً محبباً وتعيساً جداً اختارت أن تنتحر بملء إرادتها. وأن تنتقم أيضاً".

سأل هاري: "من دون أي شكوك أخلاقية؟".

"الجانب الأخلاقي مثير للاهتمام بالطبع..."، شبك أون ذراعيه وتابع حديثه قائلاً: "يفرض مجتمعنا علينا واجباً أخلاقياً أن نعيش، ومن ثم أن ندين الانتحار. بأي حال، مع إعجابها الواضح بالأشياء العتيقة، ربما كانت أنا قد وجدت ضالتها في الفلاسفة الإغريق، الذين ظنوا أن كل شخص يجب أن يختار بنفسه طريقة موته.

"ربما كانت الكراهية فحسب؟".

استدار كل من هاري وأون نحو بتي التي نظرت إليهما خوفاً؛ كأن الكلمات قد خرجت خطأ، ثم همست: "الأخلاق، حب الحياة، الحب، لكن الكراهية هي الأقوى".

2 امرأة غيورة في الأساطير اليونانية انتقامت من زوجها الذي خانها .

الوميض الفوسفوري

وقف هاري بجانب النافذة المفتوحة يرهف السمع إلى صفارة سيارة الإسعاف البعيدة تتلاشى ببطء في الضوضاء الصادرة من مرجل المدينة. يقع المنزل الذي كانت راكيل قد ورثته عن والدها عالياً فوق كل ما يحدث في بساط الضوء الذي استطاع رؤيته بين أشجار الصنوبر الباسقة في الحديقة. أحب الوقوف والنظر إلى الأشجار؛ متسائلاً منذ متى كانوا هناك وشعر بأن الفكرة تجعله يهدأ، وينظر إلى الأضواء من المدينة التي تشبه كثيراً وميضاً فوسفورياً بحرياً. لم يكن قد رآه إلا مرة واحدة فقط، في إحدى الليالي عندما اصطحبه جدّه على متن مركب لتسليط الضوء على سرطانات البحر بجانب سفارتهولمن. كانت ليلة واحدة فقط، لكنه لن ينساها أبداً. كانت أحد تلك الأشياء التي أصبحت أكثر إشراقاً وواقعية مع انقضاء كل سنة. ليس كل شيء على تلك الحال. كم ليلة كان قد أمضى مع آنا؟ كم مرة كانا قد انطلقا في مركب دناماركي وأبحرا إلى حيث تأخذهما رغبتهما؟ لا يتذكر. سرعان ما سينسى كل الباقي أيضاً. أهذا محزن؟ نعم، محزن وضروري.

بالرغم من ذلك، كانت هناك لحظتان مع آنا يعرف تماماً أنهما لن تُحميا أبداً. صورتان متطابقتان تقريباً، وكلتاها تتضمنان شعرها الكثيف منشوراً على الوسادة مثل مروحة سوداء، وعينيها المفتوحتين، ويداً واحدة تمسك الملاءة ناصعة البياض. كان الفرق هو اليد الأخرى. في إحدى الصورتين، كانت أصابعها متشابكة مع أصابعه، وفي الأخرى تمسك مسدساً. قالت راكيل خلفه: "هل يمكنك إغلاق النافذة؟". كانت تجلس على الأريكة، ساقاها مطويتان تحتها، وكأس من الشراب الفرنسي في يدها. كان أوليغ قد ذهب آنذاك إلى السرير سعيداً، بعد التغلب على هاري في تيترس أول مرة، وخاف هاري، لأن حقيبة كانت قد ولّت من دون رجعة. لم تكن الأخبار تحمل جيداً يقال. اللازمة القديمة: الحملة العسكرية ضد الشرق، وعمليات انتقام ضد الغرب. كانا قد أوقفا التلفاز عن العمل وشغلا أسطوانة ورود حجرية، التي كانت لدهشة هاري وفرحته ضمن مجموعة أسطوانات راكيل. شباب. كان ذلك وقتاً لم يسعده شيء فيه أكثر من رؤية فتیان إنكليز متغطرسين يحملون أجهزة غيتار ويعزفون. كان يحب آنذاك كينغ أوف كونفينيس (ملوك الراحة: فرقة ثنائية نرويجية)؛ لأنهم يغنون بشغف ويبدون أقل غباءً من دونوفان (فيليبس ليتس: مغنٌ

اسكتلندي)، والورود الحجرية بصوت خافت. حزين لكن حقيقي، وربما ضروري. دارت الأمور في حلقات. أغلق النافذة وواعد نفسه أن يأخذ أوليغ إلى جزيرة ويستخدم مصباحاً يدوياً لرؤية سرطانات البحر عندما تسبح له فرصة مناسبة.

تمتت الورد الحجرية عبر مكبر الصوت: "أسفل، أسفل، أسفل". انحنت راكيل إلى الأمام وتناولت رشفة من الشراب الفرنسي. همست: "إنها قصة قديمة قدم التلال. شقيقان يحبان المرأة نفسها، وهي وصفة معروفة للمأسة".

أطبق الصمت عليهما، شبكا أصابعهما وأصغيا إلى أنفاس بعضهما بعضاً. سألت: "هل أحببتها؟". ففكر هاري في السؤال بامعان قبل أن يجيب: "لا أتذكر. كان ذلك وقتاً في حياتي... مشوشاً جداً".

ربت على ذقنه وقالت: "هل تعرف ما أظن أنها فكرة غريبة؟ دخلت هذه المرأة التي لم أرها أو ألتقي بها قط إلى شقتك، تجولت فيها ورأت صورة لنا مع أوليغ في فروغزسترن على مرآتك. عرفت أنها ستفسد كل شيء. وأنتما الاثنان ربما أحببتهما بعضكما بالمحصلة". "مم. كانت قد خططت لكل التفاصيل قبل وقت طويل من معرفتها بشأنك وأوليغ. حصلت على توقيع علي هذا الصيف". "تخيل المشكلة التي لا بد من أنها واجهتها في تزوير توقيعها؛ لأنها عسراء".

"لم أفكر في ذلك". أدار رأسه في حضنها ونظر إليها قائلاً: "هل نتكلم عن شيء آخر؟ ماذا ستقولين إذا اتصلت بوالدي وطلبت منه أن نستخدم المنزل في أندالسنز الصيف المقبل؟ هراء الطقس المعتاد، لكن، هناك منزل على مركب وقارب تجذيف يعود إلى جدّي".

ضحكت راكيل، وأغمض هاري عينيه. كان يحب ضحكتها، لو أنه توخى الحرص ألا يخطئ، كما ففكر، لربما كان بقي يستمع إلى تلك الضحكة وقتاً طويلاً.

أفاق هاري فزعاً. اندفع إلى وضعية الجلوس وشهق طلباً للهواء. لقد كان يحلم، لكنه لم يتذكر شيئاً. كان قلبه يخفق مثل طبل ضخم. هل كان تحت الماء في حوض السباحة في بانكوك مجدداً؟ أم يواجه القاتل في الجناح في فندق ساس؟ فشعر بألم في رأسه. تمتت راكيل في الظلام: "ما الأمر؟".

همس هاري: "لا شيء. عودي إلى النوم".
نهض، وذهب إلى الحمام ثم شرب كوباً من الماء. نظر الوجه المتعب
الشاحب المنعكسة صورته على المرآة إليه. كانت هناك عاصفة تهب في
الخارج. احتكّت أغصان شجرة السنديان الضخمة في الحديقة بالجدار. وكزته
على كتفه، دغدغت عنقه وجعلت شعره يقف. ملأ هاري الكوب مجدداً
وشرب ببطء. تذكر آنذاك ما كان يحلم به. فتى يجلس على سطح مدرسة،
يدلي ساقيه. من كان يرفض الدخول إلى الصف؟ من كان شقيقه الأصغر
يكتب مقالاته؟ من تجوّل مع حب شقيقه الجديد في كل الأماكن التي
لعبا فيها حين كانا يافعين؟ كان هاري قد حلم بوصفة المأساة.
عندما تسلل عائداً تحت اللحاف، كانت راكيل قد غفت مجدداً. حدّق
إلى السقف وبدأ ينتظر أول ضوء.
أشارت الساعة على الطاولة بجانب السرير إلى 05:03 حين لم يعد
يطيق صبراً، فنهض، اتصل باستعلامات الهاتف وكتب رقم هاتف جان هيو
الخاص.

هاينريش شريمير

استيقظت بتي حين رنّ جرس الباب المرة الثالثة. استدارت ونظرت إلى الساعة؛ إنها الخامسة والرابع. استلقت متسائلة عن الخطوة الحكيمة التي ستفعلها؛ تطلب منه أن يغرب عن وجهها أم تتظاهر بأنها ليست في المنزل. رنة أخرى، من النوع الذي أوضح بجلاء أنه لن يستسلم.

تنهّدت، ثم نهضت متّجهةً نحو الهاتف. أمسكت سماعة هاتف الاتصال البيني وقالت: "نعم؟". "آسف لأنني عرّجت في هذا الوقت المتأخر يا بتي، أو الباكر جداً". "اغرب عن وجهي يا توم".

قال: "أنا لست توم وإنما هاري". أطلقت بتي شتيمة بصوتٍ خافتٍ وضغطت زر الفتح. قال هاري حين دخل: "لم أستطع الاستلقاء مستيقظاً أكثر من ذلك. الأمر يتعلق بالمسرّع".

رمى بنفسه على الأريكة في حين انسلت بتي إلى غرفة النوم. صرخ نحو باب غرفة النوم المفتوح: "كما قلت، ما تفعلينه مع توم ليس من شأني...".

صرخت بالمقابل: "كما قلت، إنه ليس من شأنك. وإضافة إلى ذلك، فقد أوقف".

"أعرف. استُدعيت للمثول أمام الهيئة المستقلة لمراقبة عمل الشرطة للحديث عن لقاءي بألف غنرود".

نظر هاري إليها وقد ظهرت مجدداً ترتدي قميصاً أبيض وجينزاً ووقفت قبالة.

قالت: "عنيت أنني قطعت علاقتي به؟". "أوه؟".

"إنه وغد. ذلك لا يعني أن بمقدورك قول ما تحب لمن تشاء". أمال هاري رأسه وفتح عيناً واحدة. سألت: "هل أكرّر؟".

قال: "لا، أظن أنني قد فهمت الرسالة الآن. ماذا إن لم يكن أي شخص، وإنما كان صديقاً؟".

"قهوة؟". لكن بتي لم تكن قد وصلت إلى المطبخ حين تورّد خذاها

خجلاً. نهض هاري على قدميه وتبعها. كان هناك كرسي واحد فقط بجانب الطاولة الصغيرة، وعلى الجدار لوحة خشبية وردية اللون كُتبت عليها قصيدة هافامال قديمة:

عند كل باب
قبل أن يدخل المرء
يجب أن ينظر حوله
ينبغي له أن يحدّق حوله
لأن الشك يجعله يتوثّق
أن لا عدو يجلس
في الداخل، أمامه على الأرض

قال هاري وهو يستند إلى المغسلة: "كان هناك أمران قالتهما راكيل ليلة أمس جعلاني أفكّر: الأول أن شقيقان يحبان المرأة نفسها وصفة مأساة؛ والثاني أن أنا عانت من دون شك صعوبةً كبيرةً في تقليد توقيع علي؛ لأنها عسراء".

"أوه، نعم؟". وضعت ملء ملعقة كبيرة من القهوة في الآلة.
"كتاب ليف المدرسي. أخذته من تروند غريت لمقارنة الخط في رسالة الانتحار. هل تتذكرين موضوعه؟".

"لم أنظر إلى ذلك ملياً، أتذكر فقط أنني توثقت أنه له". سكبت الماء في أداة تحضير القهوة.

قال هاري: "كانت اللغة النزويجية".

قالت وهي تواجهه: "قد يكون كذلك".

قال هاري: "كان كذلك. لقد جئت للتو من عند جان هيو، من

كريوس".

"خبير الخطوط؟ الآن، في منتصف الليل؟".

"لديه مكتب في منزله وأبدي تفهماً كبيراً. قارن دفتر الملاحظات

ورسالة الانتحار بهذه"، قال هاري وهو يفتح ورقة ويضعها على لوح

التجفيف: "هل سيطول الأمر مع القهوة؟".

سألت بتي وهي تنحني فوق الورقة: "ما الأمر العاجل؟".

قال هاري: "كل شيء. أول شيء يجب أن تفعله هو التوثق مجدداً

من كل الحسابات المصرفية".

تتلقى إلز لوند، مديرة المكتب في وكالة السفر براستور وإحدى

موظفتين اثنتين، عادة مكالمات هاتفية في منتصف الليل من زبون في

البرازيل كان قد تعرض للسرقة، أو آخر فقد جواز سفره وتذكرته، ويتصل
يائساً بهاتفها الخليوي من دون أن يفكر في فرق التوقيت. ومن ثمّ كانت
توقفه عن العمل حين تخلد إلى الفراش. شعرت لهذا السبب بالغضب حين
رَنّ هاتفها الأرضي عند الخامسة والنصف، وسألها أحدهم على الطرف الآخر
إن كان بمقدورها المجيء إلى المكتب في أسرع وقت ممكن. كانت أقل
حنقاً فقط حين أضاف أنهم من الشرطة.
قالت إلز لوند: "أمل أنها مسألة حياة أو موت".
قال: "إنها مسألة موت على الأغلب".

كان رون إيفارسون، كالمعتاد، أول من يصل إلى العمل. حدّق إلى
خارج النافذة. كان يحب السكنينة وألاً يكون أحد في الطابق كله سواه،
لكن لم يكن ذلك هو السبب. عندما يصل الآخرون، يكون إيفارسون قد
قرأ كل رسائل الفاكس والتقارير الواردة وكل الصحف، وحظي بالأفضلية
التي يحتاج إليها. إذا كنت المدير، يجب أن تسبق الجميع بخطوة: إنشاء
رأس جسر يمنحك منظراً شاملاً. عندما عبّر العاملون تحت إمرته في القسم
عن إحباط بين الحين والآخر؛ لأن الإدارة تحجب عنهم معلومات، كان ذلك؛
لأنهم لا يفهمون أن المعرفة قوة، وأن أيّ فريق إداري يجب أن يتمتع
بالقوة إذا أراد رسم المسار الذي سيجعل في النهاية النتائج مثمرة. بالفعل،
كان من مصلحتهم ببساطة أن تمتلك الإدارة معرفة أوسع. عندما وجّه كل
من يعمل على قضية المسرّع إلى تقديم تقاريره مباشرة إليه، كان لذلك
السبب بالتحديد؛ أي إبقاء المعلومات حيث يجب أن تكون بدلاً من إضاعة
الوقت في مناقشات لا تنتهي، الهدف منها منح المرؤوسين شعوراً بأنهم
شركاء في العملية. كان الأهم آنذاك أن يُحكم هو، بصفته رئيساً للوحدة،
قبضته على سير العمل؛ يقدم مبادرات ويتصرف وفقاً لها. وبالرغم من أنه
بذل قصارى جهده لجعل الأمر يبدو أن الاكتشافات بشأن ليف غريت من
صنع يديه، إلا أنه كان يعرف أن الطريقة التي حدث بها ذلك قد
أضعفت سلطته. لم تكن سلطة رئيس وحدة مسألة هيبة شخصية، وإنما
قضية تخصّ سلك الشرطة برمّته، كما قال في قرارة نفسه.
كان هناك قرع على الباب.

قال إيفارسون للوجه الشاحب عند الباب: "لم أكن أعرف أنك شخص
صباحي يا هول"، وتابع قراءة الفاكس أمامه. كان لديه بعض المقتطفات
التي أرسلت إليه من صحيفة يومية أجرت معه مقابلة بشأن ملاحقة
المسرّع؛ إنه لم يحب المقابلة. الجيد أن كلامه لم يكن قد أُسيء اقتباسه،

لكنهم بالرغم من ذلك استطاعوا جعله يبدو مراوفاً وبائساً. لحسن الحظ، كانت الصور جيدة قال: "ماذا تريد يا هول؟".

"أن أقول فقط إنني دعيت إلى اجتماع في الطابق السادس. ظننت أنك قد تكون مهتماً بحضوره. إنه بشأن سرقة المصرف المزعومة في بوغستادفين. نحن على وشك أن نبدأ".

توقف إيفارسون عن القراءة ونظر إليه قائلاً: "إذاً، فقد دعوت إلى اجتماع؟ مثير للاهتمام. هل لي أن أسأل من أقر هذا الاجتماع يا هول؟". "لا أحد".

"لا أحد!..."، كتم إيفارسون ضحكة قصيرة وتابع: "إذاً، الأفضل أن تصعد إلى هناك وتقول إن الاجتماع أُجّل إلى ما بعد الغداء. كما ترى، لدي كومة من التقارير أعمل عليها الآن. فهمت؟".
أوما هاري ببطء؛ كأنه يمعن التفكير في الأمر، ثم قال: "فهمت. هذا عمل شعبة الجريمة، وسنبدأ فوراً. حظاً طيباً مع التقارير".
استدار، وفي تلك اللحظة ضربت قبضة إيفارسون الطاولة بقوة.
"هول! لا تدر ظهرك لي هكذا! أنا من يدعو إلى الاجتماعات في هذا القسم، خاصة حين تكون قضية سرقة. مفهوم؟". ارتعشت شفة سفلية حمراء رطبة في وسط وجه رئيس وحدة السرقات.
"كما سمعت، قلت السرقة المزعومة في بوغستادفين يا إيفارسون".
"وماذا تعني بالله عليك بذلك؟". كان الصوت عويلاً آنذاك.
قال هاري: "إن السرقة في بوغستادفين لم تكن سرقة قط. كانت جريمةً مخططاً لها بدقة".

وقف هاري بجانب النافذة ونظر إلى سجن بوتسن. كان اليوم يمضي بطيئاً، مثل عربة متهالكة. غيوم ماطرة فوق إكبرغ ومظلات سوداء في غرونلاندسليرت. كانوا مجتمعين خلفه: بيارني مولر، يتشاءب ومسترخٍ على الكرسي؛ وقائد الشرطة المبتسم يتحدث إلى إيفارسون؛ وويبر يضع ذراعاً فوق أخرى، صامتاً وناقد الصبر؛ وهالفورسن مع دفتر ملحوظاته جاهزاً؛ وبتي لون التي ينتقل بصرها بينهم بعصبية.

ورود حجرية

توقف رذاذ المطر في وقت لاحق ذلك اليوم. انبثقت الشمس في السماء الرمادية الداكنة، ثم تفرقت السحب مثل ستارة تُفتح في الفصل الأخير. سيتبين أن تلك آخر ساعات السماء الزرقاء قبل أن تضع مدينة أوصلو غطاء الشتاء الرمادي فوق رأسها. كانت ديزنغرندا تستمتع بأشعة الشمس حين ضغط هاري الجرس مرة ثالثة. سمع الجرس مثل دمدمة في الطابق السفلي من المنزل مائل السقف. فُتحت نافذة الجارة بعنف.

قالت بصوت مرتعش: "تروند ليس هنا". كان وجهها قد اكتسب لوناً بنياً مختلفاً آنذاك، نوعاً من البني المائل إلى الذهبي، مما جعل هاري يفكر في جلد ملطخ بالنيكوتين. أضافت: "رجل مسكين". سأل هاري: "أين هو؟". حرّكت عينيها رداً عليه وأشارت بإبهامها من فوق كتفها قائلة: "ملعب كرة المضرب".

كانت بتي على وشك أن تتحرك، لكن هاري بقي في مكانه. قال هاري: "لقد كنت أفكر في شأن ما ناقشناه المرة الماضية، عن جسر المشاة. قلت إن الجميع تفاعلاً؛ لأنه كان فتى هادئاً ومؤدباً". "قلت ذلك؟".

"لكن الجميع هنا في غرندا يعرفون أنه فعل ذلك".

"رأيناه ينطلق على دراجته الهوائية في الصباح".

"يرتدي السترة الحمراء؟".

"نعم".

"ليف؟".

"ليف؟"، ضحكت وهزّت رأسها قائلة: "لا أتكلم عن ليف. فعل كثيراً من الأشياء الغريبة، لكنه لم يؤذِ أحداً قط". "إذاً، من كان؟".

"تروند. كنت أتكلم عنه طوال الوقت. قلت إنه كان شاحباً تماماً حين عاد، إذ إنه لا يتحمّل منظر الدم".

كانت سرعة الرياح تزداد. في الغرب، بدأت سحب سوداء كثيرة تتجمّع في السماء الزرقاء، وقد جعلت هبّات الرياح البرك الصغيرة في الملعب الطيني الأحمر تبدو مثل نتوءات وشوشة مظهر تروند غريت، الذي قذف

الكرة عاليًا ليحاول ضربها مجدداً.

قال تروند، وهو يضرب كرة دارت بهدوء في الهواء: "مرحباً". ارتفعت سحابة صغيرة من طباشير بيضاء عند منطقة الإرسال، واختفت مباشرة حين ارتفعت الكرة عاليًا خلف منافس مفترض على الجانب الآخر من الشبكة. واجه تروند هاري وبتي الواقفين خارج سياج الأسلاك. كان يرتدي قميص كرة مضرب أبيض، وسروالاً قصيراً أبيض، وجورباً أبيض، وينتعل حذاءً أبيض أيضاً.

ابتسم: "ممتاز، أليس كذلك؟".

قال هاري: "تقريباً".

اتسعت ابتسامة تروند أكثر، ظلل عينيه بيده ونظر إلى السماء قائلاً: "يبدو أن السماء ملبّدة بالغيوم. كيف يمكنني مساعدتكما؟". قال هاري: "يمكن أن تأتي معنا إلى مقرّ قيادة الشرطة". "مقر قيادة الشرطة؟". نظر إليهما مندهشاً. أي: كان يحاول أن يبدو مندهشاً. كانت عيناه المتسعتان تبدوان كعيني ممثل مسرحي، وهناك شيء متكلف في صوته لم يسمعه حين استجوباه. كانت النبرة منخفضة جداً وترتفع قليلاً عند نهاية الجملة: مقر قيادة الشرطة؟ شعر هاري بأن شعر عنقه يقف.

قالت بتي: "الآن".

"حسناً". أوماً تروند؛ كأن طقّة صدرت عن شيء وُضع في مكانه وابتسم مجدداً قائلاً: "طبعاً". ذهب إلى مقعد حيث يبرز زوج من المضارب من تحت معطف رمادي. جرّ قدميه على طول الطريق في الطّفّال (3). همست بتي: "إنه محطّم. سأقيده بالأصفاد".

شرع هاري يقول وهو يمسك يدها: "لا تفعلي..."، لكنها كانت قد دفعت الباب ودخلت إلى الملعب. تمّدّ الوقت، وانتفخ مثل كيس هوائي حين رأى بتي تمد يدها إلى الأصفاد التي كانت تضعها على حزامها. سمع صوت حذاء تروند على الطّفّال. خطوات صغيرة؛ مثل رائد فضاء. تحركت يد هاري تلقائياً نحو المسدس في قراب كتفه تحت سترته.

كل ما استطاعت بتي قوله قبل أن يصل تروند إلى المقعد ويضع يده تحت المعطف: "غريت، أنا آسفة...". كان الوقت قد بدأ يتحرّك آنذاك، وتقلّص وتمدّد في حركة واحدة. شعر هاري بيده تلتف حول أخمص المسدس، وعرف أن هناك دهنراً بين تلك الثانية وإخراج السلاح، وتذخيره، وتحرير مسمار الأمان، والتسديد. لمح تحت ذراع بتي المرفوعة وميضاً من

شعاع الشمس.

قال تروند وهو يرفع بندقية آيه. جي. 3 رمادية داكنة وخضراء زيتية إلى كتفه: "وأنا كذلك"، حينها، تراجعت بتي خطوة إلى الوراء. قال تروند بهدوء: "يا عزيزتي. قفي من دون حراك، ساكنة تماماً إذا أردت العيش بضع ثوانٍ إضافية".

قال هاري، وهو يتعد عن النافذة ويتكلم إلى مجموعة المحققين: "لقد اقترفنا خطأً. لم تلقَ شتاين غريت حتفها على يد ليف وإنما على يد زوجها؛ تروند غريت".

توقف الحديث بين المشرف العام وإيفارسون، وشدّ مولر قامته، ونسي هالفورسن تسجيل الملاحظات، وفقد وجه ويير تعبير عدم المبالاة. كان مولر الذي كسر الصمت أخيراً حين قال: "الرجل المحاسب؟". أوماً هاري إلى الوجوه غير المصدّقة. قال ويير: "هذا غير ممكن. لدينا الفيديو من متجر سفن إيليفن، ولدينا البصمة على قارورة الكولا كولا. ليس هناك شك في أن ليف غريت هو القاتل".

قال إيفارسون: "لدينا الخط على رسالة الانتحار". قال المشرف العام: "وإن لم أكن مخطئاً، حدّد راسكول نفسه أن السارق هو ليف غريت". قال مولر: "تبدو القضية منتهية". قال هاري: "دعوني أشرح". قال المشرف العام: "نعم، من فضلك؟". كانت سرعة السحب قد ازدادت آنذاك وتطفو فوق مستشفى أكر مثل أسطول عظيم أسود.

قال تروند: "لا تفعل شيئاً غيباً يا هاري". كانت فوهة البندقية تضغط على جبين بتي. "ألقي المسدس الذي أعرف أنك تحمله". سأل هاري وهو يشهر مسدسه: "وإلا ماذا؟". ضحك تروند بصوتٍ خافت. "بدايةً، سأطلق النار على زميلتك". "كما أطلقت النار على زوجتك؟". "تستحق ذلك".

"أوه؟ لأنها أحبت ليف أكثر منك؟".

"لأنها كانت زوجتي أنا!".

تنفّس هاري، ووقفت بتي بينه وبين تروند، لكن ظهرها إلى هاري،

لهذا لم يستطع قراءة أيّ من تعبيرات وجهها. كانت هناك خيارات عدّة ممكنة: الخيار الأول أن يخبر تروند أنه غبي وطائش، ويأمل أن يجدي ذلك نفعاً. مقابل ذلك: رجل يأخذ أياه. جي. 3 مذخّرة معه إلى ملعب كرة المضرب، لا بدّ من أنه يكون مستعداً لاستخدامها. الخيار الثاني أن يفعل ما قاله تروند؛ يضع مسدسه جانباً وينتظر الموت. الخيار الثالث أن يضغط على تروند؛ ليجعل شيئاً يحدث، شيئاً يجعله يغير خطته؛ أو يثور ويضغط على الزناد. كان الخيار الأول بائساً، والثاني أسوأ نتيجة ممكنة، والثالث، حسناً، إذا حدث لبتي الشيء نفسه الذي حدث لإيلين، كان هاري يعرف أنه لن يستطيع العيش مع نفسه قط... إذا نجا.

قال هاري: "ربما لم تعد تريد أن تكون زوجتك وقتاً أطول. هل ذلك ما حدث؟".

اشتدت إصبع تروند على الزناد والتقت عيناه بعيني هاري من فوق كتف بتي. داخلياً، بدأ هاري يعدّ على نحو فطري: "ألف وواحد، ألف واثنان...".

قال تروند بصوت خافت: "ظنّنت أن بمقدورها أن تهجري ببساطة. أنا... الذي كنت قد أعطيتها كل شيء"، ضحك، ثم تابع كلامه: "من أجل رجل لم يفعل شيئاً قط لأحد، وظنّ أن الحياة حفلة ميلاد وكل الهدايا له. لم يسرق ليف شيئاً. كان يحتار بين حرفي الجر من وإلى". حملت الريح ضحكة تروند بعيداً مثل حبيبات الرمل.

قال هاري: "على سبيل المثال: من شتاين إلى تروند".

طرفت كلتا عيني تروند بصعوبة وقال: "قالت إنها أحبّته. كانت تحبه. لم تستخدم هذه الكلمات يوم زواجنا. مغرمة، كما قالت. كانت مغرمة بي؛ لأنني كنت طيباً معها. لكنها أحبّبت الفتى الذي دلّى ساقه عن سطح وانتظر الاستحسان. ذلك ما كان ينتظره. الإطراء".

كانت المسافة بينهما أقل من ستة أمتار، واستطاع هاري رؤية مفاصل يد تروند اليسرى تبيّض حين رفع فوهة البندقية.

"لكن ليس لك يا تروند. لم تكن بحاجة إلى إطراء، أليس كذلك؟

استمتعت بانتصاراتك بصمت. وحدك. كما حدث سابقاً عند الجسر".

دفع تروند شفته السفلى إلى الأمام وقال: "اعترف بذلك، لقد صدّقتني، صحيح؟".

"نعم، صدّقتك يا تروند. صدّقتنا كل كلمة قلتها".

"إذاً، أين أخطأت؟".

قال هاري: "كانت بتي قد توثقت من حسابات شتاين غريت المصرفية في الربعين الأخيرين".

رفعت بتي كومة أوراق للآخرين في الغرفة وقالت: "لقد حوّل كلاهما مالاّ إلى براستور، وكالة السفر. أكّدت الوكالة أن شتاين غريت حجزت في آذار من هذا العام رحلة إلى ساو باولو في حزيران، وتبعها تروند غريت بعد أسبوع".

قال هاري: "حتى الآن، يتطابق هذا مع ما أخبرنا تروند غريت به. الشيء الغريب هو أن شتاين أخبرت كليمنتسن، مدير الفرع، أنها كانت ذاهبة في رحلة إلى اليونان. وقام تروند غريت أيضاً بحجز تذكرته وشرائها في يوم سفره. تخطيط سيئ جداً إذا كانا سيذهبان في عطلة معاً للاحتفال بعشر سنوات من الزواج، أليس كذلك؟".

أطبق الصمت على الغرفة واستطاعوا سماع صوت محرك الثلاجة على الطرف الآخر من الرواق وقد بدأ العمل.

"فعل مشبوه لزوجة كانت قد كذبت على الجميع بشأن المكان الذي ستقصده، وزوج ينتابه الشك كان قد توثق من حساباتها المصرفية ولم يجد شيئاً يتعلق بقيام براستور بتنظيم رحلة لها إلى اليونان. اتصل ببراستور وعرف اسم الفندق الذي تقيم فيه زوجته وتبعها ليعيدها إليه".

قال إيفارسون: "إذاً، ماذا؟ هل وجدها مع أسود؟".

هزّ هاري رأسه. "لا أظن أنه وجدها قط".

قالت بتي: "لقد توثقنا من الأمر، ولم تنزل في الفندق الذي حجزت فيه. عاد تروند على متن رحلة أبكر".

"إضافة إلى ذلك، سحب تروند ثلاثين ألف كرون من بطاقته المصرفية في ساو باولو. بدايةً، قال إنه اشترى خاتماً ماسياً، ثم إنه التقى بليف وأعطاه المال؛ لأنه كان مفلساً. أنا واثق تماماً أن أياً من ذلك لم يكن صحيحاً. أظن أن المال كان لخدمة تشتت بها ساو باولو أكثر من المجوهرات".

سأل إيفارسون، المنزعج بوضوح من الصمت الذي أصبح لا يطاق:

"وما هي؟".

"جريمة مأجورة".

شعر هاري بأنه يرغب في إطالة الأمر أكثر من ذلك، لكن نظرة من بتي جعلته يعرف أنه قد بالغ قليلاً آنذاك، لذا، تابع قائلاً: "عندما عاد ليف إلى أوصلو هذا الخريف، كان ذلك من أجل الحصول على ماله. لم

يكن مفلساً إطلاقاً ولا نية لديه لسرقة أي مصرف. كان قد عاد ليأخذ شتاين معه إلى البرازيل".

استغرب مولر: "شتاين؟ زوجة شقيقه؟".

أوما هاري إيجاباً، في حين تبادل المحققون الحاضرون نظرات. تابع مولر: "وكان يفترض أن تنتقل شتاين إلى البرازيل من دون أن تخبر أحداً؛ لا والديها، ولا أصدقاءها؟ من دون حتى أن تُبلِّغ مدير عملها؟".

قال هاري: "حسناً، عندما تقرر تفضية حياتك مع لص مصارف مطلوب من الشرطة وزملائك، لا تعلن عن خطتك وتترك عنوانك الجديد. كان هناك شخص واحد فقط أخبرته بذلك، وهو تروند".

أضفت بتي: "آخر شخص كان يجب عليها إبلاغه".

"ظننت على الأرجح أنها تعرفه، بعد أن أمضت معه ثلاث عشرة سنة..."، مشى هاري إلى النافذة وتابع: "المحاسب الحساس، لكن اللطيف والمسلم الذي أحبها حباً جماً. دعوني أتأمل قليلاً بشأن ما حدث بعدئذ". تتشَّق إيفارسون الهواء وقال: "وماذا تدعو ما كنت تفعله حتى الآن؟".

"عندما جاء ليف إلى أوصلو، اتصل تروند به. قال إنهما راشدان وشقيقان، لهذا يجب أن يتكلما عن أشياء عدة. كان ليف مرتاحاً وسعيداً، لكنه لن يظهر في البلدة؛ لأن ذلك ينطوي على مجازفة كبيرة، لهذا اتفقا على اللقاء في ديزنغندا حين تكون شتاين في العمل. ذهب ليف ولقي استقبالاً حسناً من تروند، الذي قال إنه شعر بالحزن أولاً، لكنه تخطى الأمر آنذاك وسعيد من أجلهما. فتح قارورة كوكا كولا لكل منهما وشربا وتحديثاً عن تفاصيل عملية. حصل تروند على عنوان ليف السري في داجودا حتى يستطيع مراسلته عبر البريد الإلكتروني، وإرسال دفعات متأخرة وما إلى ذلك إلى شتاين. لم يدرك ليف أنه قد زوّد تروند بالتفاصيل الأخيرة التي يحتاج إليها لتنفيذ خطة كان الأخير قد استنبطها في أثناء وجوده في البرازيل".

رأى هاري ويبر يوماً برأسه ببطء.

"صباح الجمعة، يوم السرقة. بعد الظهر كانت شتاين ستغادر على متن طائرة إلى لندن مع ليف ومن هناك إلى البرازيل في صباح اليوم التالي. حُجزت الرحلة عبر براستور، والحقائب أُعدت وجاهزة في المنزل، لكنها وتروند ذهبا إلى العمل كالمعتاد. عند الثانية، غادر تروند العمل وذهب إلى فوكس في سبورفيزغاتا. وصل إلى هناك، دفع لملعب السكواتش الذي كان

قد حجه، لكن قال إنه لم يجد شريكاً. كانت تلك أول حجة غياب: دفعة مسجلة عند 14:34. ثم قال إنه سيجري بعض التمارين في النادي الرياضي بدلاً من ذلك، وذهب إلى غرفة تغيير الملابس. كان هناك أشخاص كثيرون يدخلون ويخرجون في ذلك الوقت. أوصد باب المرحاض على نفسه مع الحقيبة، ارتدى ثوب العمل الذي يحمل رسماً ما - قطة طويلة على الأرجح - وانتظر حتى توثق أن الناس الذين رأوه في المرحاض قد ذهبوا، وضع نظارته الشمسية، حمل الحقيبة وخرج بسرعة من دون أن يلاحظه أحد من غرفة تغيير الملابس عبر منطقة الاستقبال. أخمن أنه مشى نحو ستنسبارك ثم إلى بيلستردت بجانب موقع البناء الذي خرج عمال منه عند الثالثة. دخل المبنى، مزق معطفه، ثم وضع القناع تحت قبعته. ثم صعد التلة واستدار يساراً نزولاً إلى إندوستريغاتا. عند تقاطع طريق بوغستادفين ذهب إلى متجر سفن إيليفن. كان هناك قبل أسبوعين ليتوثق من زوايا آلة التصوير، وأن الحاوية التي طلبها في مكانها. كان المسرح قد أُعدَّ لرجال الشرطة المجتهدين الذين كان يعرف تماماً أنهم سيتوثقون من كل أشرطة الفيديو في المتاجر ومحطات الوقود في المنطقة. لهذا قام بذلك العرض الصغير من أجلنا: لم نر وجهه لكننا رأينا فعلاً بوضوح تام قارورة الكوكا كولا يحملها بيده العارية ويشرب منها. وضعها في كيس، وكنا جميعاً مقتنعين أن المطر لن يحوّ البصمات، وربما في الحاوية الخضراء التي يعرف أنها لن تتحرك من مكانها لبعض الوقت. لا بدّ من أنه كان مقتنعاً تماماً بكفاءةنا العالية، وكدنا نفقد الدليل، لكنه كان محظوظاً جداً... قادت بتي السيارة مثل مجنونة واستطعنا الحصول عليها؛ وهذا ما منح تروند غريت حجة غياب محكمة بالحصول على الدليل الأخير الذي لا يقبل الجدل ضد ليف".

سكت هاري وقد ظهرت على الوجوه أمامه أمارات الحيرة. ثم قال: "كانت قارورة الكولا كولا هي تلك التي شرب منها ليف في ديزنغرندا، أو مكان آخر. كان تروند قد حصل عليها لهذا السبب تحديداً". قال إيفارسون متذمراً: "أخشى أنك نسيت شيئاً يا هول. رأيت بنفسك أن لص المصرف كان يحمل القارورة بيديه العاريتين. إذا كان تروند غريت، فلا بدّ من أن تكون بصماته على القارورة".

أشار هاري نحو ويبر.

قال المحقق الخبير: "غراء".

استدار المشرف العام إلى ويبر: "عفواً؟".

"خدعة قديمة يستخدمها لصوص المصارف. تضع بعض الغراء على أصابعك، تتركه يجف، وتحصل على مرادك: لا بصمات".
هزّ المشرف العام رأسه قائلاً: "لكن أين كان هذا المحاسب، كما تدعونه، قد تعلم تلك الخدع؟".

قالت بتي: "كان الشقيق الأصغر لأحد أمهر لصوص المصارف الذين حوَّتهم النرويج. عرف طرائق ليف وأسلوبه على نحو كامل. ضمن أشياء أخرى، احتفظ ليف بتسجيلات فيديو لسرقاته في منزله في ديزنغندا. كان تروند قد علّم نفسه تقنيات شقيقه جيداً، حتى إن راسكول خُدع حين ظنّ أنه تعرّف إلى ليف غريت. بالإضافة إلى كل ذلك، هناك تشابه بدني بين الشقيقين، ما يعني أن التعامل الحاسوبي مع صور الفيديو أظهر أن السارق قد يكون ليف".

صرخ إيفارسون تلقائياً: "تبا!", ثم خفض رأسه وألقى نظرة خوف خاطفة نحو بيارني مولر، لكن مولر كان يجلس فاغر الفم، يحدّق إلى الفراغ أمامه كأن رصاصة قد مرّت عبر رأسه.
"لم تضع المسدس جانباً يا هاري. هل يمكنك أن تشرح السبب؟".
حاول هاري أن يتنفس بانتظام بالرغم من أن قلبه يخفق بقوة. كان وصول الأوكسجين إلى الدماغ ضرورياً. حاول إبعاد نظره عن بتي التي تلاعبت الريح بخصلات صغيرة شقراء من شعرها. كانت عضلات في الرقبة الرقيقة تتوتر وقد بدأت كتفاها ترتعشان.
قال هاري: "أولاً، ستقتل كلينا. يجب أن تمنحني اتفاقاً أفضل من ذلك يا تروند".

ضحك تروند ووضع وجنته على الأخمص الأخضر للبندقية. "ما رأيك بهذا الاتفاق يا هاري؟ لديك خمس وعشرون ثانية لتفكّر في البدائل وتضع السلاح جانباً".

"الخمس والعشرون ثانية المعتادة؟".

"صحيح. أفترض أنك تتذكر كم ينقضي الوقت سريعاً. فكّر بسرعة يا

هاري".

صرخ هاري: "هل تعرف ما الذي جعلني أفكّر في أن شتاين تعرّفت إلى السارق؟ كانا يقفان قريباً جداً من بعضهما بعضاً. أكثر قريباً منك وبتي الآن. هذا غريب، حتى في مواقف الموت والحياة، يحترم الناس حيّز الآخرين الخاص إذا كان بمقدورهم ذلك. أليس ذلك غريباً؟".

وضع تروند الفوهة تحت ذقن بتي ورفع رأسها قائلاً: "بتي، هلاً

تتفضلين بالعدّ من أجلنا؟" - كان يستخدم النبرة المتكلّفة مجدداً - "من واحد إلى خمسة وعشرين. من دون سرعة كبيرة أو بطء شديد".
قال هاري: "كنت أتساءل عن شيء ما. ماذا قالت قبل أن تطلق النار عليها؟".

"هل توّد حقاً أن تعرف يا هاري؟".

"نعم، أوّد ذلك".

"لدى بتي ثانيتان لتبدأ العد. واحد...".

"عدّي يا بتي!".

"واحد"، كان صوتها يخرج كالهمس المبحوح، "اثنان".

قال تروند: "نطقت شتاين حكم الإعدام الأخير بحق نفسها وليف".
"ثلاثة".

"قالت إن بمقدوري إطلاق النار عليها، لكنني يجب أن أصفح عنه".
شعر هاري بحنجرته تضيق وقبضته على مسدسه تضعف.
"أربعة".

سأل إيفارسون: "بعبارة أخرى، كان سيطلق النار على شتاين بغض النظر عن الوقت الذي سيستغرقه مدير الفرع لوضع المال في الحقيبة؟".
أوماً هاري مكتئباً.

قال إيفارسون: "ولأنك تعرف كل شيء كما يبدو، أظن أنك تعرف أيضاً طريق هروبه". كان القصد من النبرة أن تكون تهكّمية وممتعة، لكن الانزعاج بدا واضحاً تماماً فيها.

"لا، لكنني أفترض أنه سلك الطريق نفسها في العودة؛ صعوداً إلى إندوستريغاتا، ونزولاً نحو بيلستردت، ثم إلى موقع البناء حيث خلع القناع وثبّت شعار بوليتي (الشرطة) على ظهر ثوب العمل. عندما عاد إلى فوكس، كان يعتمر قبعة ويضع نظارة شمسية، وفشل في إثارة انتباه موظفي المركز؛ لأنهم لم يتعرّفوا إلى صورته. ذهب إلى غرفة تغيير الملابس وارتدى ثيابه الرياضية التي كان يلبسها حين وصل من العمل، ثم انضم إلى الهرج والمرج المعتاد في النادي الرياضي، أنجز بعض الدورات على الدراجة الهوائية، وربما رفع بعض الأثقال. ثم استحم، وذهب إلى مكتب الاستقبال وأبلغ عن فقدان مضرّب السكواتش. سجّلت الفتاة التي تلقّت التفاصيل الوقت بالتحديد عند 16:02. كانت حجة الغياب قوية وخرج إلى الشارع، سمع الصفارات وقاد سيارته عائداً إلى منزله. هذا محتمل".

قال كبير المفتشين: "لا أعرف إذا كنت أفهم الهدف من شعار الشرطة.

ليس لدينا أثواب عمل في السلك".

قالت بتي، التي تورّدت وجنتاها حين رأت المشرف العام يرفع حاجباً:
"علم نفس أولي. أعني... ليس ابتدائياً بمعنى أنه... مم، واضح".

قال المشرف العام: "تابعي".

"عرف تروند غريت، طبعاً، أن الشرطة ستفتش عن شخص يرتدي ثوب عمل وُجد في المنطقة. كان عليه، لهذا السبب، أن يضع شيئاً على ثوبه يجعل كل أفراد الشرطة يتعدون عنه؛ لتخفيف التركيز على هذا الشخص المجهول في فوكس. يتعد العامة دائماً عن الشرطة".

قال إيفارسون بابتسامة بغیضة وطرفاً إصبعيه تحت ذقنه: "نظرية

مثيرة للاهتمام".

قال المشرف العام: "إنها محققة. الجميع يخافون من السلطة. تابعي".

"لكن، ليكون واثقاً تماماً، تظاهر أنه شاهد وتطوّع للإدلاء بمعلومات

عن رجل كان قد رآه يمشي في الرواق خارج النادي الرياضي يرتدي ثوب عمل عليه شعار بوليتي".

قال هاري: "كانت تلك ضربة عبقرية بحدّ ذاتها. أخبرنا غريت ذلك

كأنه لا يدرك أن شعار الشرطة يُخرج الرجل من حساباتنا. بالطبع، عزّز ذلك مصداقية تروند غريت في أعيننا؛ لأنه تطوّع للإدلاء بمعلومات ربما -

كما رأى من وجهة نظره - كانت ستضعه في طريق هروب القاتل".

قال مولر: "ماذا؟ كرّر ذلك مرة أخرى يا هاري، ببطء".

أخذ هاري نفساً عميقاً.

قال مولر: "أوه، لا عليك. أشعر بصداع".

"سبعة".

قال هاري: "لكنك لم تفعل ما طلبته منك. لم تُبق على حياة

شقيقك".

قال تروند: "بالطبع لا".

"هل عرف أنك قتلتها؟".

"أسعدني إبلاغه بنفسي، عبر الهاتف الخليوي. كان ينتظر في مطار

غاردمون. أخبرته أنه إذا لم يصعد تلك الطائرة، فإنني سأسعى خلفه أيضاً".

"وصدّك حين قلت إنك قد قتلت شتاين؟".

ضحك تروند قائلاً: "كان ليف يعرفني. لم يشكّ في ذلك ثانية. عندما

كنت أزوّده بالتفاصيل، كان يقرأ عن السرقة على شاشة التلفاز في قاعة

رجال الأعمال. أغلق هاتفه حين سمعتهم ينادون على رحلته. رحلته مع

شتاين. مهلاً، أنت!". وضع السلاح على رأس بتي.
"ثمانية".

قال هاري: "ظنّ بالتأكيد أنه سيعود إلى منزله آمناً. لم يكن يعرف بشأن القاتل المأجور في ساو باولو، أليس كذلك؟".
"كان ليف لصاً، ولكنه ساذج. لم يكن يجب أن يزودني قط بعنوانه السري في داجودا".
"تسعة".

حاول هاري تجاهل نبرة بتي الآلية الرتيبة وقال: "عندها أرسلت تعليمات إلى القاتل المأجور، ورسالة الانتحار، التي كتبتها بأسلوب الخط نفسه الذي كنت تستخدمه لإنجاز فروض ليف".
قال تروند: "أحسنت. عمل جيد يا هاري. باستثناء حقيقة أنني أرسلتها قبل عملية المصرف".
"عشرة".

قال هاري: "حسناً، قام القاتل المأجور بعمل جيد أيضاً. بدا أن ليف قد شقق نفسه حقاً، بالرغم من أن اختفاء السبابة كان محيراً. هل كان ذلك وصل الاستلام؟".
"دعنا نوضح الأمر بالطريقة التالية. إصبعٌ صغيرةٌ مناسبةٌ لوضعها في مغلفٍ عادي".

"لم تظن أن بمقدورك تحمّل منظر الدم يا تروند؟".
"أحد عشر".

سمع هاري قصف رعد بعيد بالرغم من صوت الريح العاصفة. كان الحقل والممرات حولهم مقفرة. كان الجميع قد لجأوا إلى مكان آمن من العاصفة القادمة.
"اثنا عشر".

قال هاري: "لماذا لا تسلّم نفسك فحسب؟ تعرف أن الوضع ميؤوس منه".

ضحك تروند بصوت خافت وقال: "بالطبع ميؤوس منه. هذا هو بيت القصيد، صحيح؟ لا أمل. لا شيء أخسره".
"ثلاثة عشر".

"إذاً، ما الخطة يا تروند؟".

"الخطة؟ لدي مليوناً كرون من عملية المصرف وأخطط لحياة طويلة - إن لم تكن سعيدة - في الخارج. كان يجب وضع خطط السفر قبل وقت

طويل، لكنني كنت مستعداً لذلك. وضعت أمتعتي في السيارة وهي جاهزة منذ السرقة. يمكن أن تختار بين التعرض لطلق ناري أو التكبيل بأصفاد إلى السياج".

"أربعة عشر".

قال هاري: "تعرف أن ذلك لن يجدي نفعاً".
"صدّقني، أعرف الكثير عن الاختفاء. لم يفعل ليف شيئاً. كل ما أحتاج إليه هو أن أسبقكما بعشرين دقيقة. سأكون قد غيرت وسيلة النقل وبطاقة الهوية مرتين. لدي أربع سيارات وأربعة جوازات سفر على الطريق، وعلاقات جيدة؛ في ساو باولو مثلاً. عشرون مليون نسمة. يمكن أن تبدأ البحث هناك".

"خمسة عشر".

"ستموت زميلتك قريباً يا هاري. ماذا سيحدث؟".
قال هاري: "لقد قلت الكثير. ستقتلنا بأي حال".
"يجب أن تخاطر وتكتشف ما ينتظرك. ما الخيارات التي لديك؟".
قال هاري وهو يذخر مسدسه: "أن تموت قبلي".
همست بتي: "ستة عشر".

* * *

كان هاري قد أنهى كلامه.
قال إيفارسون: "نظرية ممتعة يا هول، خاصة تلك التي تتعلق بالقاتل المأجور في البرازيل. غريب..."، كشف عن أسنانه الصغيرة بابتسامة ساخرة وتابع قائلاً: "جداً. ليس هناك المزيد؟ إثبات، مثلاً؟".
قال هاري: "الخط. رسالة الانتحار".
"لقد قلت للتو إنه لا يطابق خط تروند غريت".
"ليس خطه المعتاد، لا. لكن المقالات...".
"هل لديك شاهد يقسم أنه كتبها؟".
قال هاري: "لا".

تأوه إيفارسون: "بعبارة أخرى، ليس لديك دليل دامغ واحد في قضية السرقة هذه".

قال هاري بهدوء، وهو ينظر إلى عيني إيفارسون: "قضية القتل".
استطاع من طرف عينه رؤية مولر يحدّق إلى الأرض، خجلاً، وبتي تفرك يديها يأساً، وقد تنحنح المشرف العام.
حرّر هاري مسمار الأمان.

"ماذا تفعل؟". نظر تروند إلى هاري ودفع فوهة البندقية على رأس
بتي بقوة أرغمتها على التراجع إلى الخلف.
تأوهت: "واحد وعشرون".

قال هاري: "أليس هذا محرراً؟ حين تدرك أخيراً أن لا شيء لديك
تخسره، فإن ذلك يسهّل اتخاذ كل القرارات".
"أنت تخادع".

"أنا؟". وضع هاري المسدس على ساعده الأيسر وأطلق النار. كانت
الفرقة عالية وحادة. انقضت بضعة أعشار من الثانية قبل أن يعود
الصدى من المباني الشاهقة. حدّق تروند. ظهرت حافة محرّزة حول الثقب
في سترة الشرطي الجلدية وطارت كتلة صغيرة من البطانة الصوفية في
الريح. سال الدم منها. قطرات ثقيلة حمراء نزلت إلى الأرض بصوت مكتوم
يشبه صوت الساعة، واختفى في مزيج الأعشاب المتعفّنة لتمتصه التربة.
"اثنان وعشرون".

كبرت القطرات وأصبحت أسرع فأسرع، وبدا صوتها مثل جهاز ضبط
توقيت متسارع. رفع هاري مسدسه، أدخل الفوهة عبر ثغرة في سياج
الأسلاك وسدّد. قال بصوت خافت جداً يُسمع بصعوبة: "هذا ما يبدو عليه
دمي يا تروند. هل نلقي نظرة على دمك؟".
غطّت الغيوم الشمس في تلك اللحظة.
"ثلاثة وعشرون".

خيّم ظل داكن مثل جدار من الغرب، أولاً على الحقول، ثم على
المنازل مائلة السقوف، والأبنية، والطّفال الأحمر، والأشخاص الثلاثة. هبطت
درجة الحرارة، أيضاً. مثل حجر؛ كأن العائق أمام الضوء لم يحجب الحرارة
فحسب وإنما شعّ برودة أيضاً. لكن تروند لم يلاحظ. كان كل ما شعر به
ورآه هو لهاث الشرطي القصير المتسارع طلباً للهواء، ووجهها الشاحب
الخالى من أي تعبير، وفوهة مسدس الشرطي تحدّق إليه مثل عين سوداء
وجدت أخيراً ما كانت تبحث عنه، فأخذت تنظر إليه وتتفحصه بامعان.
قصف الرعد من بعيد، لكن كل ما سمعه هو صوت الدم. كان جسد
الشرطي مفتوحاً والمحتويات تسيل إلى الخارج. سقط الدم، وسائله الداخلي،
وحياته بصوت عالٍ على العشب. لم يكن يتبدد، وإنما يبدد ما تحته،
ويحرق طريقه في الأرض. عرف تروند أنه حتى إذا أغمض عينيه وغطّى
أذنيه، سيسمع بالرغم من ذلك دمه يندفع إلى أذنيه، يصرخ وينبض بقوة
يريد الخروج.

شعر بالغثيان مثل نوع من ألم الجهد المعتدل، كجنين سيولد من فمه. ابتلع ريقه، لكن الماء كان يجري من كل غدده، يغرق أعضاءه الداخلية، ويجعله مستعداً. بدأ الحقل، والأبنية، وملعب كرة المضرب تدور. استجمع شتات نفسه، حاول الاختباء خلف الشرطة، لكنها كانت قصيرة جداً، وشفافة جداً، مثل خمار حياة رقيق يرتعش في العاصفة. أمسك البندقية بقوة؛ كأنها هي التي تحمله لا العكس، وشدّ إصبعه على الزناد، ثم انتظر. كان يجب أن ينتظر. لماذا؟ خوفاً من إفلات قبضته؟ أن تعود الأمور إلى نصابها؟ لكنها لن تفعل، وإنما تدور حوله ولن تستقر حتى تتحطم على القاع. كان كل شيء سقوطاً حراً منذ اللحظة التي قالت فيها شتاين إنها ستتركه، وبقي الدم الذي يندفع إلى أذنيه تذكيراً متواصلاً أن السرعة تزداد. كان يستيقظ كل صباح يفكر في أنه قد اعتاد على السقوط آنذاك، وأن الرعب قد زال، والنهاية في مرمى البصر، وتجاوز حاجز الألم. لكن ذلك لم يكن صحيحاً. كان قد بدأ يتوق إلى الاصطدام بقاع صخري، في اليوم الذي لن يشعر فيه بالخوف. ويستطيع الآن رؤية القاع الذي كان خائفاً جداً منه. اندفعت الأرض على الطرف الآخر من سياج الأسلاك نحوه. "أربع وعشرون".

كان العدّ قد شارف على الانتهاء. سطعت الشمس في عيني بتي، وكانت تقف داخل مصرف في رين والضوء في الخارج يبهر البصر، ويجعل كل شيء أبيض ومزعجاً. وقف والدها خلفها، صامت كالمعتاد. كانت والدتها تصرخ من مكان ما، لكنها بعيدة جداً، كما كانت دائماً. عدت بتي الصور، وفصول الصيف، والقبلات، والهزائم. كان هناك كثير منها، وتفاجأت من عددها الكبير. تذكرت وجوهاً، باريس، براغ، ابتسامة من تحت حاشية سوداء، إعلاناً أخرج عن الحب، لهاثاً، خوفاً: هل يؤلم؟ ومطعماً لم تستطع تحمل كلفته في سان سيباستيان، لكنها حجزت طاولة فيه بأي حال. ربما يجب أن تكون شاكرة بالمحصلة؟

كانت قد استيقظت من تلك الأفكار حين ضربت البندقية جبينها. اختفت الصور ولم يعد هناك إلا عاصفة ثلجية بيضاء تخشخش على الشاشة. تساءلت: لماذا اكتفى والدي بالوقوف بجانبني؟ لماذا لم يسألني شيئاً؟ لم يفعل ذلك قط. وكرهته لأجل ذلك. ألم يكن يعرف أنه الشيء الوحيد الذي ترغب فيه، أن تفعل شيئاً له، أي شيء على الإطلاق؟ كانت قد مشت على الدرب نفسه الذي سلكه، لكن عندما وجدت لص المصرف، والقاتل، والذي جعل امرأة أرملة، وأرادت الانتقام لوالدها، الانتقام لهم

جميعاً، وقف بجانبها، صامتاً كعادته دائماً، ورفض.

كانت تقف آنذاك حيث وقف. كل الأشخاص الذين شاهدتهم في
أشرطة فيديو مصارف من كل أنحاء العالم في الليل في دار الأمل، تتساءل
في ما كانوا يفكرون. كان دورها قد حان آنذاك وبالرغم من ذلك لم
تعرف.

ثم انتشرت العتمة في المكان، اختفت الشمس وغمرها البرد. كانت قد
استفاقت مجدداً في البرد؛ كأن الاستيقاظ الأول كان جزءاً فقط من حلم
جديد. وبدأت تعدّ من جديد. لكنها كانت تعدّ آنذاك الأماكن التي لم
تذهب إليها قط، والأشخاص الذين لم تلتقي بهم قط، والدموع التي لم
تذرفها قط، والكلمات التي لم تسمعها تقال بعد.
قال هاري: "بلى، لدي. لديّ هذا الدليل". عرض ورقة ووضعها على
الطاولة الطويلة.

انحنى إيفارسون ومولر إلى الأمام معاً، فاصطدم رأساهما.

صرخ إيفارسون: "ما هذا؟ يوم رائع؟".

قال هاري: "خربشات. مكتوبة على دفتر ملحوظات في مستشفى
غوستاد. كان شاهدان، لون وأنا، حاضرين ويمكننا الإدلاء بشهادة أن الكاتب
هو تروند غريت".
"إذاً؟".

نظر هاري إليهم، ثم أدار ظهره لهم ومشى ببطء إلى النافذة وقال:
"هل أمعنت النظر إلى خربشاتك حين تتخيل أنك تفكر في شيء آخر؟
يمكن أن تكشف الكثير. لهذا السبب أخذت الورقة معي؛ لأرى إن كان
ذلك منطقياً. في البداية، لم يكن الأمر كذلك. أعني عندما تكون زوجتك قد
لقيت حتفها للتو وتجلس أنت في جناح نفسي مغلق تكتب عبارة يوم
رائع مراراً وتكراراً، عندها إما أن تكون مصاباً بلوثة جنون أو أنك تكتب
عكس ما تفكر فيه. ثم اكتشفت شيئاً".

استغرق هاري في تأملاته. كانت أوصلو رمادية شاحبة، مثل وجه رجل
عجوز متعب، لكن الألوان القليلة لا تزال تلمع ذلك اليوم في الشمس مثل
ابتسامة أخيرة قبل أن تقول وداعاً.

قال هاري: "يوم رائع. إنها ليست فكرة، أو تعليقا، أو تأكيداً. إنها

عنوان، من نوع المقال الذي يكتبه المرء في المدرسة الابتدائية".

"لم يكن تروند غريت يفكر، وإنما يخربش فقط بطريقة آلية، كما

كان قد فعل في أيام الدراسة حين جلس يتدرب على أسلوب الخط

الجديد. كان جان هيو، خبير الخطوط في كريبوس، قد أكد أن الشخص نفسه كتب رسالة الانتحار ومقالات المدرسة".

بدا أن الفيلم قد توقف، تجمدت الصورة، لا حركة، لا كلمة، فقط عمل آلة النسخ المتكرر في الخارج في الرواق.

أخيراً، استدار هاري وحطم جدار الصمت قائلاً: "يبدو أن الرأي العام أن أقوم وبتي بإحضار تروند غريت إلى هنا لاستجوابه قليلاً".

تباً! تباً! تباً! حاول هاري أن يمسك المسدس بثبات، لكن الألم كان يجعله يشعر بدوار، وعصفُ الريح يشتد على جسده ويخف. كان ردّ فعل تروند على الدم كما تمنى هاري، وحظي لحظة بفرصة مناسبة لإطلاق النار. لكن هاري كان قد تردّد وأصبح آنذاك تروند وبتي أمامه؛ لهذا لم يعد بمقدور هاري رؤية إلا جزء من رأسه وكتفه. كانت مشابهة، وبمقدوره رؤية ذلك، يا الله! كانت مماثلة. طرف هاري عينيه بقوة لجعلهما تركزان على ما يراه. عصفت الريح بقوة كبيرة وتلاعبت بالمعطف الرمادي على المقعد الخشبي، وفي لحظة بدا كأن رجلاً خفياً لا يرتدي إلا معطفاً يجري في ملعب كرة المضرب. كان هاري يعرف أن المطر سينهمر، وأن تلك هي كتلة الهواء التي يدفعها المطر إلى الأمام كتحذير نهائي. ثم أصبح الظلام حالاً مثل الليل، واندمج الجسدان أمامه ونزل المطر فوق الرؤوس، وانهمر بقطرات كبيرة ثقيلة.

"خمس وعشرون". أصبح صوت بتي فجأة عالياً وواضحاً.

في وميض البرق، استطاع هاري رؤية جسديهما يلقيان ظلين على الطفال الأحمر. كانت الفرقة التي تبعت ذلك عالية جداً وألصقت نفسها بأذانهما مثل بطانة. انزلق أحد الجسدين بعيداً عن الآخر إلى الأرض.

جثم هاري على ركبتيه وسمع صوته يجأر: "إيلين!".

رأى الشكل الذي لا يزال واقفاً يستدير ويبدأ المشي نحوه، يحمل سلاحاً في يده. سدّد هاري، لكن المطر كان ينهمر غزيراً على وجهه ويعميه. طرف بعينه وسدّد. لم يعد يشعر بأي شيء، لا بالألم أو البرد، لا بالأسف أو بالبهجة، وإنما أصبح يشعر بفراغ كبير. لم تكن الأمور تبدو منطقية، فقد كرّرت نفسها في لازمة أبدية تفسّر نفسها بنفسها: حياة، موت، مولود من جديد، حياة، موت. ضغط على الزناد قليلاً، ثم سدّد.

همس: "بتي؟".

فتحت الباب بركلة من قدمها وأعطت هاري بندقية الأيه. جي. 3.

"ماذا... حدث؟".

قالت: "ارتعاش ستسدال".

"ارتعاش ستسدال؟".

"سقط مثل كومة آجر، ذلك الرجل المسكين"، أرتة يدها اليمنى. غسل المطر الدم من الجرحين على مفاصلها وغسلهما وتابعت: "كنت أنتظر فقط شيئاً يشتم انتباهه. وأخافه قصف الرعد كثيراً. أخافك أنت أيضاً كما يبدو".

نظر إلى الجسد الساكن من دون حراك في منطقة الإرسال اليسرى.
"هل تساعدني في الأصفاد يا هاري؟". كان شعرها الأشقر ملتصقاً بوجهها، لكن لم يبدُ أنها تلاحظ ذلك. ابتسمت.
رفع هاري رأسه إلى المطر وأغمض عينيه. تمتم: "يا الله، لن يحظى هذا الرجل المسكين بالحرية حتى 12 تموز 2022. اغمره برحمتك".
"هاري؟".

فتح عينيه وقال: "نعم؟".

"إذا أردنا ألا يحصل على حرّيته قبل 2022، يجب أن نأخذه إلى مقر قيادة الشرطة الآن".

قال هاري وهو ينهض: "ليس هو. أنا. ذلك هو وقت تقاعدي".
وضع ذراعه حول كتفها وابتسم قائلاً: "ارتعاش ستسدال، أنت...".
3 الطّفال: الطين اليابس.

جبل إكبرغ

بدأ الثلج يتساقط مجدداً في كانون الأول، غزيراً تلك المرة. تراكم الثلج على جدران المنازل، وأشارت التوقعات إلى تساقط المزيد منه. جاء الاعتراف بعد ظهر الأربعاء. أخبر تروند غريت، بالاستشارة مع محاميه، كيف كان قد خطط جريمة قتل زوجته ونفذها لاحقاً.

تساقط الثلج طوال الليل، وفي اليوم التالي اعترف أيضاً أنه كان وراء جريمة قتل شقيقه. كان الرجل الذي دفع له لإنجاز ذلك يدعى آل أوجو، العين، ولا مقر إقامة دائم له. يغير اسمه المهني ورقم هاتفه الخلوي كل أسبوع. لم يلتق تروند به إلا مرة واحدة فقط، في موقف سيارات في ساو باولو، حيث كانا قد اتفقا على التفاصيل. تلقى آل أوجو 1500 دولار سلفاً، ووضع تروند الباقي في مغلفٍ ورقي داخل خزانة أمانات في مطار تيتي. كان الاتفاق أن يبعث رسالة الانتحار إلى مكتب بريد في كامبوس بلوس، ضاحية جنوب المدينة، والمفتاح حين يتلقى سبابة ليف.

كان الشيء الوحيد الذي بدا ممتعاً في أثناء ساعات الاستجواب الطويلة هو حين سُئل تروند كيف استطاع، كسائح، الاتصال بقاتل مأجور. ردّ أن ذلك كان أسهل كثيراً من محاولة الاتصال ببناء نرويجي. لم يكن التشبيه بمحض المصادفة.

قال تروند: "أخبرني ليف عن ذلك مرة. يعلنون عن أنفسهم كبلوميروس إلى جانب إعلانات خطوط الدردشة في صحيفة فولها دي ساو باولو".

"بلوم ماذا؟".

"بلوميروس: سبّاكون".

أرسل هالفورسن المعلومات الضعيفة عبر الفاكس إلى السفارة البرازيلية، التي أحجمت عن التعليق عليها ووعدت بمتابعة القضية.

كانت بندقية آيه. جي. 3 التي استخدمها تروند في عملية السطو تخص ليف، وبقيت في العلية في ديزنغندا سنوات عدّة. أصبح تعقب البندقية مستحيلاً؛ لأن الرقم المتسلسل قد أُزيل عنها.

حلّ الميلاذ باكراً لاتحاد شركات التأمين في اسكندينايفيا؛ لأنه عُثر على أموال سرقة بوغستادين في صندوق سيارة تروند من دون أن ينقص منها كرون واحد.

انقضت الأيام، تساقط الثلج وتواصل الاستجواب. بعد ظهيرة يوم

جمعة، عندما كان الجميع مرهقين، سأل هاري تروند عن سبب عدم تقيئه حين أطلق النار على رأس زوجته... بالمحصلة، لم يكن يطيق منظر الدم. أطبق الصمت على الغرفة، وحدّق تروند إلى آلة تصوير الفيديو في الزاوية، ثم هزّ رأسه فحسب.

لكن بعد أن أنهوا الاستجواب وكانوا يمشون عبر كولفرت عائدين إلى زنزانة الاحتجاز، كان قد استدار فجأة إلى هاري: "يعتمد هذا على الشخص الذي يسيل الدم منه".

في العطلة الأسبوعية، جلس هاري على كرسي بجانب النافذة يراقب أوليخ وفتياناً محلين بينون قلاعاً ثلجية في الحديقة خارج المنزل الخشبي. سألته راكيل في ما يفكر وكاد الكلام يخرج من فمه. بدلاً من ذلك، اقترح القيام بنزهة قصيرة، فوافقت على الاقتراح وأحضرت قبعتين وقفازين. تجاوزا مسلك التزلج في هولمنكولن وسألت راكيل إن كان يجب أن يدعو والد هاري وشقيقته إلى منزلها ليلة الميلاد.

قالت: "نحن الأسرة الوحيدة الباقية"، وضغطت على يده.

* * *

يوم الاثنين، بدأ هاري وإيفارسون العمل على قضية إيلين، من الصفر. استجوبوا شهوداً استدعوا من قبل، قرأوا تقارير قديمة وراجعا معلومات وأدلة لم يجزِ التوثق منها؛ أدلة باردة كما تبين.

سأل هاري: "هل حصلت على عنوان الرجل الذي قال إنه رأى سفير أولسن مع رجل في سيارة حمراء في غرونلوكا؟".

"كفنتست. زودنا بعنوان منزل والديه، لكنني أشك في أننا سنجده

هناك".

لم يتوقع هاري تعاوناً كبيراً حين دخل إلى مطعم بيتزا هيربرت يسأل عن روي كفنتست. لكن بعد شراء شراب لشاب يحمل قميصه شعار التحالف الوطني، عرف أن روي لم يعد ملزماً بالحفاظ على وعد الصمت؛ لأنه قطع علاقاته أخيراً بأصدقائه السابقين.

تراكم الثلج في كتل كبيرة، ونقلته الريح ذهاباً وإياباً عبر الشوارع وسط مدينة أوسلو.

كانت المرأة التي تعرضت لإطلاق نار في فرع مصرف دن نورسك في غرنسن قد خرجت من المستشفى. في صحيفة داجبلاديت، كانت قد أشارت بإصبعها إلى مكان دخول الرصاصة، وأنها لم تكن تبعد عن إصابة قلبها بأكثر من إصبعين. كانت ستذهب إلى المنزل آنذاك للعناية بزوجها وأولادها

في الميلاد، كما ذُكر في الصحيفة.

عند الساعة العاشرة من صباح الأربعاء في الأسبوع نفسه، ضرب هاري حذاه بالأرض لإزالة الثلج عنه خارج الغرفة 3 في مقر قيادة الشرطة قبل أن يقرع الباب.

جاء صوت القاضي فالدرهوغ القوي: "ادخل يا هول". كان يرأس تحقيق الهيئة المستقلة لمراقبة أعمال الشرطة في حادثة إطلاق النار في محطة الحاويات. اصطحب هاري إلى كرسي أمام محكمة مؤلفة من خمسة أشخاص. إلى جانب فالدرهوغ، كان هناك المدعي العام، ومحققة، ورجل، ومحامي الدفاع أولاً لوند الذي كان هاري يعرف أنه قاسٍ لكن كفؤً وعبقري.

شرع فالدرهوغ في القول: "نودّ ربط نتائج تحقيقنا معاً قبل أن نتوقف لعطلة الميلاد. هل يمكنك إخبارنا بإيجاز قدر المستطاع عن دورك في هذه القضية؟".

على وقع طقطقة لوحة مفاتيح حاسوب المحقق، تكلم هاري عن لقائه القصير مع آلف غنرود. عندما أنهى كلامه، شكره فالدرهوغ وبحث بين أوراقه بعض الوقت قبل أن يجد ما كان يبحث عنه. نظر إلى هاري من فوق نظارته.

"نود أن نعرف إذا كنت، بعد لقاءك القصير مع غنرود، قد دهشت حين سمعت أنه شهر مسدساً على شرطي".

تذكر هاري ما كان قد فكّر فيه حين رأى غنرود على السلام. شاب خائف من التعرّض للضرب، وليس قاتلاً متمرساً. نظر هاري إلى عيني القاضي وقال: "لا".

نزع فالدرهوغ نظارته وقال: "لكن عندما التقى غنرود بك، اختار أن يولي الأدبار. أتساءل لماذا هذا التغيير في التكتيك حين التقى والر".

قال هاري: "لا أعرف. لم أكن هناك".

"لكن ألا تظن أنه أمر غريب؟".

"نعم، أظن ذلك".

"لكنك أجبت للتو أنك لم تُدهش".

أمال هاري كرسيه إلى الخلف وقال: "أنا شرطي منذ وقت طويل يا

سيدي. لم يعد يدهشني أن يقوم أشخاص بفعل أشياء غريبة، ولا حتى القتل".

وضع فالدرهوغ نظارته وظنّ هاري أنه لمح ابتسامة تتراقص على الفم

في الوجه المتغصن.

تنحج أولاً بوند وقال: "كما تعرف، أوقف المفتش توم والر لبعض الوقت في ما يتعلق بحادثة مشابهة السنة الماضية في أثناء اعتقال نازي جديد شاب".

قال هاري: "سفير أولسن".

"في ذلك الوقت، استنتجت الهيئة أنه لا يوجد أساس كافٍ ليقوم المدعي العام بتقديم لائحة اتهام".

قال هاري: "أوقفتموه عن العمل أسبوعاً فقط".

رفع أولاً لوند حاجبه إلى فالدرهوغ الذي أوماً. تابع لوند: "بالرغم من ذلك، واضح تماماً أنه الشخص نفسه في الموقف نفسه مرة أخرى. نعرف أن هناك شعوراً قوياً بالتضامن في سلك الشرطة، ورجال الشرطة يترددون في وضع زميل لهم في موقع صعب ب...".

قال هاري: "الإبلاغ عنه".

"عفواً؟".

"أظن أن ما تبحث عنه هو الإبلاغ عنه".

تبادل لوند نظرات مع فالدرهوغ مجدداً وقال: "أعرف ما تعنيه، لكننا نفضل أن ندعو ذلك تقديم معلومات ذات صلة؛ لضمان تنفيذ القوانين. هل توافق يا هول؟".

استقر كرسي هاري على قائمته الأماميتين محدثاً ضجيجاً وقال: "نعم، في الواقع، أتفق معك. أنا لست بارعاً في الكلمات مثلك".

لم يعد فالدرهوغ يستطيع إخفاء ابتسامته وقتاً أطول.

قال لوند الذي بدأ يبتسم بنفسه: "لست واثقاً بشأن ذلك يا هول.

جيد أننا نتفق، ونظراً إلى أنك ووالر قد عملتما معاً لسنوات عديدة، نود الاستفادة منك بصفتك شاهداً. لقد استقبلنا رجال شرطة آخرين هنا ألمحوا إلى أسلوب والر المتصلب في التعامل مع المجرمين وأحياناً غير المجرمين. هل يمكن أن تتخيل أن توم والر قد يكون أطلق النار على ألف غرود في لحظة تهوّر؟".

ألقي هاري نظرات طويلة إلى خارج النافذة، واستطاع أن يرى بصعوبة شكل جبل إكبرغ عبر تساقط الثلج. لكنه كان يعرف أنه موجود هناك.

سنة بعد أخرى كان قد جلس خلف طاولته في مقر قيادة الشرطة، وكثيراً ما كان إكبرغ هناك، وسيبقى دائماً، أخضر في الصيف، أسود وأبيض في الشتاء، لا يمكن تغيير ذلك فهي حقيقة ثابتة. الشيء الرائع في الحقائق

هي أنك لا تضطر إلى التفكير في ما إذا كانت مرغوبة أم لا. قال هاري: "لا. لا يمكنني تخيل أن توم والر قد أطلق النار على ألف غرود في لحظة تهوّر؟".

ربما كان أحد أعضاء لجنة الهيئة المستقلة لمراقبة أعمال الشرطة قد لاحظ كيف شدّد هاري قليلاً على كلمة تهوّر، إلا أن أياً منهم لم يقل شيئاً.

في الرواق خارج القاعة، نهض ويبر حين خرج هاري. قال هاري: "التالي رجاءً. ماذا لديك؟". رفع ويبر كيساً وقال: "مسدس غرود. يجب أن أذهب وأنتهي من هذا".

"مم". أخرج هاري لفافة تبغ من جيبه وقال: "مسدس استثنائي". قال ويبر: "إسرائيلي. جيريكو 941". وقف هاري يحدّق إلى الباب حين أغلق بقوة خلف ويبر، حتى جاء مولر ولفت انتباهه إلى لفافة التبغ غير المشتعلة في فمه. كان الهدوء غريباً في وحدة السرقات. في البداية، كان المحققون قد تبادلوا دعايات تُفيد بأن المسرّع دخل في سبات شتوي، لكنهم أصبحوا يقولون آنذاك إنه ترك نفسه يتعرض لإطلاق نار ودُفن في مكان سري؛ ليحقق حالة أسطورية خالدة. استقر الثلج على السطوح في أرجاء المدينة، وانزلق إلى الأسفل وحلّ مكانه ثلج جديد، في حين ارتفع دخان بهدوء من المداخن.

أعدّت الوحدات الثلاث في مقر قيادة الشرطة حفلة ميلاد في المطعم الداخلي. كان الجلوس منظماً وانتهى الأمر بكل من بيارني مولر، وبتي لون، وهالفورسن بجانب بعضهم بعضاً. كان بينهم كرسي شاغر عليه بطاقة تحمل اسم هاري.

سأل مولر، وهو يسكب الشراب الفرنسي لبتي: "أين هو؟". قال هالفورسن مكافحاً لفتح قارورة شراب بولاة: "في الخارج، يبحث عن أحد أصدقاء سفير أولسن الذي قال إنه رأى أولسن ورجلاً آخر ليلة الجريمة".

قال مولر: "ذلك مخيب للآمال. أخبره ألاّ يعمل حتى الموت. عشاء الميلا لا يستغرق وقتاً طويلاً بالمحصلة".

قال هالفورسن: "أخبره أنت".

قالت بتي: "ربما لا يريد فقط أن يكون هنا".

نظر الرجلان إليها وابتسما.

"ما الأمر؟"، ضحكت، ثم قالت: "ألا تظنان أنني أعرف هاري جيداً؟". تبادلوا الأنخاب. لم يكن هالفورسن قد توقف عن الابتسام. نظر إليها فقط. كان هناك شيء مختلف - لم يستطع وضع إصبعه عليه تماماً - بشأنها. كانت آخر مرة رآها فيها في قاعة الاجتماعات، لكن لم تكن هناك تلك الحيوية في عينيها. الدم في شفيتها. الوقفة، والقوام الممشوق. قال مولر: "يفضل هاري الذهاب إلى السجن على حفلات مثل هذه"،

وأخبرهما عن المرة التي كانت ليندا من الاستقبال في الاستخبارات السرية قد أرغمته فيها على الرقص. ضحكت بتي كثيراً حتى مسحت الدموع من عينيها. ثم استدارت إلى هالفورسن وأمالت رأسها قائلة: "هل ستجلس هناك تحمق كل الليل يا هالفورسن؟".

شعر هالفورسن بوجنتيه تحترقان واستطاع أن يتأتى: "لا على الإطلاق" مرتبكاً قبل أن ينفجر مولر وبتي بالضحك مجدداً.

لاحقاً، استجمع شجاعته تلك الأمسية ليسألها إن كانت تشعر بدوار على حلبة الرقص. جلس مولر وحيداً حتى جاء إيفارسون إليه وجلس على كرسي بتي. كان ثملاً، يتأتى في كلامه، وتحدث عن الوقت الذي جلس فيه خائفاً جداً أمام مصرف في رين.

قال مولر: "مضى وقت طويل على ذلك يا رون. كنت قد أنهيت تخرّجك للتو من الكلية. لم يكن في وسعك فعل شيء بأي حال". انحنى إيفارسون إلى الخلف وأمعن النظر إلى مولر، ثم وقف وغادر. خمن مولر أن إيفارسون شخص وحيد لا يعرف حتى ذلك بنفسه. عندما أوقف منسقا الأغاني لي ولي عزفَ مطر بنفسجي اصطدمت بتي وهالفورسن بثنائي آخر يرقص، ولاحظ هالفورسن كيف تيبس جسد بتي فجأة ما دفعه للنظر إلى الثنائي الآخر. قال صوت عميق: "آسف". لمعت الأسنان البيضاء القوية في وجه ديفيد هاسلهوف في العتمة.

عندما انتهت الأمسية، كان مستحيلاً إيقاف سيارة أجرة، وعرض هالفورسن مرافقة بتي إلى المنزل. مشيا بهدوء شرقاً في الثلج واستغرق الأمر منهما أكثر من ساعة قبل أن يقفا خارج الباب في أوبسال.

ابتسمت بتي وواجهت هالفورسن. قالت: "إذا كنت ترغب في ذلك، فأنت موضع ترحيب".

قال: "سأحب ذلك. شكراً".

قالت: "إذًا، إنه اتفاق. سأخير والدتي غدًا".
قال: "عمت مساءً"، وقبلها على وجنتها، ثم بدأ الرحلة القطبية غرباً
مجدداً.

أعلن معهد الأرصاد الجوية النرويجي أن الرقم القياسي لتساقط الثلج
في كانون الأول القائم منذ عشرين سنة على وشك أن يُحطَّم.
في اليوم نفسه، أصدرت الهيئة المستقلة لمراقبة عمل الشرطة حكمها
في قضية توم والر. استنتجت اللجنة أنها لم تكتشف شيئاً مخالفاً للأنظمة.
على العكس تماماً، تلقى والر مديحاً؛ لأنه تصرف على نحو صحيح وحافظ
على رباطة جأشه في موقف شديد التوتر. اتصل المشرف العام بقائد
الشرطة ليسأله إن كان يظن أنهما يجب أن يقدموا جائزة إلى والر. بأي
حال، ونظراً إلى أن أسرة ألف غرود كانت بين الأشد نفوذاً في أوصلو -
كان عمه في مجلس المدينة - شعرا أن ذلك لن يكون مناسباً.
حلّت ليلة الميلااد وخيمّ سلام الميلااد والإرادة الطيبة على العالم، حسناً،
على الأقل على النرويج الصغيرة.

كانت راكيل قد أخرجت أوليغ وهاري من المنزل وأعدتّ غداء الميلااد.
عندما عادا، كانت رائحة الأضلاع تفوح من المنزل كله. وصل أولاف هول،
والد هاري، وشقيقته في سيارة أجرة.

كانت شقيقته سعيدة بالمنزل، والطعام، وأوليغ، وكل شيء. في أثناء
الوجبة، كانت قد تبادلت أطراف الحديث مع راكيل مثل صديقتين مقربتين،
في حين جلس أولاف العجوز وأوليغ الصغير قبالة بعضهما بعضاً وتبادلا
كلمات مقتضبة معظم الوقت. لكنهما تخلياً عن التحفظ حين حان وقت
الهدايا وفتح أوليغ الحزمة الكبيرة المكتوب عليها "من أولاف إلى أوليغ" -
كانت أعمال المؤلف الفرنسي جولز فيرن الكاملة - فاغر الفم، وبدأ أوليغ
يقلّب صفحات أحد الكتب فرحاً.

قالت راكيل: "كان الشخص الذي كتب عن صاروخ القمر الذي قرأه
هاري لك".

قال هاري: "تلك هي الصور الأصلية"، وأشار إلى صورة الكابتن نيمو
الذي يقف بجانب الراية في القطب الجنوبي، وقرأ بصوت عالٍ: "وداعاً. تبدأ
إمبراطوريتي الجديدة بستة شهور من الظلام".

قال أولاف متحمساً مثل أوليغ: "كانت هذه الكتب في مكتبة والدي".
صرخ أوليغ: "ذلك لا يهم!".

تلقى أوليغ عناق شكر مع ابتسامة خجولة لكن دافئة.

عندما أَووا إلى الفراش ونامت راكيل، نهض هاري وذهب إلى النافذة. ففكر في كل الأشخاص الذين لم يعودوا موجودين: والدته، وبيرغيتا والدة راكيل، وإيلين، وأنا. وأولئك الموجودين: أويستن في أوبسال، الذي كان هاري قد أهداه زوجاً جديداً من الأحذية في الميلاد، وراسكول في بوتسن، والمرأتين في أوبسال اللتين كانتا لطيفتين جداً لتدعوا هالفورسن إلى عشاء الميلاد؛ لأنه كان مناوباً ولن يذهب إلى ستينكير هذه السنة. كان شيء قد حدث ذلك المساء، لم يكن متوثقاً منه تماماً، لكن شيئاً قد تغير. وقف يراقب الأضواء في البلدة قبل أن يدرك أن تساقط الثلج قد توقف. آثار. سيترك أولئك الذين سيمشون على طول أكرسلفا الليلة آثاراً.

همست راكيل حين عاد إلى السرير: "هل تحققت أمنيتك؟".
"أمنية؟". وضع ذراعه حولها.
"بدا أنك تتمنى شيئاً بجانب النافذة. ماذا كانت؟".
قال هاري: "لدي كل ما أتمناه"، وقبّلها على جبينها.
همست وهي تميل إلى الخلف لتراه جيداً: "أخبرني. أخبرني أمنيتك يا هاري".

"هل تريد أن تعرفي حقاً؟".
"نعم". دفعت نفسها نحوه أكثر.
أغمض عينيه وبدأ الفيلم يُعرض ببطء شديد، حتى استطاع رؤية كل صورة كأنها ساكنة. آثار في الثلج.
كذب: "السلام".

خالي البال

نظر هاري إلى الصورة: إلى الابتسامة البيضاء الدافئة، والفكين القويين،
والعينين الزرقاوين الداكنتين؛ توم والر. ثم دفع الصورة عبر الطاولة.
قال: "خذ وقتك، وأمعن النظر".

بدا روي كفنست متوتراً. انحنى هاري إلى الخلف على كرسي مكتبه
ونظر حوله. كان هالفورسن قد علّق تقويمياً على الجدار فوق خزانة
الملفات. الميلاد. كان لدى هاري الطابق برمته تقريباً. كان ذلك أفضل شيء
في العطلات. شكّ في أن يسمع كفنست يثرثر كما كان يفعل حين عثر
عليه في الصف الأمامي في دار عبادة فيلادلفيا، لكن المرء يعيش على
الأمل.

تنحى كفنست وشدّ هاري قامته.
خارج النافذة، تساقط الثلج بهدوء على الشوارع الخالية.